مكتبة

دراما تغيرات الحياة فى المجتمع الصينى الحديث

آناي

نهر يتسع لأكثر من مصير

رواية

الجزء الأول

ترجمة:
جورجينا القس زكريا
إيمان سعيد

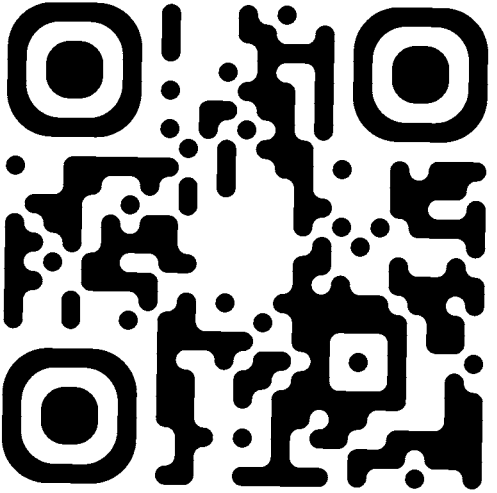

سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

نهر يتسع لأكثر من مصير

دراما تغيرات الحياة في المجتمع الصيني الحديث

اسم الكتاب: نهر يتسع لأكثر من مصير - الجزء الأول
اسم المؤلف: آ ناي
المترجم: جورجينا القس زكريا – إيمان سعيد
الناشر: مجموعة بيت الحكمة للصناعات الثقافية
الطبعة الأولى: 2026

آ ناي.
نهر يتسع لأكثر من مصير: رواية طويلة/آ ناي، ترجمة: جورجينا القس زكريا – إيمان سعيد
- القاهرة: مجموعة بيت الحكمة للثقافة للصناعات الثقافية، 2025، 460ص، 20سم.
تدمك: ISBN: 9786338316402
رقم الإيداع: 2025/28512
1 - القصص الصينية
أ- زكريا، جورجينا القس (مترجم)
ب- سعيد، إيمان (مترجم مشارك)
ج-العنوان: 895,13

مجموعة بيت الحكمة للثقافة
شارع التحرير- ميدان التحرير- القاهرة
ت:+20223936038 +201030328888
info@baytelhekma.com
www.baytelhekma.com

تم نقل حقوق الترجمة والنشر بموجب العقد الموقع مع الناشر الأصلي بالصين 中国教育图书进出口公司

جميع الآراء الواردة بالكتاب تعبر عن رأي المؤلف ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

جميع إصداراتنا متوفرة على منصات البيع الكبرى والمكتبات بالدول العربية والعالم.

t.me/soramnqraa

الإشراف العام
د. أحمد السعيد

مدير التحرير
عمرو مغيث

هيئة التحرير
علي قطب
محمد كرم
محمد ماهر بسيوني

سكرتير التحرير
ياسمين مجدي

تدقيق لغوي
تقى المرسي

تصميم الغلاف
عبد الرحمن ناصر محمد

الإخراج الفني
حسام عنتر

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة
©baytalhekma

رواية طويلة

مكتبة
t.me/soramnqraa

نهر يتسع لأكثر من مصير

دراما تغيرات الحياة في المجتمع الصيني الحديث

الجزء الأول

تأليف: آ ناي
ترجمة: جورجينا القس زكريا - إيمان سعيد

Arabic Translation Edition Copyright © 2025 Bayt Alhekma Cultural Industry Group

CEPIEC
中國教育圖書進出口有限公司
China Educational Publications Import & Export Corporation Ltd.

《大江大河》（第一部）（阿文版）
"نهر يتسع لأكثر من مصير" (الجزء الأول)
Copyright © 2018 by A Nai
This edition is authorized by **China Educational Publications Import & Export Corporation Ltd.**
For information address **Floor 8-10, Building 1-3, No.1 Xiying Street, Fengtai District, Beijing 100073, P.R. China**
All rights reserved including the right of reproduction in whole or in any part in any form.
تمت الترجمة بشركة بيت الحكمة للترجمة
ALL RIGHTS RESERVED

عام 1978

مكتبة
t.me/soramnqraa

1

لم يكن في مقدور سونغ يون هوي أن يتحمَّل أكثر من ذلك، الأمر الذي دفعه ليتشاجر مع والده سونغ جي شان، ويمسك بشيَّالة الكتفين ملتقطًا سلتين من الخيزران، ويندفع خارج المنزل.

كانت الشمس حارقة، وعرق الوجه يتبخّر من شدَّة شمس أغسطس، وطريق الحراثة الآلية الخالي من العوائق خالٍ أيضًا من الناس، الأرز المزروع لتوه متناثر على جانبي الطريق وقليل جدًا، حتى حشرات الزيز التي تنتشر في الصيف تطير بعيدًا في السماء، وكأن كل ما حوله عبارة عن رُقعة ميتة. اندفع سونغ يون هوي للخروج من الطريق الحجري الوعر في القرية الصغيرة، وألقى بنفسه في ذلك المشهد الحار الخالي من البشر.

منذ طفولته وحتى اليوم، تحمّل سونغ يون هوي الكثير لظروف عائلته، لطالما تحمَّل وتحمَّل. فالأب الفلاح متوسط الحال كان على قدر من المعرفة الطبية في شبابه، وقبض عليه حزب الكومينتانغ وأرسله لعلاج الجرحى لمدة شهرين في الفترة الأخيرة من حرب التحرير، وبعد هزيمة الكومينتانغ عاد هاربًا إلى منزله، منذ ذلك الحين لم يستطع التخلُّص من أن يُربط بصلته بالفئات الخمس

السوداء، وهم مُلّاك الأراضي، والفلاحون الأغنياء، والمعادون للثورة، والمؤثرون السيئون، واليمينيون. وكان سونغ يون هوي منذ طفولته يُطلق عليه «ابن الحرام»، ولمّا التحق بالمدرسة الابتدائية لتوّه، كان أصدقاؤه الصغار يعبّرون عن موقفهم منه بأن يقفوا بجانبه ويثفلوا ضاحكين بسخرية، وهكذا يظهرون أصولهم الحقيقية. سرعان ما دفع سونغ يون هوي أصدقاءه لتغيير موقفهم منه، لكنه ما لبث أن ظلّ بلا أصدقاء أيضًا، إذ كان أيٌّ من أصدقائه حينما يُحاول التقرُّب منه يحذره والداه فورًا.

ولعدم قدرته على إطلاق حركات ثورية شديدة، كان على سونغ يون هوي أن يتخلّى عن همجيته الصبيانية، وأن يكون كالحمل الوديع المجتهد في دراسته دون الالتفات لما يدور حوله. كانت أخته سونغ يون بينغ التي تكبره بعامين أكثر نضجًا ورجاحةً، وكثيرًا ما أخبرت أخاها الصغير بهويته، وبألا يفعل أمورًا تتجاوز الحدود، ما جعله يسلك طريقه في انضباط واستقامة. نشبت جدالات عدة بينه وبينها، ولكن غطرسة الولد الصغير دائمًا ما كانت تذوب بدموع أمه وأخته، ولم يكُن بإمكانه سوى التحمُّل ومعرفة قدر نفسه.

لذلك أصبح سونغ يون هوي صامتًا. ولكن الصمت والذكاء يمكنهما الفوز بصداقة الصِغار، ومع ذلك لا يمكنهما الفوز بحُسن نية الكِبار. في العام الماضي، تخرّج في المدرسة الإعدادية، وذهب إلى الشارع للحصول على الختم حاملاً بيان درجاته الحاصل على المرتبة الأولى في كل عام، بالإضافة إلى استمارة التسجيل في المدرسة الثانوية، ولكن مدير اللجنة الثورية بالشارع

ألقى بأوراقه إليه، وقال بلهجة صارمة عاقدًا حاجبَيه، ابن سونغ جي شان؟ أليست أختك تدرس في المدرسة الثانوية؟ إن نصيب عائلتكم في التعليم الثانوي جيد جدًا هكذا مع خلفيتكم العائلية هذه، والمدارس الثانوية في بلدنا الاشتراكي ليست لأمثالكم.

كان سونغ يون هوي ما زال يريد مجادلته بالعقل، ولكن أخته التي لحقت به سحبته خارجًا. وفي وقت لاحق، ساعده معلم المدرسة الإعدادية في التفكير لإيجاد مخرج سياسي، وأخبره بأن العمل في الفرق الإنتاجية الزراعية يسمح للفلاحين الفقراء والأغنياء بالدراسة لمدة عام في التعليم العُمّالي، وبعد العودة يمكنهم التسجيل في المدرسة الثانوية. ومن أجل الدراسة، حمل حقائبه دونما تردد وذهب إلى قرية جبلية نائية. لم يُحضِر أي شيء، فقط كتب المدرسة الثانوية الخاصة بأخته، بالإضافة إلى مستلزمات المعيشة.

لم يكُن يتوقّع وجود أُناس طيّبين في القرية الجبلية. ففي القرية التي عمل فيها، رأى قائد الفرقة أن شاربه لم يبزغ بعد، فوفر له عملًا، وهو تربية الخنازير مع الآخرين. وعلى الرغم من رائحة مزرعة الخنازير الكريهة، فإن العمل لم يكُن شاقًا، واستطاع تنظيم وقته تلقائيًا، واعتنى بالمزرعة على نحو منتظم، وأصبح لديه الكثير من أوقات الفراغ. وبخلاف الدراسة في وقت الفراغ، دَرَس أيضًا، حيث وجد متعته في التعلُّم. وأمام هذه الكتب الدراسية، لم يكُن بحاجة إلى انتقاد ذاته أو التفكير، فما دام استطاع إتقان المعرفة، يمكنه أن يُصبح سيدها. كان يستمتع بالتعلُّم، ورأى أنه لو استطاع الاستمرار على هذا النحو، فسيكون قادرًا على الالتحاق بالمدرسة الثانوية بسهولة بعد عام واحد.

على الرغم من شعوره بالدوار من شدة الغضب، فإنه لن ينسى ذات يوم في خريف العام الماضي، عندما هرعت إليه أخته بوجه أحمر، لا يعلم أهو بسبب حماسها أم ركضها في ذلك اليوم العاصف، وأحضرت إليه ورقة مكتوبة بخط اليد، فقرأها بعناية، حتى إنه ما زال يتذكّر بعض الكلمات الأساسية: «يمكن... لأي شخص مطابق للشروط أن يتقدّم للاختبار... ويسجّل بإرادته، الاختبار موحّد... بغضّ النظر عن الخلفية... تعتمد المراجعة السياسية بشكل أساسي على الأداء السياسي للفرد نفسه... وهناك نقطتان رئيسيتان للقبول: الأولى: الأداء الجيد للشخص نفسه، والثانية: اختيار الأفضل».

تذكّر سونغ يون هوي عندما صرخ هو وأخته بحماس صرخات أثارت العُباب في حظيرة الخنازير، فلم تعُد المدرسة الثانوية صعبة المنال، حتى عندما لم يلحقا باختبار القبول بالجامعة في شتاء هذا العام، تعهّد الأخ وأخته بالدراسة بجد طوال الشتاء والربيع ليؤدّيا الاختبار في صيف العام القادم، ومن ثم أصبح لدى سونغ يون هوي دافع واضح للتعلُّم.

اليوم فقط، أدرك سونغ مدى سذاجته في ذلك الوقت. حسنًا، فأسئلة الاختبار ليست صعبة بالنسبة له، كما أنه يعرف الحكم على الاتصال المتوازي لسلسلة الدوائر الكهربائية المذكور في اختبار الفيزياء من دراسته في المرحلة الإعدادية بالفعل. اجتمع زملاء أخته وحتى الزملاء والزميلات الذين يكبرونه بعشر سنوات حوله ليعرفوا منه الإجابة الصحيحة عن الأسئلة، فشعر بالفخر الشديد حينها. وكما هو متوقع، تم إخطاره وأخته بالفحص البدني

في نفس الوقت، واستطاع الجميع تخمين أن هذا يرجع لتخطّي الأخ وأخته للحد الأدنى من الدرجات. بدأت أعيُن البعض في الاحمرار، وأخذت الثرثرة تُثار حول الأخ وأخته. فتلك الجملة التي قالها مدير اللجنة الثورية بالشارع العام الماضي، «المدارس الثانوية في بلدنا الاشتراكي ليست لأمثالكم»، قد أبطلت بالفعل عملية المراجعة السياسية بأكملها. ظلّت سونغ يون بينغ تبكي اليوم بأكمله، وطالبت بشدة بالتنازل عن فرصتها في الالتحاق بالجامعة لأخيها الصغير، لأنها الأخت الكُبرى، فكيف لها أن تأخذ نصيب أخيها في التعليم الثانوي. ولكن الخلفية العائلية منقوشة بعُمق على جسده، فكيف له أن يتخطّاها بهذه السهولة؟

اليوم، أخذ سونغ يون هوي سلتين من البطاطا الحلوة وعاد إلى المنزل للاستعلام عن الأخبار، ولكنه لم يكُن يتوقّع وصول خطابات القبول لأصحاب الدرجات الأقل وعدم وصول خطابه. فقد ضحّوا بالفعل بالمراجعة السياسية لسونغ يون بينغ، ولكن ما زالت لا توجد أخبار عن خطابه. أخذ سونغ يون هوي يستعلم عن الأمر، ولكنه لم يتحمل أكثر من ذلك، فانفجر غاضبًا وصاح في والده بعبارة ظلّت محفورة في قلبه: «هذا كله خطؤك!».

بعدما صرخ في وجه والده، لم يشعر بالارتياح مطلقًا، فندم كثيرًا عندما تذكّر وجه والده الشاحب، ولم يكُن أمامه خيار سوى إلقاء نفسه تحت أشعة الشمس الحارقة، وتعذيب نفسه للتكفير عن ذنبه. ولكن كان أكثر ما يؤلمه حقًا هو احتمالية تحطُّم حلمه الجامعي. وفقًا لما يُقال، كان العمل لعام واحد كافيًا، ويمكنه الآن طلب إنهاء العمل والعودة للالتحاق بالمدرسة الثانوية، ولكنه

كان يفكّر بمرارة في قلبه، فمع هذه الخلفية العائلية، يستحيل عليه اغتنام هذه الفرصة الجيدة حتى في هذا العام، ما الأمل في هذه الحياة؟ وما الداعي للمذاكرة والتعليم الثانوي! يكفي البقاء حتى الموت في القرية الجبلية، على الأقل لم يحتقره القاطنون بها.

كان سونغ يون هوي يشعر بالدوار من شدة الغضب، ومن شدة الحرارة أيضًا، ولكنه حبس أنفاسه وتحمّل السير لأكثر من 20 كيلومترًا دون توقُّف، وعاد إلى القرية الجبلية التي يعمل بها. كانت الشمس معلّقة بالفعل على جانب الجبل، فتضاءلت الحرارة أخيرًا رويدًا رويدًا.

لم يكُن يتوقّع أن مديرته ستستقبله وهي تدفع دراجة هوائية بمجرد دخوله من مدخل القرية قائلة: «أسرع، لقد شرب والدك مبيدًا حشريًّا ونُقل إلى مستشفى المحافظة، أسرع بدراجة الفرقة، وكن حذرًا في الطريق. أسرع، لا تقف مكتوف الأيدي».

ولكن كيف لسونغ يون هوي أن يقف مكتوف الأيدي، فقد ترنّحت ساقاه كالمصعوق، لم يسمع ما قالته المديرة خلفه، إذ لم يكُن هناك سوى فكرة واحدة في ذهنه: إن ما حدث لوالدي بسببي أنا. لم يكُن يعرف كيف قاد الدراجة، وكأنه في حلم، لكنه أخيرًا وصل إلى المستشفى بسرعة.

عندما هرع إلى مستشفى المحافظة بعد تعثُّره مرتين، كانت الشمس قد انكسرت بالفعل. تحمّل وتجاهل جوعه، وبحث عن جناح المرضى مندفعًا نحوه، رأته والدته قبل أن يجد سرير والده، فلم تنطق بكلمة واحدة، فقط خلعت حذاءها وأخذت تضربه على

رأسه ووجهه، الأم التي لم تكُن على استعداد قط لأن تشير بإصبعها وتوبّخ ابنها بكلمة واحدة، لم تستطع في هذه اللحظة التوقُّف: «أيها الحيوان، أيها الحيوان..». كان سونغ يون هوي يشعر أيضًا بأنه هكذا، فعندما قبض على والده حزب الكومينتانغ، لم يكُن هذا بإرادته، والآن لم يستطع ابناه الالتحاق بالجامعة بسببه، فكيف لقلب والده ألّا يتمزّق كما لو طُعن بسكين؟ كيف له أن يطعن قلب والده؟ وقف سونغ يون هوي متحمّلاً دون ردّ للضرب، ولا للسباب، فقط وقف وسط جناح المرضى متحمّلاً ضربات والدته له.

لمّا رأت الأم ابنها هكذا، توقّفت عن ضربه، وألقت بالحذاء وبكت بمرارة بصوت مكتوم. جاءت سونغ يون بينغ تحتضن والدتها، وقالت لأخيها الأصغر بلهجة صارمة: «أبي بخير في الوقت الحالي، اعتذر له بنفسك، وإذا حدث شيء ما، فسأنتزع روحك». أطاعها سونغ يون هوي، واقترب من سرير والده.

في تلك الليلة، لم تذق الأم وابنها وابنتها طعم النوم، ثلاثتهم، ستة أعين، كانت جميعها تراقب وجه سونغ جي شان من كثب، ولونه يتحوّل من الأسود إلى الأزرق، ومن الأزرق إلى الأبيض، راقبوا صعود وهبوط صدره شهيقًا وزفيرًا، راقبوا تحوُّل نبضه من الضعف إلى القوة. ظلّت الأم وابنتها تبكيان، وحده سونغ يون هوي لم يبكِ، صرّ على أسنانه ولم يبكِ. فهذا خطؤه، وسيتحمله.

في تلك الليلة، فهم سونغ يون هوي الحقيقة بوضوح شديد، لا يمكن للمرء أن يزل أو يخطئ، مثل والده، فهذان الشهران اللذان

قضاهما قبل التحرير بإمكانهما تدمير جيلين كاملين؛ وبصراخه الذي صاح به فاقدًا عقله كاد أن يندم طوال حياته. لحُسن الحظ، تم إنقاذ والده، وإلا... لم يكن ليجرؤ سونغ يون هوي على التفكير في الأمر، فقد ندم كثيرًا على ذلك.

انفتحت عينا سونغ جي شان مع شروق شمس اليوم التالي. وعندما عادت إليه روحه، رأى ثلاثتهم بوجوه شاحبة، فسالت دموعه دون كلمة، وارتجفت شفتاه طويلاً قبل أن ينطق بجملة واحدة: «أعتذر لكم، كان من الأفضل لي أن أموت».

ابتهج ثلاثتهم وهم واقفون حول السرير بعودة الأب إلى الحياة، ولكنهم حزنوا عند سماعهم لما قاله. انهارت أعصاب سونغ يون هوي بعدما ظلّت مشدودة طوال الليل، وانحنى دون قصد على حافة السرير وانهمرت دموعه في صمت، فتوجهت إليه سونغ يون بينغ بهدوء قائلة: «لا تتحدث بهراء مع أبي، دعنا نتحدث عن هذا في وقت لاحق».

تنهّد سونغ جي شان، واستجمع قوته ليرفع ابنه، فسحبت الأم الباكية ابنها، وبكت الأسرة كلها. كان هو من دفع الدراجة حاملاً والده إلى خارج المستشفى، وسندته والدته وأخته من اليمين واليسار، فساروا بصعوبة حتى وصلوا إلى المنزل. كان سونغ جي شان يشعر بالأسى متنهدًا طوال الطريق، وظل يخبرهم بأن يستريحوا، وبعد مسيرة طويلة وصلوا أخيرًا إلى القرية. لم يكُن الطريق الحجري ممهدًا عند مدخل القرية، فسلّم الدراجة لأخته، وانحنى ليحمل والده على ظهره، فقد أراد حمل والده حتى

المنزل؛ شعر بالأسى على ابنه، وأراد السير بنفسه حتى المنزل دون الالتفات لحياته أو موته! ولكن بعد خطوة واحدة، ترنّح واصطدم بظهر ابنه، فحمله الابن على ظهره. استلقى سونغ جي شان بلا حول ولا قوة على ظهر ابنه الفتى، وشعر بصعوبة ابنه في السير، فانفجر باكيًا وبللت دموعه ظهر ابنه.

كادت قوة سونغ يون هوي تخور في ذلك الوقت، إذ إنه لم ينم طوال الليل، بالإضافة إلى حرارة الطقس، وكان مجهدًا لعودته سيرًا من المحافظة، فكيف له أن يحمل شخصًا على ظهره أيضًا. ولكن، المصيبة كانت بسببه هو، فحتى لو انتزعت أخته روحه، لن يعالج هذا ندمه، وأمام نظرات جميع من في القرية، صرّ على أسنانه، ولم يفكّر في أي شيء، فقط ثبّت ناظريه على الطريق الحجري تحت قدميه.

خطوة تليها خطوة... لا يعرف كم قطع من خطوات، وأخيرًا وصلوا إلى المنزل. انحنى سونغ يون هوي لتساعد والدته والده في النزول، وما أن زال الحمل من على ظهره حتى زالت قوة جسده أيضًا، وجلس بساقيه المتعبتين على الأرض، شاعرًا بحلاوة في حلقه، وكأن النجوم تلوح أمام عينيه. وما إن رأته أخته التي فتحت الباب لتوّها هكذا، حتى عادت لتسند أخاها، ولكنها سمعت والدها يصيح أيضًا: «انظروا في الأرض!».

اندهش سونغ يون هوي عندما رأى أخته تلتقط ظرفًا وكأنه سلاح، ورأى اسم الكلية أحمرَ لامعًا على الجانب الأيمن السفلي للظرف، فاختطف الظرف وكأنه سلاح أيضًا، وسلّمه إلى والده،

واختلطت المشاعر في قلبه، لم يستطع أي منهما قول شيء، فقط بكيا واحدًا تلو الآخر: «أبي... أبي... أبي..».

نزلت دموع الأب وابنه على هذا الظرف الورقي البني الذي حصلوا عليه بشق الأنفس.

عام 1979

1

على الرغم من نجاة سونغ جي شان من الموت، فقد ظلّ يعاني الكثير طوال حياته، إذ يعزّ عليه إنفاق المال على الطبيب والدواء، بالإضافة إلى المصروفات الهائلة اللازمة لشراء الأمتعة وتذكرة القطار لدخول ابنه الجامعة، وكيف يمكنه ألّا يعرف احتياجات بيته؟ فاعتمد على خلفيته الطبية، وكتب لنفسه بعض الأدوية العشبية، وطلب من زوجته إحضارها من أعلى الجبل لتصنع منها حساءً له. أخذت الأسرة كل عشرة قروش ادّخرتها طوال أيام الأسبوع، وبادلت جميع قسائم القماش والغذاء والزيت والسكر «غير الصالحة للاستخدام» مقابل المال، ونجحت أخيرًا في شراء قميص داكرون أبيض، وقميص آخر وسروال باللون الكاكي، وسروال آخر «جينز»، إلى جانب زوج من أحذية التحرير. كانت الألحفة الأخرى وما شابهها من اللوازم الجاهزة قد استخدمها سونغ أثناء عمله في القرية الجبلية، فأخذها ليشمّسها عدة مرات تحت شمس أغسطس الحارقة حتى تزول منها رائحة الخنازير.

ونتيجة لذلك، أعلن أفراد الأسرة بأكملها إفلاسهم، حتى إنه لم يكُن لديهم المال ليستقلوا القطار من المحافظة ويودّعوا ابنهم في محطة المدينة. ولكن يعزّ عليهم ألّا يودّعوه، إذ يعرفون أنه قد

لا يملك المال للعودة مرة أخرى بعد عدة سنوات من المغادرة، فأرادت الأسرة بأكملها الذهاب لوداعه. لذلك، استيقظوا في الساعة الواحدة صباحًا، وظلّوا سائرين منذ طلوع القمر والنجوم إلى سطوع الشمس، إلى أن وصلوا إلى محطة قطار المدينة وبادلوا آخر قطعة نقدية خشنة الحواف بتذكرة قطار بنصف الثمن من الورق الكرتون الهش، وأوصلوا سونغ يون هوي إلى القطار في الموعد المحدد. صار سونغ يون هوي أول شخص يستقل القطار من أسرة سونغ، ولحسن حظه لم تكن هناك حاجة لتبديل القطارات. حتى في اللحظة الأخيرة للوداع، ظلّت أخته تُخبر أخاها الصغير مرارًا وتكرارًا، أن الجامعة التي تتطلب مراجعة سياسية صارمة كهذه لا بد وأن تكون مهيبة من الداخل، فهي تريد لأخيها أن يسير في استقامة كالحمل الوديع، وأن يبتعد عن الأريحية في الكلام والأفعال. فقال لها إنه يعلم هذا، ولكنها لم تطمئن، وظلّت توجّه أخاها بجرأة كبيرة، فكلمة «أعلم» لا ينبغي أن تُقال بالفم فقط، بل من القلب أيضًا. أثناء الحديث، أخذ رواد المحطة يدفعونه إلى بوابة فحص التذاكر، فبكت والدته أولاً، وبكى معها والده وأخته. عضّ على شفته وكاد يمشي إلى الخلف مع تدافع الناس، ولكنه دُفع إلى أبعد وأبعد، ولم يعُد بإمكانه رؤية أسرته حوله بعد الآن، عندئذ أخذ يكفكف دموعه المتساقطة.

ظلّ سونغ معتقدًا أن تلك اللحظة التي قفز فيها على متن القطار أصبحت البداية الحقيقية لحياته الجامعية؛ فالقفز على متن القطار، يُشبه القفز إلى عالم مختلف تمامًا، وكان الركّاب يتحدّثون لهجة لا يفهمها، ويقولون أمورًا لم يتعامل معها من قبل، فأخذه

الفضول واعتقد أن هذا ما يُسمّى بـ «ركّاب من أنحاءٍ شتَّى». مدّ رقبته وأصغى باهتمام، وألقى خلفه بمخاوف مغادرته لمسقط رأسه. وعلى العكس من ذلك، فبعد وداع والده ووالدته وأخته له، عادوا عابسين الوجه يذرفون الدموع طوال الطريق، دون أن ينبسوا ببنت شفة.

ظنّ سونغ يون هوي أن ركّاب القطار مُبهرين بالفعل، ولكن بعد وصوله الجامعة، أدرك أن زملاءه هم الذين من أنحاءٍ شتَّى حقًا؛ كان أكبر زميل في الفصل يبلغ من العمر ثلاثين عامًا، ولديه ابن وابنة، ويكبره بأربعة عشر عامًا، وما زال يتقاضى راتبه للالتحاق بالجامعة. وزميله الأصغر كان حديث التخرُّج من التعليم الثانوي أيضًا، ولكنه كان يكبره أيضًا، وجميع من في الفصل والقسم كانوا يسمونه بالأخ الأصغر، أو الطفل المعجزة، فأينما ذهب ليقوم بشيء، كان الآخرون بمجرد رؤيتهم لمظهره غير الناضج يضحكون متسائلين عمّا إذا كان هو ذاك الأخ الأصغر، فأصبح مشهورًا بالأخ الأصغر في النهاية، حتى صار أكثر شهرة من ذلك الأخ الأكبر الذي لديه ابن وابنة. وبالنسبة لخلفيته العائلية، فكان يُعتبر من الأطفال بين الثمانية زملاء الذين يسكنون معه في المهجع، حيث كان والد ثاني أكبر زميل في المهجع من اليمينيين القدامى الذين يظهرون في الصُحُف، مما دفعه للارتياح قليلاً من العبء الذي كان يحمله منذ طفولته. كان أستاذهم أيضًا من اليمينيين، لكن في حفل الترحيب، رقص بعض الأساتذة والمحاضرين الذين عملوا من قبل مع خبراء سوفيتيين بسعادة على رقصة سوفيتية، رقصوا بأجسامهم القصيرة كميل البط يمينًا ويسارًا أثناء سيره، فتأثّر بعدوى المرح والترحيب

وشعر بأنه لم يعُد مضطرًا للتحمُّل، وأخيرًا نطق ببعض ممّا في قلبه. دوّن سونغ يون هوي في الخطابات كل كلمة عمّا رآه من عجائب، وكان يرسل خطابًا كل أسبوع إلى أسرته. كانت سونغ يون بينغ تحب قراءة هذه الخطابات، فما إن تشعر بالفضول حتى ترسل إلى أخيها لتسأل أكثر عمّا يحدث، ولكنها دائمًا ما كانت تذكّر أخاها بضرورة التركيز على دراسته.

لكن كيف لسونغ يون هوي أن يهمل دراسته! ناهيك من حبه الحقيقي للدراسة، حتى ولو كان يريد الاستمتاع، فإن هؤلاء الزملاء والزميلات الكبار الذين يعرفون صعوبة الحصول على فرصة الدراسة كانوا سيعيدونه مرة أخرى إلى الدراسة، وقراءة الكتب المهمة وغير المهمة. كانت المناهج الدراسية للدفعة الأولى من الطلاب الجامعيين بعد «الثورة الثقافية» ذات محتوى بسيط للغاية، وكأنها كتب مدرسية، معظمها مطبوع من قِبَل الكلية نفسها، إلى جانب أن بعض الأساتذة كانوا يُحضرون مادتهم الدراسية التي نقشوها على ورق استنسل في كل مرة يشرحون فيها، حتى إن بعض الأساتذة لم يكن لديهم ما يشرحون منه، حيث كان الأستاذ يشرح في الأعلى، والطلاب يدوّنون في الأسفل، وكانت دراسة الإنجليزية تبدأ من الأبجدية. كان الأساتذة متشوّقين لمنح الطلاب كل ما يعرفونه، ودائمًا ما كانوا يعلّمونهم تقدير الفرصة التي حصلوا عليها بشق الأنفس، والطلاب أنفسهم كانوا على استعداد لمواصلة الكفاح من أجل الدراسة. كان سونغ يون هوي يتمتّع بذاكرة جيدة منذ طفولته، فكان يحصد المعلومات أسهل من زملائه الذين يكبرونه، ما جعلهم يحسدونه على ذلك.

كلما ذكرت المذاكرة في السكن الجامعي، يتحدث سونغ يون هوي كالخبراء، ولكن ما إن تُذكر الأحداث الجارية، حتى يصير صامتًا كالأبكم، لا يفهم شيئًا. وقد حلل الجميع أمر خطاب قبوله الذي وصله متأخرًا بالنيابة عنه، قائلين إنه من الممكن أن يكون هناك من منعه بخبث، أو قد يكون هناك من حَجَب الخطاب وأرسل خطابًا إلى الجامعة يطلب إلغاء خطاب القبول لهذا الفتى، ولمّا خشي من الوقوع في مأزق، أطلق سراح الخطاب وتركه يصل في هدوء إلى المنزل. في وقت قيام الزملاء بتحليل الأمر نيابة عنه، كانوا يربّتون على كتفه، ويقولون متنهدين إن أسرته نقية حقًا، وهذا النقاء نادر. قال الزميل القادم من البرية الشمالية الكُبرى إنه من أجل التقدُّم إلى اختبار القبول بالجامعة عام 1977، تحدّى الضباب في الشتاء القارس في الشهر الأخير من العام، وذهب للتشاجر مع المدير، فأخافه عندما حملق بعينيه، وتركه يذهب إلى الاختبار. فكّر سونغ يون هوي، لو كان وأخته وقحين قليلاً أثناء المراجعة السياسية، ألم تكُن أخته ستحصل على الفرصة أيضًا؟

غالبًا ما كانت تُقام اجتماعات دراسة سياسية في الفصل، فكان الزملاء والزميلات الكِبار الذين يُختارون لساحة المعركة يقرأون مقالات الصحيفة بنفاد صبر، وفي لمح البصر وبحالة من الجمود الفكري، وبالطبع كانوا يدفعون مهمة قراءة الصحيفة لأصغرهم سونغ يون هوي، وفيما بعد تكاسل موجّه الفصل عن ترتيب احتياجات الاجتماع، ودفع سونغ يون هوي ليذهب كل يوم إلى بوابة الكلية ويحصل على نسخة من «صحيفة الشعب اليومية». لم يكُن سونغ يون هوي يعرف الصينية الفُصحى جيدًا، فكان اجتماع

قراءة الصحيفة يتحوّل إلى اجتماع لتصحيح زملائه الكبار أخطاءه في الفصحى. وفي بعض الأحيان، كان يضحك متوتّرًا، ويتعهّد بقراءة الصحيفة بالإنجليزية فيما بعد، فكانوا يطلقون صيحات الاستهجان منتظرين ما سيفعله، فيضطر لاسترجاع طاقة التعلُّم الذاتي التي بذلها في دراسة الإنجليزية فيما مضى. ولكن في أغلب الأحيان، كان أولئك الطلاب الجامعيون يتجادلون بحرفية بشأن «التجربة هي المعيار الوحيد لاختبار الحقيقة»[1] وسياسة «القاعدتين الأساسيتين»[2]، وحينها كان يضطر سونغ يون هوي للتنحّي جانبًا والاستماع حتى يشعر بالدوار، فعدم اختبار الحقيقة بالتجربة يُشبه المعادلة الرياضية التي لا تُثبَت، كيف يمكن التأكُّد من صحتها؟ وما داعي الجدال بشأن جملة بسيطة كهذه؟ لم يكُن يفهم ما الداعي لأخذ أولئك الزملاء هذا الأمر بجدية هكذا.

لم يكُن سونغ يون هوي يتوقّع أن شخصًا مثله يمكنه التأهُّل لقراءة «صحيفة الشعب اليومية» وحفظها، ففي ذاكرته، لم تكُن «صحيفة الشعب اليومية» تظهر إلّا في مكتب عميد الكلية ومكتب اللجنة الثورية في الشارع، بل وكانت توضع ضمن كنوز الرف الأعلى في رفوف الجرائد. كان يقدّر جدًا فرصة الاحتفاظ بالصحيفة، بغض النظر عن فهمه لها أم لا، لكنه كان يصنع وقتًا لقراءتها كاملة كل يوم، وحتى الافتتاحيات الطويلة المملة، كان

---

(1) مقولة شهيرة لماو تسي دونغ.

(2) المصطلح يشير إلى مبدئين أساسيين تم تبنيهما خلال فترة الثورة الثقافية في الصين تحت قيادة ماو تسي دونغ، وهما: 1 -أي قرار من قرارات ماو تسي دونغ يجب تنفيذه دون نقاش. 2 -أي مسار يختاره ماو تسي دونغ يجب اتباعه دون تردد.

يضغط على نفسه أيضًا ليقرأها، وأحيانًا ما كان يصعب عليه فهمها، ولا يعرف ما المكتوب حتى بعد إنهائها، فكان يسأل زملاءه الكِبار حتى يستطيع فهمها. قرأ في الصحيفة عن انعقاد الجلسة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الحادية عشرة للحزب الشيوعي الصيني، ولم يكُن يعلم ما المهم في مثل هذه الجلسة، فقط كان يعلم أن أولئك الزملاء والزميلات الكِبار يندفعون بشكل غير معهود لقراءة الصحيفة، ثم يعقدون مناقشات ساخنة قبل وبعد المحاضرات دون الحاجة لترتيبات من موجّه الفصل. ولم يفهم من مناقشاتهم بعض الأمور الخاصة بالوضع السياسي فحسب، بل بدأ أيضًا في تكوين طريقة تفكير جديدة بشكل تدريجي، وعرف كيفية ربط نظريات الأخبار الصحفية بدراسته وحياته الخاصة.

بالطبع، كانت المزيد من الأخبار تأتي من المناقشات ومن خطابات أقارب الزملاء ذوي الخلفيات السياسية. كان سونغ يون وي متعطّشًا لدراسة المعرفة النظرية في الجامعة، وفي الوقت ذاته متعطّشًا أيضًا لتعلُّم المعرفة الجامعية والاجتماعية من أولئك الزملاء ذوي الخبرة الاجتماعية الغنية. ولكن المعرفة الجامعية تقتصر فقط على دراسة الأسماء والمفاهيم.

في عيد الربيع لعام 1979، لم يكُن لديه المال للعودة إلى منزله، ولكن كآبة عيد الربيع وبرودة الشتاء لم تستطيعا إطفاء نار المعرفة الملتهبة في قلبه، ولذلك انضمّ لأول مرة للمناقشة بين الزملاء، وسارع أيضًا بكتابة هذه الأخبار الجيدة في خطاب إلى أسرته: أصدرت الحكومة المركزية قرارًا بردّ اعتبار «الفئات الخمس السوداء». كما كتب الأفكار التي حصل عليها من مناقشته

مع الزملاء، حتى يزوّد أباه وأمه البعيدين لآلاف الأميال بمعرفة ما يحدث من حولهم.

على الرغم من أن القرارات السياسية الأخيرة لم تُطبَّق بعد، فإنه ومنذ هذه اللحظة، شعر سونغ يون هوي بأنه يمكنه الوقوف كرجل حقيقي بظهر منتصب، دون الحاجة للاختفاء والتواري من الآخرين. رأى سونغ يون هوي بعض الزملاء الذين يحتسون الخمر احتفالاً بعد معاناتهم طويلاً، تملأ الدموع وجوههم ويضحكون كالمجانين، لم يكُن لديه القدرة على الشُرب، ولكنه تعاطف معهم كثيرًا؛ فقد انتهى كل هذا أخيرًا، وبدأ يشعر بحبه لهذا العالم.

لكن بعد فترة قصيرة من انتشار هذا الموضوع في الكلية، اندلعت حرب الدفاع عن النفس والهجوم المضاد ضد فيتنام. بدأ القتال في الصفوف الأمامية وحشد الجماهير في الصفوف الخلفية بقلوب متّحدة على كراهية العدو. وبالإضافة إلى بعض الزملاء المخضرمين، أرسل العديد من الزملاء خطابات للإشادة بأبطال الجبهة، من بينهم سونغ يون هوي، وفي الوقت ذاته قام أيضًا بخطوة جريئة، فقد سمع أن الكلية تستعد لاختيار مجموعة من الطلاب ذوي القدرة والنزاهة السياسية كموجّهين سياسيين هواة في المدارس الإعدادية والابتدائية التابعة للجامعة، للترويج لأبطال حرب الدفاع عن النفس والهجوم المضاد ضد فيتنام لطلاب المدارس، وأراد بشدة التحقق ممّا إذا كان يمكنه بالفعل الخروج من عباءة الفئات الخمس السوداء، لذلك أخذ زمام المبادرة وتقدّم بطلب للموجّه ليصير عضوًا في فريق الموجّهين الهواة. لذلك،

أعدّ بعناية كومة سميكة من القصاصات والملاحظات والخواطر من صحيفة الشعب اليومية. وعلى غير المتوقّع، فعلى الرغم من قول الموجّه بأن عملية انضمامه عملية خاصة ومليئة بالتقلّبات والمنعطفات، فإنه في النهاية تكرّم بالموافقة وأصبح موجّهًا هاويًا في المدرسة الابتدائية التابعة للجامعة. وعلى حدّ تعبير زملائه في الجامعة، يمكنه كرفيق ذي خلفية سيئة أن يأكل براعم الأمة بالسيف الإمبراطوري.

امتنّ سونغ يون هوي لقادة القسم كثيرًا، واعتزّ بهذه الفرصة التي حصل عليها بشق الأنفس، وكرّس نفسه بحماس للعمل كموجّهٍ هاوٍ في المدرسة الابتدائية التابعة للجامعة. كان يدرّس لطلاب الصفين الثالث والرابع الابتدائي، وقد حظي بحب كبير من الطلاب. إنها المرة الأولى أيضًا التي يطلق فيها العنان لقدرته على الإقناع أمام الأصدقاء الصغار والمعلمين. ومع ذلك، فما زال يتذكّر ذاك الدرس المؤلم حينما قال جملة واحدة كادت تُصيبه بالندم طوال حياته، فبكثرة الكلام يكثُر الخطأ، حتى إن حديثه مع الأطفال لم يكُن كثيرًا في وقت الفراغ. كان معلّم الصف الرابع الابتدائي شابًا أيضًا، وقد أُعجب بصدق سونغ يون هوي، فدعاه لحضور حصة بعد ظهر أحد الأيام إذا لم تكُن لديه حصة أخرى.

ذهب سونغ يون هوي، وجلس في نهاية الفصل، وأمامه رؤوس سوداء صغيرة، بينما كان يجلس منتصبًا بوجه كبير. شعر الأولاد والبنات بهيبة حضوره، وجلسوا منتصبين بجدية وانتباه. فقط طفلة طويلة كانت تنظر إليه بعينين لامعتين من حين لآخر، نظراتها المباشرة وذقنها المرتفع أظهرت جرأتها وغرورها. لاحظ

سونغ يون هوي هذه الطفلة أيضًا، واستطاع رؤية مدى اختلاف هذه الطفلة عن البقية، وكأنها تشع نورًا يبهر من حولها.

بعد قليل، علّق المعلّم على مقالات الحصة الماضية، ويبدو أن مقالاتهم لم تحظَ برضاه بشكل عام، فكان يزداد انفعالاً مع الكلام، وانطلق لسانه كسيارة طائشة يعجز عن إيقافها، وأخذ يوبّخهم واحدًا تلو الآخر، ظلّ يوبّخهم طوال الحصة، وتعرّض بعض الطلاب لهجمات الطباشير الطائرة. ولكن، عندما قال إن جميعهم يفتقرون للثقة بالنفس وليس لديهم مستقبل، رأى سونغ يون هوي تلك الطفلة ترفع يدها، وجادلت بهدوء قائلة إن نصف الفصل بالتأكيد سيُقبل في الجامعة، وسيكون لهم مستقبل واعد أكثر من الأساتذة الذين تخرّجوا في المدارس الثانوية الفنية. عندئذ، استشاط المعلّم غضبًا، ولكن بدلاً من أن يضربها بكرات الطباشير، مضى ينفض كمّيه غضبًا.

تفاجأ سونغ يون هوي، ورأى أن عليه التعامل مع هذا الأمر، فدعا الطفلة للخروج والتحدُّث على انفراد. خرجت الطفلة من الفصل برشاقة وثقة مثل البجعة، وسارت مع سونغ يون هوي إلى وسط الملعب، وعرّفت نفسها وأن اسمها ليانغ سي شن، وبادرت بتفسير حجّتها للقيام بهذا، انبهر سونغ يون هوي للغاية، فمنذ بداية دراسته حتى اليوم، لم يقضِ يومًا بهذه الروح المعنوية العالية، ولكنه ما زال عليه التصرُّف بأمانة وكنموذج للموجّه، فأخبر ليانغ سي شان عن مدى صعوبة الدراسة التي واجهها السابقون خلال

الكارثة التي دامت لعشر سنوات[1]، وأن دراسة المعلّمين في المدارس الثانوية الفنّية كانت بشقّ الأنفس. لم يكُن سونغ يون هوي يتوقّع أن ليانغ سي شن بعد طرحها لعدة أسئلة بفضول، ستذهب إلى المعلّم لتعتذر بشجاعة.

شعرت ليانغ سي شن بالفضول تجاه الصعوبات التي مرّ بها سونغ يون هوي في المدرسة الإعدادية واختبار القبول بالجامعة، بينما شعر سونغ يون هوي بالفضول تجاه شجاعة ليانغ سي شن وجرأتها؛ فأصبحت ليانغ سي شن تابعة صغيرة للموجّه سونغ، وتقبّلت نصائحه بسلاسة.

بعد فترة وجيزة، قدّم سونغ يون هوي طلبًا إلى أمين الفصل للانضمام إلى عصبة الشبيبة، وقوبل بالموافقة السريعة على غير المتوقّع.

أخذ جميع الطلاب في الكلية ينظرون لبعضهم البعض متعجّبين من هذا الأمر، إذ لم يكونوا متوقّعين أن زميلهم الأصغر سنًا في الفصل، وحتى في القسم، بل في الكلية كلها، سيأتي من الخلف بخفة حركة ويغتنم فرصة المطالبة بإحراز تقدُّم كهذا.

شعر الجميع بأن هذا الفتى الصغير جريء كعجل حديث الولادة لا يخشى النمور، ينحرف عن المسار ليصطدم بالفرص، لذا انتظره بعض الزملاء ذوي الخبرة الاجتماعية الغنية ليحقق طموحه في سن صغيرة، ويسير متغطرسًا شامخ الرأس، ولكنهم أصيبوا جميعًا بخيبة الأمل، إذ إنه ظل يعيش ويدرس كما هو، كل

(1) المقصود بالكارثة التي دامت لعشر سنوات: الثورة الثقافية.

شيء على حاله، يدرس بجد كما كان من قبل، كل ثانية مهمة عنده، وما زال يسرع في أداء عمل الفصل الذي يزدريه الزملاء الكبار، يعمل بجد بلا تذمُّر. في البداية، ظنّ الجميع أنه قروي ماكر، ولكن مع الوقت، أدركوا أنه عامل مجتهد.

لم يكُن سونغ يون هوي ماليًا مطلقًا، فبعدما كتب فكرته عن التقدُّم بطلب للانضمام إلى الموجّهين الهواة وعصبة الشبيبة في خطابه إلى المنزل، وقبل حتى أن يصير موجّهًا هاويًا، أتته كومة من تعاليم المنزل في قطار سريع، إذ أخبر الأب ابنه بتجاربه المؤلمة، وأنه على الرغم من هدوء السياسات مؤقتًا، فلا أحد يعلم متى ستنقلب، وأن الإنسان عليه ألّا يستفز الآخرين ويسقط في فخ يتذرعون به. كما أخبره والده وأخته بشكل مفصّل بأن عليه الانتباه لهيئته وقت تناول الطعام، والاهتمام بالنبرة والصوت والإيقاع وطريقة تحدُّثه، والمشاركة باعتدال في الأنشطة الجماعية، وما إلى ذلك، مما جعله مثقل القلب، فهو لم يعُد طفلاً صغيرًا، لمَ يجب عليه الحذر لهذه الدرجة في جميع الأوقات؟ ولكن بعد كل شيء، فهو ما زال يتذكّر بحذر ذلك الدرس الذي كاد يصيبه بالكراهية الأبدية بزلة واحدة، وعلى الرغم من أنه دحض الردّ بشدة، فإن قلبه ما زال مقيّدًا في التصرُّف. وفي النهاية، ما زال والداه لم يخلعا قبعاتهما بعد.

بعد ذلك، أخذت الخطابات تهرع إليه من المنزل، بخوف واضح بين السطور. ومع الخطابات، كانت تأتي تذكرتان للطعام. كان سونغ يون هوي يتلقّى منحة مالية شهرية قدرها 15 يوانًا، يعيش منها مقتصدًا طوال الشهر، ويوفّر منها لشراء الكتب من

مكتبة الصين الجديدة. وفي بعض الأحيان، كان يُبقي من مخللات طعام الفطور ليتناولها مع طعام الغداء عند الظهيرة، ونتيجة لذلك، كان يوفّر مال الطعام، في حين كانت شهيته تزيد، ولم تكُن وجبة ورُبع وجبة تكفيه، حتى إنه كان يفكّر في المطعم وقت المحاضرة الأخيرة صباح كل يوم. ولحسن حظه، كانت أسرته ترسل له قسائم غذاء شهريًا ليكمّل حاجته من الطعام، على العكس من أسر بعض زملائه التي كان لديها الكثير من الأبناء ولا تكفيهم الكثير من قسائم الغذاء، فكانت تضطر لتقليل حاجاتها من الغذاء والكساء.

انتظرت الأخت الكُبرى سونغ يون بينغ التوظيف بعد اختبار القبول بالجامعة، ولكن حتى الفرص السيئة لن تأتي لأشخاص مثل أفراد أسرتها، كما أن والديها يفتقران للثقة بالنفس ولن يجرؤوا على طلب خدمة من أحد، لذلك ظلّت سونغ يون بينغ بلا عمل. امتنعت سونغ يون بينغ عن الطعام، وأخذت علبتين قديمتين من الصفيح من المنزل، واستبدلت بهما زوجًا من الأرانب كثيفة الفراء. استغرق الأمر يومين من العمل الشاق حتى استطاعت الأسرة بناء قفص للأرنبين في الفناء الخلفي، وبدأ العمل الجانبي للأسرة، فمن الشتاء حتى الربيع، أصبح هناك بالفعل ستّة أرانب صِغار، وقد قصّت فراءها بالفعل. وفي أوائل الصيف، قصّت فراء ثمانية أرانب، وبدأت في وضع بطاقات من فئة اليوانين أو الخمس يوانات في الخطابات المُرسلة إلى سونغ يون هوي من حين لآخر. كانت سونغ يون بينغ ذكية جدًا في الخطابات، وتخطط لمستقبل أفضل من أجل أسرتها؛ فهي لم تعُد تريد التقدُّم لاختبار القبول

للجامعة، ولم تذهب إلى كلية، لذا فالأفضل لها أن تقف على أرض الواقع بدلاً من التنافس مع أولئك الخريجين المنظّمين.

لذلك لا يحب سونغ يون هوي دفعة 1979 من الطلاب الجدد، ومن الغريب أن الطلاب والأساتذة لا يقدّرونهم أيضًا، فجميعهم يقولون إن هؤلاء الأوغاد الصغار ليس لديهم أي خبرة اجتماعية ولا يفهمون شيئًا، ليس لديهم عقول، فقط يغرّدون كالعصافير، ولا يعرفون سوى اللعب، وكثيرون منهم يرافقهم أولياء أمورهم. كما أن حفل الترحيب بدفعة 1979 لم يكُن بتلك الحفاوة التي كانت في حفل دفعة 1978، ولم يشارك الأساتذة بها بكل بساطة.

أنجبت الأرانب التي تربيها الأخت دُفعة أخرى من الأرانب الصغار، والتي اعتبرتها مخرجًا من عباءة ضيق الحال.

2

المخرج تحت الأقدام، وكل الطرق تؤدي إلى روما، لكن كل طريق يختلف عن الآخر. كان الانضمام إلى الجيش أحد أكبر أمنيات لي دونغ باو، وذلك للانضمام إلى الحزب داخل الجيش، ثم السعي للترقية، وارتداء الزي العسكري ذي الجيوب الأربعة. كان لي دونغ باو صريحًا شجاعًا مجتهدًا، ولكن بعقل صغير، كما كان يحظى بتقدير كبير من قائد السرية، لذا تكرّم بالانضمام إلى الحزب الشيوعي الصيني في العام الثاني لانضمامه إلى الجيش.

عندما بدأت حرب الهجوم المضاد والدفاع عن النفس ضد فيتنام، كتب رسالة بدمه كغيره من المقاتلين الشجعان يطلب

الذهاب إلى الجبهة، ولكنه لم يتوقّع أن الجنود المهندسين مثله لا يمكنهم الذهاب إلى الجبهة، وبعد شهر واحد انتهت الحرب بالانتصار. ظلّ هؤلاء النشطاء منشغلين بالحرب دون مقابل، وبعد الحرب لم يتمكّنوا إلا من سماع الخطب والتقارير عن أولئك الأبطال، فكانت دماء الحماسة تغلي في عروق لي دونغ باو، معتقدًا أنه بالترقية فقط يمكن البقاء في الجيش والحصول على فرصة للدفاع عن بلاده وعائلته كأولئك الأبطال.

ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد أتت وثيقة من الأعلى مفادها أنه لضمان عامل المعرفة والشباب لدى ضباط وجنود الجيش، يجب اجتياز جميع الترقيات العسكرية باختبار المدرسة العسكرية أولاً، مما أصاب لي دونغ باو بالذهول.

على الرغم من أنه كان يدّعي حصوله على الشهادة الإعدادية، ولكنه لم يكُن يذاكر أي كتب في تلك الفترة، إذ ظلّ طويلاً يلهو ويضيع وقته، وعلى الرغم من أنه درس القليل بعد انضمامه للجيش، فإن مستواه متوسط أو أقل من المتوسط في السرية، ولن يمكنه مضاهاة جنود المدن، فكيف سيجتاز اختبار المدرسة العسكرية، لذا اضطر للتقهقر بلا حول ولا قوة. وفي نهاية العام، اضطر للتقاعد من الجيش على مضض مع بعض الجنود المتطوعين الآخرين. لم ينجح لي دونغ باو في الترقية، وتقاعد من الجيش على عكس رغبته، ومع ذلك سعدت والدته الأرملة للغاية برؤية ابنها الحبيب عند عودته، وتركت كل ما عليها فعله لتجلس بجواره.

على الرغم من أن مسقط رأسه كان حيث ترعرع من طفولته إلى شبابه، فقد ظلّ بمثابة قرية فقيرة في نظره بعد أن رأى العالم. وقد أعلنت الصحف والمحطات الإذاعية عن تحقيق «التحديثات الأربعة»[1]، بينما ظل المكان هادئًا هنا، وما زالت شعارات «انتقاد لين بياو وكونفوشيوس» مكتوبة على الجدران الطينية، وما زال الجميع هنا يستيقظون عند سماعهم لمكبر الصوت المعلّق أسفل الإفريز، ويبدأون في العمل وينتهون منه مع سماع الجرس الكبير الموجود عند مدخل القرية يوميًا. يظلّ الرجال يعملون هنا طوال اليوم، ويتقاضون سبعين فِنًا[2] فقط، بما لا يكفي لشراء طابع بريد واحد. المُهم هنا هو أن لي دونغ باو يتمتّع بقوة كبيرة وشهية كبيرة أيضًا، لذا فهو يتناول وجبة واحدة ويقلق بشأن الوجبة التالية.

في الأيام القليلة التي عاد فيها لي دونغ باو إلى المنزل، كان يزور عمه وخاله، ويؤدّي آداب المجاملة على عجل، ثم يتحدّث بالتفصيل عن الأحوال في الفرقة. متخلفة، منغلقة، فقيرة، كانت الفتيات الكبيرات هن اللواتي تتزوجن فيها، ولم يرَ لي دونغ باو أي زوجة ابن صغيرة قط.

في اليوم الرابع لعودته إلى المنزل، أتى لي دونغ باو إلى مقر الفرقة، في كوخ صغير به غرفتان فقط، ليطلب عملاً من الأمين وقائد الفرقة. كان الأمين الكبير عمه البعيد، وقد زاره في اليوم

---

(1) هي «التحديث الصناعي، والتحديث الزراعي، وتحديث الدفاع الوطني، والتحديث العلمي والتكنولوجي»، وهي أهداف استراتيجية الوطنية اقترحها الحزب الشيوعي الصيني من الخمسينيات إلى الستينيات.

(2) الفِن جزء من 100 جزء من اليوان الصيني.

الأول لعودته إلى المنزل، ولكن الزيارات الخاصة تختلف تمامًا عن زيارات العمل، فإذا أردت العمل عليك التحدُّث في المكتب، وخصوصًا بالنسبة لعضو في الحزب، يجب أن تسير الأمور بنظام معيّن. كان الأمين الحالي قد أُعيد إلى منصبه هذا العام، بينما كان الأمين السابق قردًا عجوزًا من المتمردين. كان الأمين الحالي يحظى باحترام كبير، في حين أنه كان ضعيفًا بعض الشيء، لذلك ما إن رأى لي دونغ باو حتى عهد إليه بمهمة ثقيلة.

اعترف الأمين للي دونغ باو قائلاً: «دونغ باو، هناك أربعة من بين أعضاء الحزب الستة في الفرقة لديهم سابقات بالتمرُّد، والكومونة ترفض إعادة توظيفهم. والآن بعد أن انضممت أنت كقوة جديدة، يمكنني أخيرًا الشعور بالراحة يوم أمس، ذهبت عمدًا إلى الكومونة، وسألوني هناك عنك، فقلت جيد، لقد رأيت دونغ باو يكبر، كيف يمكنك ألّا تصير عضوًا في فريقنا الثوري؛ فوافقت الكومونة على أن تعهد إليك بمهمة نائب الأمين لستة أشهر أولاً. دونغ باو، هل أنت واثق؟ أعطِ عمّك كلمة».

أجاب لي دونغ باو بصراحة: «عمّي، لقد أردت أصلاً أن أصير قائدًا للسرية، لم أتوقّع أنك تقدّرني هكذا. ليس لدي ما أقوله، لقد تدرّبت جيدًا في الجيش، ولا أتعب من العمل، وأي مهمة تريدها يمكنني إتمامها».

ضحك الأمين الكبير، وبدت تجاعيد زوايا عينيه وفمه كلحية القط العجوز: «أحب الصراحة. حسنًا، لن أكون متكلّفًا معك. ما زلت لم أنفّذ المهام التي حددتها الكومونة هذا العام، ثمة وثيقة

لنظام المسؤولية، ومجموعة من الوثائق بالأمس واليوم، لطالما عجزت عن فهم هذه الأمور، ولا أجرؤ على العبث بها. إذًا فلترجع وتلقي نظرة على هذه الوثيقة، وتخبرني بما يجب عليّ فعله. كيف لوثيقة واحدة أن تُغني فرقتنا، لقد قالت الكومونة إن فرقتنا هي الأفقر في المحافظة بأكملها، وعلينا أن نتناول الحبوب المُعاد بيعها، ولا يمكننا الاستمرار هكذا. عمّك يأمرك بأن تفكّر في طريقة ما، وتذهب معي لنخبر بها الكومونة قبل عيد الربيع».

فصاح لي دونغ باو: «عمي، هل تدفع إليّ بالفرقة بأكملها من كبيرها إلى صغيرها؟ لقد كنت قائد فصيلة في السرية فقط، ولم أكن قائد السرية».

أجاب الأمين الكبير بمكر: «لقد أخبرتني أول من أمس أنك لولا اختبار المدرسة العسكرية للحصول على الترقية، لاستطعت أن تصير قائد سرية، أليس كذلك؟ وإذا كان بإمكانك أن تصير قائد سرية، فيمكنك أن تصير أمين فرقة، وقد أُوكِلَت إليك مهمة نائب الأمين. لا يمكنك الرفض، فأنت لا تتعب من العمل، هاها».

تكبّل لي دونغ باو بكلام الأمين الكبير، وجلس عاجزًا عن الكلام، بعد أن كان ذلك الشخص الفصيح الذي لا يغلبه أحد بكلامه، ونظر إلى وجه الأمين الكبير المبتسم كوجه القط العجوز، معتقدًا أن هذا العمّ أكثر دهاءً من رئيس الأركان. ولكن لي دونغ باو الشاب كان حريصًا على المحاولة، لذا لم يستمر في المقاومة، وإلا، فإنه وفقًا لشخصيته إذا قال لن أفعل فلن يفعل حقًا، وسيظل وكأنه يضرب الطاولة ويعزف لحنًا معارضًا لقائد السرية، ولن يبتلع

الإهانة أبدًا. أخذ الوثيقة ليدرسها، ولكنه ذلك الشخص القوي الذي لا تنفد قوته، كان أهم شيء أمامه هو الجلوس وقراءة الوثيقة، وكأنه جلس ليطرّز، وما إن بدأ في قراءتها، حتى شعر بالدوار وكأن النجوم تلوح أمام عينيه.

انصرف الأمين الكبير مبكّرًا، وجلس لي دونغ باو أمام النافذة المفتوحة الفارغة محدّقًا، ثم نزل ليبحث عن زميله شي هونغ وي الذي اعتاد الكتابة بخط جميل، واتّفقا على العمل، ثم أحضر دلوًا من الجير لطلاء الحائط، وأخذ هونغ وي زجاجة من الطلاء الأحمر ليكتب الشعارات. وفي نهاية اليوم، ظهرت ثلاثة شعارات جديدة في المكان الأكثر ازدحامًا في الفرقة، وجميعها استخرجها لي دونغ باو من الوثيقة، كما أنه كان قد رآها في أماكن أخرى؛ أحدها يروّج لـ «المبادئ الأساسية الأربعة»، والثاني هو «نظام المسؤولية الأسرية هو ضمان للدولة، احتفظ بما يكفي للجماعة، والباقي كله ملكك»، كانت هناك أمور أكثر تعقيدًا في الوثيقة، ولكن لي دونغ باو رأى أن هذه العبارات الأكثر سلاسة، ويسهل فهمها بمجرد قراءتها، والثالث هو «الدعوة لتقاليد الحزب الممتازة، والعمل معًا لتحقيق التحديثات الأربعة». لا يستطيع لي دونغ باو التفكير في أكثر من هذا، على أي حال فقد ذكر تنفيذ نظام المسؤولية، وتنمية الاقتصاد، ودعم سياسات الحزب، ماذا نسي ذكره أيضًا؟ لا يوجد شيء بالتأكيد. شعر لي دونغ باو بأن عليه ذكر بعض الشعارات فقط حتى يقرأها الجميع في الذهاب والإياب، ويحفظوها عن ظهر قلب، ويعرفوا ما عليهم فعله. كما كان الحال في الجيش من قبل، عندما كان ترتيب العمل يسير بعبارات ذات قافية، جملتين

أو ثلاث، حتى يحفظها الجنود عن ظهر قلب، ولا يختلط عليهم الأمر أو يخطئون في التنفيذ.

بعد العشاء، خرج الأمين الكبير بمصباح يدويّ، وابتسم، وذهب إلى منزل لي دونغ باو بنفسه، ولكنه رأى ازدحامًا في منزله وكأنه يعقد اجتماعًا، والجميع يسألونه عن نظام المسؤولية الأسرية. وقف الأمين الكبير عند عتبة المنزل ونظر إلى الداخل، فوجد لي دونغ باو يتناول الطعام بوجنتين حمراوين، وقال بداخله، لا بد أن هذا الفتى لم يفهم روح الوثيقة، ولن يستطيع الإجابة، لذلك سارع برفع صوته ليسهل الأمر عليه، وقال إن نظام المسؤولية التعاقدية لم يُناقَش بعد من قِبَل الفرقة، وننتظر توصُّل دونغ باو إلى خطة للمناقشة حتى يتم الإعلان عنه، وما زال الأمر سرًا. توقّف الجميع عن ملاحقة لي دونغ باو بالأسئلة، ولكنهم ظلّوا يتساءلون عن معنى عبارة «والباقي كله ملكك»، وكانت عيون الكبار والصغار الغائمة تتطلع بشوق أثناء الحديث.

رأى الأمين الكبير أن هناك مخرجًا للأمر، فبمجرد أن يقوم دونغ باو بتأجيج الحديث حتى يتحمّس الجميع، ويضطر دونغ باو للاستجابة مضطرًا.

أراد الأمين الكبير عقد اجتماع مغلق مع لي دونغ باو في اليوم التالي، ولم يتوقّع أن لي دونغ باو سيكون أكثر حماسًا منه، فما إن بزغ الصباح حتى ذهب لي دونغ باو لينتظر في المقر، وما إن رآه حتى سحبه إلى الباب متسائلاً: «عمي، ما رأيك في أمر المسؤولية الأسرية؟ ماذا تفعل الفرق الأخرى؟» جلس الأمين الكبير، وقال

عابسًا: «لا أعلم، لقد ورد في الوثيقة السابقة في النصف الأول من العام أن القرويين سيشكّلون طواعية فرقًا صغيرة، ولا يمكن التعاقد مع الأفراد، هكذا تفعل بعض الفرق المجاورة لنا. وقبل أيام قليلة، أُصدرت وثيقة أخرى تقول بأن التعاقد يمكن أن يتم مع الأفراد، وحاولنا التعلُّم من مكان ما في آنهوي، ولكن لم نتعلم بالقدر الكافي، فسألت الكومونة، ولكن يبدو أنهم لم يكونوا على علم بالأمر أيضًا. ولكن، أليس التعاقد على الأراضي مع الأفراد من شأنه أن يُثير الفوضى؟ ألن يصير الجميع مُلّاكًا صغارًا للأراضي كما كان قبل التحرير؟ أما زالت هناك حاجة للمجموعات؟ لا أفهم الأمر. دونغ باو، علينا الحذر بشأن في الأمر، ولو نصل لشيء مع الكومونة، سنسأل المحافظة، لن يمكننا التحرُّك دون أن نفهم بوضوح، أعتقد أنه من الأفضل ألّا نتحرك، علينا الاستقرار أولاً، وألّا نرتكب أي أخطاء من حيث المبدأ، وإلا، فلو تحرّكنا، سنُنتقد جميعًا».

قال لي دونغ باو محدثًا نفسه سرًّا، لا عجب أنه لم يفهم الوثيقة عند قراءتها أمس، فهي غير مفهومة حقًا. وعلى الفور، فتح يده للأمين الكبير وقال: «عمي، اكتب لي بعض الخطابات التعريفية، وسأذهب إلى الفرق المجاورة للاستفسار، وأسألهم عن الأمر».

فأجابه الأمين الكبير موافقًا: «نعم، علينا الاستفسار والتفكير أولاً، حتى يمكننا تنفيذ روح الوثيقة بثبات. دونغ باو، قَدَما عمك ثقيلتان، فلتذهب أنت، وتتصل لتخبرني إذا كان هناك أمر ما».

لم يقُل لي دونغ باو شيئًا جريئًا يصعُب تحقيقه، فقط أومأ برأسه.

مكتبة
t.me/soramnqraa

عام 1980

1

ذهب لي دونغ باو يستفسر عن الأمر في كل الأرجاء، كلما سأل بعُد أكثر عن مسقط رأسه، وشعر بأن الجميع يتشدّق بنظام المسؤولية، ولكن بمعرفة غير متساوية، حتى إن بعضهم كانوا يتشدّقون كأنهم يصيحون بلا تمرين. وبعد أكثر من عشرة أيام من الاستفسار، أصبح لديه فكرة عامة عن الأمر.

لم تكُن والدته لديها وقت فراغ أيضًا، إذ إنها كانت تذهب لتدبّر له مواعيد تعارف في كل مكان، وقد استعدت تمامًا لتواجه ابنها بالأمر في هذا اليوم. لم يعترض لي دونغ باو مطلقًا، حيث أخذ يستمع إليها باهتمام وهو يلتقط البطاطا الحلوة من صحن الأرز، ولكنه كلما استمع أكثر أدرك وجود خطأ ما، فلم يستطع منع نفسه وسألها: «أمي، أليست هناك فتاة طبيعية، لماذا تكون إما بكماء وإما عرجاء؟ لا أريد رؤية شيء».

فتنهّدت والدته وقالت: «يا بني، ما باليد حيلة، لو لم تكُن جنديًا مسرّحًا أو عضوًا في الحزب أو كادرًا في الفرقة، فلن تتمكن حتى من العثور على مثل هؤلاء الفتيات. مَن جعل قريتنا فقيرة؟ في القرى المجاورة يتقاضون يوانًا واحدًا في اليوم، ونحن هنا لا نتقاضى حتى ولو جزء بسيط من هذا».

«أمي، دعكِ من هذا. لنتحدث عن هذا الأمر العام القادم، فقد تسرّحت من الجيش هذا العام، وليس لدى الوقت للزواج. دعكِ من هذا». وبدا وجه لي دونغ باو قاتمًا. لقد توفّي والد لي دونغ باو منذ وقت طويل، وظلّت والدته الأرملة تدعم المنزل بالكاد حتى الآن، واستبدلت كل ما يمكنها استبداله مقابل المال، وعندما عاد لتوه إلى المنزل وجد أحد الجدران ما زال مفتوحًا، والرياح الشمالية تهبّ برقاقات الثلج الباردة، حتى إن المنزل أصبح متجمّدًا ككهف جليدي، لذا فقد خلط القش بالطين الأصفر ليرمم الجدار في هذين اليومين. لم يكن لديهما حتى سرير أو طاولة لائقة، والملابس ملقاة في برميل ماء صغير، فكيف له أن يتزوج، وأي فتاة سترغب في المجيء إلى منزله؟! ولكنه شخص جيد، لم يتوقّع أن يراه الآخرون بهذه الطريقة، لذلك كان غاضبًا جدًا.

تنهّدت والدته مرة أخرى وقالت: «انظر، أنت ستتزوج على أي حال. انتهز فرصة أنني ما زلت أسير على قدميّ، لتنجب أطفالاً مبكرًا، وأنا سأرعاهم نيابةً عنك».

رفع لي دونغ باو سبابته وقال بحزم: «عام واحد». وبعدما أنهى كلامه، أعطى صحن الطعام لوالدته، وانشغل في صنع مقعد، حيث قطع شجرة الحور الوحيدة في منزلهم، ولم يستطع الانتظار حتى تجف الشجرة، وصنع منها طاولة للطعام. عند عودته إلى المنزل، رأى أن والدته قد باعت الطاولة التي ورثوها عن أسلافهم، ولم يعُد لديهم مكان لوضع أطباق الطعام. والمقعد الذي يجلس عليه أيضًا كان قد صنعه لتوه، إذ إنه قد عمل معظم الوقت كعامل بناء في سلاح المهندسين، وأحيانًا ما كان يتعلّم أيضًا بعض مهارات

النجارة، لذا يمكنه صناعة الأثاث إلى حد ما، لا تبدو منتجاته جيدة المنظر ليس إلا.

بصفتها والدته، كانت تفهم قصد ابنها بكلمة «عام واحد»، فهي تعلم أنه يكرر كلمته، ولا يريد التحدُّث عن أمر المواعيد المدبّرة خلال عام بالفعل، لذا كانت محبطة للغاية؛ ففي الأيام القليلة الماضية، كانت سعيدة بموافقة إحدى الفتيات على مقابلة ابنها.

لم ينبس لي دونغ باو ببنت شفة، فقط ظلّ يدق على الخشب، ويفكّر بمرارة في قلبه، انتظر، انتظر عندما تأتي الخاطبة إلى عتبة المنزل في ذلك الوقت من العام المقبل، وجميع الفتيات ستكون مصطفة أمامه ليختار منها. ولم يكُن يصدّق أنه لن يستطيع حتى الزواج من إحداهن.

في تلك الفترة، كان قد تعرّف على كافة أحوال القرى المجاورة تقريبًا، وأصبحت لديه فكرة عامة عن الوضع، أي إذا كنت تريد التغيير فلتركض بسعادة، ولا تقف مبللاً دون أن تشعر بإحراج، بالأحرى لا تقف مكتوف الأيدي كما يفعل الأمين الكبير. كما فكّر أيضًا في فرن الطوب المهجور خلف القرية، وتذكّر رؤيته وهو يحترق عنما كان صغيرًا جدًا، ولا يعرف لماذا أُغلِق بعد ذلك. رأى بعض أهالي القرى المجاورة يرممون منازلهم، ولمّا كان في الجيش سمع بأن الطوب لم يعُد متوفرًا في الآونة الأخيرة، فتساءل عمّا إذا كان تشغيل الفرن الآن سيزيد من دخل الفرقة.

إنه رجل يفي بكلمته. فما إن فكّر في فرن الطوب حتى اجتاز الجليد وذهب إلى الجبل الخلفي، ولا يمكنه نسيان أن فرن الطوب

يقع على سفح الجبل الخلفي، وعلى الرغم من أنه مغطّى بطبقات كثيفة من الجليد، فإنه من الممكن رؤيته أيضًا، وإذا أردت تشغيل الفرن، عليك أولاً بذل الكثير من الجهد لإصلاحه والمدخنة. أخذ لي دونغ باو يدور حول فرن الطوب، وأدخل رأسه إلى الفرن لينظر، وكان الظلام دامسًا في الداخل، ثم فكّر قليلاً، وألقى ببساطة بسترته المبطّنة، وأخذ ينقل الطوب المكسور من فوهة الفرن ليلقي نظرة أوضح. وبعد وقت طويل، عند سطوع الشمس فوق رأسه، سمع فجأة صوت أحد ما.

إنهما فتى وفتاة، أصواتهما خافتة، وجميلة أيضًا. ولكن لي دونغ باو كان مهتمًا بالأكثر بصوت الفتاة، وفكّر في قلبه، لمن هذا الصوت الجميل، دخل الصوت إلى أذنه بهدوء وكأن يدًا صغيرة تداعب أحشاءه، شعر براحة تسري في جسده، لدرجة أنه لم يجرؤ على الزفير. فتوقّف عمّا كان يفعله، ووقف مذهولاً خلف الفرن ليستمع، ولم يرغب في أن يستدير ويلقي نظرة. فجأة، صرخ الفتى «أوه»، وكأنه سقط، وسمع الفتاة تضحك قائلة: «لقد أخبرتك بأن نسلك الطريق الرئيسي، ولكنك أردت الطريق المختصر، وسقطت مرتين، لم تتأذّ أليس كذلك؟»، «لا، الثلج كثيف هذا العام. أختاه، خُذي الحقيبة وانتظري، سأتسلّق وحدي»، «لا تتظاهر بالمقدرة، سأسحبك».

عندئذ استفاق لي دونغ باو كما لو كان استيقظ من حلم، فهذان هما أخت وأخوها، ويبدو أن الأخ قد سقط في حفرة ما؛ وبدون تردد، استدار ليخرج ويساعدهما. وعلى غير المتوقع، وجد أن الأخت التي كانت تقف في الأعلى قد سُحبت إلى الأسفل مع

أخيها، ولم يكُن الاثنان منزعجَين ولا متوترين، فقط ينفضان الجليد من ملابسهما ويضحكان. لم يستطع لي دونغ باو منع نفسه أيضًا من الضحك، وركض واستلقى على الجليد ومدّ يده إلى الأخت وأخيها، وقال بألطف صوت لديه: «خذا يدي».

كانت الأخت وأخيها هما سونغ يون بينغ وسونغ يون هوي. رفعا رأسهما، فوجدا شابًا بحاجبين كثيفين وعينين كبيرتين، يبدو أنه شرس وغير ودود. لم يتردد سونغ يون هوي مطلقًا، ومد يده ليمسك بيد لي دونغ باو، إذ لم يكُن مطمئنًا من أن يسحب هذا الشاب الشرس يد أخته أولاً. على الرغم من أن لي دونغ باو سحب يد سونغ يون هوي إلى أعلى، فقد احتقره في داخله، فكيف لرجل أن يسعى أولاً للخروج من مأزق. مد يده وسحب سونغ يون هوي، ثم سلّم يده الأخرى لسونغ يون بينغ، وسحبها بكل سهولة كالنسر الذي يمسك بدجاجة، دون أن تضطر لبذل جهد للصعود على المنحدر. وقد رأى أن هذه الأخت لها ملامح رقيقة، ليست كفتيات الحطب المنتشرات في القرية. لم يكن لي دونغ باو راغبًا في إبعاد ناظريه عنها، ولكنه إلى حد ما كان يعرف القواعد الثلاث للانضباط والثماني نقاط للانتباه، ولا يمكنه مغازلة الفتيات بنظراته.

بعدما وقف بثبات سحب أخته مع لي دونغ باو، وكأن الأمر لا يتطلب جهدًا. وأخذ يشكر لي دونغ باو مرارًا وتكرارًا، بينما اكتفى لي دونغ باو بالترحيب مُهمهمًا. واتّضح أن هذا الرجل ذو وجه شرس، وطباع شرسة أيضًا. ولمّا وقفت سونغ يون بينغ شكرت لي دونغ باو، وعلى الفور تخلّى لي دونغ باو عن الصمت وسألها بأدب: «هل أنتم في زيارة لأقاربكم؟ أتعرفان الطريق؟».

بالنسبة للي دونغ باو، كانت هذه النبرة هي الأنعم والألطف التي يتحدّث بها في حياته، بينما سمعها الأخ وأخته مدوية وخشنة وكأنها شجار. سألت سونغ يون بينغ أخاها بصوت غير واثق: «أخي، أتعرف الطريق؟». فضحك: «كيف لي ألّا أعرفه، لقد خطوت فقط على الجليد وزلّت قدماي. أيها الرفيق، سنعود إلى المنزل، شكرًا لك».

شعر لي دونغ باو بأنهما مهذّبان، وانتابه قلق شديد عليهما، وسرعان ما قال: «انتظرا، سأجد لكما عصا».

نظر الأخ وأخته إلى الأرض المغطاة بالجليد، وتساءلا: من أين ستأتي العصا؟ ولكن لي دونغ باو استدار وركض بعيدًا، ووجد شجرة، وثناها بعنف، وقطع غصنًا بقوة، ثم نظّفه بيديه، وعاد ليعطيه إلى سونغ يون بينغ قائلاً «خذي». شعر الأخ وأخته أنه على الرغم من أن هذا الرجل لطيف، فهو غريب بشكل لا يمكن تفسيره، إذ إنه عندما يفعل فعلاً حسنًا يتصرّف وكأنه يسرق شيئًا. لم تجرؤ سونغ يون بينغ على الرفض، وقبِلت باحترام، كانت تثق به في قلبها، وقالت بأدب: «شكرًا على مساعدتك. ما زال والدانا ينتظراننا، علينا الذهاب سريعًا، شكرًا لك، إلى اللقاء».

رفع لي دونغ باو رأسه ونظر إلى السماء: «إنه الظهر؟ ولم تتناولا الغداء بعد، لماذا لا تأتيان إلى منزلي؟» كان مترددًا قليلاً في التخلّي عن هذه الأخت.

فأجابت على عجل: «لدينا طعامٌ مجفف، شكرًا لك». وأخرج سونغ يون هوي من سترته المبطّنة زجاجة خضراء ملفوفة بحزام كزجاجات الجيش، وأضاف قائلاً: «ولدينا الماء أيضًا».

لم يكُن لدى لي دونغ باو حجة للبقاء أكثر، فقال مضطرًا: «حسنًا، لنذهب معًا، وأنا ذاهب أيضًا لتناول الغداء في المنزل. كان الطوب يُحرق هنا من قبل، لذا ستجدان الطريق مليئًا بالحفر، فلتتبعاني بعناية». بعدما أنهى كلامه، كان محرجًا جدًا من مواجهة الأخت الكُبرى، وشعر أنه سيئٌ جدًا، فاستدار بسرعة وقاد الطريق سائرًا على عجل.

شعر الأخ وأخته بأن هذا الشخص لطيف حقًا، فتبعاه. لم يكُن لدى لي دونغ باو ما يقوله، فقال أكثر الأشياء غباءً في حياته. «هذه فرقة شياوليجيا، هل أنتم من فرقة النجمة الحمراء في الأمام؟ فرقة النجوم الحمراء تطبّق نظام المسؤولية التعاقدية، سمعت أن حصاد هذا العام جيد جدًا».

كانت سونغ يون بينغ تسير خلف لي دونغ باو، وخلفها سونغ يون هوي، فكانت أول من استقبل كلام لي دونغ باو: «منزلنا ليس بعيدًا، في فرقة الحرس الأحمر».

كان لي دونغ باو قد ذهب إلى فرقة الحرس الأحمر لتوه، فقال على عجل: «ما زال عليكما السير لساعتين. هل جئتما من المدينة؟ إن فرقة الحرس الأحمر تطبّق نظام المسؤولية التعاقدية أيضًا، ولكنها تأخّرت في تطبيقه، لذا لم يحدث تغيير كبير في حصاد هذا العام».

«أخي الأصغر في إجازة نصف العام، ولحسن الحظ كان هناك جرار ينقل الخضار إلى المدينة اليوم، فذهبت صباحًا بالجرار لأستقبل أخي في محطة القطار، ولكن في العودة ليس أمامنا سوى

السير. إن عائلتي ليست من الأسر المسجلة في الزراعة، لذا لا نعرف الكثير عن نظام المسؤولية التعاقدية».

كان سونغ يون هوي يسمع صامتًا في الخلف، وشعر بأن أخته لو رفعت صوتها أكثر، ستصير المناقشة كشجار. ولمّا سمع بنظام المسؤولية التعاقدية، لم يستطع منع نفسه من التحدُّث: «أيها الرفيق، هل تتحدث عن نظام المسؤولية التعاقدية المطبّق في قرية شياوقانغ بمحافظة فنغيانغ بمقاطعة آنهوي، أم عن ربط الإنتاج بالدفع مع المجموعات، والجمع الطوعي وتقسيم مجموعات العمل، والتعاقد على العمل والإنتاج مع المجموعات؟» شعر لي دونغ باو أخيرًا بأنه وجد من يفهمه بعد كل هذه الأيام، وانتابته سعادة غامرة، فاستدار وتوقّف منتظرًا سونغ يون هوي ليقترب، وأمسك بكتفه وهزّه بقوة، ثم قال بسعادة: «هل أنت طالب جامعي؟ طالب جامعي يستقل القطار إلى الجامعة؟ أنت ماهر حقًا. أخبرني، كيف يُطبّق نظام المسؤولية التعاقدية، وكيف يطبّق نظام ربط الإنتاج بالدفع. كانت فرقتنا على وشك القيام بذلك، وقد ذهبت إلى عشرات الفرق للاستفسار، ولكن لم أخرج بإجابة واضحة، فلتخبرني أنت».

كان سونغ يون هوي يظّن نفسه رجلاً بالغًا وقويًا، ولكن ما إن هزّه لي دونغ باو بيده حتى شعر بالدوار من شدة الهزة؛ فأسرع قائلاً: «اتركني، دعنا نتحدث أثناء السير». كانت سونغ يون بينغ سعيدة بالتأكيد، ولكن وجهها كان صارمًا وتشعر بالفضول لمعرفة التفاصيل.

ترك لي دونغ باو كتف سونغ يون هوي، واندفع إلى الأمام قائلاً: «أنا سأسير في الأمام، وأنت ارفع صوتك قليلاً. أصدرت الكومونة وثيقة بعنوان أحمر للتعلُّم من نظام المسؤولية التعاقدية المطبّق في مقاطعة آنهوي، ولكن هذه الوثيقة أُرسلت من المدينة إلى المحافظة، ومن المحافظة إلى الكومونة، ولا يوجد في الكومونة كلها شخص واحد يفهمها. أنت طالب جامعي، وتعرف الكثير، فلتخبرني، وستمتنّ لك فرقة شياوليجيا بأكملها».

لم يكُن سونغ يون هوي قد عرف هذا من القيل والقال، وإنما من العديد من المناقشات التي دارت في محاضرات السياسة. ويظنّ أنه قد فهم الكثير باقترانه بالصحف التي قرأها. «لنتحدث أولاً عن ربط الإنتاج بالدفع مع المجموعات، يتم الجمع طواعية بين جميع أعضاء الفرقة، وليس بتقسيم المجموعات من قِبَل السلطات العليا كما كان من قبل، حيث يتم تشكيل من ثلاث إلى أربع مجموعات تعاونية طواعية، ثم تتعاقد المجموعات التعاونية على الأراضي الزراعية المقابلة وفقًا لعدد الأشخاص، وتُسلّم كميات الحبوب وفقًا لعدد التعاقدات التي تحددها الفرقة. فهمت؟».

«فهمت، جيد جدًا، تطبّق فرقة الحرس الأحمر هذا النظام، وماذا عن نظام المسؤولية التعاقدية؟».

رأى سونغ يون هوي أن لي دونغ باو لم يعُد مهذبًا كما كان منذ قليل، ولكنه أحب صراحته: «على الرغم من أن نظام المسؤولية التعاقدية قد تم تأكيده من الرفيق وان لي، وأُعلن أيضًا في «صحيفة آنهوي اليومية»، فإن الجدل ما زال مُثارًا حوله في جميع أنحاء

البلاد. بصراحة، فإن نظام المسؤولية التعاقدية يعني التعاقد على الإنتاج مع المجموعات، وتقسيمها بشكل أكثر تفصيلاً، ليُصبح التعاقد على الإنتاج مع الأسرة، وربط الإنتاج بالدفع مع الأسرة. وهكذا، يمكن حشد حماسة الجميع للعمل. في الوقت الحالي، ما زال تأثير التيار اليساري متأصلاً في جميع أنحاء البلاد، ويعتقد الكثيرون أن نظام المسؤولية التعاقدية هو مقدمة لخصخصة الأراضي، وأنه تراجع للخلف، واتّباع لطريق الرأسمالية، ولكن الأراضي يتم التعاقد عليها فقط، والأراضي نفسها ما زالت مملوكة لفرقة، لم تتغير طبيعة ملكيتها العامة، ولا توجد أي قضية لاتّباع طريق الرأسمالية».

قال سونغ يون بينغ الكثير في نفس واحد، ولكن لي دونغ باو أدرك جوهر الأمر أخيرًا. كيف يُقارن التقسيم إلى مجموعات بالتقسيم إلى أسر؟ فأنت تخدم أرضك الخاصة بعناية، والأراضي العامة متناثرة في كل الأنحاء. التقسيم إلى أُسر يمكنه حقًا تعبئة الحماسة لزراعة الأراضي. «هذا صحيح. أنت طالب جامعي حقًا، ما إن تكلّمت حتى أدركت هذا». بعدما سمعت سونغ يون بينغ ما قيل، نظرت إلى أخيها بابتسامة، وشعرت بأنها فخورة للغاية. كان تفسير سونغ يون هوي واضح وسهل، كما عبّر عن الكثير من الآراء والمناقشات، وهذا ما توصّل إليه لي دونغ باو. فقال سعيدًا: «اسمي لي، لي دونغ باو، تم تسريحي من الجيش لتوي، وأوكلت السلطات العليا إليّ بمهمة المسؤولية التعاقدية في الفرقة. أعتقد أنه ما دام من الممكن التعاقد، إذًا من الأفضل التعاقد مع الأسر، أفضل كثيرًا من التعاقد مع المجموعات، فالمجموعة الواحدة

عددها كبير، وإذا رغبت في التكاسل ستتكاسل، ولكن من يجرؤ على التكاسل في نظام التعاقد مع الأسرة، فمن يتكاسل سيموت جوعًا».

لم يشعر سونغ يون هوي بالغرور، فقط قال بهدوء: «صحيح، سيلتزمون حتى النهاية. ولكن لا بد من التفكير جيدًا قبل التنفيذ، سمعت أن المناطق الأخرى تواجه الكثير من العقبات وقت التنفيذ. إننا من عائلة سونغ، من فضلك توقف أيها الرفيق لي، فقد قاربنا على مدخل القرية». كان سونغ يون هوي يريد أصلاً أن يفهم من لي دونغ باو كيفية تطبيق نظام المسؤولية التعاقدية في القرى وتلك الأمور التي عادة ما تتحدث عنها الصحف، ولم يكُن يتوقّع أن الأمر سينتهي به وهو يفسّر السياسات للي دونغ باو، فانتابه شعور بالملل.

تجمّد لي دونغ باو للحظة، ولم يستطع منع نفسه من النظر إلى الخلف لرؤية سونغ يون بينغ، وقال مترددًا: «لأسير معكما قليلاً، فهذا الطريق الثلجي ليس ممهدًا». فأجابه سونغ يون هوي: «لقد تأخر الوقت، لا يمكننا تأخيرك عن الغداء». فتحدّث لي دونغ باو بأدب مرة أخرى مع الأخ وأخته، وأراد بشدة أن يدعوهما إلى منزله لتناول الحساء الساخن، ولكنه كان يعرف بداخله أن الطعام في منزله لن يكفي الجميع، فاضطر للاستسلام. وفي النهاية ظلّ واقفًا على الجليد في مهب الريح يراقبهما يبتعدان حتى تلاشى ظهراهما. ولكن صوت سونغ يون بينغ الناعم اللطيف ظل يراود قلبه ليلاً ونهارًا.

ابتعدت سونغ يون بينغ، ولكنها أدارت رأسها لتنظر إلى لي دونغ باو الواقف على الثلج كالبرج الحديدي، وخفضت حاجبيها وأخذت تفكّر، وانتظرت حتى يبتعدا عن لي دونغ باو لألّا يسمعهما، ثم قالت لأخيها بحنوّ: «لو كان بمنزلنا شخص مثل لي دونغ باو، لما تعرّضنا للتنمر طويلاً».

ضحك سونغ يون هوي قائلاً: «لو كان هذا الشخص قد وُلد في منزلنا، لكان توجّه من أبي ومنك حتى صار ذا أيدي ناعمة أيضًا. رأيت في الكلية شعارًا يقول «ادرس من أجل النهوض بالصين»، وفكّرت أنه عليّ الدراسة حتى لا تتعرّض عائلتي للتنمر؛ إنني أحمي نفسي من التنمر بطريقة حضارية، وليس بالقوة الغاشمة». فعارضته سونغ يون بينغ قائلة: «أساتذتك الذين يعلّمونك متحضرون بما فيه الكفاية، إذًا ماذا سيفعلون إذا ما التقوا بالجنود؟ إن والدينا متحضران للغاية، لذلك يتعرضون للتنمر طوال حياتهما».

«لقد تحطّمت «عصابة الأربعة» منذ عدة سنوات، لا تقفي بتفكيرك في سنوات الفوضى يا أختاه، فقد تغيّرت السياسات الآن».

ابتسمت سونغ يون بينغ ساخرة، وأجابته: «إن الخلفية العائلية لأبي لم تتحدد بفترة «عصابة الأربعة»، وقيل إنه سيتم ردّ الاعتبار منذ أكثر من عام، ولكن هل رُدّ اعتبارنا؟ من الذي يمنع توظيفي كل هذا الوقت؟ من يعرف في أي فترة نحن؟ كيف يمكننا الإفراط في التفاؤل هكذا؟ لا تكن مهووسًا بالدراسة، فالسياسات يمكنها أن تتغير بكافة الأشكال، ولكن السياسات ميتة، والناس حية، على الأقل ما زلت أرى أولئك الذين انتقدوا والدينا من قبل في مناصبهم

حتى الآن، وما زال علينا طاعة أوامرهم، إنهم لا يسمحون لي بالعمل، وأنا ليس لدي عمل».

ظلّ سونغ يون هوي مصدومًا لفترة طويلة، فقد دفعه كلام أخته لرؤية الشيخوخة متجسدة أمامه، وبدت هذه الكلمات مألوفة، وكأنها تخرج من فم والده الذي عانى طويلاً. وبالتفكير في الوقت الطويل الذي ظلّت أخته تنتظر فيه التوظيف بعد التخرُّج من الثانوية، أدرك أن هذا كله بسبب تنازلها عن فرصة دخول الجامعة له، فشعر بالذنب الشديد وقال: «أختاه، هل هناك طريقة لتتابعي دراستك في التعليم الثانوي، وتؤدي الاختبار العام القادم، فالمراجعة السياسية لن تقيّدك بعد الآن؛ الجامعة تختلف عن هنا، حقًا، انظري، لقد استطعت الانضمام لعصبة الشبيبة».

لم تتوقّع سونغ يون بينغ أن يحوّل شقيقها موضوع الحديث إليها، فضحكت قائلة: «أنت لا تعرف حقًا، مهما درسنا من قبل، فلن نستطيع مضاهاة الطلاب الذين تخرّجوا حديثًا في المدرسة الإعدادية والثانوية. لن أؤدّي الاختبار، بل سأنتظر حتى أحصل على المال الكافي من بينغ فراء الأرانب لشراء راديو ترانزستور، وأتعلّم اللغة الإنجليزية من محطة الراديو. أو أشتري دراجة هوائية، وأذهب بها إلى المدينة للدراسة في الجامعة المفتوحة عن بعد، وشهادتها معتمدة أيضًا. ولو صادفت شيئًا لا أفهمه، فأنت هنا أيها الطالب الجامعي».

تنهّد سونغ يون هوي قائلاً: «ليس عليك إرسال المال لأعود إلى المنزل، فلتسرعي بشراء دراجة مستعملة وتذهبي للدراسة في الجامعة».

دبّت سونغ يون بينغ بقدميها متظاهرة بالغضب: «أخي، متى أصبحت ثرثارًا هكذا، لا تقلق بشأن المال، فسأدبّر الأمر بنفسي، ستبدأ الجامعة المفتوحة الدراسة في الصيف، ولا داعي لشراء الدراجة الآن. أنت لا تعرف كم نتطلع لعودتك إلى المنزل، ولا تعرف مدى فرحتنا عند عودتك، ألا تعرف أن لمّ شمل العائلة في عيد الربيع أهم من أي شيء؟ لو ذكرت أمر إرسال المال إليك، فسأضربك».

ولمّا سمع سونغ يون هوي، شعر بالارتياح لهذا المنطق، وهدأ قلبه أكثر. ولكنه نظر لأخته بوجه مشاغب وقال عابسًا: «كنتِ تضربينني كل يوم، فتأذيت منذ طفولتي حتى كبرت، لا تعرفين كم كانت سنوات طفولتي مظلمة».

«أيها المشاغب، من الذي ضربك، أيها الماكر». لم تكُن سونغ يون بينغ تتحمّل ضرب أخيها أصلاً، وليس لدى عائلتهم تقليد ضرب أو سبّ الأبناء، فلما رأت وجه أخيها المشاغب، أدركت أنه يسخر منها، فأمسكت بحفنة من الجليد وكوّرتها وألقتها عليه. فألقى سونغ يون هوي بحقيبته وركض، وأمسكت سونغ يون بينغ بالحقيبة وأخذت تلاحقه وهما يضحكان طوال الطريق. بداخل هذه الحقيبة المدرسية، كانت هناك كومة من الكتب التي أحضرها لأخته، من بينها مجموعة «حلم المقصورة الحمراء» المكوّنة من أربعة كتب، والتي استعارها بعدما تسوّلها من الكثيرين، وهناك أيضًا بعض الكتب التي اشتراها، منها «ثلاثمائة قصيدة من أسرة تانغ»، و«مختارات قصائد سونغ»، و«مختارات من النثر الصيني»، و«آنّا كارينينا»، بالإضافة إلى العديد من المجلّات والقصص التي

استعارها سونغ يون هوي من مكتبة الجامعة، وكانت تعرف جيدًا ضرورة تقديرها لكومة الكتب هذه، وعلى الرغم من ثقل الحقيبة، فهي لم تتحمّل إعطاءها لسونغ يون هوي ليحملها.

ومع ذلك، أخذ كل منهما ينظر إلى الخلف ويفكّر، حيث فكّرت سونغ يون بينغ في سماعها أن الكومونة قد بدأت في تنفيذ سياسة ردّ الاعتبار بالفعل، ولكن عندما ذهبت برفقة والدها للاستفسار، تجاهلهما الموظفون، لو كانت قد ذهبت برفقة هذا الرفيق لي دونغ باو... شعر سونغ يون هوي من كلام أخته بثقل العبء على كتفيها. فقط بعد ذهابه للدراسة، أدرك ضعف والديه، إذ يبدو أن أخته هي التي تحمل هذا المنزل على كتفيها، وعلى الرغم من أنها لم تقل هذا، فقد كانت تتمنّى مشاركة المسؤولية مع أحد ما. لقد أصبح طالبًا جامعيًا بالفعل، وهو أيضًا رجل، وعليه أن يفعل شيئًا.

2

عاد لي دونغ باو إلى منزله وتناول الغداء، وظلّ شارد الذهن طوال الوقت، وعيناه تشعّ من الحماس الشديد، ولولا والدته، لمات من رآه خوفًا. كان نصف حماسه يرجع إلى ذلك الصوت المؤثر، والنصف الآخر لمعرفته أخيرًا لمسار خطوات نظام ربط الإنتاج بالدفع، هناك بعض الأمور التي يمكن اختراقها، ولكن عندما يفتقر إلى الإرشاد، تُصبح تلك الوثيقة المُحيِّرة أمامه صلبة كالجدار النحاسي. أسرع لي دونغ باو بتناول الطعام، وأعطى الصحن لوالدته كالعادة، ثم ذهب إلى الفرقة للقاء الأمين الكبير،

لكنه لم يجده، فذهب إلى منزله، ووجده مسترخيًا تحت لحافه الدافئ يستمع إلى الراديو.

لم يكُن لي دونغ باو يشعر بتاتًا بالبرد، فأخذ مقعدًا بنفسه وجلس عند رأس السرير، ودخل مباشرة إلى صلب الموضوع قائلاً: «عمي، لقد عرفت نظام المسؤولية التعاقدية بوضوح. يعني توكيل مسؤولية كل حقل إلى كل أسرة، وليس لكل مجموعة كما تفعل الفرق المجاورة». أراد أن يقلّد ما قاله صغير عائلة سونغ، ولكنه نسي نصف ما قاله، «لقد أعلنت «صحيفة آنهوي اليومية» عن هذا، ونفّذوه هناك بالفعل. لنقم نحن أيضًا بهذا. لنستغل فترة راحة الأراضي الزراعية، ونقيس أراضي الفرقة بأكملها أولاً، ونتعاقد عليها قبل عيد الربيع، وعندما يهلّ الدفء في الربيع، سيبدأ الجميع العمل على قدم وساق».

أغلق الأمين الكبير الراديو، وأغمض جفنيه السميكتين وأخذ يفكّر طويلاً وكأنه قد نام، ثم قال: «لا يمكننا تقسيم الأراضي بالعوارض الخشبية. ألسنا نطبّق نظام الاقتصاد الجماعي؟ أليس هذا إعادة لمُلّاك الأراضي كما كان الوضع قبل التحرير؟ أيمكن لأعضاء الكومونة الاستماع لصوت الجماعة؟».

هدأ لي دونغ باو، واتّخذ أسلوب سونغ يون هوي في الشرح: «الأمر مختلف، فالأرض للجماعة، كما استعرت منك المقعد، فأنت تستخدمه، ولكنه لي أيضًا، ولا يمكنني التقاعس عن رده إليك».

عندئذ سارع الأمين الكبير بالرد قائلاً: «دونغ باو، أنت شاب، وليس لديك خبرة. الأمور التي لا توضَّح في مثل هذه الوثائق لا

يمكنك القيام بها، وإذا قمت بها فستُنتقد. لقد كبرت، وما زلت أنت شابًا، كما أنكّ جندي مسرّح، وما زال أمامك المستقبل مشرق، إذا أصابتك وصمة سياسية، فلن تكون قادرًا على رفع رأسك طوال حياتك؛ فلتفكّر جيدًا».

فكّر لي دونغ باو مليًا، ولكنه لا يأبه أصلاً بمخاوف الأمين الكبير: «عمي، أنا لا أعيش أيامًا جيدة الآن، انظر إلى الجميع في الفرقة بأكملها، من تزوج منهم؟ لقد عدت منذ أيام كثيرة، ولكن في أي يوم شبعت من الطعام؟ أيمكن للأيام أن تسوء أكثر؟ أنا لا أخاف شيئًا. عمي، لقد كبرت في السن، ليس عليك أن تخشى المخاطر. إن الجو بارد، وقدماك ثقيلتان من البرد، ولا يمكنك الخروج، وأنا أعرف الجميع هنا؛ فلتترك أمر التعاقد لي».

كان الأمين الكبير رافضًا تمامًا، فمدّ يده وأمسك بيد لي دونغ باو، وقال بجدية: «دونغ باو، لقد أسأت فهم عمك، عمك لا يخشى المخاطر، فلتسأل والدتك عمّا كنت أفعله في الماضي. ولكن هذه الخطة لا بد من موافقة الكومونة عليها، فهل ستستجيب لك الكومونة؟ فكرتك جديدة للغاية، ولا يمكن للكومونة اتّخاذ قرار فيها، فالقضايا العامة والخاصة التي تحتمل الصواب أو الخطأ الجذري تتطلّب المناقشة المتكررة من الكومونة، وحتى تنتهي الكومونة من المناقشة سيكون قد مضى وقت طويل، فأي تعاقد ستقوم به بعد. لنفعل هذا، لتكُن خطواتنا أكثر ثباتًا، ونفكّر بطريقة أكثر نُضجًا، وننفذ نظام ربط الإنتاج بالدفع مع المجموعات. لتسرع وتقيس الأراضي، وننجز الأمر قبل رأس السنة الصينية الجديدة. الجميع يطبّق نظام التعاقد مع المجموعات، لن تهتم

الكومونة كثيرًا بنا، إنهم حتى لا يشاركون في الاجتماعات المنعقدة خلال احتفالات السنة الصينية الجديدة. لتذهب وتقم بالأمر، وأنا سأكتب الخطة هذه الأيام وأسلمّها للكومونة».

عندما سمع لي دونغ باو هذا لمعت عيناه، ولم يتمالك نفسه من الابتسام سرًا، وأجاب مباشرة: «حسنًا، سأفعل هذا بعد الظهر. هناك أمر ما، فرن الطوب الكائن خلف الجبل، لقد أزلت الطوب من الفوهة ونظرت إلى الداخل ويبدو أنه لم ينهَر، لا أعرف إذا ما كان بإمكاننا استخدامه، إذا كان ممكنًا، فلنبدأ تشغيله مع بداية الربيع».

«لا توجد أي مشكلة في فرن الطوب، فقد كان هذا الفرن إحدى جرائمي في ذلك الوقت، وكنت أزيل الطوب من الفوهة، وأحفظها لديّ لأمنع أولئك الضالين من التقاطها وإثارة الفوضى بها. لا تنظر إلى مظهره الخارجي الخَرِب، فبداخله متين وصالح للاستخدام». وبعدما أنهى الأمين الكبير كلامه، ضحك مفتخرًا ووجهه كالقط العجوز. اتّضح أن الجميع لديهم لحظات ماكرة. «سأنتظر حتى يدفأ الجو قليلاً، وأبحث عن بعض العمّال لترتيب الفرن، وسأترك لك أمره بالكامل، ولتنفّذ بقية الأمور ببال مرتاح. دونغ باو، لقد كبرت أنا وقائد الفرقة، لذا سندفع بالكثير من الأمور إليك لتهتم بها».

ما إن سمع لي دونغ باو هذا حتى انفرجت أساريره، وركض قفزًا إلى الخارج، وأخذ يلقي بكلماته كالصاعقة: «كما اتفقنا». وقبل أن تسقط الكلمات، كان قد اختفى من المكان، وقد أغلق

باب غرفة المعيشة إغلاقًا هزّ الأرض حتى أسقط الغبار من أعلى السطح. كان الأمين الكبير ينظر مذهولاً، فلم يكُن قد أنهى كلامه بعد، وكان يريد إخبار لي دونغ باو بالاحتياطات التي يجب اتّخاذها عند قياس الأرض، ومن الذي يبحث عنه لتنظيم العمّال، وأن يكون مهذبًا عند حديثه مع الناس، ولكنه لم يتوقّع أن ذلك الفتى سيذهب سريعًا هكذا، فهو أسرع من الإعصار نفسه.

اندفع لي دونغ باو إلى مقرّ الفرقة كالزوبعة، حتى وصل إلى باب المحاسب، وأصدر أمرًا بصوته العالي: «احضر ورقة، وقلمًا، وشريط قياس، ثم احضر لفة من الحبال، وقِس الأرض. كيف نشغّل مكبر الصوت». كان المحاسب أكبر كثيرًا من لي دونغ باو، ولم يكُن يحترم ذلك الرجل القاسي، لذا ظلّ جالسًا عند سماعه لما قاله لي دونغ باو، وسأله في هدوء: «كم ورقة، وكم متر من شريط القياس، وأي نوع من الحبال؟».

وما إن سمعه لي دونغ باو حتى أدرك أن ذلك الرجل ذا الأربع عيون يقاتل ضده، فمد يده وأمسك بياقة قميصه ورفعه عن الكرسي وأوقفه أمامه محدّقًا فيه بشراسة، وكرر كلامه مُصرًّا على أسنانه: «ورقة، وقلم، وشريط قياس، وحبل، حسنًا، وشغّل مكبر الصوت».

وما إن تركه لي دونغ باو حتى ارتطم أسفل ظهره بالطاولة، ولم يجرؤ حتى على إطلاق ريح، وانطلق الرجل الأربعوني بخفة بين الكراسي والطاولات ليشغّل مكبر الصوت، وضبط مستوى الصوت، ثم تراجع على الفور ليبحث عن شريط قياس وحبل.

فكيف له ألّا يعرف نوع شريط القياس والحبل المستخدم في قياس الأراضي. وحتى لو لا يعرف حقًا، فقد أجبره وجه لي دونغ باو الشرس على المعرفة.

ذهب لي دونغ باو بخطواته القوية إلى مكبر الصوت وصاح بحنجرته: «سي باو، لاو وو، هونغ وي، احضروا إلى مقر الفرقة. سي باو، لاو وو، هونغ وي، احضروا إلى مقر الفرقة. بسرعة، هناك أمر جيد».

شعر المحاسب أن أسلوب كلامه لا يمتثل مطلقًا إلى القواعد، ولكنه لم يجرؤ على إصدار صوت، وقام بهدوء بتعبئة الأدوات اللازمة لقياس الأرض، بل وأحضر أيضًا نسختين من كل شيء، لأنه قد سمع لي دونغ باو يدعو ثلاثة أشخاص للعمل، لذا فمن الواضح أن ورقة واحدة وشريط قياس واحد لن يكفيا لقياس الأرض من قِبَل كل هؤلاء. لم يقل لي دونغ باو أيضًا أي شيء، فقط وقف جانبًا يراقب كالشبح.

وقف لي دونغ باو جانبًا وأخذ يراقب كل شيء، بما في ذلك عملية قياس الأراضي، إذ إنه كان يخدم في سلاح المهندسين بالجيش، ولا يفقه شيئًا في قياس الأراضي، حتى إنه لا يعرف كم يعادل المو[1] الواحد من المتر المربع. على أي حال، فقد أوضح السبب في هذا، قائلاً إن هذا للتعاقد، وبما أن الأرض سيتم التعاقد عليها مع الأفراد، فلا بد من التمييز بين الأرض الجيدة والأرض الرديئة، ولا يمكن إعطاء شخص أرضًا جيدة وإيذاء آخر بإعطائه

(1) وحدة قياس مساحة في الصين، 1 مو يعادل 666.67 مترًا مربعًا.

أرضًا رديئة، ثم يبدأ الجميع العمل على قدم وساق. سأل سي باو بهدوء قائلاً إن الفرق المجاورة جميعها تطبّق نظام التعاقد على الأراضي مع المجموعات، وكل مجموعة تضم من ثلاثين إلى أربعين شخصًا، فكيف سنطبّق نحن نظام التعاقد مع الأسر؟ يا لفرحة الجميع. فأجابه لي دونغ باو بأن هذا مجرد تشبيه، وبالطبع ستتعاقد الفرقة مع المجموعات. ولكن لي دونغ باو كان يفكّر بمكر في داخله أن هذه المجموعات يمكنها أن تتقلّص حتى يصل عدد أفرادها من ثلاثة إلى أربعة فقط، وهذا لا يختلف كثيرًا عن التعاقد مع الأسر. وسواء أطلقوا عليه نظام المسؤولية التعاقدية أو نظام ربط الإنتاج بالدفع مع المجموعات، فليسمُّوه كما يريدون، ونحن لدينا طريقتنا الخاصة في التعامل.

كان الجو قارسًا والجليد يغطي الطرق، ونهاية العام قد اقتربت، ولم يكُن أي من أعضاء الكومونة على استعداد للمشاركة في اجتماع التعاقد مع العناصر غير المتحضّرة من فرقة شياوليجيا. جلس الأمين الكبير على المنصة في ساحة الهواء الطلق، وأخذ يتحدّث عن معنى التعاقد، وفوائده، وبعد بضع كلمات، نزل وسحب لي دونغ باو من الأسفل إلى المنصة، وجلس على مقعده الدافئ. ولم يكلّف نفسه بعناء الاهتمام بما سيقوله لي دونغ باو، فقط أمسك بالكأس وفكّر بعاطفته، في نهاية الأمر ما زال لي دونغ باو شابًا مفعمًا بالحيوية، حتى إن مقعده -الذي كان يجلس به- ساخنٌ كالموقد، كما أنه سريع في إنجاز المهام، حتى إن مهمة قياس الأراضي التي كان يتوقّع تأجيل إنجازها إلى ما بعد عيد الفوانيس قد أنجزها هذا الفتى خلال يومين فقط، وفي جميع

أراضي الفرقة، بل وطلب أيضًا من المحاسب وهونغ وي رسم خريطة تفصيلية لمواقع الأراضي، وتقسيمها بعلامات واضحة إلى فئات (أ، ب، ج). وهو الآن يعلّقها في الساحة.

ولكن ما إن فُتِحت الخريطة حتى أُصيب الأمين الكبير بالذهول. لماذا قُسِّمَت الأراضي التي كانت مرسومة أصلاً بالخط الأسود إلى قطع صغيرة مرسومة بالخط الأحمر؟ فجأة أدرك شيئًا ما، وتجمّد على مقعده، هذا الوغد، لماذا يرتكب مثل هذا الخطأ الفادح أمام كل هؤلاء الحاضرين. الكثير من الحاضرين بالأسفل كانوا يحدّقون غير مقتنعين بموقف هذا الوغد، فإذا أبلغ أحدهم الكومونة بهذا، فسترسل الكومونة شخصًا غدًا لخلع قُبّعة هذا الفتى النتن. فجأة اضطرب الأمين الكبير، في حين كان لي دونغ باو في الأعلى منهمكًا في الشرح بالأعلى.

«السادة الأعضاء، لا يمكنني التحدّث بتكلُّف، لذا سأتحدّث مباشرة عن التعاقد. انظروا إلى الخريطة، لدى فرقتنا هذه الأراضي الصغيرة من الفئة «أ»، وهذه من الفئة «ب»، وهذه من الفئة «ج»، وجميعها يتم التعاقد عليها مع الأفراد، ست نقاط للفئة «أ»، وثلاث نقاط للفئة «ب»، وست نقاط للفئة «ج». لقد أمضى المحاسب ذو الأربع عيون وهونغ وي الأيام القليلة الماضية في رسم هذه الأراضي وفقًا للحجم، عندما يسحب كل منكم القرعة، فسيسحب ورقة من كل صندوق «أ»، و«ب»، و«ج»، فإذا حصلت على قطعة الأرض رقم 1 من الفئة «أ»، ستكون لك، وإذا حصلت على قطعة الأرض رقم 2 من الفئة «أ»، فسترزع قطعة الأرض رقم 2 من الفئة «أ»، وهكذا الحال مع فئتي «ب» و«ج»، وبعد انتهاء

سحب القرعة ستنتقل إلى النافذة بورقة القرعة وتطلب الحصول على قطعة الأرض من هونغ وي وسي باو، وتسرع لترسيم حدود أرضك بنفسك. ولكن تمهّل قليلاً، ماذا يمكن أن تفعله بمفردك، من سيحمل المحراث خلفك أثناء حرث الأرض؟ وحتى لو كنت قويًا للغاية، فلن تستطيع زراعة الأرض بمفردك، وإلّا فلتصِر جنيًّا في أسرع وقت. لذلك فبعد سحب القرعة، عليك تشكيل مجموعة صغيرة طواعية، يمكنك تشكيل المجموعة مع والديك وأبنائك، أو مع إخوتك وأخواتك وأصدقائك وأخوات زوجتك، كما تريد، عليك أولاً تشكيل مجموعة صغيرة حتى يمكنك التوقيع مع لاو وو وذي الأربع عيون، وعلى أعضاء المجموعة طبع بصمات أصابعهم معًا، فهمتم؟ وهذا ما يُسمى بربط الإنتاج بالدفع مع المجموعات، وهذا ما تطبّقه القرى المجاورة».

كان الأمين الكبير يستمع وهو يرتجف خوفًا، ولكن ما إن وصل إلى نهاية الشرح حتى هدأ قلبه، وتنفس الصعداء. هذا الفتى الشقي، بعد كل شيء ما زال رافضًا التقسيم إلى مجموعات كبيرة، وقد وضع خطة خفية، وألقى خطبة منمّقة، ولكن أولئك الأعضاء الذين تطوعوا لتشكيل المجموعات لا يمكنهم تشكيلها من عائلاتهم وأقاربهم؟ في النهاية، ما زال هذا النظام هو نظام التعاقد مع الأسرة. ولكن كلام لي دونغ باو بدا معقولاً تمامًا، ولا يخشى وصول الأمر إلى الكومونة. رأى الأمين الكبير لي دونغ باو يسترق النظر إليه، ولكنه تظاهر بعدم رؤيته، وأشاح وجهه بعيدًا، وقد عقد العزم على تسوية الأمر لاحقًا.

في تلك اللحظة، قفز أحد الحاضرين في الأسفل وسأل: «إذا حصلت على قطعة الأرض رقم 1 من الفئة «أ»، وحصلت زوجتي على قطعة الأرض رقم 101 من نفس الفئة، فسأسكب دلوًا من الماء شرقًا، ثم أركض لأسكب دلوًا من الماء في أرض زوجتي غربًا، أليس الأمر مرهقًا؟ فلنقسّمها أفضل».

حرك لي دونغ باو عينيه دون تحريك حاجبيه وقال بثبات: «حسنًا، لديكم 11 فردًا في عائلتكم، والأراضي من رقم 30 إلى رقم 40 هي الأفضل، فإذا لم تكن راغبًا في الركض وسكب الدلاء، فلتأخذ كل هذه الأراضي لك، ومعظم الأراضي التي بجانبها من الفئة «ج». أيمكنك القيام بالأمر؟ ولو كانت جميع الأراضي المجاورة لك من الفئة «أ»، لحصلت عائلتك على جميع الأراضي الجيدة، فهل سيمكنهم القيام بالأمر؟ القرعة هي أكثر الوسائل عدلاً في الوقت الحالي، وبعد الانتهاء من القرعة، يمكنك التبادل مع الآخرين. وكأنك تشتري تذكرتي سينما، فمكانك في الصف الأول في المقعد الثاني، وزوجتك في الصف العاشر في المقعد الثاني، ألا يمكنك بعد دخولك قاعة السينما أن تبدّل مقعدك مع أحدهم كما هو الحال مع طوال القامة وقصار القامة في السينما؟ ليس الأمر صعبًا، لا داعي لأن يحمرّ وجهك خجلاً كوجه القائد قوان يو[1]. إذا كانت لديكم أسئلة فلتناقش، وإذا لم يكُن هناك أي تعليقات، لنبدأ بالتصويت برفع الأيدي».

(1) شخصية تاريخية شهيرة في الثقافة الصينية، وهو أحد أبطال رواية «رومانسية الممالك الثلاث».

أخذ الجميع يطنّون ويتناقشون معًا، ويطرحون الخطط البديلة المختلفة، ولكن لم تكُن هناك أي خطة عادلة ومعقولة غير تقسيم الأراضي إلى فئات «أ» و«ب» و«ج». فكّر الأمين الكبير في بعض الخطط للتقسيم، مثل دمجهم في مجموعات أولاً، ثم سحب القرعة فيما بعد، ولكن لم ينجح أي منها، إذ لم يكُن ممكنًا وقوع ورقة القرعة على مجموعة مكوّنة من عدد كبير من الأفراد. وبعد الكثير من التفكير، وجد أن فكرة دونغ باو هي الأصلح، فعلى الرغم من حماقتها، فهي الأكثر عدلاً ومعقولية. كان من الممكن تمامًا للأمين الكبير أن يقف ويشرح السبب للجميع ويتحدّث بالمنطق معهم، ولكنه لم يقل شيئًا، فقد أراد إعطاء الأعضاء مزيدًا من الفرص للنقاش والجدال، فهذا التعاقد أمر كبير، وبمجرد التعاقد تلتزم المجموعة بخمس سنوات من حصص الإعاشة، لذا يجب أن يكون الجميع مقتنعين تمامًا.

أخفض الأمين الكبير رأسه بصبر ليشرب الماء ويدخن، مستمعًا بدقة إلى المناقشات الساخنة التي تدور حوله، ومستوعبًا اتّجاه تفكير المحيطين به. وما دفعه أكثر للاطمئنان كان جلوس لي دونغ باو هادئًا بلا حركة أو صوت على المنصّة، دون رغبة مطلقًا في الشجار مع الأعضاء بنفاد صبر، حسنًا، هذا هو سلوك القائد حقًا. والاستنتاج، يجب على الجميع التوصُّل إليه بأنفسهم، حتى يمكنهم الاقتناع تمامًا.

انتظر الأمين الكبير حتى وصول جميع الآراء المحيطة إلى اتّفاق بشأن قصد لي دونغ باو، ثم رفع سيجارته عاليًا وبدون تردد. كان يجلس في الصف الثاني من الأمام، لذا فقد رأى الجميع

سيجارته السوداء اللامعة، وساد الصمت في لحظة. وبعد فترة وجيزة، أخذت الأيادي تُرفع واحدة تلو الأخرى بين ثبات وعزيمة، وتردد وعجز.

بعد الاجتماع، كان المحاسب ذو الأربع عيون وسي باو وهونغ وي ولاو وو منشغلين للغاية، فسار الأمين الكبير خلسة إلى جانب لي دونغ باو، وربّت على كتفه بالسيجارة، وغمز له ليتبعه. كان لي دونغ باو يعلم أنه مخطئ، فتبع الأمين الكبير وضميره يؤنّبه، وظل يتبعه حتى وصلا إلى مقر الفرقة. وحتى لمّا رأى الأمين الكبير يغلق الباب، لم يقُل شيئًا، واستدار ليبحث عن شيء ما بقلب متشكك، وقال في نفسه، لا تُربِك الأمين الكبير، ولكنه هو من رفع يده أولاً منذ قليل.

أخيرًا، رأى الأمين الكبير يُخرج لوحًا قديمًا بطوله من أسفل الطاولة، ذلك اللوح الذي كان يضع قدميه عليه ليحميهما من برودة الأرض، ولكن ما إن رآه يحمل ذلك اللوح حتى ومضت في باله فكرة، فالعم غاضب بالتأكيد، وإذا أراد أن يضربني سأدعه يضربني ثلاث مرات فقط لينفّس عن غضبه بعدما خُدِع، ولن أسمح بالضرب أكثر. أمسك الأمين الكبير اللوح وصفع مؤخرة لي دونغ باو وقال بمرارة: «أتخدعني!» ما إن سمع لي دونغ باو صوته حتى أدرك أن هناك خطأً ما، فأدار رأسه للخلف، ونظر إلى عمه فوجده مبتسمًا كالقط العجوز، فلم ينتظر ضربة اللوح الثانية، وطار هاربًا عبر الباب؛ فضرب الأمين الكبير الهواء باللوح، وضحك بصوت عالٍ، وألقى باللوح خلف ظهر لي دونغ باو، وصاح عاليًا: «عليك اللعنة، أحسنت!» عندما رأى الأمين الكبير لي دونغ باو يُنجز

المهام بهذه المهارة، لم يشعر بالحرج لتأجيل أمر فرن الطوب إلى ما بعد رأس السنة الصينية الجديدة، وأغلق سترته القطنية بإحكام وخرج ليتناقش مع الحاضرين، ولكنه لم يتوقّع أن يجد الساحة خاوية.

اتّضح أن الرجال الحاضرين في الساحة قد أسرعوا بالتزاحم على الحقول، بينما عادت النساء إلى المنزل لتُحضرن ألواحًا إلى الحقول للقاء رجال عائلاتهن، وتبعوا جميعًا هونغ وي ولاو وو ليضعوا «النُصُب الحدودية» على الأراضي المتعاقد عليها، بينما كانت الساحة فارغة أمام طاولة التوقيع لدى المحاسب ذي الأربع عيون وسي باو ولم يستجب أحد للأمر. حلّ ليل الشتاء مبكّرًا، وأراد هونغ وي ولاو وو المنهكان التبكير في العودة إلى المنزل لتناول الطعام والراحة، ولكن البعض أشعلوا أغصان الصنوبر وطالبوا بإشعال معركة ليلية، واستجاب جميع الحاضرين لدعواهم. وبلا حول ولا قوة، اضطر هونغ وي ولاو وو للصمود، وأخذا في تقسيم الأراضي من الفئة «أ»، وبعد حرق عدة أغصان من الصنوبر، أعلنوا أخيرًا الانتهاء. ولكن الأهالي المتعاقدين على الأراضي ترددوا في المغادرة، وكأنهم يخشون أن يزيل الآخرون «النُصُب الحدودية» التي وضعوها، ولا يخشون التجمُّد بردًا. حتى إن البعض وقف في مهب الرياح العاتية يتناقشون بشأن كيفية تشكيل المجموعات وتبادل الأراضي بحماس شديد.

ولكن، على مدار يومين، ظلّت الساحة خاوية أمام طاولة التوقيع في مقر الفرقة، ولم يأتِ سوى عدد قليل من المجموعات للتوقيع. في ذلك الوقت، كان المحاسب ذو الأربع عيون قد اقتنع

بلي دونغ باو، وأخذ القائمة وظلّ يبحث عنه في القرية بأكملها بدلاً من الذهاب إلى الأمين الكبير لإيجاد طريقة، وظلّ يبحث عنه حتى وجده في مزرعة الخنازير بالفرقة.

في مزرعة الخنازير التنتة، كان لي دونغ باو يتناقش مع راعي الخنازير بشأن الخنازير التي يمكن ذبحها، والخنازير التي يمكن إبقاؤها للتربية. ولمّا رأى المحاسب ذا الأربع عيون قادمًا، حدّق فيه بعينيه وقال في نفسه: «هذا الخنزير لا يشبع حتى من البطاطا الحلوة، ويبدو وكأنه حفنة من العظام. لنحسب عدد الغرامات لكل فرد».

كان المحاسب ذو الأربع عيون يقوم بالحسابات كل عام، وقد عرف الطريقة منذ وقت طويل، إذ يمسك القلم ويحسب للحظة فيُخرِج الناتج بمهارة وسرعة. لا يعرف لي دونغ باو كيف يقوم بالحسابات، فسأله: «كيف تحسب أحشاء الخنازير؟ لا يمكن حساب الرأس والأرجل من بينها، فمن لديه المال فليشتريها».

أسرع المحاسب مُجيبًا: «دائمًا ما يُقسّم اللحم بالتساوي، فمن لديه المال يشتري الدم والأحشاء والرأس والأرجل، وتُحفَظ رأس الخنزير لمأدبة عشاء كوادر الفرقة».

تذكّر لي دونغ باو عندما كان يخدم في الجيش، كان قائد السرية يتناول الطعام معهم في نفس الوعاء، وأحيانًا ما كانوا يتعجّلون في المهام لتوفير الوقت، ويتركون الأطباق الشهية ليتناولها الجنود الآخرون، ولكن هذه الفرقة أفضل، فالكوادر يأكلون قبل الشعب. لم يكُن هناك سوى عدد قليل من الخنازير، لذا كان يتعيّن على عدد من الكوادر تناول حصة عدد قليل من الأفراد في الوجبة الواحدة.

فصرّ على أسنانه ولم يفكّر حتى في مناقشة الأمر مع الأمين الكبير، فقط قال ببساطة: «لن نُبقي أي خنازير هذا العام، وسنفتح فرن الطوب مع بداية الربيع، ونشتري الفحم وعربات اليد، لذا سنحتاج الكثير من المال، أعتقد أن الفرقة ليس لديها الكثير من المال، وثمن الخنزير الواحد سيكون أفضل».

أراد المحاسب إرضاءه، فسحبه من زراعه إلى أن وصلا لباب مزرعة الخنازير، وهمس في أذنه: «لماذا لا نُبقي السيقان الخلفية عند ذبح الخنازير، ونرسلها إلى مدير الاتّحاد الائتماني في الكومونة؟ وبمجرد أن يفتح فمه، فسيُقرضنا المال لشراء جرارّين».

كان لي دونغ باو مضجرًا من المظهر الحميم للمحاسب ذي الأربع عيون، ولكن ما إن سمع ما يقوله حتى أراد حقًا إبقاء أذنيه قريبة منه، ثم سأله مرتابًا: «أليس هذا إفسادًا للكوادر الثورية؟ دعنا لا نُلقي اللحم بهذه الطريقة، فالأمر لن ينجح أيضًا. لا يمكن، فإذا أردنا اقتراض المال، لنتقدّم بطلب إلى الكومونة ونتّبع القواعد».

لم يكُن المحاسب متوقّعًا أن يكون مثل هذا لشخص الشرس بريئًا وساذجًا هكذا، فنظر محدّقًا كالأبله لبضع ثوانٍ ثم ردّ قائلاً: «إذا لم تكُن تصدقني فلتسأل الأمين الكبير، جميعهم يقومون بهذا، وإلا فلن يمكنك اقتراض المال حتى ولو وافقت الكومونة».

وقف لي دونغ باو مترددًا، وظل يتمتم: «أليس هذا خطأ؟ صحيح، ماذا تفعل هنا؟» عندئذ تذكّر المحاسب ذو الأربع عيون الأمر العاجل الذي كان يبحث عن لي دونغ باو من أجله، فأجابه: «حتى الآن لم تأتِ سوى ثلاث مجموعات للتوقيع، فما العمل إذًا؟

وعند سؤالهم يقولون سنناقش الأمر مرة أخرى، اعتقد أنهم سيظلّون يتناقشون في الأمر إلى ما بعد عيد الربيع». فتساءل لي دونغ باو: «لقد قسّمنا الأرض بالفعل، لماذا لم يبصموا بأصابعهم حتى الآن؟ فلتُعلن مساءً في الإذاعة عن ذبح الخنازير وتقسيم اللحم في الغد، ومن يمتنع عن التوقيع فلن يحصل على اللحم، وإذا لم يوقّع خلال العام فتُسحب منه الأرض، ويواصل فيما بعد الحصول على الأجر وفقًا للعمل. ليس الأمر صعبًا، فعلامَ التباطؤ؟».

فجأة خطرت على بال المحاسب فكرة ما وقال متوتّرًا: «سيادة الأمين دونغ باو، أأُخبرك بفكرة؟ ما رأيك في أن أتحدّث مع الأمين الكبير ليذهب مساءً إلى البيوت...». فقاطعه لي دونغ باو: «أنا وعمي متُفقين على نفس الرأي، فلتفعل كما أقول. لقد حل الظلام، أسرِع بالذهاب».

نظر المحاسب إلى ساعته المكسورة وأسرع بمغادرة مزرعة الخنازير، بينما ظلّ قلبه يفكّر في مدى وحشية ودكتاتورية لي دونغ باو. ولكنه لم يكُن متوقعًا هذا التأثير الجيد لدكتاتورية لي دونغ باو، فبعد فترة وجيزة من إذاعته للتنبيه، ترك البعض ما يفعلونه وأسرعوا بالمجيء لتوقيع العقود. ولكنهم جميعًا أثناء طبع بصمات أصابعهم كانوا يطرحون سؤالاً واحدًا، لمن هذه الفكرة السيئة، أستقتلوننا لو تأخرّنا لبضعة أيام؟ لم يكُن المحاسب لبقًا على الإطلاق، وأخبر الجميع حقيقةً بأن هذه فكرة الأمين لي دونغ باو. فذُهل الجميع، ألم يرَ كل من في فرقة شياوليجيا لي دونغ باو وهو يكبر؟ ومن لا يعرف أن لي دونغ باو ليس لديه أعداء في فرقة شياوليجيا؟

ولكن بعض الكِبار أخذوا يسبّون وأبلغوا الأمين الكبير سرًا بالأمر، فكان الأمين الكبير يبتسم بموقف واضح للغاية على عكس المتوقّع. وعندئذ أدرك الجميع أن لي دونغ باو الجريء مدعومٌ من الخلف بالأمين الكبير.

بعد مغادرة الجماهير، أغلق الأمين الكبير الباب وضحك. ليس من أجل أي شيء آخر، ولكن لأن القرد العجوز المتمرّد الذي كان يتولّى أمانة فرقة شياوليجيا من قبل ما زال مهيمنًا بين أعضاء الفرقة، وما زال يُطلق عليه الأخ في الكومونة، ولكن عندما اُستبدِلَ به الأمين الكبير، أصبح هذا القرد العجوز يضمر في قلبه ضغينة شديدة ويحاول معارضة الأمين الكبير في كل شيء، ولا أحد في الفرقة يجرؤ على التحدث بعدالة، إذ يخشون من ذلك الأمين المتمرّد. ولكن القرد العجوز لم يكُن يخشى أحدًا إلا لي دونغ باو، فالمرة الوحيدة التي تعرّض فيها للتنمُّر كانت عندما أهان والدة لي دونغ باو، وحينها كاد لي دونغ باو أن يدفنه في جرف ثلجي ويتركه ليختنق حتى الموت في يوم ثلجي كثيف، ومنذ ذلك الحين أصبح بمجرد رؤيته للي دونغ باو يُسرع بالالتفاف من شارع آخر ليتجنّبه. دائمًا ما يكون منطق هذا العالم هو أن ذا الخُلق يخشى مُثير المشاكل، ومُثير المشاكل يخشى من لا يخشى الموت. كان الأمين الكبير يريد في الأصل الحصول على دعم لي دونغ باو لدفع العمل في الفرقة، ولم يكُن يتوقّع أن هذا الفتى ماهرٌ حقًا، فالفرقة كانت بطيئة في العمل من قبل، ولكن هذا الفتى أضفى مظهرًا جديدًا عليها بعد تولّيه لمنصبه. رأى الأمين الكبير شغف لي دونغ باو المتزايد مع العمل، ولمّا أتى لي دونغ باو ليتناقش معه في

عدم الاستيلاء على رأس الخنزير، أثنى عليه كثيرًا، وقال إن أكل كوادر الفرقة لرأس الخنزير عادة سيئة خلّفها أولئك الأشخاص أمثال القرد العجوز، ويجب القضاء عليها. ولكن للأسف هذا الفتى لا يتحمّل الثناء، وهرب بعيدًا خجلاً.

قرر الأمين الكبير دعم لي دونغ باو حتى النهاية. بالإضافة إلى أنه مهما كان الأمر، فهو ابن أخيه، حتى ولو كان من بعيد؛ وما دام لي دونغ باو سيستقر لستة أشهر هنا، فسيتنازل له عن منصبه، وسيظلّ منصب الأمين في أيدي العائلة. وأيًا كان ما سيقوله الناس فهو نابع من الأنانية.

3

بعد ضجيج فعالية ذبح الخنازير وتوزيع اللحوم، حلّت ليلة رأس السنة الصينية الجديدة. ومع الفراغ وغياب ما يفعله، راودت قلب لي دونغ باو ذكرى شخص ما، إنها سونغ يون بينغ، فاشترى زوجًا من كبد وسيقان الخنازير بمعاشه كمحارب متقاعد، وما إن دفع ثمنها حتى تذكّر ذلك الطريق إلى منزل عائلة سونغ. ولكنه ظلّ غير قادر على إيجاد وقت، إذ كان عليه متابعة أمر توقيع التعاقدات ثم جمعها، كما عليه مراقبة توزيع لحم الخنزير الثمين بعدالة وعقلانية على كل فرد، وعليه أيضًا التعامل مع الدعاوى القضائية الصغيرة الناتجة عن الاحتكاك بسبب تغيير مواقع أراضي التعاقد، فأصبح لدى مسؤول القرية الصغير مسؤوليات كثيرة لا يمكن تصوُّرها.

مع وضع المُلصق الأخير في صباح ليلة رأس السنة الصينية الجديدة، أخذ لي دونغ باو كبد وسيقان الخنازير وذهب مسرعًا إلى فرقة الحرس الأحمر. ولكن ما إن خطا أولى خطواته على الطريق حتى تبادرت إلى ذهنه مشكلة خطيرة، إذ كان عليه إيجاد حُجة للدخول من بوابة منزل عائلة سونغ وتوصيل المشتريات؛ فبغض النظر عن مدى صراحته في القيام بالأمور، لن يمكنه أيضًا القول إنني أتيت لرؤية ابنتكم، وإلّا فسيضربونه بالمكنسة. وبعد الكثير من التفكير، قرر تعليق لافتة شكر لابن عائلة سونغ الصغير.

كان لي دونغ باو مغمورًا بالعاطفة طوال الطريق، فقد رأى جميع المنازل في فرقة الحرس الأحمر تستعد للعام الجديد على قدم وساق، وبمجرد دخوله إلى القرية، داعبت رائحة اللحم المنتشرة في الهواء أنفه، ورأى لحوم الدجاج والبط والأسماك معلّقة على أبواب المنازل، عكس ما يحدث في فرقة شياوليجيا، حيث بالكاد حصل الفرد على قطعة لحم صغيرة لا تكفي حتى لتناولها على وجبتين. لا بد حقًا من العمل جيدًا على تطوير الاقتصاد مع بداية الربيع.

بعد السير لمسافة مسرعًا تارة ومُبطئًا تارة أخرى، وصل أخيرًا إلى فرقة الحرس الأحمر، عندئذ شعر بالحرج عندما رأى الدخان الأبيض متصاعدًا من مداخن المنازل، إنه وقت الغداء. بالطبع انطلق لي دونغ باو كالرصاصة إلى البوابة، ولكنه كان قلقًا حقًا من ردّة فعل جميع من في المنزل؛ فكيف سينظرون إليه وهو يأتي إلى منزلهم وقت الغداء.

ولكنه تعجّب كثيرًا مما رآه، فالمنازل الأخرى تبدو مبتهجة احتفالاً بالسنة الصينية الجديدة، في حين بدا منزل عائلة سونغ هادئًا جدًا، ولا شيء معلقٌ على البوابة، حتى الشطور الشعرية غير معلّقة على الباب. حاول لي دونغ باو الطرق على البوابة بأدب على قدر طاقته، وما إن رأى سونغ يون هوي يفتح حتى أسرع برفع كبد وسيقان الخنازير وقال بابتسامته الشرسة المميزة: «سونغ الصغير، أتيت لأشكرك. فقد أخبرتني قبل بضعة أيام عن كيفية تطبيق نظام المسؤولية التعاقدية، وفرقتنا شياوليجيا..». عندئذ سمعت سونغ يون بينغ ذلك الصوت الغليظ المميز، فتركت طاولة الطعام وجاءت إلى البوابة، وما إن رآها لي دونغ باو بمظهر ناعم مرتدية سُترة مبطّنة بألوانٍ زاهية حتى ذهب صوته من هول المنظر. وفي هذه اللحظة، انكشف قلب القائد العسكري المتوحش، ورأى أفراد عائلة سونغ الأربعة رغبته الذئبية تجاه سونغ يون بينغ.

وعلى الفور اعتقد سونغ يون هوي أن ضفدع الطين هذا يريد أكل لحم البجع، فوقف مشمئزًا أمام البوابة حاجزًا دخوله، وعلى الرغم من معيشة الوالدين في خوف ودونية لسنوات طويلة، فهما لم يكونا راضيين عن خاطب ابنتهما هذا الذي أتى مقتحمًا للمنزل. فقط سونغ يون بينغ هي التي بدت متفاجئة، ولكن أمام نظرة لي دونغ باو الحماسية المباشرة، أخفضت رأسها، ولمّا رأت أخاها يقف أمام البوابة مانعًا لي دونغ باو من الدخول أسرعت قائلة بصوت هادئ: «تفضّل أيها الرفيق لي، أنت لم تأكل بعد».

لم يكُن في عينيّ لي دونغ باو سوى شخصٍ واحدٍ فقط، حتى إنه لم يُلق بالاً لردود أفعال الآخرين. ولكنه لمّا سمع دعوتها،

اضطر للتخلّي عن جرأته المعهودة وقال على مضض: «أكلت، لقد أكلت. نحن نجحنا جدًّا في تطبيق نظام المسؤولية التعاقدية بفضل مساعدة أخيكِ قبل بضعة أيام، لذا أتيت لأشكركم. هذه بعض الأشياء، لتعلقوها على الباب، سأذهب أنا، وتناولوها بالهناء والشفاء». انتهى لي دونغ باو من كلامه، وعلّق الأشياء على البوابة، ولكن قدماه لم تتحرّكا بعيدًا.

رفعت سونغ يون بينغ جفنيها قليلاً، ولكن دون النظر إلى لي دونغ باو، ثم أخفضت حاجبيها وقالت بصوت منخفض: «الجو بارد، تفضّل وتناول بعض الحساء. أحضر مقعدًا للرفيق لي يا هوي الصغير».

أسرع لي دونغ باو بالقفز إلى الداخل مبتهجًا. وقف سونغ يون هوي ينظر مترددًا إلى أخته وهي متّجهة إلى المطبخ، ولكنه لم يقُل شيئًا في النهاية، وأحضر مقعدًا مستديرًا بدون مسند ظهر، واستبدل مقعده، ودعا لي دونغ باو للجلوس على المقعد ذي مسند الظهر. كانت المقاعد ذات مسند الظهر محدودة في المنزل، فقط أربعة كراسي لأفراد الأسرة الأربعة، لا أكثر. ما إن دخل لي دونغ باو من البوابة حتى نادى بأدب «عمي، عمتي»، ولكن صوته بدا وكأنه شجارٌ، إذ كان عاليًا وقاسيًا فهزّ ذلك المنزل الهادئ. لم يقل سونغ يون هوي شيئًا، فقط ظلّ يشاهد بصمت، ورأى أن والديه لم يكونا متحمّسين لدعوة لي دونغ باو إلى الجلوس.

بالطبع لم تصدّق سونغ يون بينغ أن لي دونغ باو قد تناول غداءه بالفعل، ولحسن الحظ أنها كانت تطهو طعامي الغداء والعشاء معًا،

لذا كان الطعام كافيًا في القدر، فأخذت صحنًا ذا حافة زرقاء وملأته بالأرز الأبيض، وفكّرت قليلاً، ثم أخذت الملعقة وضغطت صحن الأرز ثم أضافت إليه ملعقة أرز أخرى، إذ إنها خمّنت أن شهيّة لي دونغ باو كبيرة، وخشت أن يتناول صحنًا أو صحنين بأدب ويعود برداًنا جائعًا في الطريق، كان الصحن ثقيلاً جدًا.

شعر لي دونغ باو بالغرابة عند تلقّي صحن الأرز، ولكن قلبه كان يرقص فرحًا. وماذا يعني هذا؟ يعني أن الأخت الكُبرى في عائلة سونغ تهتم بشأنه. رأى سونغ يون بينغ تذهب إلى البوابة وتُدخِل كبد وسيقان الخنازير إلى الداخل، ثم تُغلق البوابة. وبمجرد إغلاق البوابة، وقبول الهدية، شعر بأنه جزء من عائلة سونغ.

عندما رأى سونغ يون هوي ثِقَل صحن الأرز الذي في يد لي دونغ باو، بدا قلبه مضطربًا، ولكن كيف يفتح فمه أمام هؤلاء الجلوس الصامتين، ولأنه شخص بالغ ووصل بالفعل إلى التاسعة عشر من عمره، كان عليه القيام بدور الداعم الأساسي لهذه العائلة. «أيها الرفيق لي، أي خطة طبقتموها لنظام المسؤولية التعاقدية في نهاية الأمر؟».

كان لي دونغ باو في الأصل ينظر سعيدًا إلى سونغ يون بينغ ذات العينين الناعستين، ولكن بمجرد سماعه السؤال أجاب مُسرعًا: «نظام التعاقد مع الأسرة. ولكننا نخشى أن ترفض الكومونة، لذا نقول إنه نظام التعاقد مع المجموعة، وفي خطاب التعاقد نكتب أنه مع المجموعة أيضًا».

فضحك سونغ يون هوي، وما إن همّ بالردّ حتى سمع أخته تقول: «سيتعيّن على الجميع العمل على قدم وساق بعد عيد الربيع، أليست فرقة شياوليجيا وفرقة الحرس الأحمر ينتميان إلى نفس الكومونة؟».

«لا ليست الكومونة نفسها». ردّ سونغ جي شان مُجيبًا.

عندئذ أدرك لي دونغ باو أنهما لا ينتميان للكومونة نفسها، إذ إنه لم يكُن يهتم بهذه الأمور قبل أن يصير جنديًا، وبعد العودة من الجيش، أصبح مشغولاً للغاية، فكيف سيتوفّر له الوقت لمعرفة هذه الأمور. ولمّا رأى الأب سونغ وقد أجاب سؤالاً، أجاب باحترام على السؤال الآخر: «يعتمد الأمر على حالة الطقس بعد عيد الربيع، فليس من الضروري أن يبدأ العمل في الأراضي. ولكن أتتذكران ذلك المكان الذي تقابلنا فيه المرة الماضية؟ يوجد هناك فرن طوب، فقد رأيته في ذلك اليوم، ووجدته صالحًا للاستخدام، لذا سأعمل على إصلاحه في أسرع وقت بعد عيد الربيع، وأبدأ في حرق الطوب لكسب المزيد من الدخل للفرقة». عند قوله لهذا، كان لي دونغ باو يلتهم الطعام بنهم، كان يتناول طعامه بسرعة في الأصل، وبعدما انضم إلى الجيش أصبح يتناوله وكأنه يخطفه، حتى يتمكّن من الحصول على صحن آخر مليء بالطعام.

كانت عائلة سونغ تنظر باندهاش إلى طريقة لي دونغ باو المتوحشة في تناول الطعام، فقط سونغ يون بينغ سألت والدها: «أبي، أتقول إنه ما زال هناك أشخاص في الشارع بعد ظهر اليوم؟». فأجابها سونغ جي شان: «بالتأكيد هناك، فإجازة عيد الربيع تبدأ من

الغد». فقالت سونغ يون بينغ بلا تردد: «أيها الفريق لي، هل أنت في عجلة من أمرك لتعود بعد ظهر اليوم؟ إذا لم تكُن كذلك، فهل من الممكن أن تذهب معي إلى الشارع للقاء شخص ما؟».

تفاجأ سونغ هوي، وتذكّر على الفور ما قالته سونغ يون بينغ بعد لقاء لي دونغ باو في المرة الأولى، واستنتج سبب رغبتها في الذهاب برفقة لي دونغ باو إلى الكومونة. فأسرع بوضع صحن الطعام، ونظر إلى أخته وقال بصرامة: «أختاه، دعي هذا الأمر لي، سأذهب أنا بعد تناول الطعام. لا يمكننا أن نتعب الرفيق لي».

«سأذهب، لا مشكلة». لم يكُن لي دونغ باو يدري بالأمر، ولكنه كان يريد من كل قلبه أن يلقي بنفسه في النار من أجلها. لم تنظر سونغ يون بينغ إلى لي دونغ باو، بل نظرت إلى أخيها الصغير بنظرة توسُّل، وقالت بصوت هادئ: «أيمكنك الذهاب إلى منزل سون سان بوه بعد الغداء يا هوي الصغير؟ فقد وافق على إعطائنا كل أوراق القرنبيط التي قشّرها لتوه، ولم تأكل الأرانب نباتًا أخضر منذ عدة أيام، أنت قوي، لتذهب وتُحضر الكثير منها. هوي يا صغيري...».

هزّ سونغ يون هوي رأسه قائلاً: «أختاه، إنها مسألة مبدأ». فأجابت سونغ يون بينغ بصوت هادئ: «الأمر ليس بهذه الخطورة. ولكن، غدًا هو أول أيام العام الجديد... لن يكون الأمر جيدًا. أخي، فلتذهب».

لم يكُن لي دونغ باو يتوقّع أنه عندما يمدّ يده لينقذ الأخ وأخته، سيمدّ الأخ يده ليصعد أولاً دون أي مروءة. ففكّر قائلاً، هل يريد

هذا الأخ الصغير حقًا أن ينتقي الأسهل في الأعمال البدنية أيضًا؟ على الرغم من أن هذا الأخ قد حدّث لي دونغ باو بوضوح عن نظام المسؤولية التعاقدية، فقد ظلّ ينظر إليه باستخفاف، وأجاب بدون تردد: «سأذهب معكِ إلى الكومونة، ثم نُحضِر أوراق القرنبيط في طريق العودة، لم يتبقّ الكثير من الوقت».

أدرك الأخ وأخته أن لي دونغ باو قد أساء الفهم، واضطر سونغ يون هوي للتنازل، وأخفض رأسه يتناول طعامه مكتئبًا، «سأذهب». وخشى من عدم توضيح الأمر، فأضاف مضطرًا: «سأُحضِر أوراق القرنبيط».

في تلك اللحظة، كان لي دونغ باو قد أنهى صحنه بالفعل، فلمّا رأت سونغ يون بينغ الصحن الفارغ، نهضت وأخذت صحنه وهرعت إلى المطبخ، وفجأة تذكّر أنه قد قال إنه تناول الطعام لتوّه، فشعر بإحراج شديد. ولكنها أحضرت صحنًا ثقيلاً آخر، فأكله أيضًا. إن طعام عائلة سونغ جيد جدًا في وقت الاحتفال بالعام الجديد، أفضل كثيرًا من طعام عائلة لي، فهناك السمك المطهو على البخار، وحساء الشعيرية مع اللحم، وهناك أيضًا التوفو المقلي مع الملفوف، وبفضل الجهود المشتركة المبذولة مع لي دونغ باو، تم الانتهاء منها كلها بنجاح. ومن ثم تعرّفت عائلة سونغ لأول مرة على شهية لي دونغ باو.

لم يكُن سونغ يون هوي يرغب في ذهاب أخته وحدها برفقة هذا الشخص، فأنهى طعامه وأمسك بسلتين من الخيزران ورفع شيَّالة الكتفين بغضب. كانت سونغ يون بينغ خائفة من دخول

والديها إلى المطبخ لطرح الأسئلة عليها، فأسرعت بتنظيف الطاولة ولم تغسل الصحون حتى، وخرجت لدعوة لي دونغ باو للخروج إلى الشارع. خرجا واحدًا تلو الآخر، سائرين في الطريق القروي الضيّق، واحدًا يتبع الآخر، وفي الخلف كان لي دونغ باو سائرًا وعيناه تتبعان سونغ يون بينغ.

ظلّا هكذا حتى وصلا إلى مكان أكثر اتّساعًا، عندئذ قالت للي دونغ باو بصوت هامس: «شكرًا لك على إهدائنا كبد وسيقان الخنازير. اسمي سونغ يون بينغ، وأخي يُدعى سونغ يون هوي، وهو يدرس في السنة الثانية بالجامعة. خلفية عائلتنا ليست جيدة، وقد سمعنا أنه من الممكن ردّ الاعتبار بعد إصدار الوثائق، وطُبّقت السياسات على البعض بالفعل، ولكن عندما كنّا نذهب للاستفسار، كانوا يتركوننا ننتظر طويلاً، ويتنمّرون علينا. نريد أن نطلب منك المساعدة...».

كان لي دونغ باو الشرس رقيق القلب أيضًا، وتفهّم ما تقوله بمجرد سماعها، تمامًا كما كان يحدث عندما كان في الجيش، فأولئك المتكبّرون الذين يجلسون في مكاتبهم غالبًا ما يتعيّن عليك الطلب منهم ثلاث أو أربع مرات حتى يستجيبوا لك، وبعد الاكتفاء من الابتسامات، يبدأون في تلبية بعض ما تطلبه. ولكن أولئك الأشخاص غالبًا ما يرفضون كأس الكرامة فيشربون كأس الغرامة. جميع أفراد عائلة سونغ متعلّمون جيّدًا، ولكنهم غير واثقين بأنفسهم وضعفاء بسبب خلفيتهم العائلية، فهل من الممكن ترك جهودهم تذهب سدى إذا ما بحثوا عن أحد لمساعدتهم؟ كان لي دونغ باو سعيدًا بأن سونغ يون بينغ لا تعتبره شخصًا غريبًا، فاستجاب بسهولة وقال: «إننا ننتمي للكومونة نفسها، ولسنا

خائفين، لذا فمن السهل القيام بالأمر. أتربّون الأرانب في منزلكم؟ المكسب جيد أم لا؟» صار الطريق واسعًا، فسارا معًا، وتمكّن لي دونغ باو من رؤية وجه سونغ يون بينغ المُحمّر خجلاً.

أطرقت سونغ يون بينغ وقالت بهدوء: «إننا نربّي أرانب كثيفة الفراء، ويمكننا قصّ الفراء لأكثر من عشرين أرنبًا حتى الآن، إنني أربّيها بمفردي، وقد ربحت منها ما يفوق دخل والديّ. سيكون الأمر أفضل لو استطعنا التعاقد على قطعة أرض، وسأزرع فيها مو كاملاً من البطاطا الحلوة، ولن تضطر الأرانب للقلق بشأن الشتاء. أتربي الأرانب في منزلك؟».

تذكّر لي دونغ باو فناء منزله والأرض التي تعاقد عليها لتوّه، فقال على عجل: «أريد، كيف تربّينها؟».

«سأُحضر لك زوجًا من الأرانب في بداية الربيع. الطقس بارد حاليًا، وأنت لم تعدّ ما تأكله الأرانب، كما أن الأرانب كثيفة الشعر حساسة جدًا، لست في عجلة لأُعطيك إياها الآن». فكّر لي دونغ باو في أنه هكذا قد حصل على حُجّة لرؤية سونغ يون بينغ، ويمكنه رؤيتها مرة تلو الأخرى متذرّعًا بتربية الأرانب، فكاد أن يرقص فرحًا. ولكن من المؤسف أن فرقة الحرس الأحمر كانت قريبة من المكتب، فبعد بضع جمل كانا قد وصلا إلى بوابة الشارع.

طرقا الباب ودخلا، ولم يكُن في الداخل سوى شخصين فقط. أمامهما كوب شاي وصحيفة، وما إن يريا أحدهم قادمًا، حتى يحدّقا به قليلاً، ثم يطرقان برأسيهما مجددًا بهدوء وبلا توتّر، بدون كلمة، ويواصلان قراءة الصحيفة.

رأى لي دونغ باو سونغ يون بينغ تغمز له تجاه شخص ما، فعرف أنه ذلك الشخص المسؤول عن ردّ الاعتبار لعائلة سونغ. فذهب إليه وأمسك بالصحيفة واضعًا إياها على الطاولة، وباليد الأخرى أشار على سونغ يون بينغ، سائلاً هذا الشخص: «أتقوم بأمر ردّ الاعتبار لعائلتها؟ بمناسبة رأس العام الجديد، فلتعطني خطاب الموافقة».

شعر الرجل بالإهانة، فعقد حاجبيه ورفع رأسه، فوجد همجيًا ليس من الجيد استفزازه، وعلم جيدًا أنه لن يستفد شيئًا من استخدام القوة، لذا كان عليه خداعه، فتمدد في كسل قائلاً: «إنه طابور، كم مرة قلت، طابور، وبالتأكيد سيحين دوركما يومًا ما. كيف يمكننا العمل وأنتما تقتحمان الطابور».

«كيف تصفّون الطابور؟ في أي دور نقف في الطابور؟ متى سيحين دورنا؟» أغلق الرجل الصحيفة بتكاسل، وحوّل السؤال إلى سونغ يون بينغ: «من هذا؟ وما علاقته بشأن عائلتك؟». فأسرع لي دونغ باو مُجيبًا: «شأن عائلتها هو شأن عائلتي. أنا أسألك، وأنت تُجيب». ولكن الرجل ضحك ساخرًا، ونظر بازدراء إلى لي دونغ باو وقال: «متى حدث ذلك؟ من سألك...» وقبل أن يُنهي كلامه، شعر الرجل فجأة وكأنه يرتفع بين الغيوم، والرياح تهبّ عبر قدميه، وبعد الاستفاقة من الدوار، أدرك أنه قد أُمسِك من قميصه ودُفِع معلّقًا على الحائط. ولكنه كان ماكرًا يعرف متى ينسحب، فتوقّف فورًا عن الكلام أمام هذا الوجه الشرس المحدِّق به. عندئذ وقف الموظّف الآخر بعيدًا وقال: «ماذا تفعلان؟ إنني أحذّركما، اتركه في الحال، وإلا ستتحمل العواقب».

كانت سونغ يون بينغ مصدومة من المشهد أيضًا، إذ كانت تنوي أصلاً خوض مشادّة كلامية فقط، ولم تتوقّع أن لي دونغ باو سيستخدم القوة، وهذا انحراف عن المسار المحدد. فكّرت في التقدُّم وثنيه عن هذا، ولكنها أطبقت فمها، فما دام الأمر وصل إلى هذا الحد، سيكون من الأفضل تركه يتطوّر، ولو أدارت رأسها ستحرقها نظرات الآخر. ولكن قلبها بدأ بالقلق.

لم يُبال لي دونغ باو بتحذير الموظّف الآخر، وحدّق في الرجل المعلّق أمامه وقال بشراسة: «أريد أن أقتحم الطابور. أنت ستقوم اليوم بإنجاز أمر ردّ الاعتبار لعائلة سونغ. أسألك سؤالاً واحدًا، هل ستفعل أم لا؟».

كان الرجل معلّقًا على الحائط، فكيف سيجرؤ على الإجابة بكلمة «لا»، ولكنه سيفقد ماء وجهه، ولم يكن راغبًا في قول كلمة «سأفعل»، فلم يسعه سوى الردّ مرتجفًا: «عليكما تقديم طلب».

«ثم؟» قال لي دونغ باو وكأنه يدّخر كلماته. وما إن سمعت سونغ يون بينغ هذا، حتى قالت في قلبها هكذا هو الحال، والصالحون هكذا يقولون أيضًا. لم تستطع منع قلبها من سبّ هذا الرجل «المُخادع»، فالمُريح في الأمر أن «عصابة الأربعة» قد تحطّمت بالفعل، وانعقدت «الجلسة الكاملة الثالثة للجنة المركزية»، وأصدرت الدولة سياسات جيدة هكذا، ولكن عصابة الملتوين مثله تصرّ على تشويه الحقائق. وبالتفكير في كمّ المصاعب التي عانتها عائلة سونغ على مرّ السنين تحت يد هذه العصابة، وعلى الرغم من اقتراب الأمور من نهايتها، وعلى الرغم

من معرفتها بأن الإساءة لموظّفي المكتب لن تمرّ مرور الكرام، فقد ظلّت واقفة تضع يدها خلف ظهرها ولم تتقدّم لمنع لي دونغ باو، وكان قلبها يرقص فرحًا. ولمّا رأى الموظّف الآخر هذا؛ لم يجرؤ حتى على الاقتراب، ووقف جانبًا يشاهد في صمت. وحتى ولو كان شجاعًا حينها، فكيف سيضمن عدم نزول عصا عليه من السماء أثناء سيره بمفرده يومًا ما، إذ كان الجميع يعلم أن معظم الناس يكبتون غضبهم طوال حياتهم إذا ما تعلّق الأمر بردّ الاعتبار.

ولكن لي دونغ باو لم يكن راضيًا، ورفع الرجل لأعلى سنتيمترين بنفاد صبر، وقال غاضبًا: «ألا يمكنك التحدُّث كرجل بالغ؟ الأمر بسيط. إنني أسألك، ماذا نفعل بعد تقديم الطلب، متى تأتي الموافقة، ومتى نحصل على وثيقة الموافقة، سأنتزع قلبك وكبدك ورئتيك وأجعلك تتبرز وتتبول وتطلق الضُراط معًا».

لم تستطع سونغ يون بينغ منع نفسها من الضحك، بينما كان الرجل يتصبب عرقًا باردًا حتى إنه أخرج البراز والبول والريح من فمه قائلاً: «يجب أن تتم الموافقة على الطلب في اجتماع مجموعة الحزب، وهو يُعقد مرة واحدة في الأسبوع يوم الجمعة، وهذه المرة يحلّ عيد الربيع، لا يمكنني إعطاؤك تاريخًا محددًا».

«حتى ولو ذهبت إلى العمل في اليوم العاشر من العام الجديد، فسآتي إليك بعد عيد الفوانيس وأسألك عن الإجراءات. حسنًا؟ كلمة واحدة».

«حسنًا، حسنًا، اتركني، وسأُحضر لكم استمارة الطلب». كان الرجل خائفًا لدرجة أنه انهار، ولم يعُد يهتمّ بحفظ ماء الوجه.

حينها فقط تركه لي دونغ باو، ووضع يديه على خصره جالسًا على الطاولة. ولمّا رأى سونغ يون بينغ قد تلقّت استمارة الطلب وأخذت قلمًا لملئها، أسرع بالنهوض ليُعطيها مقعده، وأخذ يشاهدها وهي تملؤها بخفة ومهارة بحروف صغيرة وجميلة.

بعد الانتهاء، خرجا إلى الشارع معًا. وحينها قال لي دونغ باو بصوته العالي المعتاد دون الانتظار للذهاب بعيدًا: «بعد عيد الفوانيس، لا تأتي بمفردك، وإلا فستتكبدين الخسارة، انتظريني لآتي معك ونحصل على النتيجة».

«حسنًا، أشكرك، لي... عندئذ لم تعرف سونغ يون بينغ كيف تدعوه، إذ إنها كانت أصلاً تدعوه «الرفيق لي»، ولكنه سيكون من المؤسف أن تدعوه بهذا الاسم بعد المعركة التي حدثت لتوّها. فهي فتاة في النهاية، وسيكون من المحرِج أن تُبادر من جهتها، فلم يسعها سوى أن تحمرّ خجلًا، ولكن وجهها بدا مبتسمًا مفعمًا بالبهجة. ولمّا فكّرت في المشهد الذي حدث لتوه، وعندما تحوّل مسؤول الشارع الذي كان يتباهى بسلطته أمام عائلتها إلى نمر من ورق لا يتحمّل ضربة واحدة، وعندما حلّ لي دونغ باو المشكلة ببساطة وسهولة، وأيضًا عندما أصبح من الممكن أخيرًا ردّ الاعتبار الذي لطالما انتظرته العائلة، شعرت سونغ يون بينغ بحماسة شديدة حتى إنها أرادت أن تضحك بصوت عالٍ وتضرب صدرها. ولكنها في الشارع، وأمام لي دونغ باو، فاضطرت للتحكّم بنفسها، ورفعت وجهها الأحمر وقالت بابتسامة: «إنني سعيدة حقًا، لم اتوقّع أن الأمر سيُحَلّ بهذه السهولة، إنه أمر مفرِح للغاية؛ عائلتي بأكملها تشكرك».

عندما نظر لي دونغ باو إلى وجه سونغ يون بينغ الأحمر المبتسم، لمعت عيناه، وتلاشت القوة الجبارة التي كانت لديه قبل قليل، وفرك يديه وقال مبتسمًا: «إذا كنتِ سعيدة فأنا سعيد أيضًا، إذا كنتِ سعيدة فأنا سعيد أيضًا».

فلمّا سمعت سونغ يون بينغ هذا، وصل الاحمرار إلى رقبتها، ولم تجرؤ على النظر إليه، فأطرقت برأسها وقالت بصوت منخفض: «ليس الأمر أنني بلا ضمير أسعى فقط إلى مصلحتي الشخصية، لكن عليك السير طويلاً للعودة إلى المنزل، لذا لا يمكنني دعوتك للمجيء إلى منزلنا، لعل والديك ينتظرانك لتتناولوا العشاء معًا».

كان لي دونغ باو مترددًا في المغادرة، ولكنه كان يعلم أيضًا أنها على حق، إذ يمكنه العودة إلى المنزل متأخرًا في أيام أخرى، ولكن كيف يترك والدته الأرملة قلقة في ليلة رأس السنة الصينية الجديدة. فأخذ يهزّ رأسه وقال: «أعلم، أعلم. توفّي والدي منذ فترة طويلة، وليس سواي ووالدتي في المنزل. لقد تم تسريحي من الجيش مؤخرًا، وتنحّى أمين المتمرّدين لفرقة شياوليجيا هذا العام فقط، وعندما كانوا في السلطة، كانوا يربّون الخنازير والدجاج، جميعهم ذيول للرأسمالية، وكلما زادت فوضاهم زاد فقر أعضاء الكومونة. ولكن هذا العام، أتممت أمر المسؤولية التعاقدية، وسوف أحشد السيدات أعضاء الكومونة لتربية الخنازير والدجاج والأرانب، والرجال للعمل في حرق الطوب بالفرن، انظري، سيمكنني في عام واحد بالتأكيد دفع فرقة شياوليجيا للحاق بفرقتكم، فرقة الحرس الأحمر؛ عليكِ مراقبتي بالتأكيد».

على الرغم من أن سونغ يون بينغ عرفت تقريبًا ما يقصده لي دونغ باو، فقد كانت أكثر سعادة عندما سمعته يقول الأمر بنفسه، فابتهج قلبها، وأخذت تومئ برأسها بدون تردد، ثم قالت بصوت هادئ: «من هنا، سأريك الطريق». كان لي دونغ باو ينصت جيدًا ليستطيع سماع صوتها الناعم الهامس حتى إن شعره وقف من شدة التركيز، ولكنه أيضًا كان مستمتعًا بالإنصات إليها. ولم يعُد يتظاهر باللطف، وتمنّى لو كان باستطاعته خطف سونغ يون بينغ لتعود برفقته إلى المنزل، ولكن للأسف لم يحن الوقت بعد. لم يكُن باستطاعته سوى الثرثرة بكلام كثير للتعريف عن تاريخه البسيط طوال الطريق، حتى يترك انطباعًا عميقًا لدى سونغ يون بينغ. ظلّا سائرين حتى ابتعدا كثيرًا، وحينها شعر بالإحراج الشديد لتوصيل سونغ يون بينغ له، فتركها تعود إلى منزلها.

عادت سونغ يون بينغ إلى المنزل، وأخبرت عائلتها بالأخبار المفرحة. قالت كل ما حدث بالتفصيل، وكان والداها يبتسمان تارة ويشعران بالامتنان تارة أخرى، ويذكران جميع أشكال التنمُّر الذي تعرّضا له من قبل، فقط سونغ يون هوي وحده كانت مشاعره معقّدة، إذ إنه لم يتوقّع حل الأمر بطريقة غير معقولة هكذا، فالسلطة التي منعته من الدراسة الثانوية ومنعت أخته من الدراسة الجامعية لم تستطع الصمود أمام القوة الغاشمة. ولكن ما كان يشغل باله بالأكثر هو الثمن الذي ستدفعه أخته مقابل هذا. فبعدما أنهت أخته روايتها الحماسية لما حدث، قال: «أختاه، علينا أن نشكر الرفيق لي كثيرًا، ولكن عليكِ التفكير بوضوح، فبعض الزملاء ممن كانوا برفقتي في الفرقة الإنتاجية يندمون بالفعل على الزواج من فتيات

ريفيات ليس بينهم لغة مشتركة. وبصرف النظر عن مسألة الأخلاق، فإن هناك حقيقة واضحة، وهي أن اختلاف طريقة التفكير لا يؤدّي إلى طريق مشتركة».

احمرّ وجه سونغ يون بينغ وقالت: «من قال إن طريقة التفكير مختلفة؟ فأنا لست طالبة جامعية، أنا مجرد فتاة ريفية عادية، حتى إني لا أملك قطعة أرض، ولست من المزارعين الذين يمكنهم التعاقد على قطعة أرض».

قال سونغ جي شان بحذر: «ولكننا في النهاية لدينا إقامة مسجّلة، ولدينا ما نأكل من إمدادات الحبوب». فقالت سونغ يون بينغ غاضبة: «لا تكُن ممن يسعون إلى المصلحة وحدها، ولا تكُن مزدريًا لمن أقل منك علمًا».

فاحمرّ وجه سونغ يون هوي أيضًا، ولكنه أصرّ على توضيح قصده وقال: «أختاه، لا تُسيئي فهمي. أنتِ والرفيق لي لا يجمعكما طريقٌ واحد، فأنتِ تحبّين القراءة، تحبّين قراءة «حلم المقصورة الحمراء»، كما أنكِ تشبهين شيوه باو تشاي في الرواية، في حين أن الرفيق لي بالأكثر يُشبه الرجال الأقوياء في رواية «أبطال على شاطئ البحيرة»، ويُشبه جياو دا في رواية «حلم المقصورة الحمراء». فحتى ولو سقطت عائلة جيا مرة أخرى، وحتى ولو نُكِد حظّ شيوه باو تشاي مجددًا، لن ترتبط أيضًا بجياو دا. وهذا لا يتعلّق بالإقامة المسجّلة ولا المؤهل الأكاديمي، وإنّما يتعلّق كليًا بالشخصية والهواية، لديكما طموحات مختلفة، وطريقة تفكير مختلفة». لقد قرأ الأخ وأخته حلم المقصورة الحمراء مؤخّرًا، لذلك كان حديثهما يدور حولها.

عبست سونغ يون بينغ ونهضت لتغادر، ولكن ما إن سارت بضع خطوات حتى توقّفت مُعطية ظهرها لسونغ يون هوي وقالت: «ماذا تفهم أنت، الرفيق لي ليس جياو دا، وأنا لست شيوه باو تشاي. لتعُد وتدرس مطمئنًا، ولا تتدخل في المشكلات العائلية لزملائك، فأنت ما زلت صغيرًا».

عندئذ غضب سونغ يون هوي بشدة لما رآه من ازدراء أخته له، وقال: «أختاه، يمكنك إقناعي بالحُجة، ولكن لا يُمكنك التذرُّع بصغر سنّي في نقد رأيي».

فقالت سونغ يون بينغ ببرود: «مهما كانت وجهة نظرك منطقية، فسأنظر فقط إلى النتائج. لا جدوى من...» حتى ولو كانت سونغ يون بينغ منزعجة من أخيها الصغير، ولكنها تذكّرت أنه لا يمكنها سبّ الآخرين، فتوقّفت عن الكلام. إن لي دونغ باو متحمّس وعملي، ورجل كالجبل، لا يهم أن يحتقر والديها أمر إقامته المسجّلة، فهذه مسألة واقعية، ولكنها شعرت بأن كلام أخيها متعسّف ومُهين للي دونغ باو. كانت سونغ يون بينغ في الأصل تكنّ مشاعرَ غامضة للي دونغ باو، فقط كانت تشعر بأنه يمكنها الاعتماد عليه والثقة به، ولكن حينما قال أخوها هذا، قررت الوقوف بثبات في صف لي دونغ باو، فعلى الرجل أن يُنجز المهام العظيمة، أمن الضروري أن يكون ذا شخصية جيدة وهوايات مثل جيا باو يو في رواية «حلم المقصورة الحمراء»؟ إن الرجال الذين يشبهون جيا باو يو مخيفون حقًا، فدعوته للدخول من البوابة تُشبه دعوة دخول الجد. كانت سونغ يون بينغ تتحدّث وهي غاضبة ثم دخلت إلى غرفتها وأخذت

كتابًا، وما إن أدركت أنه «حلم المقصورة الحمراء» حتى ألقته على الفور من يدها كما لو كان حارقًا.

كان سونغ يون هوي على وشك قول جملة «لقد تعرّضتِ للاضطهاد ولم تذهبي إلى الجامعة يا أختاه، لا تحقدي على الدراسة في الجامعة بسبب هذا» ولكنه ابتلعها ولم يقُلها، إنها سمة لشخصيته، سمة خشية التعرُّض للخسارة بإكثار الكلام الذي كتمه لسنوات طويلة، ولكنه سرعان ما تذكّر في صمته أنه قد يجرح قلب أخته إذا ما قال هذا. ظلّ سونغ يون هوي صامتًا لفترة طويلة، وأخيرًا قال جملة هادئة: «أختاه، لست أضمر أية ضغينة تجاه الرفيق لي، ولا أفتري عليه، إنني فقط أعتقد أنه مشغول. لذا لا يمكننا إزعاجه كثيرًا أو استغلاله».

لم تتوقّع سونغ يون بينغ أن أخاها سيتحدّث بهذا الكلام المعقول، ففكّرت طويلاً ثم قالت: «القدم هي أكثر ما يعرف إذا ما كان الحذاء مناسبًا أم لا. دعك من هذا الأمر».

كان سونغ جي شان وزوجته يشاهدان المشادة الكلامية بين ابنهما وابنتهما، ولكنهما لم يقولا أي شيء، فقط كانا يشعران بالحسرة تارة، والارتياح تارة، وخيبة الأمل تارة أخرى، فقد كبر الأبناء في النهاية، ولن يفعلا ما يقوله الآباء.

تمامًا كالمشادّات الكلامية التي كانت تنتهي إلى لا شيء في طفولتهما، انتهت هذه المرة أيضًا إلى لا شيء وبين عشية وضحاها. وعلى الرغم من أنهما لا يعلمان إذا ما كانت قد انتهت حقًا إلى لا شيء أم لا، فإن الأخت وأخاها كانا يعرفان جيدًا أن الأمر سيمرّ

على ما يرام بعد الطعام والشراب والابتهاج في عيد الربيع. وبعد عيد الربيع، ذهبت الأخت لتوديع أخيها في محطة قطار المدينة، ذهبت مبكّرًا، وعندما مرّا بجوار فرقة شياوليجيا، لم يجدا أحدًا مطلقًا. ولكنهما رأيا الإصلاحات تُجرى في فرن الطوب الواقع على جانب الطريق حيث ذابت معظم الثلوج، والأراضي المحيطة به نظيفة بالفعل، وهناك ساحة واسعة جدًا. يبدو أن لي دونغ باو يلتزم بكلمته، إذ إنه قد استغل وقت الفراغ في إجازة عيد الربيع. وهذه المرة، حتى سونغ يون هوي اقتنع بلي دونغ باو، وقال إنه يفي بكلمته حقًا. ولمّا سمعت سونغ يون بينغ أخاها يقول هذا، فرح قلبها أكثر من مدح أخيها لها، إذ كانت تشعر أنه أمر لا يُضاهى إعجاب أخيها واسع المعرفة بلي دونغ باو، فشعرت أخيرًا بالارتياح تجاه لي دونغ باو.

تجوّلت سونغ يون بينغ بمفردها في المدينة طوال اليوم، ورأت فتيانَ وفتياتِ المدينة جميعهم يرتدون ملابسَ فاخرة، وسراويلهم ضيّقة لدرجة أنها تغلّف أردافهم وتقسمها كفصوص الثوم، وسيقانهم طويلة كعصاة المكنسة، ورأت الفتيان يضعون نظارات كعيون الضفادع، ويرتدون أحذية جلدية رسمية، ولهم سوالف طويلة، ويحملون في أيديهم جهاز تسجيل يشغّلونه أثناء السير، ويلفّونه، كما رأت الفتيات تُصدِرن أصواتًا غريبة عند مرورها بجانبهن، فأسرعت سونغ يون بينغ بالاختباء في أحد المتاجر لتتجنبهن. كادت سونغ يون بينغ تسير في منطقة وسط المدينة بأكملها على أرجلها، ورأت ورقة حمراء ملصوقة على بوابة السينما، مكتوب عليها بالحبر الأسود «الزهرة الصغيرة»، وورقة

أخرى بيضاء عليها كلمات سوداء لفيلم «مطاردة خطرة». عندئذ لم يسعها إلا أن تتذكّر أخاها عندما قال إنهم سيعرضون الفيلم الياباني «مطاردة خطرة» في ملعب الكلية، كما قال إن هناك فتاة جميلة في الفيلم ترتدي ملابس جميلة جدًا، ويمكنها قيادة السيارة والطائرة، كما رسم لها أخوها صورتها لتراها، للأسف مستوى أخيها في الرسم ليس جيدًا، ولكن لحسن الحظ أنها استطاعت معرفة أن تلك الفتاة الجميلة ذات شعر طويل مجعّد، وشعرت بالتأكيد أنه جميل جدًّا. كانت سونغ يون بينغ تتمنّى حقًا مشاهدة الفيلم، ولكن السينما تعمل مساءً فقط، ولن تستطيعَ الانتظار أكثر.

ذهبت لتلقي نظرة على مكتبة الصين الجديدة، ورأت صورًا قديمة للاحتفال بالسنة الجديدة تُباع على المنضدة، فأُعجبت كثيرًا بصورة ليو شياو تشينغ، والتي بدت بعينين باسمتين ملتويتين كما قيل في «حلم المقصورة الحمراء»، «بغض النظر عن مدى قسوتها فهي مؤثرة»، فأخرجت المال واشترتها، إذ كانت تشعر أن ليو شياو تشينغ أجمل كثيرًا من تشن تشيونغ.

ولكن طوال طريق عودتها إلى المنزل، ظلّت تفكّر في تلك السراويل الصادمة الضيقة في الأعلى وواسعة في الأسفل. وتذكّرت تلك الأرداف المغلّفة كفصوص الثوم، فضحكت، ألا يمكن لهذه السراويل أن تنشقّ إذا ما جلس مرتديها القرفصاء؟ لن ترتدي أبدًا مثل هذا السروال.

عاد سونغ يون هوي إلى الجامعة، عاد إلى محيط الكتب، وفي المكتبة لم تكُن الكتب وحدها هي التي تتغير كل يوم فحسب، بل

أيضًا كانت المواهب تتجدد بين الطلّاب، فما إن يُسمع عن إصدار كتب قد حُظِرت من قبل أو كتب ذات طبعة محدودة، حتى يهرع الطلاب ذوو الأموال للاصطفاف وشرائها، بعضها لم يكُن مفهومًا، ولكن جميعهم كانوا يجدون لذّة في خوض تلك المعركة. لم يكُن سونغ يون هوي مهووسًا بهذا الأمر، إذ كان يقضي معظم وقته في واجباته المنزلية ودراسة اللغة الإنجليزية، ولم يكُن يحمل شغفًا كبيرًا لهذه الأمور الفنية، ومن المستحيل أن يخوض مناقشة مع الزملاء بشأن الآداب أو الفنون.

بعد الانشغال لفترة في العام الدراسي الجديد، أخيرًا أُتيح له الوقت للعمل كموجّه لإلقاء الحصص لكوادر الصفّين الرابع والخامس الابتدائي. وهذه المرة تحدّث عن أهمية الاحتفال الأول بيوم الشجرة، وقد بحث عن الكثير من المواد التعليمية بشأن هذا الموضوع وفقًا لتعليمات الحكومة المركزية حول السعي بقوة لزراعة الأشجار والغابات، وأخبر الأطفال بعبارات بسيطة وسهلة عن تأثير التشجير على البيئة والإنسان. كان سونغ يون هوي من الريف أصلاً، ولكن الأطفال الجالسين أمامه كانوا من المدينة، لذلك كانوا يشعرون بفضول شديد لمعرفة ما يقوله حول العلاقة بين الشجرة والإنسان، وأخذوا يُنصتون باهتمام واستمتاع، حتى إن المعلم جلس يسمع بشغف أيضًا.

بعد انتهاء الحصة، تحدّث سونغ يون هوي قليلاً مع المعلم، ولكنه لاحظ أن ليانغ سي شن واقفة تنتظره عند البوابة حاملة حقيبتها على ظهرها، فعلم أن هناك أمرًا ما تريد هذه الفتاة قوله له، وبعد توديع المعلّم، ذهب إليها. ولمّا رأته ليانغ سي شن متّجهًا

نحوها، صاحت بالإنجليزية بسعادة: «عام سعيد، يا سيد سونغ!».

كان سونغ يون هوي يعرف منذ وقت طويل بمدى غرابة هذه الفتاة، كما كان يعلم أن والدتها أجبرتها على دراسة الإنجليزية منذ طفولتها، وعلى الرغم من أنه كان يحاول تدريس الإنجليزية منذ الصف الثالث الابتدائي، فإن مستوى لينغ سي شن في الإنجليزية يعادل الإعدادية، وليست أسوأ منه. فابتسم وقال: «يجب أن تكون «يا معلم سونغ». عام سعيد يا لينغ سي شن! انظري إلى ريشة الإوزة التي أحضرها إليكِ والديّ». ثم أخرج سونغ يون هوي ريشة إوزة وريشة ديك من الكتاب وأعطاهما إياها.

فهزّت لينغ سي شن إصبعها بمشاغبة وقال بابتسامة: «خطأ يا سيد سونغ، لقد قال جدّي أنهم في الولايات المتحدة الأمريكية يدعون المعلم باسم «السيد» وليس «المعلم»، أشكرك على هديتك يا سيد سونغ، ولديَّ هدية لك أيضًا، مجموعة من البطاقات القادمة من الولايات المتحدة، أُهديك إياها. وانظر أيضًا إلى الأموال التي أعطاني إياها جدي بمناسبة العام الجديد، إنها دولارات أمريكية. ولكن أمي أعطتني واحدًا فقط منها، وصادرت مائة دولارًا منّي». ثم أخرجت بعناية ورقة خضراء ومجموعة من البطاقات من حقيبتها المدرسية.

«هل عاد جدك من الولايات المتحدة؟ هل أنتِ سعيدة؟ أشكرك على هديتك يا لينغ سي شن. دعيني أنظر إلى هذه البطاقات». جلس كلاهما على منصّة الزهور بجوار الملعب، وأخذت لينغ سي شن تتفحّص ريشة الإوزة لترى كيف يمكنها تحويلها إلى

قلم يمكنه الكتابة، بينما كان سونغ يون هوي سعيدًا برؤية صور الولايات المتحدة الملوّنة من خلال البطاقات المطبوعة الجميلة، كما استطاع التعرُّف على جميع الحروف الإنجليزية المكتوبة على الدولار. «هل سَعِد جدكَ برؤيتك يا ليانغ سي شن؟».

«عندما رأتنا جدتي أنا وأمي، كانت تذرف الدموع وهي تتحدث، حتى إني شعرت بالحرج من بكائها، واضطررت للبكاء معهما. دائمًا ما كانت جدتي تعتقد بأن والدتي خلفيتها العائلية ليست جيدة، ولكنها هذه المرة لم تقُل شيئًا، فقد التقى الأمين الأول للجنة الحزب بالمقاطعة بجدي وجدتي، ليتأكّد مما إذا كانوا سيجرؤون على احتقارنا أنا ووالدتي فيما بعد. أمي تقول إننا هذا العام سنعيش بكل عزة وكرامة. يا سيد سونغ، تقول أمي أيضًا أنه علينا الإسراع بإنهاء إجراءات جواز السفر، فهي تريدني أن أسافر لجدي وأدرس في الولايات المتحدة، وأنا أريد أيضًا السفر إلى هناك، ولكني لا أرغب في ترك والدي ووالدتي، قل لي ماذا أفعل يا سيد سونغ؟ يقول والدي ووالدتي أن القرار قراري في النهاية، لأنهما لا يتحمّلان تركي».

لطالما عرف سونغ يون هوي أن عائلة ليانغ سي شن ليست بسيطة، فجدها محافظ بنك الشعب بالمحافظة، وبعض أعمامها من كبار المسؤولين في المنظومة المالية بالمقاطعة، ووالدها أيضًا مسؤول في بنك الشعب بالمدينة. كما كان يعرف مدى الصعوبة التي واجهها والدها عندما أصرّ على الزواج من ابنة أحد رأسماليي شانغهاي الذين فرّوا إلى خارج البلاد، ولطالما اعتُبر والدها غريبًا عن الأسرة. بل وكان يعرف أيضًا أن الجد ليانغ الذي يفضّل الفتيان

عن الفتيات لا يحب حفيدته ليانغ سي شن مطلقًا. ولكن ليانغ سي شن عاشت حياة سعيدة تحت حماية والديها المُحبّين. وفي هذه اللحظة، نظر سونغ يون هوي إلى الاثنتي عشرة صورة التي في يده، وسألها مترددًا: «لو كنت مكانك، لاخترت الدراسة في الولايات المتحدة. أعرف تجربتي، فعندما دخلت القطار لأول مرة، شعرت بأنني أدخل إلى عالم جديد. وفي هذه المدينة، رأيت أشياء لم أرها ولم أتخيّلها من قبل، كالحافلة ومياه الصنبور. أتعلمين مدى الصدمة؟ أشعر بأن رؤيتي قد اتّسعت، وأفكاري قد انفتحت، وأصبحت شخصيتي أكثر اكتمالاً. أنا محظوظ جدًا للحصول على فرصة الدراسة في المدينة. أعتقد أن مجيئي من الريف إلى المدينة كسفرك من هنا إلى الولايات المتحدة، وسيكون لهذا دورٌ إيجابيٌ في نموُّك. أتفهمين قصدي؟».

أبدت ليانغ سي شن تعبيرًا مضحكًا على وجهها وقالت «فهمت النصف فقط. يا سيد سونغ، أيمكنني أن أُصبح أكثر ذكاءً وقوة بعد الدراسة في الولايات المتحدة؟». فأجاب سونغ يون هوي مؤكّدًا: «بإمكانك ذلك، فنحن المعاصرين يمكننا الآن رؤية ما هو أبعد لأننا نقف على أكتاف العمالقة أمثال كوبرنيكوس ونيوتن. إذا درستِ جيدًا بعد سفرك إلى هناك، ستقفين على أكتاف عمالقة آخرين، وسيُصبح قلبك أقوى. بالطبع، إذا لم تكوني ستسعين إلى التقدُّم والدراسة بجد دون توجيه والدتك، فمن الأفضل لكِ ألّا تذهبي».

رفعت ليانغ سي شن رأسها الصغير، وفكّرت طويلاً، ثم قالت بحزم: «سأذهب إذًا. أريد التفوُّق على السيد سونغ». فذُهل سونغ يون هوي، ولم يتوقّع أنه هدف تريد الفتاة الصغيرة التفوُّق عليه،

وقال: «إنني أركُض في المقدّمة بالفعل، وأنتِ ستخطين على أكتاف العمالقة، لتتسابق إذًا».

شعرت ليانغ سي شن وكأنها أصبحت بالغة بسبب تقدير المعلم سونغ لها، فمدّت يدها بجدية وصافحت سونغ يون هوي بصفة رسمية كمصافحة الكبار، وقالت: «يا سيد سونغ، سأدرس جيدًا بالتأكيد، ولترَ ما سأفعله».

«حسنًا، سأنتظر عودتك بعد الانتهاء من الدراسة». ولكن سونغ يون هوي كان يخمّن مدى ضآلة احتمالية اللقاء فيما بعد.

4

وفقًا لعادات فرقة شياوليجيا، ففي اليوم الأول من العام الجديد تكون زيارة الأقارب والأصدقاء، وفي اليوم الثاني يُحتفل بالزواج، ولكن منذ عدة أعوام وحتى العام الحالي، ظلّت فتيات الفرقة تتزوّج خارج الفرقة ولم تُرَ أي فتاة تتزوج داخل الفرقة لأكثر من ثلاثة أو أربعة أعوام. في اليوم الثاني من العام الجديد، خرجت ابنة إحدى العائلات من جناحها لتتزوج، ووقف عدد من عربات اليد في ساحة الفرقة مُحمّلة بلحاف مطرّز ملوّن وأثاث لامع مدهون بزيت، وتلفاز أبيض وأسود نادر جدًا من ماركة سانيو وجهاز تسجيل بسماعتين من ماركة بايونير، بينما بدت مروحة المكتب الكهربائية من ماركة واتسون المصنوعة في شانغهاي أقل وضوحًا.

نظر عُزّاب فرقة شياوليجيا إلى هذا المهر بمرارة شديدة، فحتى لو سُلخت جلودهم وتم بيعها، لن يمكنهم أيضًا جمع ما يكفي من

المال لشراء مثل هذا المهر، متى سيمكنهم الفوز بزوجة؟

شعر لي دونغ باو أيضًا بعدم الارتياح بمجرد رؤيته لهذا المهر الفاتن المحمّل على عربات كثيرة. وفكّر في سونغ يون بينغ، وقارنها بالعروس التي كانت على وشك مغادرة جناحها، فشعر أنها تفوق هذه العروس بأضعافٍ مضاعفة، فهي أجمل، وأحسن خُلُقًا، ناهيك بشخصيتها. ولكن الزواج من هذه العروس يحتاج إلى كل هذا المهر، فكم سيتطلب الزواج من سونغ يون بينغ؟ وعلى أي أساس يُعجب الآن بسونغ يون بينغ؟ ما المهر الذي سيمكنه تقديمه لها بعد عام؟ وفي هذه اللحظة، باستثناء فرن الطوب، وباستثناء الأرض المتعاقد عليها، ما الطرق الأخرى التي يمكنه كسب المال منها؟

ما إن وصل لي دونغ باو إلى هذه اللحظة، حتى انتاب قلبه الانزعاج والغضب. ولكنه أقسم بأنه مهما حدث، وحتى ولو سلخ جلده، فسيتزوج تلك الفتاة الرائعة سونغ يون بينغ؛ إنها حقًا رائعة، ولم يرَ من قبل فتاة كالحوريات مثلها، وما إن تخطر على باله حتى يشعر بحلاوة كالعسل في قلبه، ما إن يفكّر فيها حتى تنتابه رغبة ملحّة للاندفاع والسفر لمئات الأميال لإلقاء ولو نظرة واحدة عليها، نعم، ولو نظرة واحدة فقط.

كان موكب العروس مبتهجًا جدًا، بينما كانت تعابير وجوه العُزّاب مختلفة تمامًا باختلاف أعمارهم، بدون ابتسامة واحدة. فالطيور على أشكالها تقع، إذ تجمّعوا حول لي دونغ باو في الزاوية الأبعد. كانوا جميعًا صامتين يشاهدون المفرقعات النارية تطير

نحو السماء واحدة تلو الأخرى، وعربات المهر التي تؤذي عيونهم تُدفع بعيدًا، وموكب العروس البهيج يبتعد أخيرًا...

استدار لي دونغ باو وأراد المغادرة، ولكنه اصطدم بأحدهم، كان ذلك الشخص الأحمق شارد الذهن ووجهه النحيل مليءٌ بالكآبة. عرف لي دونغ باو ما يجول في ذهنه. كان لي شي قن هذا من الباحثين في الفرقة، ويبلغ الثلاثين من عمره، ولكن تم فسخ خطبته عدة مرات. لم يسع لي دونغ باو إلا أن يربّت على كتفه، وواساه قائلاً: «أخي شي قن، أنت باحث وتعرف كيف تستخدم عقلك في زراعة الأرض، وما ستجنيه من ذهب أو فضة بعد زراعتها سيكون كله لك».

تراجع شي قن عن حماقته، ولكنه وجّه ضربة للي دونغ باو قائلاً: «دونغ باو، يقول المثل: البدايات القوية للمسؤولين تُلفِت الأنظار، لقد نفّذت التعاقد، ونفذّته بشكل جيد، ماذا أعددت للخطوات التالية؟»

لم يكُن لي دونغ باو يخشى أن يتم استغلاله، فهو لا يُخفي شيئًا، فأجابه ببرود: «لن أُخفيك سرًا يا أخي شي قن، فالخطوتان التاليتان تتعلّقان في النهاية بالطعام. خطوة تتعلق بفرن الطوب الكائن خلف الجبل، والخطوة الأخرى تتعلّق بحشد النساء الكبيرات والصغيرات لتربية حيوانات المزرعة. عندما رأيت مهر العروس اليوم، شعرت بالانزعاج، فما جدوى اليوم الأول أو اليوم الثاني من العام الجديد، إذا أردت التخلّي عن العزوبية والشبع من الطعام، عليّ البدء في الخطوة الثانية اليوم. من منكم سيأتي معي؟ يوم العمل سيُحسب بيوميتين».

تردد شي قن وقال: «دونغ باو، على الأقل بعد احتفالات العام الجديد... في العاشر من الشهر، لنبدأ في اليوم العاشر من الشهر. ففي أيام احتفالات العام الجديد لا يخرج حتى من يحتاج إلى الطعام».

ضحك لي دونغ باو ساخرًا، وقال بصوت مكتوم: «من يسعى إلى الطعام عليه أن يندفع نحو الأمام. أنا هنا اليوم لأخبركم، لقد حسبت الأمر مع عمي، وسنحتاج في فرن الطوب إلى ثلاثين شخصًا فقط. يريد عمّي أن يُعطي ثلاثة حصص لُعمّال الفرن القُدامى، أمّا السبع وعشرون شخصًا الآخرون، فمن يُسرع بالعمل معي، سأُعطيه راتبًا شهريًا فيما بعد. لن أحشد عُمالاً، فمن يريد كسب المال والحصول على زوجة، فليعُد إلى منزله ويُحضر مسلفة ومعزقة ويتبعني». وما إن أنهى لي دونغ باو كلامه حتى استدار وذهب، فقد تحمّس اليوم بشدة، ويريد كسب المال بكل ما أوتي من قوة، كما كان يعتقد أن العُزّاب الأكبر منه سنًا سيكونون أكثر منه صبرًا وإصرارًا، لذا لا حاجة للحشد، فمن يريد الحصول على زوجة سيتبعه.

ولكنه لم يتوقّع أن جميع العُزّاب الواقفين خلفه سينظرون لبعضهم البعض معتقدين أنه لأمر سخيف الخروج إلى العمل في ثاني أيام العام الجديد، فالقيام بالأمور لا يستلزم العجلة في أيام عيد الربيع، وحتى ولو أردنا الطعام فلا داعي لأن يهرعوا على وجوههم. لكن المشكلة في أمر فرن الطوب كانت تكمن في محدودية الحصص، فمن لا يسرع بالانضمام أولاً ولا يحصل على حصة من حصص السبع وعشرين شخصًا، ألن يكون قد خسر

الفرصة؟ إذا وقف الجميع ينظرون إليّ وأنظر إليهم دون أن يتحرك أيٌّ منّا، فلن يتغيّر أي شيء في النهاية.

حمل لي دونغ باو مسلفة وجاروفين على كتفه وخرج، ولكنه رأى العُزّاب في الساحة واقفين كالخشب دون حركة، فأُصيب بخيبة أمل شديدة، وأخذ يسبّهم وهو يسير إلى ما خلف الجبل: «اللعنة عليكم، لا تقدرون على فعل شيء، فإذا لم تستطع أن تصير مثابرًا كالملك القرد سون وو كونغ فعليك التعلُّم من الخنزير تشيوي با جيه، عليك الانقضاض على الفرصة فور رؤيتها. ستظلّون عُزّابًا حتى تشرب الكلاب دماءكم، أيها الجبناء، ستظلّون هكذا طوال حياتكم دون تغيير. سي باو وهونغ وي ولاو وو، أنتم أصدقاء ولن أغضب منكم، اخرجوا حالاً».

كان سي باو وهونغ وي ولا وو يعرفون أنهم إذا لم يتحرّكوا بعدما ناداهم لي دونغ باو، فسيتحمّلون العواقب فيما بعد، فضحكوا مع من حولهم، ثم هرعوا إلى منازلهم وأحضروا أقاربهم وتبعوا لي دونغ باو. كما تبعه اثنان آخران، ولكن مُعظم العُزّاب وقفوا بلا حِراك، إذ كانوا يعتقدون أنه لأمر سخيف للغاية أن يعملوا في ثاني أيام العام الجديد، وبالأكثر لي شي قن الذي أخذ يهزّ رأسه ويقول، حتى قادة البلاد يضعون جدول أعمالهم جانبًا في الشهر الأول من العام ويستريحون في المنزل، فما الداعي لأن يهرع بنشاط هؤلاء الذين لا يستطيعون الحصول على بضع وجبات من الأرز.

عندما وصل لي دونغ باو إلى فرن الطوب، رأى بجانبه خمسة أشخاص فقط، فتنهّد، وخلع سترته المبطّنة وألقاها على سطح

الفرن، ثم أرجح المسلفة وبدأ ينظّف الطوب المكسور حول الفرن. أمّا الخمسة الآخرون فلم يجرؤوا على قول شيء، فقط أخذوا يلملمون ويجمعون الطوب المكسور، حتى استطاعوا تسوية الأراضي المحيطة بالفرن. وعند حلول الظهيرة، صاح لي دونغ باو: «انتهى العمل»، وأخيرًا عاد الجميع إلى منازلهم لتناول الغداء. ولكن ما إن انتهى لي دونغ باو من غدائه وجلس قليلاً ليعود مجددًا إلى فرن الطوب، حتى رأى الخمسة الآخرين وقد عادوا بالفعل إلى العمل.

عندئذ تلاشت السحابة الداكنة من وجه لي دونغ باو، وقال وهو يعمل: «أعتقد أنه علينا تجربة الفرن أولاً، لنعرف كم سنحتاج من الفحم وعربات الطين والعمال. لتحسبا لنا عدد الطوب الذي يمكن لعربة الطين الواحدة صناعته يا سي باو وهونغ وي، وكم سيتكلّف الفحم الذي يحتاجه قالب الطوب الواحد. وبعد الانتهاء من الحساب، سنتعاقد على إنتاج الطوب كما هو الحال في التعاقد على الإنتاج والأراضي تمامًا، واحسبا كم تتكلّف عربة الطين الواحدة، وكم يتكلّف تشكيل قالب الطوب الواحد، وكم يتكلّف حرق فرن الطوب للمرة الواحدة، وكم ثمن بيع القالب الواحد. ومن يعمل أكثر يكسب مالاً أكثر، ولو كسب مالاً أكثر سيتزوج أسرع، ولكن من يتكاسل ويتلاعب، فسيستحق أن يموت جوعًا. ما رأيكما؟».

سأله سي باو: «ألن نسلّم نصيبًا للفرقة؟ فنحن نُحضر الطين من أرض الفرقة، ونستخدم فرن الطوب الخاص بالفرقة، ومن غير المعقول ألّا نسلّم نصيبًا للفرقة». ففكّر لي دونغ باو ثم قال: «إذا

ما كانت الأرباح اثنين وثمانين، سيكون الاثنان للفرقة، والثمانون لرواتب العُمّال، هكذا تقريبًا. وإذا خرب فرن الطوب ستصلحه الفرقة».

فكّر الجميع قليلاً، ثم لمعت فكرة في ذهن سي باو وقال: «هذه فكرة جيدة، سأعمل ليلاً ونهارًا من الآن فصاعدًا. ولكن يا دونغ باو، عندما يتعلّق الأمر بتسوية الحسابات، أعتقد أن شي قن هو الأقوى في هذا المجال، وسيكون قادرًا على تسوية الحسابات بشكل أكثر وضوحًا ودقة». فعارضه لي دونغ باو وقال: «إذا كنت مماطلاً في القيام بالأمور، فلن تستطيع إنجاز شيءٍ حتى ولو كنت ذكيًا كالقائد الاستراتيجي تشيوي قه ليانغ. إن شي قن لم يأتِ معنا، ولن نطلبه نحن، وأكثر ما علينا فعله هو إمضاء بعض الليالي في تسوية الحسابات، وإذا لم ينجح الأمر، فسأسلّم الأمر إلى طالب جامعي لتسوية الحسابات، ألن يستطيع الطالب الجامعي تسويتها؟ لا تقلقوا».

سأل لاو وو: «دونغ باو، هل تعتقد أننا لن نكسب حتى ولو عشرة فِنَّات في اليوم لو عملنا حتى الموت؟». فأجابه لي دونغ باو بلا تردد: «إذا لم تكسبوا في اليوم خمسين فِنًّا، فلتدفنوني حيًا وتحرقوني في فرن الطوب. عندما كنت في الجيش، كنت أذهب في كثير من الأحيان إلى مصنع الطوب لإحضار الطوب، وكان العُمّال هناك كسالى، ومع ذلك كانوا يتقاضون من عشرين إلى ثلاثين يوانًا كراتب شهري. لو عملنا بجد، وبذلنا مزيدًا من الجهد، وقُمنا بضِعف العمل الذي يقومون به أولئك العُمّال، فسنضاعف الدخل الشهري، ونحصل على أربعين أو خمسين يوانًا، وبعد عام

واحد ستتمكّن من شراء جهاز تلفاز ونعود به إلى المنزل».

«دونغ باو، أسنربح كل هذا المبلغ حقًا؟». فأجاب لي دونغ باو واثقًا: «لقد ذهبت إلى الكثير من الأماكن برفقة سلاح المهندسين، ورأيت الكثير من العوالم، اسمعوا لما أقول، فإنني أتحدث لمصلحتكم».

«ولكن أستسمح لنا الكومونة بتشغيل فرن الطوب؟ لقد أحضرت الكومونة مجموعة للعمل في الفرن في الماضي».

«لقد تغيّر الزمن، أما زلت تقرأ في التقويم الإمبراطوري القديم؟! لقد تم التعاقد على الأرض بالفعل، فلماذا لن تسمح لنا بتشغيل فرن الطوب؟ اسمع لما أقوله».

على الرغم من أن لي دونغ باو لم يصِح بحنجرته للدعاية والإقناع، ولكنه كان يتحدّث بكل ثقة، مما بعث الأمل في قلوب الخمسة الآخرين. فسأله هونغ وي: «لقد أخذنا زمام المبادرة اليوم، ولكن ماذا لو رآنا الآخرون نكسب الكثير من المال، ألن يُحضروا عربات الطين ليسرقوا لقمة العيش منّا؟». فأجاب لي دونغ باو بشكل قاطع: «ثلاثون، لن يزيد عليهم واحد، فلو قفز والدي من التربة وتوسّل إليّ لن أتنازل».

«هل يجب أن يكون عازبًا؟».

«يمكن لأي شخص أن يأتي، طالما أنه قادر وغير كبير في السن».

أخذ الخمسة يعملون بجد والتكهُّنات تراود خواطرهم. وبعد الانتهاء من العمل والعودة إلى المنزل في المساء، ذهب كل منهم

لنشر الأخبار سرًا بين الأقارب والأصدقاء الأقوياء، حتى لا تقع الثروة في أيدي الغرباء. فقط لي دونغ باو كان قلقًا بعض الشيء، فبعد عودته إلى المنزل أخذ يفكّر فيما بعد نشر الأخبار على يد هؤلاء الخمسة، ما العمل إذا لم تتعاقد تعاونية التوريد والتسويق على الطوب الذي يحرقوه؟ وهل سيُباع الطوب أم لا؟ وهل سيتمكّن كل شخص من ربح خمسين فِنًّا حقًا؟ ظلّ قلبه حائرًا. ولكن الآن بعد نشر الأخبار، بالطبع ليس عليه سوى التظاهر جيدًا بأنه بطل، وأن يؤكّد كسب المال في النهاية.

لم يكُن يتوقّع أنه في ثالث أيام العام الجديد سيجد اثنين وثلاثين شخصًا ينتظرونه عند فرن الطوب، وبعد سحب القرعة، تم استبعاد خمسة منهم، وتبقّى سبع وعشرون للعمل في الفرن، وسرعان ما انخرطوا في العمل. وعند الظهيرة، أحضر الأمين الكبير رئيسين للعمّال في هدوء، حاملين مجارف ودلاء الطين، وشرعا في إصلاح مدخنة الفرن.

سرعان ما انجذبت الأنظار مع بدء العمل، وبدأ أهالي القرى المجاورة يتساءلون أثناء زيارتهم لأقاربهم وأصدقائهم حول موعد حرق الطوب، وتكلفة القالب الواحد، مما عمل على تعزيز ثقة هؤلاء العمّال الذين تخلّوا عن قضاء إجازة العام الجديد في سبيل العمل.

أخيرًا، أدرك لي دونغ باو حقيقة واضحة، فبدون العمل لن تأتي الفرصة أبدًا؛ وبالعمل ستأتي الفرصة من تلقاء نفسها.

كانت كل تفاصيل العملية تتم بأسرع وقت وكأنها تطير بمجردّ ملامستها ليد لي دونغ باو. فكما كان تعاقد الأراضي، هكذا تم

الأمر في فرن الطوب أيضًا. أخذ لي دونغ باو يشجّع الجميع، فمن يريد الحصول على الطعام يعمل بجد.

سرعان ما تسطّحت الأراضي المحيطة بالفرن، وسُحِبت أول عربة من التُراب إلى داخل موقع العمل، وتم إنتاج أول دفعة من قوالب الطوب تحت إشراف رئيسي العُمّال، واستُخدمت اليوانات القليلة التي تملكها الفرقة بالكامل في شراء سيارة الفحم الأولى في اليوم الأول لفتح البنك الزراعي بالكومونة، وبدأ الحريق الأول في تسخين الفرن الجديد، وكان المُشتري الأول قد أحضر ماله واصطف في الطابور منتظرًا الحصول على الطوب، على الرغم من أنه كان يحتاج إلى مائتين فقط من قوالب الطوب. جرت الأمور على ما يرام، وسار العمل في الموقع على قدم وساق، وبدا النصر قاب قوسين أو أدنى.

أمام ذلك الحماس الشديد من الجميع، بدا لي دونغ باو على العكس هادئًا. فهو رائد عملية تشغيل فرن الطوب، وهو المسؤول مسؤولية كاملة عن نجاح أو فشل فرن الطوب في الأيام القادمة.

في مساء اليوم العاشر من العام الجديد، كانت هناك حاجة لإيجاد شخص ما لمراقبة عملية حرق الطوب طوال الليل، فطلب الأمين الكبير أن يقوم هو بهذا العمل الفني الخفيف ولكنه مهمٌ أيضًا. وبعد العشاء، أتاه لي دونغ باو، وجلسا يتحدّثان بجانب الفرن الدافئ.

كان لي دونغ باو تؤرّقه الكثير من المخاوف، فهل سيكفي مال الفرقة القليل لحرق الطوب لمرة أو مرتين؟ وهل ستكون جودة

الطوب جيدة أم لا؟ وهل سيأتي كثيرون لشراء الطوب أم لا؟ وهل سيكون ربح بيع الطوب كافيًا لشراء عربة ثانية من الفحم؟ لم يكُن الأمين الكبير قادرًا على ضمان أي شيء، ولكنه أكّد على ضمان الجودة بشكل قاطع، وقال إن الطوب الذي كانت تحرقه فرقة شياوليجيا في الماضي قد ذاع صيته في الخارج، والجميع يعرفون أنه الأقوى. قال هذا وهو يقرقع أصابعه، كما قال إنه لا يقلق بشأن شراء الناس للطوب، فقد سمع أن الدولة قد رتّبت زيادة رواتب 40% من السكان، فهل سيستمرون في العمل بعد زيادة الرواتب؟ إنهم يأكلون جيدًا ويلبسون جيدًا ويعيشون جيدًا. ولكن الأمين الكبير كان يقلق أيضًا بشأن المال الذي يحتاجونه لشراء الفحم، ولن يستطيع أبدًا تشجيع الأعضاء على جمع المال، فعلى كل حال ليس لديهم أي مال في جيوبهم، وإذا صعدوا إلى الجبل لإحضار الحطب، فلن يحضروا سوى القليل منه، فالجبال هذا العام تكاد تكون خالية من الأشجار، وما يمكن قطعه قد احترق منذ فترة طويلة بالفعل. ولا يمكن استخدام القش العادي في تشغيل فرن الطوب.

كان لي دونغ باو قلقًا جدًا، فلو نفد ما لديهم من فحم، ولم يُبَع الطوب ليشتروا بأرباحه فحم، فستنشأ فجوة، ولو برِد الفرن، فكيف ستبرد قلوب الناس الذين كان من الصعب تشجيعهم؟ لا يمكن للعُزّاب رؤية الأمل في ربح المال والحصول على زوجة، ولا يمكن للعائلات الكبيرة رؤية الأمل في الحصول على ما يكفي من الطعام، فكيف سيتبعونه كمن يتلمّس الطريق في الظلام؟ تمتم لاعنًا: «اللعنة على هؤلاء، حتى كسبهم للمال عليك إقناعهم به، من الأسهل لي أن أكسب وأغتني بمفردي. عمي، ألا يمكننا

هدم أضرحة الأجداد المنتشرة أمام القرية وخلفها ونستخدمها كحطب؟».

وعلى الفور صفع الأمين الكبير لي دونغ باو على مؤخرة رأسه وقال: «إذا لم تنهَر تلك الأضرحة من تلقاء نفسها، فلن تجرؤ على لمس بلاطة منها، وسيُهدم ضريح أجدادك أولاً. فلتفكّر في طريقة أخرى، لقد ذهبت برفقة سلاح المهندسين إلى العديد من الأماكن، ولديك طريقة بالتأكيد».

فأجاب لي دونغ باو بعدم اقتناع مطلق وقال: «حتى ولو كانت لدي الكثير من الطرق، فما إن أُصادف عمي الذي يخشى من كل شيء، حتى تنطفئ نيران الحماس بداخلي. وإلا فلتقل أنت كيف نحصل على المال لشراء الفحم؟ سعمت أن اقتراض المال من الاتّحاد الائتماني يتطلب إرسال هدية إليهم».

فقال الأمين الكبير: «دونغ باو، فيما مضى كنت أقلق بشأنك لصغر سنّك وتهوُّرك، ولكنّ بعدما رأيت عملك المثير للإعجاب في فرن الطوب، اطمأن قلبي. ولكنّي لستُ مطمئنًا تمامًا، فأنت تقوم بالأمور على نحو جيد، ولكنك لست شخصًا جيّدًا. لا أُحاول تثبيط حماسك، ولكن أتعلم عدد الأشخاص الذين أبلغوا الكومونة بشأن التعاقد على الأراضي قبل رأس السنة الجديدة؟ وكيف انتقدتنا الكومونة؟».

فأمسك لي دونغ باو برقبة عمه وسأله غاضبًا: «من أبلغ؟ أخبرني بالأسماء وسأمزّق عقودهم غدًا، يتوسلون أمامنا، ويطعنوننا في ظهورنا».

صمت الأمين الكبير قليلاً، ثم قال: «انظر، سرعان ما غضبت بمجرد سماعك لما قلته. إنهم لم يُبلغوا بشأن التعاقد، فإنهم متعطّشون لمثل هذه التعاقد، ولكن ما أبلغوا بشأنه هو قساوة تعاملك، قساوة مفرطة. وما إن عادت الكومونة إلى العمل حتى استدعتني لتحقق في الأمر، ولكن لا بأس، فقد تولّيت الأمر بالنيابة عنك، ولكن من الأفضل أن تغيّر طريقة تعاملك، فلا بد من مراعاة الأسلوب والطريقة في تنفيذ الأمور، ولا بد من اقتناع الجميع بشكل كامل بالعمل معك. تمامًا مثل أمر فرن الطوب هذا، كيف استطعت سبّ الآخرين في الساحة هكذا؟».

فزاد غضب لي دونغ باو وأجاب: «تلك العصابة تأكل برازًا وتشرب بولاً! ألا تعلم أنّي كنت جيدًا معهم؟ فقد ألغيت فكرة استيلاء كوادر الفرقة على لحم رأس الخنزير، فكيف لهم ألّا يمدحونني لدى الكومونة؟ ولولا أنني عنّفتهم وسُقتُهم، أكانوا ليستطيعوا التوقيع بسلاسة على عقود الأراضي؟ أكان فرن الطوب ليعمل بهذه السرعة؟ تلك العصابة متكاسِلة ومتمردة، أسيسقط الاتّحاد من السماء هكذا؟».

صمت الأمين الكبير قليلاً، وانتظر حتى يهدأ غضب لي دونغ باو المُستعر وسط هدوء الليل، ثم واصل كلامه على مهل: «إن تفكير الأعضاء بالطبع بسيط ومتخلف بعض الشيء، ويحتاجون لقيامك بدورك وأخذ زمام الأمور ككادر في الفرقة، ولتشرح لهم الحقيقة بوضوح قبل البدء في تنفيذ الأمور. بعض الأفكار لا يمكن تغييرها، فلتقم أنت وحدك بالتفكير نيابة عنهم. إنهم يتحدّثون بمنطقية، وأنت تُنجِز العمل بأكمله، ثم...».

«ثم ماذا؟ إذا قضيت كل وقتي في تنوير الأغبياء، أسيبقى ما يكفي من الوقت لأُنجز أي شيء آخر؟ عمي، الثورة ليست دعوة الضيوف لتناول العشاء، يجب على جميع من في القرية أن يتعلّموا من جيشنا كافة التحرُّكات ويطيعوا كافة التوجيهات. انتظر حتى يكسبوا المال ويذوقوا حلاوة العمل، ولترى كيف سيأتون إلينا فيما بعد ليشكرونا نحن قادة الفرقة».

ولأن الأمين الكبير لم يكُن ممن يغلبون الآخر بكلامهم، اضطر للصمت في النهاية، لأنه كان يفكّر مُحرجًا في داخله بأنه لولا قساوة لي دونغ باو، لما سار التعاقد على الأراضي بهذه السلاسة، ولما عمل فرن الطوب بهذه السهولة. ولكنه كان يشعر أيضًا بالتناقض، فأسلوب دونغ باو مختلف تمامًا عن أسلوب عمله الناضج اللطيف، ولكن يبدو أن أسلوب عمل دونغ باو أكثر فاعلية من أسلوبه. وأمام الخيارين، اتّخذ الأمين قرارًا في النهاية وقال: «دونغ باو، لن أنصحك بشيء، لتستمر في القيام بالأمور على هذا النحو، لتهتم أنت بتنفيذ الأمور فقط، وأنا سأوضّحها لهم. أطلب منك فقط ألّا تحدّق بالآخرين أو تسبّهم أو تضربهم. ولتفكّر في كلام عمك فيما بعد قبل أن تستخدم يدك».

رحّب لي دونغ باو كثيرًا بتقسيم العمل على هذا النحو، وقال: «حسنًا، سأضع يدي خلف ظهري بمجرّد أن أغضب فيما بعد. وسأكون في الطليعة، وليُقد عمّي الجيش».

ضحك الأمين الكبير بسعادة عند سماعه لهذا وقال: «حسنًا، من الجيد أنك تستطيع التحكُّم في غضبك، خطوة بخطوة وستسير

الأمور. وبالنسبة للذهاب إلى الاتّحاد الائتماني واقتراض المال، فسأذهب غدًا إليهم، لا يمكنك أنت الذهاب، فمسؤول تلك الوحدة...» مدّ الأمين الكبير يده وخدش الهواء بأظافره قائلاً: «أظافره طويلة جدًا، وستغضب منه لدرجة أنك ستقلب الطاولة على الفور».

فتعجّب لي دونغ باو متسائلاً: «الجميع يعرفون جشع مسؤول الوحدة، كيف يمكنه أن يظلّ هادئًا هكذا؟ لقد حدّثني ذو الأربع عيون عنه من قبل».

«هناك من أعلى منه». قال الأمين الكبير هذا ثم صمت.

«ليس لدينا أي شيء، ما الفائدة من ذهابك إلى مسؤول الوحدة غدًا؟».

بدا الأمين الكبير عاجزًا عن الكلام، فهذا فقط هو ما يقلق بشأنه. ولمّا رأى لي دونغ باو هذا، أدرك مدى صعوبة هذا الأمر على الأمين الكبير، ومواصلة الحديث في هذا الأمر ستضغط عليه. الآن الفرقة فقيرة وخالية، ولا يستطيع الأهالي الحصول على ما يكفيهم من الطعام، فماذا سنُهدي المسؤول؟ لقد مضى عيد الربيع لتوه، ولن يمكنهم العثور حتى على دجاجة نحيفة. اعتلت الهموم وجهي الكبير مع الصغير، وأخذت الرياح تهب من أعلى الجبل، فزادت من أثقال قلبيهما.

بعد وقت طويل، قال الأمين الكبير: «دونغ باو، عُد إلى منزلك ونم، فعليك تولّي الأمر هنا صباح الغد. لأجلس بمفردي وأفكّر في طريقة في المساء، لأرى إذا كان بإمكاننا اقتراض القليل من

فرقة شونغدي لنحسب الفائدة، ولكن على أسوأ احتمال ستكون الفائدة أعلى من فائدة البنك، من جعلنا فقراء!».

لمعت عينا لي دونغ باو، ورأى أنها فكرة جيدة، ولكنه ما إن نهض حتى راودته فكرة أفضل: «عمّي، ما رأيك إذا كان قالب الطوب لدينا أرخص بفِن أو فِنَّيْن من سعر القالب في مصنع الطوب والبلاط بالمحافظة، الدفع أولاً، ثم الحصول على الطوب بعد أسبوع، هل تعتقد أنهم سيقومون بالأمر؟». فلمعت عينا الأمين الكبير أيضًا وقال: «سيفعلون، لماذا لن يفعلوا، فأسبوع واحد ليس طويلاً. ولكننا نعاني، فإذا قلّ ثمن قالب الطوب الواحد فِنًا أو فِنَّيْن، فكم ستقلّ دفعة الطوب الواحدة».

«لنعاني القليل، فمن جعلنا نفتقر إلى المال؟ علينا تقديم هدية لحفيد السلحفاة ذاك الجالس في مكتب الاتحاد الائتماني». ثم قال مبتهجًا: «لقد فكّرت أيضًا في خدعة ما، لتأخذ يا عمي الختم الرسمي معك برفقة ذي الأربع عيون، وتُحضرا بعض الأشخاص ليسحبوا عربة من الطوب، ويلفّوها بلافتة حمراء، ويمرّوا بجميع الفرق وهم يضربون الصنوج ويقرعون الطبول، تمامًا كما كان الحال عندما أرسلوني إلى الجيش، ويُكتب على اللافتة الحمراء «قالب طوب واحد أرخص بفِنَّيْن»، حتى يأتي الجميع إلى فرن الطوب الخاص بفرقتنا شياوليجيا ويشترون. ثم تتبعهما عربتان يد لتأخذا المال وتحصلا على الفحم من ساحة الفحم».

«هذا صحيح، فشراء الطوب من مصنع المحافظة يتطلب دفع المال أولاً ثم الانتظار في طابور لعدة أيام، فلماذا لن يأتوا

إلينا ونحن نبيع لهم الطوب أقل بفِنَّيْن؟ إن سعر بيع قالب الطوب للمؤسسات العامة في مصنع المحافظة 3 فِنَّات، وللأفراد بفِن واحد، ولكن معظمها قوالب معيبة، ونحن نبيعها بكامل سعرها، أي ثلاثة فِنَّات لقالب الطوب الواحد. إذا وافقت فلنقم مباشرة بالأمر، وننطلق بدءًا من بعد غد، وغدًا ستأتي عربة ملوّنة محمّلة بالزهور والنباتات. دونغ باو، أنت مررت بالكثير، وأنا قد كبرت، لذا لن أكون أفضل منك».

أخذ لي دونغ باو يحكّ رأسه، ولم يجد شيئًا لطيفًا ليقوله، فتم الاتفاق على هذا النحو.

لم يتوقّع الأمين الكبير ولي دونغ باو اللذان اضطرا للبحث عن طريقة حتى توصّلا إلى تقليل سعر القالب بفنَّيْن أن تأتي النتيجة بهذا النجاح، وأن يكون لها تأثير اقتصادي جيد، حيث قاد الأمين الكبير فريق الدعاية للخروج وإحضار خمس أو ستّ عربات من الفحم في نفس اليوم؛ وقد أتت نتيجة الدعاية على نحو أفضل، حيث أصبحت عبارة «أرخص بفِنَّيْن» لقبًا مميِّزًا لفرن طوب شياوليجيا. كان الوقت مزدحمًا بصناعة الطوب، حتى إن لي دونغ باو وسي باو لم يكُن لديهما أي وقت لتسوية الحسابات، فكانا يضطران لتسجيل حجم العمل المطلوب من كل فرد يوميًا، ثم تسوية الحسابات فيما بعد.

ولكن لي دونغ باو لم ينسَ أيضًا أمر ردّ الاعتبار لعائلة سونغ يون بينغ. وسعيًا للاعتناء بالأمرين في آن واحد، قام في صباح يوم الاثنين السابع عشر من الشهر الأول وركض مُهرولاً على الطريق

الموحل المحروث لتوّه بعد ذوبان الجليد إلى فرقة الحرس الأحمر. فتح سونغ جي شان البوابة في الصباح الباكر مستعدًا للذهاب إلى العمل، ولم يتوقّع أن يرى لي دونغ باو واقفًا أمام البوابة. كانت صنوج وطبول فرقة شياوليجيا قد قُرعت في فرقة الحرس الأحمر من قبل، فسألته سونغ يون بينغ عن أداء فرن الطوب، وحينها شعر لي دونغ باو بالفخر حتى إنه أخبرها بجميع خططه. وعلى الرغم من أنه كان قد تناول الفطور لتوه قبل مجيئه، فإنه كان يتحدّث وهو يتناول صحن الأرز المنقوع وصحن كُرات دقيق البطاطا الحلوة حتى أنهاهما. أراد لي دونغ باو عدة مرات أن يقول لها: «انتظريني، سأجمع المال وآتي لأتزوجك سريعًا»، ولكنه بلع كلامه عدة مرات عندما رأى وجه سونغ يون بينغ الخجول، ولم يجرؤ على أن يصدم هذه الفتاة بكلامه الوقح.

تم ردّ الاعتبار بسلاسة، فعندما ذهبا إلى مكتب الحي لمتابعة الإجراءات، سلّمهما الرجل النتيجة بأدب كمن يعتذر للطبيعة ليُبعِد إله الطاعون، وطلب منهما العودة بلطف إلى المنزل. ولكن لي دونغ باو شعر بقليل من الاكتئاب، فلو تأخّر إنجاز الأمر قليلاً، لصارت لديه حُجّة للبقاء لبعض الوقت مع سونغ يون بينغ، فهو الآن مضطرٌ إلى المغادرة على عجل. كان يسير خطوة وينظر إلى الوراء، يتقدّم خطوة ويتأخّر ثلاث خطوات.

كانت سونغ يون بينغ أصلاً مُعجبة بالقوة البدنية والشخصية التي يتمتّع بها لي دونغ باو، وهو ما كانت عائلتها تفتقر إليه بالتحديد. وعندما رأت بأم عينها التغييرات الواضحة في فرن الطوب بفرقة شياوليجيا في فترة عيد الربيع، وتشغيل مصنع الطوب بكامل قوته

بعد العيد، شعرت سونغ يون بينغ بميل شديد تجاه أسلوب لي دونغ باو القوي والحازم في العمل، ولمّا رأته يتحدّث بثقة أثناء الفطور، كانت الأفكار تراودها من وقت لآخر، تُرى ما معنى أن الزوج رجلٌ قوي؟ هذا هو ما يعنيه. حتى بعد عودتها إلى المنزل، ظلّت شاردة الذهن، تذكّرت تعامُل مسؤولي مكتب الحي بمهابة معه، فابتسمت خلسة، لدرجة أن والدتها قلقت عندما رأت ذلك، وتساءلت بداخلها عمّا إذا كانت ابنتها قد أُعجبت بذلك الرجل الهمجي حقًا؟

بينما كان لي دونغ باو يبتسم علنًا أثناء السير، يمشي وهو يرفع رأسه مبتسمًا، حتى إن المارّة كانوا يبتعدون عنه ظانّين أن هناك خطأً ما في عقله. وكلما كان يتذكّر ذلك الصوت اللطيف وهو يخرج من هاتين الشفتين الرقيقتين ويقول «أنت قوي حقًا»، كانت تلك الابتسامة تتّسع على وجهه حتى تصل من الأذن إلى الأذن. حتى إنه لم يكُن يعرف كيف سيُكمل هذا الطريق، فقط كان قلبه سعيدًا كمن أسكرته الخمر، وخطواته خفيفة كمن يخطو على السحاب، لم يهتم مطلقًا بجبل شياوليجيا الذي يلوح أمامه في الأفق، وظلّ قلبه مشغولاً بأمر واحد، كان ينوي بعد الحصول على المال أن يُسرِع بشراء دراجة هوائية، وأن يوفّر بعض الوقت فيما بعد حتى يمكنه الذهاب وسماع صوتها. يا للسماء، كيف يمكن أن تكون هناك فتاة تناسبه هكذا، إنها حقًا زوجة أعدّتها له السماء، وقد تأكّد من هذا بعد سماعه صوتها للمرة الأولى، وزاد تأكُّده مع الوقت، لا لبس في ذلك، إنها هي حقًا.

أخيرًا، ووسط هذا السحاب، سمع لي دونغ باو صوتًا مزعجًا يناديه، ويخرجه من حالة الفرحة ليُنزله إلى أرض الواقع. فعبس

بعينيه، وأدرك أنه شي قن. كان شي قن يرى لي دونغ باو يتصرّف على غير عادته من بعيد، فتحلّى بالشجاعة وذهب إليه، ولكنه لم يتوقّع أن لي دونغ باو بعدما يستفيق سيتحوّل من فوره إلى ذلك الوجه الشرس، وسرعان ما أدرك أن هناك خطبًا ما، فتلعثم قليلاً ثم قال: «دونغ باو، لعلّك لم تأكل حتى الآن»، وأراد الهروب سريعًا.

ولكن لي دونغ باو بمجرد رؤيته لشي قن أدرك سبب مجيئه، إنه بالتأكيد يريد الانضمام للعمل في مصنع الطوب؛ فبعد أيام قليلة من العمل، بدأ فرن الطوب في الإنتاج، وتم بيع الطوب لتوّه، حتى إن العُمال لم يحصلوا على رواتبهم بعد، فرأى ذلك الرجل ذا العيون الثاقبة فرصة الحصول على عمل، وأتى متسللاً يبحث عنه ليتوسّط له ويصير العامل رقم ثلاثين في فرن الطوب. لم تنتهِ إجازة العام الجديد بعد، وبدأ الجميع يتطلّعون للعمل في مصنع الطوب حتى قبل عيد الفوانيس. كان لي دونغ باو قد رأى شي قن يتجوّل كالشبح حول مصنع الطوب ذات مرة، ولكن شي قن لم يقُل شيئًا، ولي دونغ باو لم يذكُر الأمر أيضًا، فهو يعلم أن شي قن نادم، ولكنه كان قد أكّد من قبل أمام الجميع، وقال إن عدد العاملين في مصنع الطوب ثلاثون فقط، ولن يزيد عليهم واحدًا. يجب أن يكون شي قن مدركًا لضياع الفرصة، وأن الوقت لا يعود مرة أخرى، لا يوجد مكان له في مصنع الطوب، وعليه أن يستمر في كونه عازبًا.

ولكن، عندما رأى لي دونغ باو لفّة الورق التي في يد شي قن، ووجهه الذي بدا وكأنه لم ينم جيدًا، تحرّك شيء ما في قلبه، وتوقّع شيئًا ما، ففتح يده من فوره وسأل شي قن: «ما هذا الذي في يدك؟ أعطني لأنظر».

فابتسم شي قن مُحرجًا، وأعطى لفّة الورق للي دونغ باو. وما إن فتحها لي دونغ باو، حتى رآها وقد كُتب فيها بوضوح، كم من الوقت يستغرق إحضار عربة من التراب، وكم من الوقت يستغرق صُنع فردين لقالب واحد من الطوب معًا، وكم من الوقت يستغرق خلط عربة من الطين، وكم عدد قوالب الطوب التي يمكن لعربة واحدة من الطين إنتاجها، وكم تستغرق صناعة هذه القوالب من الوقت وساعات العمل. بعد ذلك، تُطرح تكلفة الطوب من تكلفة الفحم اللازم لصناعة الطوب، وتُطرح كمية الطوب المعيب، كما تُطرح رسوم مصنع الطوب ورسوم الفرقة، وأخيرًا يُقسم الناتج النهائي على الوقت لحساب قيمة العمل لكل وحدة زمنية، بعد ذلك تُعكس الحسابات للحصول على النتيجة، كم من المال يمكن الحصول عليه من صنع قالب طوب واحد، وكم من المال يمكن الحصول عليه من إحضار عربة طين واحدة، وكم من المال يمكن الحصول عليه من خلط عربة طين واحدة، كانت كل التفاصيل واضحة ومعقولة، وجاهزة للتطبيق.

نظر لي دونغ باو إلى الحسابات المزدحمة على الورق، ثم نظر إلى وجه شي قن المُحرج والمفعم بالأمل في الوقت ذاته، فشعر بالتناقض الشديد، فباستخدام طريقة الحساب الجاهزة هذه، لن يمكنه الاستغناء عن شي قن أبدًا. كان يمكنه بالطبع التظاهر بالغباء ووضع لفّة الورق في جيبه مع كلمة شكر لشي قن ثم الانصراف مباشرة، وكأن تعب شي قن قد ذهب هباءً، ولكن هذه الأخلاق المعيبة ليست أخلاق لي دونغ باو. ولكن لا يمكن أيضًا إفساح المجال لشخص آخر ليُصبح العدد واحدًا وثلاثين عاملاً، فكيف

سيتعامل مع الآخرين لو فعل هذا؟ وسيعتقد الآخرون أنه لا يعتدّ بكلمته، ولن يأخذوا بما يقوله من الآن فصاعدًا؟ فرفع الورق الذي في يده، وقال لشي قن: «أنت تعلم من وقت طويل أنه لا يوجد لك مكان في مصنع الطوب».

تنهّد شي قن وقال: «أعلم، لم أتعلّم من الخنزير تشيوي با جيه. أُهديك خطة الحسابات هذه، وإذا وُجِدت فرصة فيما بعد، تذكّر أن تحجز لي مكانًا». فهزّ لي دونغ باو رأسه، ولم يقُل شيئًا، فوقف شي قن للحظة، ثم غادر بخيبة أمل. شعر لي دونغ باو بأن لفّة الورق التي في يده ثقيلة بعض الشيء.

لا يمكن تغيير عدد الثلاثين فردًا أبدًا، فلا يمكن إدخال شي قن إلا بعد انسحاب أحدهم. ولكن من سيكون مستعدًا للتخلّي عن موقعه بمصنع الطوب؟ لن يوافق أحد، ولا حتى لي دونغ باو نفسه. فباستثناء مصنع طوب الفرقة، أين يمكننا إيجاد سبيل جيد للعيش كهذا. من يمكنه التنازل عن موقعه لشي قن؟

وقف لي دونغ باو في الطريق لفترة طويلة، وظلّ ينظر إلى شي قن وهو يبتعد. يمكنه التنازل عن موقعه لشي قن، ولكن من سيُنظّم إنتاج مصنع الطوب بعد تنازله؟ فقد بدأ المصنع العمل لتوّه، وهو يراقب كل تفصيلة في العمل، فلو تنازل عن موقعه لشي قن، من سيتولّى أمر المصنع إذًا؟ وإذا تولّى الأمين الكبير أمر المصنع، فلن يضمن نتيجة الأمر. أخذ لي دونغ باو يفكّر مليًا، ثم قرر أخيرًا أنه ما زال مدينًا لمعروف شي قن، وما زالت الأيام بيننا.

بعد تناول الغداء والعودة إلى مصنع الطوب، استدعى لي دونغ باو المحاسب هونغ وي، ليُراجعا خطة الحسابات مرة أخرى، ولم

يجدا أي اختلافات أساسية، فاتّضح أن شي قن كان قد تجول حول المصنع في الأيام الماضية لجمع البيانات. بعد ذلك، راجع لي دونغ باو خطة الحسابات هذه مع الأمين الكبير، ودعا هونغ وي ليعدّ منها بعض النُسَخ. فنَسَخ هونغ وي خطة الحسابات هذه، وسرعان ما اعترته سعادة غامرة، فبعد أسبوع واحد من العمل، ووفقًا لحجم العمل المحدد لكل فرد، يمكن للعامل الواحد الحصول على ما يتجاوز العشر يوانات على الأقل. فكم سيحصل في الشهر الواحد؟ من خمسين إلى ستّين يوانًا! إنه ملغ كبير! وعلى الفور أسرع هونغ وي لإخبار الجميع أثناء قيامه بالمحاسبة، فعمّت الفرحة أرجاء المصنع، حتى إن لي دونغ باو كاد يشتعل من فرط الحماسة، وعلا الصخب في المصنع وكأنه حظيرة بطّ.

كان الجميع متحمّسين لأنهم خلال الأسبوع الأول ما زالوا مبتدئين، وبعد هذا الأسبوع سيصيرون محترفين، وسيحصلون على المزيد من المال، وسيصير لديهم رواتب مرتفعة، بالإضافة إلى الأراضي المتعاقدين على زراعتها، لذا لن تكون هناك حاجة للعمل كعُمّال صِغار في المدينة.

إن العامل الذي يرى الأمل هو أكثر من يسهل تحفيزه، والمصنع المفعم بالتحفيز هو أكثر مكان يمكنه تحقيق الأرباح، سار العمل بسلاسة في مصنع الطوب، بيد أنه أصبح أيضًا كشوكة في خاصرة مصنع الطوب والبلاط بالمحافظة، لكن لا يمكن لأي أحد أن يفعل شيئًا تجاه مصنع طوب شياوليجيا. أخذ عدد القادمين لشراء الطوب من فرقة شياوليجيا يتزايد مع الوقت، ورأى لي دونغ باو الحاجة لشراء جرار لنقل الطوب، فطلب من شي قن أن يفكّر

في طريقة ويتعلّم قيادة الجرار بنفسه. ولكن على الرغم من الأداء الجيد لمصنع الطوب، فإنه قد بدأ الإنتاج لتوه، ولا يوجد ما يكفي من المال لشراء الجرار، فاضطر للتفكير مرة أخرى بشأن الاتّحاد الائتماني، ومن المستحيل ألّا يفكّر بشأنه، فهذه المرة لا يوجد أي مكان يمكن اقتراض مبلغ كبير منه سوى الاتّحاد الائتماني.

ذهب الأمين الكبير حاملاً بيده حقيبة من حلوى شانغهاي النادرة التي كان قد اشتراها خصيصًا من المدينة، ولكنه قوبل بطريقة روتينية باردة هناك. ظلّ لي دونغ باو كاتمًا غضبه لفترة طويلة، إلى أن قرر الذهاب بنفسه. ذهب لي دونغ باو فارغ اليدين، ودخل مباشرة إلى مكتب مدير الوحدة بالاتّحاد الائتماني، وحاول قدر طاقته السيطرة على يده التي تحكّه ليضرب الرجل، وأخبر المدير بالأمر دون أي تخطيط مسبق، وطلب منه أن يختار الهدية بنفسه. لم يكُن مدير الوحدة مهذّبًا على الإطلاق، فقد أبدى إعجابه بالأمر مبتهجًا، وقال إنه بإمكانه إقراض ثمن الجرار لشياوليجيا، ولكن بشرط أن يُكوّم لي دونغ باو عربتين من الطوب أمام منزله. فاستجاب لي دونغ باو لشرطه، وخرج من المكتب وحصل على المال، ثم استدار وتوجّه إلى شركة الآلات الزراعية بالمدينة لشراء جرار جديد، وطلب من شي قن قيادته. جلس لي دونغ باو في الصندوق الخلفي للجرار، وظلّ يسبّ مدير الوحدة طوال الطريق، وقد أدرك لأول مرة أن استخدام قبضة يده قد يكون عديم الفائدة، كما اكتشف أيضًا أن اقتراض المال يمكنه حل المشكلات حقًا.

ومع ذلك، فمنذ ذلك الحين بدأ شي قن في اتّباع لي دونغ باو بكل قلبه، وشعر أنه رجل يلتزم بكلمته حقًا.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يحصل فيها لي دونغ باو على قوّته من خلال وظيفته، حيث استطاع الحصول على تذكرة شراء دراجة. فقد اعتبر أنه بالطبع لديه سبب أكبر من الآخرين يمكّنه من الحصول على تذكرة شراء الدراجة، لأنه لا يستطيع الانتظار للحصول على الدراجة وتوفير المزيد من الوقت لزيارة سونغ يون بينغ. كان لي دونغ باو محظوظًا جدًا، إذ إنه قد حصل على تذكرة تمكّنه من شراء دراجة هوائية للرجال بمقاس 28 بوصة ماركة فونيكس، فأسرع من فوره بإحضار المال الذي كان قد كسبه لتوّه، واقترض القليل من الآخرين، وذهب إلى تعاونية التوريد واشترى دراجة هوائية ذات رسوم ملوّنة على الإطار الأسود من ماركة فونيكس. كانت والدته حزينة للغاية، إذ إنه ما إن كسب المال، حتى ذهب للاقتراض، وظلّت متذمّرة لعدة أيام، ولكنها عجزت عن الكلام بمجرد أن حصل على الراتب الجديد.

عندما حصل لي دونغ باو على دراجته الجديدة، ذهب بالطبع على الفور للقاء سونغ يون بينغ. كان إطار الدراجة المنفوخ يهرول على الطريق المحروث، لدرجة أن شعر لي دونغ باو القصير الذي يبلغ طوله بوصة واحدة كان يرتعش في الهواء، بينما أخذت الدراجة تُصدر صوت قعقعة عند مرورها فوق الحصى، وكان يشعر بأنه مرتفع عن الأرض كمن يركب حصانًا عاليًا، وبينما الدراجة تطير على الطريق، كان ينظر إلى المارة الذين بدوا كجبال صغيرة.

لم يتوقّع لي دونغ باو أن سونغ يون بينغ قد اشترت دراجة أيضًا، ولكنها دراجة قديمة، بعجلات صدئة، بل وكانت أيضًا دراجة رجال بمقاس 26 بوصة. فبعد شتاء واحد، أصبح فراء

الأرانب سميكًا وكثيفًا، فقامت بنفسها بفرز الأرانب، وباعت مُعظم الفراء بسعر جيد من الدرجة الأولى، ثم أخذت المال لتشتري الدراجة القديمة، وسجّلت اسمها في الجامعة المفتوحة استعدادًا لاختبار القبول. والآن، وقفت سونغ يون بينغ أمام بوابة حظيرة الأرانب وأخذت تنظر، فوجدت أن مُعظم الأرانب في الأقفاص قد أصبحت تُشبه كرات اللحم الوردية التي جُزَّ فراؤها للتو، بالإضافة إلى أرنبين فقط كانا ذوي آذان بيضاء كالثلج.

لم يكُن أمام الوالدين سوى الإذعان لمجيء لي دونغ باو، إذ إنهما كانا يعلمان ما يجول بذهن ابنتهما. ولكن سونغ يون بينغ كانت تولي اهتمامًا كبيرًا للياقة، ففي كل مرة يأتي لي دونغ باو، وحتى ولو كان والداها موجودين، كانت تتعمّد فتح الباب على مصراعيه وتتصرف بشكل علني. بعد لقائهما، أخبرها لي دونغ باو عن آخر إنجازاته، وكانت تستمع إليه في معظم الوقت، وكأنها تستمع لمن يقرأ كتابًا في الراديو، فدائمًا ما تكون هناك تطورات وأحداث جديدة في كل أسبوع، وكانت تتساءل كيف يمكن لشخص أن يعيش مثل هذه الحياة المفعمة بالحيوية. أحيانًا ما كانت سونغ يون بينغ أيضًا تتناقش معه حول أمورها، مثل ما ستدرسه في الجامعة المفتوحة، والآداب، والسياسة والاقتصاد، أو المحاسبة. فكان لي دونغ باو يجيبها مضطرًا بأن تدرس المحاسبة، إذ إن المحاسب ذا الأربع عيون يقوم بالحسابات حاليًا، وإذا زادت الحسابات عن ذلك فلن يستطيع إنجازها، ومن الأفضل أن تقوم هي بالحسابات بعد انتهائها من الدراسة في الجامعة. لم تكن هذه

الكلمات ذات دافع جيد لسونغ يون بينغ، لكنها بعدما اجتازت الحد الأدنى للاختبار، سجّلت اسمها بالفعل في قسم المحاسبة.

حتى ولو لم تكُن سونغ يون بينغ تقُول شيئًا حول لقاءاتها مع لي دونغ باو، كان سونغ يون هوي يسأل بنفسه في الخطابات، كما أن والديه كانا كاتبين ماهرين، فكانا يبلغانه بآخر الأخبار، ولم يكُن أمامها خيار سوى أن تُخبره بالحقيقة، وعادة ما كانت تُخبره بتطوُّر لي دونغ باو وهي تشعر بالفخر الشديد.

لم تكُن سونغ يون بينغ تتوقّع أن تحصُل على ردّ جيد من أخيها، إذ قال في خطابه إنه قد سمع عن تطبيق بعض المصانع حاليًا لنظام تقييم سعر القطعة للأفراد والمجموعات بشكل تجريبي، وإن مصنع طوب الرفيق لي كان أول من طبّق نظام التقييم على أساس القطعة الواحدة، ولذلك فقد حقق عائدًا اقتصاديًا جيدًا، واستطاع الاصطدام بالطريق الصحيح حقًا، يبدو أنه قد اكتشف طريقه في النهاية. عندما قرأت سونغ يون بينغ الخطاب، شعرت بأن كلمة «الاصطدام» مزعجة حقًا، ولكن بعد التفكير مرة أخرى في الأمر، أدركت أن لي دونغ باو لا يتمتّع بذلك الأساس النظري الذي يتمتّع به أخوها، ولا يتمتّع بأي بُعد نظر، لذلك فكلمة «الاصطدام» هنا مناسبة إلى حد ما. ولكنها رأت أيضًا أن «الاصطدام» بالطريق الصحيح يعتمد على توافر بعض الأشخاص الذين يتمتّعون بالجرأة والحذر والعمل الجاد. أخبرت سونغ يون بينغ لي دونغ باو بمحتوى هذا الخطاب في وقت لاحق، وحينها أدرك لي دونغ باو ما يفعله، فهو يوصف بعبارة واحدة بسيطة، وهي «الحساب على أساس القطعة»، وشعر أن سونغ يون هوي ماهر

للغاية، بالإضافة إلى أن من يحب أحدًا يحب كل ما يخصه، لذا فقد أُعجب بسونغ يون هوي بكل قلبه.

عندما رأت سونغ يون بينغ المجاملات بين لي دونغ باو وسونغ يون هوي، شعرت بسعادة تفوق مدح الآخرين لها. ولكنها لم تتوقّع بعد عدة خطابات أن يُرسل أخوها خطابًا في شهر إبريل يقول فيه أن إحدى صديقاته الصغيرات ستدرس في الولايات المتحدة، وأنه مُحبط للغاية، أولاً لأنه لا يتمتّع بمثل هذه الفرصة الرائعة في الوقت الحالي، وثانيًا لأنه يعتبر صديقته تلك كأخت صغرى له. ولأنه سمع أن طوابع الخطابات المرسلة إلى الولايات المتحدة باهظة الثمن، فلن يكُن أمامه خيارٌ سوى التخلّي تمامًا عن فكرة التواصل مع تلك الصديقة الصغيرة. واعتقدت سونغ يون بينغ أن أخاها قد يكون في حالة مزاجية سيئة مؤخرًا، إذ إنه انتقد لي دونغ باو في هذا الخطاب.

كما قال سونغ يون هوي في خطابه، إن الإصلاح يعتمد أولاً على السياسات، وثانيًا على العلم، وثالثًا على الفرد. لقد اعتمد مصنع طوب شياوليجيا على السياسات، وعلى أهالي شياوليجيا، وسار الأمر على نحو جيد، ولكن محتواه التقني ليس كافيًا. فنظرًا لأن سعر الطوب والبلاط في مصنع المحافظة يتم تحديده من قِبَل الدولة، يمكنهم القيام بخطوة تقليل السعر بفِنَّيْن، ولكن ماذا لو قامت فرق أخرى بإنشاء مصانع طوب؟ كما أن مصنع الطوب يعمل على حشد جزء صغير من أهالي فرقة شياوليجيا، والرفيق لي باعتباره نائب أمين الفرقة يتولّى مسؤولية إيجاد طريقة أخرى لقيادة عدد أكبر من الأهالي للسير في الطريق نحو الثراء، بدلاً من

الانحباس في مصنع الطوب وتكريس وقته بالكامل في العمل البسيط والمتكرر وحساب الراتب على هذا الأساس، بدلاً من التفكير في تحقيق الثراء لفرقة بأكملها. هذه خسارة للكثير في سبيل الحرص على القليل، كمن يسعى للثراء بجمع البذر وإلقاء البطيخ.

قرأت سونغ يون بينغ خطاب أخيها اللاذع، فغضبت بشدة لدرجة أنها كادت تصفع مؤخرة الأرنب الصغير بلوح من الخيزران؛ فأرسلت خطاب ردٍّ لأخيها تسأله، قرية فقيرة معدمة تقوم ببناء مصنع طوب، كيف تطالبها بمعايير عالية وأي علم ستطبّقه؟ فحتى مصنع الطوب والبلاط بالمحافظة لا يمكنه القيام بذلك. وبالمنطق ذاته، إذا طُلب من طالب جامعي فارغ اليدين أن يحشد أعضاء الفرقة خلال مدة قصيرة كإجازة عيد الربيع، ويُصلح فرن الطوب المهجور ويبدأ بالإنتاج في أسرع وقت ممكن، أيمكنك القيام بذلك؟ ثم أنهت نقدها في الخطاب بعبارة: «المثقّفون متبجّحون».

بعد إرسال الخطاب، شعرت سونغ يون بينغ ببعض الندم، ورأت أن كلامها ثقيل بعض الشيء. كانت الخطابات في الماضي تذهب وتجيء بمعدّل خطاب لكل أسبوع، وبمعدّل خطابين في الشهر عادة، ولكن بعد إرسال هذا الخطاب، لم يصل خطاب الردّ إلا بعد ثلاثة أسابيع. وفي خطاب الردّ، أشار سونغ يون هوي دون أي أدب قائلاً، إن أخته تقول شيئًا وتفعل شيئًا آخرَ، فقد طلبت في الخطاب من أخيها مساعدة الرفيق لي في التخطيط، وفي الوقت نفسه تريد سماع الكلام الجيد وترفض الكلام السيئ، ولا تعرف رأسها من قدميها. ومن الواضح أنها تفتقر إلى الثقة بالنفس في

علاقتها بالرفيق لي، لذا فقد استشاطت غضبًا عند التلميح بوجود خطأ ما بشأن الرفيق لي، وهذا خطأ في التفكير. كما اقترح سونغ يون هوي أن تُخبر أخته الرفيق لي بمحتوى الخطاب السابق، وعلى الرغم من أن الرفيق لي قاسٍ إلى حد ما، فإنه بالتأكيد يتحلّى بعقل رجل، وعليه التمييز بين الجيد والرديء. وإذا غضب الرفيق لي، فإن هذا الرجل يكون قاسيًا من الخارج، وضيّق الأُفق من الداخل، ولا ينبغي توثيق صداقتنا معه.

قرأ الوالدان هذا الخطاب أيضًا، فشعرا أن الابن الأصغر بالتأكيد هدفه مصلحة أخته، فلماذا كل هذا الجدل؟ اضطرت سونغ يون بينغ لفحص أفكارها أيضًا لتتأكد مما إذا كانت تعاني من خطأ في التفكير، فهي بالفعل تولي أهمية كبيرة لمدح شقيقها للي دونغ باو، ولكنها في الوقت نفسه تقلق بشدة بشأن موقف شقيقها تجاه لي دونغ باو، أليس هذا حقًا افتقارًا للثقة بالنفس؟ ولكنها تفخر كثيرًا بلي دونغ باو بشكل واضح، وتُحب كثيرًا مجيئه لرؤيتها. كيف يجري هذا؟ لم تُرسل سونغ يون بينغ لأخيها خطاب ردّ مؤقتًا، وانتظرت حتى يأتي لي دونغ باو لرؤيتها بعد عدة أيام لتُخبره بلهجتها اللبقة عن محتوى خطاب أخيها السابق، ولم تقُل إن هذا ما قاله سونغ يون هوي، وإنما قالت إن هذا ما تعتقده هي، لأنها كانت تعلم أن لي دونغ باو سيطيعها بالتأكيد.

بعد سماع لي دونغ باو لما قالته، استند بذراعيه إلى الطاولة، ورفع كتفيه وأرجع رقبته للخلف وحدّق في سونغ يون بينغ بعينين مستديرتين كالبومة، وأخذ يفكّر طويلاً. رأت سونغ يون بينغ أنه لم يغضب، فلم تستطع منع نفسها من الضحك عندما رأته وقد بدا

كالبومة، وركلته من تحت الطاولة وقالت ضاحكة: «فيمَ تفكّر، عيناك تتجوّلان. أنزل يديك عن الطاولة، منظرك قبيح حقًا».

زفر لي دونغ باو نفسًا طويلاً، وقال: «أنتِ على حق، كيف توصّلتِ إلى هذا؟»، فتنفّست سونغ يون بينغ الصعداء، وتساءلت بداخلها عمّا إذا كان الأمر سيسير كما كتب أخوها في خطابه، هل يمكن للي دونغ باو الاعتراف بعيوبه بسبب ما يتحلّى به من عقل رجولي؟ ولكنها كانت ضيّقة الأُفق وأخطأت في حساباتها. فضحكت وسألته: «كيف تعتقد أنّي توصّلت إلى هذا؟».

ابتسم لي دونغ باو قائلاً: «سأعرف إذا سمحتِ لي برؤيتك كل يوم. تزوجيني بسرعة، كما ترين، فمنزلي قريب من المحافظة، ويمكنك توفير الكثير من المشي أثناء دراستك في الجامعة المفتوحة. لقد اشتريت الأسمنت قبل بضعة أيام لبناء حظيرة للأرانب، وصببت بعض الأرضيات الأسمنتية لعدة غرف، وبعد يومين سأشتري بعض الجير لبناء الجدران وإغلاق الغرف، وستبدو كالجديدة تمامًا. لا يمكنني حاليًا شراء تلفاز أو جهاز تسجيل، ولكنّي سأكتب لكِ خطاب ضمان بأني سأشتري ماكينة خياطة وراديو وجهاز تسجيل وتلفاز العام القادم، ومجموعة أخرى من الأثاث المنزلي. فلتصدّقي أنّي سأقوم بالأمر، وسأقضي حياتي كلها في ضمان غذاء ومعيشة لائقين بك».

ما إن سمعت سونغ يون بينغ هذا حتى شعرت وكأن الفراشات ترفرف في معدتها، ولم تجرؤ على النظر إليه، فاحمرّت وجنتاها وأخذ قلبها ينبض بعنف وقالت: «ما هذا الهراء، إنني اتحدّث معك

عن أمر خطير. لم أتوصّل بنفسي إلى ذلك الأمر، وإنما أخي هو من أخبرني في خطابه أن أقوله لك. وقد قال إنك ناضج أكثر مني، ويمكنك تقبُّل النقد».

«هوي الصغير؟» ضحك لي دونغ باو قائلاً: «لقد توصّل هوي الصغير إلى أفكار نيابة عنّي، انظري، إذا أسرعنا بدمج العائلتين في عائلة واحدة، فسأوفّر عليكِ عناء عدم السماح لي بحمل الماء نيابة عنك في كل مرة».

«أنت تتعب كل يوم في مصنع الطوب، حتى إنك نحفت واسمرّت بشرتك خلال ستة أشهر فقط، فكيف يمكنني السماح لك بالتعب في منزلي».

«إذًا سأحضر غدًا جوالين من الأسمنت لصبّ أرضية الفناء الخلفي به حتى لا تسيري على الطين في الأيام الممطرة».

«لا، لقد زرعنا في الفناء الخلفي هذا العام لتوّنا البرتقال والكاكي والتفاح والتين، وأيضًا شجرة العبقة، ولحسن الحظ أنّي استخدم روث الأرانب في تخصيب التربة، ولو صببت الأسمنت عليها سينتهي الأمر. من الأفضل أن تشتري بعض الأشياء الجيدة لوالدتك بالمال الذي ربحته لتوّك، فقد عملت بجدّ طوال حياتها. مهلاً، لقد استعدّيت لبيع فراء الأرانب وشراء ماكينة خياطة بثمنه في الشهر المقبل، ويمكنك الاستعانة بي لصنع ملابسك فيما بعد».

«حسنًا، لديّ بعض جوالات الأسمدة اليابانية، يُقال إنها الأفضل لصناعة السراويل».

«نعم، لقد رأيتهم، فقد كانوا يفككون جوالات الأسمدة ويصنعون منها السراويل، ومكتوب عليها من الأمام صُنع في

اليابان، ومن الخلف يوريا، مضحك للغاية. إذًا لتحضرها لي، وأنا سأفكر في طريقة لإزالة هذه الكلمات». فابتسم لي دونغ باو بوجه متيّم وقال: «لا داعي لإحضارها أو إرسالها، فلتأتي أنتِ إلى منزلي».

كان وجهه متيّمًا، ومع ذلك فلم يفقد شراسة النمر التي تعلو وجهه أيضًا، ولكن سونغ يون بينغ كانت قد اعتادت على الأمر بالفعل، فقالت له: «أنت، إنني اتحدّث معك في موضوع جدّي، فلماذا تستمر في مقاطعتي؟!».

نظر لي دونغ باو إلى وجه سونغ يون بينغ نصف المبتسم، وأراد حقًا الضغط عليه بيده، ولكنه مؤخرًا عندما حاول فعل شيء ما طاردته سونغ يون بينغ بالمكنسة، وظلّت فترة طويلة منقطعة عن رؤيته، لذلك كان حذرًا، ولكن من يمكنه السيطرة على نفسه أمام هذه الفتاة التي تُشبه الحوريات، لذا اضطر لي دونغ باو لشبك يديه خلف ظهرن واتّخذ قراره، وقفز من على المقعد وركض إلى الغرفة المجاورة، وصاح بصوت عالٍ مناديًا على والديها: «أبي، أمي، زوّجاني سونغ يون بينغ. سأكون جيّدًا معها، ومعكما، ومع هوي الصغير».

صُدمت عائلة سونغ، ووقعت في صمت رهيب. أدار لي دونغ باو وجهه ونظر إلى سونغ يون بينغ، فرآها تعضّ على شفتيها وتنظر إليه متعجّبة، فأكمل قائلاً: «فلتوافقوا، إنها مسألة وقت وستحدث إن آجلاً أو عاجلاً، لنجتمع معًا في أسرع وقت. لا يمكنني إحضار مهر كبير مؤقتًا، ولكنني أعدكم أن يتضاعف بعد سنة».

«من تحدّث معك عن المهر». أوقفته سونغ يون بينغ، «فلترجع سريعًا إلى منزلك، لقد تأخر الوقت، ولتأتي مرة أخرى بعد غد».

«ما زال الوقت مبكّرًا، والقمر لم يظهر بعد، سيكون الظلام شديدًا في الطريق الجبلي. انسِ أمر بعد غد، فقط وافقي. لنذهب للتوثيق بعد عيد الطفولة في الأول من يونيو، ما رأيك؟ سأعدّ إلى ثلاثة، إذا وقفتِ توافقين، وإذا جلستِ لا توافقي».

كان الوالدان قد خرجا مسرعين من الغرفة لينظرا، ولكنهما رأيا لي دونغ باو ممسكًا بابنتهما بلا خجل ليمنعها من الجلوس، مرددًا بصوت عالي «واحد... اثنان... ثلاثة»، وعند الوصول إلى ثلاثة، لم تستطع ابنتهما الجلوس بالطبع، فهل تكون قد وافقت هكذا؟ لا داعي لأن يقولا شيئًا، فقد أسرعت ابنتهما بقول: «لا يُحتسب، لا يُحتسب»، ولكن لي دونغ باو ضحك قائلاً: «يُحتسب، يُحتسب، سأحضر أمي غدًا، وسأحضر خطاب الضمان أيضًا، انتظروني، هاها. أبي، أمي، يمكنني المغادرة الآن، لتناما مبكّرًا، وانتظراني غدًا». وما إن أنهى كلامه حتى انطلق كالزوبعة، تاركًا خلفه أفراد عائلة سونغ الثلاثة ناظرين إلى بعضهم البعض، مذهولين لا يعرفون أيضحكون أم يبكون، شاعرين بأنها مزحة أطفال. سأل الوالدان ابنتهما إذا ما وافقت أم لا، وقالا إنها إذا وافقت سيوافقان هما أيضًا، ولكن يُعتبر هكذا أنهما لم يطلبا مهرًا، ومع ذلك عليهما أن يحكما ابنتهما، وأن يسير الزواج وفقًا للقواعد، وبالتأكيد يتعيّن على لي دونغ باو أن يُحضر خاطبة تحظى باحترام كبير للوساطة في الزواج. كانت سونغ يون بينغ قد وافقت منذ وقت طويل،

ولكن كيف يمكنها أن تقول ذلك، فلمّا رأت والدتها وقد قال هذا، أومأت رأسها بقوة، وهكذا تم الأمر.

على الرغم من أن لي دونغ باو قد نجح في الأمر بتهوُّره، فقد هدأ نفسيًا عند موافقة سونغ يون بينغ، وأخذ يتغنّى طوال الطريق بأغنية جيش المتطوعين الصيني «شجعان، ذوو روح عالية، نجتاز نهر يالو...» وعاد إلى المنزل ممتطيًا رياح الليل الباردة. ولكنه تذكّر شيئًا ما، خطاب الضمان، على الرغم من سهولة الأمر، وأنها بضع كلمات فقط، فإن المشكلة تكمُن في أن أفراد عائلة بينغ بينغ جميعهم متعلّمون، ومن المُحرج حقًا أن يستخدم خطاب ضمان يكتبه بنفسه للخروج من الأمر. وبعد إجراء بعض الحسابات، لم يكُن في عجلة من أمره للعودة إلى المنزل والنوم، فتسلّق الجدار الترابي لمنزل لي شي قن عند مدخل القرية، وتحت ضوء القمر، طرق بابه للدخول إلى منزله.

ما إن فتح شي قن الباب حتى اندهش حينما رآه، ومدّ يد ليسحبه إلى الداخل، فسحب لي دونغ باو بشدة حتى ترنّح وبيده الأخرى غطّى فمه، ثم مدّ رأسه وأذنه ليراقب من في الخارج قبل أن يُغلق الباب، سحب لي دونغ باو المتفاجئ وأدخله إلى غرفته، وقال بهدوء: «حدث أمر ما، لقد أتى أعضاء مجموعة عمل الكومونة أثناء تناول العشاء، وذهبوا إلى منزلك أولاً، فلم يجدوا أحدًا، ثم ذهبوا إلى منزل عمك، وتشاجروا معه طويلاً، وتحدّثوا عن تعاقد الأراضي ومصنع الطوب، وقالوا إن تعاقدنا هو تقسيم للأراضي الجماعية بدون ترخيص، وأن مصنع الطوب هو اغتصاب شرذمة للأصول الجماعية لتحقيق مكاسب شخصية، وهو حفر في جدران

الاشتراكية. ولمّا فشلوا في الوصول إليك بعد وقت طويل، أخذوا عمّك معهم إلى الكومونة».

فجأة تحوّل وجه لي دونغ باو إلى اللون الأسود. فالآخرون لا يعرفون، إنه ليس غبيًا، وتذكّر على الفور تلك الليلة التي سهر فيها لحراسة الفرن في بداية العام الجديد، عندما قال عمه إنه جيد في إنجاز المهام ولكنه لا يتصرّف بطريقة لائقة، وهناك من أبلغ الكومونة لهذا السبب بالتأكيد، فقد أتت مجموعة عمل الكومونة إلى القرية بحثًا عنه في المقام الأول، ولكن عمّه تحمّل اللوم نيابة عنه.

رأى شي قن لي دونغ باو صامتًا، فأخذ يقدّم النصائح والاقتراحات: «دونغ باو، أين يمكنك الذهاب لتتوارى عن الأضواء، من المؤكّد أنهم سيأتون غدًا ليبحثوا عنك مرة أخرى. الأمين الكبير معروف في الكومونة، وسيطلقون سراحه بالتأكيد بعد بضعة أيام. ولكن أنت فلا، لقد كنت في الجيش لعدة سنوات، ولا يعرفك أحد». هزّ لي دونغ باو رأسه بالرفض، فكيف يمكنه أن يكون جنديًا هاربًا: «أتت مجموعة عمل الكومونة، ولكن من الذي قادها إلى هنا؟».

«ومن يمكن أن يكون غيره، لكن القرد العجوز لم يظهر بشكل واضح، فقط غمز بعينه مشيرًا إلى طريق منزلك وفرّ بعيدًا، هذا ما رآه ذو الأربع عيون. وقد أرشدتهم والدتك إلى منزل الأمين الكبير، ولكنها بخير».

شحب وجه لي دونغ باو، وشدّ على قبضته حتى أحدثت صوت «قرقرة»، ففي إبريل كان الأمين الكبير قلقًا بهذا الشأن،

وقال إن القرد العجوز له علاقة جيدة ببعض السلطات العليا، ومنذ إتمام أمر التعاقد على الأراضي في بداية العام حتى الآن لم يُصدر القرد العجوز أي صوت، كان الأمر غريبًا حقًا، لكنه أتمّ كل شيء اليوم في نهاية الأمر. كان الأمين الكبير حذرًا من جمع القرد العجوز لعصابة النشطاء السابقين لتدمير فرن الطوب واتّخاذهم لطريق التخريب والسلب والنهب الذي اعتادوا عليه، لذلك لطالما أبقى حراسًا على الفرن، ولكنه لم يتوقّع أن يتّبع القرد العجوز نهج السلطات العليا هذه المرة. كان لي دونغ باو في حيرة من أمره، فقد كان لديه الكثير من الطرق للتعامل مع التخريب والسلب والنهب، والتعامل مع الأمر بحكمة ومرونة، لكن بالنسبة لمجموعة العمل القادمة من الكومونة... فهو في النهاية جندي مسرّح، ولا سُلطويًا أيضًا، وعليه التفكير جيدًا في كيفية التعامل مع الأمر. لم يتعامل لي دونغ باو من قبل مع مثل هذه المعركة الكبيرة، وظلّ قليلاً متحيّرًا بشأن كيفية ترتيبها، ولكنه يعرف أيضًا أنه لا يمكنه الإفصاح عن هذا، حتى لا يهزّ معنويات الجيش.

رأى شي قن لي دونغ باو عابسًا في صمته، فأضاف قائلاً: «أمرت مجموعة العمل بإيقاف الإنتاج في فرن الطوب على الفور».

«فرن الطوب؟» تذكّر لي دونغ باو الطوب الذي لم يكن قد نضج في الفرن وقت ذهابه إلى منزل عائلة سونغ بعد العمل، «هل أطفأتم نيران الفرن؟ ألا يجب إخراج كل الطوب الموجود في الفرن؟».

أومأ شي قن برأسه وقال: «لا يتشاجر الناس مع المسؤولين، لتذهب للاختباء، ثم تعود بعد انتهاء هذه الزوبعة. إنهم يبحثون

عنك أنت، ولو أمسكتك الكومونة، فمن سيجرؤ على فتح فرن الطوب فيما بعد».

«أنا أختبئ؟ وتُصبح فرقة شياوليجيا تحت حكم القرد العجوز بعد عودتي. في بداية العام الماضي عُزل القرد العجوز من منزله، لمن كان هذا القرار من مسؤولي الكومونة؟ لأذهب إليه».

كان شي قن يعرف بوضوح ما يجري داخل الفرقة، فأجاب: «كان قرار المحافظ الجديد الذي تولّى العام الماضي، سمعت أن بعد تولّيه لرئاسة المحافظة، أرسل عددًا من مجموعات العمل إلى الكومونات، وغيّر قيادات العديد من الفرق. دونغ باو، أنت لا تريد الذهاب إلى المحافظ، أليس كذلك؟ فالمحافظ لا يمكنك مقابلته وقتما شئت، كما أنهم يريدون بشدة الإمساك بك، ويقول المثل: المسؤولون متحابّون، فإذا أرادت الكومونة الإمساك بك، هل يمكن للمحافظة أن تمنعها؟ أستذهب إلى الفخ برجليك؟ أعتقد أنه من الأفضل لك أن تتوارى عن الأضواء، حتى تتكشف الأمور، ثم نأخذ الدواء الصحيح للمرض. لا يمكنك التهوُّر مطلقًا، وإلّا فستضحي بقوّتك هباءً».

لوّح لي دونغ باو بيده معترضًا على اقتراح لي شي قن: «أخي شي قن، لديك عقل جيد، ولكن القليل من الشجاعة. لا تظن أني غير مُوافِق على الاختباء، فحتى لو استطعت الاختباء، وظل كل شيء كما هو بعد عودتي، لا يمكنني المغادرة أيضًا. أولاً الدولة توافق على ما أقوم به، وقد أخبرني صهري الطالب الجامعي بهذا، ثانيًا لقد اقتربنا من شهر يونيو بالفعل، وسنأخذ كل الأموال التي

ربحناها من فرن الطوب من أجل الفرقة لشراء بذور الأرز المتأخر عالية الإنتاجية، وقد يؤثر تأخير هذا الأمر بالسلب على الشتلات. لا يمكنني المغادرة، مستحيل. لقد قدت الجميع في إنجاز مهمة التعاقد ومهمة فرن الطوب، أأختبئ بمجرد حدوث مشكلة صغيرة؟! هل سأكون رجلاً بهذا؟ سأذهب غدًا لمقابلة المحافظ، ولو أرادوا الإمساك بي فليمسكني المحافظ، وسأتناقش معه في السياسات قبل الإمساك بي».

قال شي قن مضطربًا: «دونغ باو، دعني أخبرك، ليس من السهل مقابلة المحافظ، قد يتّصل أحد أفراد الأمن الصغار بالكومونة عند انتظارك في مقر المحافظة. عليك أن تدّخر قوّتك، لا تنظر تحت قدميك فقط، فموسم زراعة الأرز ليس جيدًا، ويمكننا المحاولة العام القادم. ما دُمتَ بخير، ولم تأخذك الكومونة، فلن يجرؤ القرد العجوز على الجلوس في مقعدك مهما حصل».

«إنه يهرب خوفًا بمجرد رؤيتي، ولا داعي لإيذائه؛ فهو لن يجرؤ على التمرُّد مرة أخرى على أي حال. أخي شي قن، لا داعي لأن تنصحني، فأنا سأفكّر في حل». وأثناء تحدُّثه استلقى بملابسه على سرير شي قن، فالجو حار على أية حال ولا حاجة إلى لحاف.

لمّا رأى شي قن هذا اضطر لأن يطبق فمه، فربما يكون قد استخفّ بلي دونغ باو في فترة عيد الربيع، ولم يفهم كيفية تمييز الأولويات، ولكنه بعد ذلك رأى ما يتمتّع به من شجاعة ونشاط جمٍّ يفتقر هو إليهما، وكثير من القوى الثابتة التقليدية رآها وقد تحوّلت إلى نمور من ورق يسهل اختراقها أمام هذه الشجاعة المتهوّرة التي

يمتلكها لي دونغ باو. واعتقد أن لي دونغ باو ربما يأتي بالفكرة الأفضل بعد تفكيره مليًا. كان شي قن حذرًا، فبعدما أخرج رأسه من النافذة عدة مرات ليراقب الوضع في الخارج، ورأى الأمور قد استقرت، اطمأن أخيرًا وعاد إلى غرفته استعدادًا للمناقشة مرة أخرى مع لي دونغ باو.

ولكنه لم يتوقّع أنه عند عودته إلى السرير، سيسمع صوت شخير لي دونغ باو قادمًا في الظلام. انزعج شي قن قليلاً، فكيف يكون الأمر هكذا؟ أيقلق هو بشأن لي دونغ باو، بينما يسقط لي دونغ باو نائمًا وكأن شيئًا لم يكُن، هل لدى دونغ باو أي خطط جيدة من الأساس؟ وأخيرًا لم يكُن أمام شي قن خيار سوى النوم بلا حول ولا قوة. ولكن لي دونغ باو كان قد احتل نصف سريره بالفعل، فاضطر لإحضار مقعد ومدّ قدميه عليه ونام بوضعية غير مريحة على الإطلاق.

كان شي قن نعسانًا للغاية، ولكنه استيقظ على هزّة قوية، وبجانبه صوت متوتّر يناديه: «أخي شي قن، شي قن، كيف تنام؟ كيف تنام بعد مثل هذا الحدث المهم؟ انهض، لدينا عمل».

وتمامًا كلص يصرخ للقبض على لص، التفت شي قن إليه ونهض، وسأله بعينين مشوّشتين: «أتحلم أم استيقظت من النوم؟ لقد نمت بعدما سمعت صوت شخيرك».

«أنا نمت؟ لا يمكن، فأنا أفكّر في الأمر».

فتذمّر شي قن بداخله، أهذا يُسمّى تفكيرًا. ولكن لي دونغ باو كان قد أمسكه من رقبته بالفعل حتى يقنعه بالأمر، لكن شي قن لم

يصدّقه إطلاقًا: «أليس هذا طفوليًا بعض الشيء؟ أسيقابلك القائد؟ ألن يوبّخنا بعد لقائنا به لعدم جديّتنا؟»، فضيّق لي دونغ باو عينيه متشككًا، ثم ضحك بمكر: «قد يفعل، فقائدنا في الجيش فيما مضى كان يحب هذه المزحات». قال هذا بلهجة مليئة بالشك.

كان شي قن متشككًا أيضًا، ولكنه خرج من فوره كالقط الذكي ليفعل شيئًا ما. في حين أن لي دونغ باو لم يكُن مستعدًا للخروج، فاحتل نصيب شي قن من السرير أيضًا وغطَّ في نوم عميق، وبحلول فجر اليوم التالي طار بدراجته إلى فرقة الحرس الأحمر ليُطلِع سونغ يون بينغ على تغيُّرات الأوضاع، وأن عليه الذهاب إلى المحافظة للقيام بأمر ما، وسيؤجل مجيئه برفقة والدته لمقابلتهم لبعض الوقت.

كانت سونغ يون بينغ قد أخفضت جفنيها ورفضت قول شيء عندما رأته آتيًا بمفرده، ولكن بمجرد سماعها لما قاله، أدركت وجود خطأ ما، فقد فهمت شخصيته تقريبًا، إذ إنه لطالما تطلّع إلى هذا اليوم، فكيف يمكنه التخلّي عن الأمر بهذه السهولة إلا إذا وقع حدث كبير لعائلته أو لفرقة شياوليجيا. لاحقته بالأسئلة عمّا قد حدث، ولكنه تظاهر بعدم الاهتمام حتى لا يُقلقها، لكنه لم يكُن ليُقاوم هجومها اللطيف، وتحت استجوابها واستدراجها له، اضطر للاستسلام وأخبرها بالقصة كاملة وما سيقوم به في المحافظة.

اضطربت سونغ يون بينغ بشكل غير عادي، فعلى الرغم من معرفتها بأن ما يقوم به لي دونغ باو يتماشى مع سياسات الدولة، ولكن إذا غاب القط رقصت الفئران، والسياسات تتغير كل يوم،

ومن يدري كيف ستكون السياسات اليوم؟ طلبت سونغ يون بينغ من لي دونغ باو الانتظار حتى تُحضر دراجتها وتذهب برفقته لتدعمه، ولكنه رفض وأخبرها بأن قلبه يرقّ عندما تكون برفقته ولن يستطيع التصرُّف بشجاعة، كما طلب منها ألا تتبعه خلسة حتى لا يقلق بشأنها ويركّز انتباهه فيما سيقوم به.

لم يكُن أمام سونغ يون بينغ أي خيار سوى أن تتجاهل خجلها وتصرّ على سحب لي دونغ باو من يده ليجلس، ثم أحضرت إليه حوضًا من الماء ليغسل رأسه ووجهه، وطلبت منه أن يخلع قميصه الناعم الذي يرتديه منذ استحمامه أمس، ثم أسرعت بطَرق قرص الفحم في الموقد، ووضعت الفحم الملتهب في المكواة، ثم غسلت قميص لي دونغ باو وكَوَته، وثنت له أكمامه بأيديها، ولمّا رأته وقد أصبح مهندمًا، حينها فقط تركته يرحل.

ركب لي دونغ باو دراجته مرة أخرى وانطلق، وقد تلاشى آخر أثر متبقٍّ من قلق الليلة الماضية، وامتلأ قلبه بعزيمة وثقة الانتصار، مع كل هؤلاء الداعمين الذين يقفون خلفه، يون بينغ، ولي شي قن وأولئك الإخوة الذين أنهضوا مصنع الطوب بين ليلة وضحاها، والمحاسب ذو الأربع عيون وبقية كوادر الفرقة. وبقيادته، لن يكون هناك مجال أمام أمثال القرد العجوز للركض في أنحاء شياوليجيا.

انتظرت سونغ يون بينغ حتى يخرج لي دونغ باو على الطريق، ثم أغلقت موقد الفحم، وحشت ما يكفي من نُخالة القمح والعشب في حوض الأرانب، وتركت رسالة لوالديها على الطاولة، واستجمعت شجاعتها وتجاهلت خجلها، وركبت دراجتها متّجهة

إلى فرقة شياوليجيا، فقد أرادت أن تعرف أخبار لي دونغ باو من أول لحظة، وفرقة شياوليجيا قريبة من المحافظة، لذا فإن الأخبار ستصل بالتأكيد إلى شياوليجيا أولاً. بالإضافة إلى أن والدة لي دونغ باو ستكون أكثر من يقلق في هذه اللحظة، وتحتاج إلى من يقاسمها مخاوفها.

عندما وصل لي دونغ باو إلى ساحة مفتوحة نظر إلى الوراء، فاطمأن عندما لم يجد سونغ يون بينغ تتبعه. كان يقود الدراجة بسرعة كبيرة، فوصل إلى المحافظة بحلول الظهر، وعلم أنه ما زال هناك بعض الوقت قبل الموعد المحدد، فذهب إلى مطعم المحافظة الثالث لتناول وعاء من شعيرية يانغتشون، وبعدما تناولها شرب حساءها حتى ظهرت عبارة «مطعم المحافظة الثالث» المحفورة بالإبرة الفولاذية في قاع الصحن. انتهى من الطعام ومسح فمه، وما إن همّ بالنهوض ليغادر حتى تذكّر سونغ يون بينغ وهي ترتّب له ياقة قميصه، فأسرع بترتيب قميصه على عجل، وقوّم الحزام العريض الذي أحضره له الجيش، ثم انطلق مهندمًا إلى مقرّ المحافظة.

لم يمضِ وقتٍ طويل، تقريبًا مع تتابع قادة مقرّ المحافظة للعودة إلى العمل، حتى سمع لي دونغ باو صوتًا خافتًا لصنوج وطبول مبتهجة وسط الصخب والضجيج. فنظر لي دونغ باو مع أنظار المارة بعيدًا، ورأى لافتات حمراء تظهر واحدة تلو الأخرى من بعيد، فضيّق عينيه فرأى اللافتات تقترب رويدًا رويدًا، من بينها لافتة مكتوبٌ عليها «حياة سعيدة للمزارعين بفضل لجنة وحكومة المحافظة» وأسفلها توقيع «لجنة دعاية فرقة شياوليجيا»، فتساءل

لي دونغ باو بداخله عمّن فكّر في هذه الجملة، إنها تبدو جذّابة جدًا. ولمّا اقتربت اللافتة الثانية، رآها وقد كُتب عليها «المبادئ الأساسية الأربعة تُرشِد، والجلسة الكاملة الثالثة للجنة المركزية تتألّق»، أمّا اللافتة الثالثة فقد كُتب عليها «أعضاء فرقة شياوليجيا أثرياء بفضل الحزب الشيوعي الصيني». كانت الصنوج والطبول موضوعة على جرّار زراعي يقوده لي شي قن، وكان الجرار مصقولاً نظيفًا وعلى قمّته زهرة حمراء كبيرة من ورق الكريب، تمامًا كالعروس. لقد أتى جميع العاملين في مصنع الطوب بدراجاتهم سواء جديدة أو قديمة، وعلى رؤوسها أعلام ملوّنة، كانت هذه خدعة لي دونغ باو السرية لإظهار ثراء الفرقة، كما أثار الفريق أيضًا انتباه الناس، فقد تبعه جمع غفير ليروا ماذا هناك.

كان لي دونغ باو سعيدًا جدًا، حتى إنه كاد أن يحيي الجماهير، ولكنه سمع أحدًا ما خلفه يسأله: «أيها الرفيق، هل أنت أيضًا عضو في فرقة شياوليجيا؟».

أدار لي دونغ باو وجهه فوجد شابًا لطيفًا يدفع دراجة هوائية مثله، وعيونه تبدو مبتسمة، كان ودودًا جدًا، فأجابه لي دونغ باو بصدر رحب: «نعم، نحن كذلك». فسأله الشاب مبتسمًا: «لقد مرّ أكثر من العام بقليل على تغيير الكوادر القيادية للفرقة، فكيف استطعتم السير في طريق الثراء بمثل هذه السرعة؟».

شعر لي دونغ باو بأن ذلك الشاب ينظر بازدراء إلى رجلٍ مثله قلبه جريء، فأجابه بصوت عالٍ: «لا داعي لقول شيء آخر، فلتنظر إلى دراجتي الجديدة، إنها من ماركة فونيكس. انظر إلى الجرار

الذي قامت فرقتنا بشرائه مؤخرًا، إنه يُستخدم خصيصًا لجرّ طوب مصنع الفرقة».

ظلّ الشاب مبتسمًا وقال «جيد، جيد»، ثم دفع دراجته ذاهبًا إلى مقرّ المحافظة. لم يكُن لي دونغ باو يعلم من هذا الشاب، ولكن أكثر ما كان يتمنّاه هو أن يكون هذا الشاب سكرتير مدير مكتب المحافظ، حتى ينقل الإطّراء الصاخب الذي يقدّمه أهالي شياوليجيا إلى آذان القادة على الفور. ولكن لي دونغ باو لم يكُن لديه مزيد من الوقت ليفكّر، إذ كان عليه الالتقاء بشي قن.

وبعد الالتقاء، وقفا بجانب الطريق إلى مدخل المقر، مستمرين في إثارة صخب الطبول والصنوج. كان شي قن قلقًا، ولا يعرف كيف سيكون رد فعل مسؤولي المحافظة. بينما ظلّ لي دونغ باو يدعو الجميع لقرع الطبول بقوة، فحتى لو لم يخرج أحدٌ للقائهم، عليهم مواصلة إزعاج الجالسين في المكاتب، حتى يخرج أحدٌ من المقر ويتحدّث معهم.

وكما هو متوقّع، فبعد فترة وجيزة، جاء رجل في منتصف العمر مبتسمًا ابتسامة جادة، وقدّم نفسه قائلاً إنه تشن بينغ يوان مدير مكتب حكومة المحافظة، وطلب من قادة فريق قرع الصنوج والطبول الدخول للتحدُّث، كما طلب من قارعي الطبول والصنوج الاستراحة قليلاً، والجلوس على جانب الطريق. فغمز لي دونغ باو ليدعو قائد الفريق، ودخلا مع المسؤول، وتوقّفت الصنوج والطبول بشكل مؤقت. هنا فقط تنفّس شي قن الصعداء، شاعرًا بأن الإطّراء قد أتى بثماره، وأن لي دونغ باو واسع المعرفة لخدمته

السابقة في الجيش، لقد كان على حق فعلاً، ويبدو أنه كان يقلق هباءً.

أدخل تشن بينغ يوان مدير المكتب لي دونغ باو إلى مكتب المحافظ، وما إن رأى لي دونغ باو المحافظ شيوي ناهضًا لاستقباله حتى شعر وكأن قلبه يغرق، أليس هذا هو ذاك الشاب الذي كان ينظر بازدراء إليه؟ فشعر لي دونغ باو بأن حيلته قد لا تنجح. لم يكُن قائد الفريق يعلم ماذا يحدث، ولكنه كان سعيدًا للغاية بتحقق آماله أخيرًا بلقاء المحافظ. وكانت تعبيرات وجهيهما واضحة في عينيّ المحافظ.

كان مكتب المحافظ بسيطًا للغاية، فبالإضافة إلى المكتب والكراسي وخزائن المستندات، كان هناك أيضًا سرير خشبي ضيق على أرضية الغرفة مغطّى بملاءة نظيفة مزخرفة بالمربّعات الزرقاء والبيضاء. دعا المحافظ شيوي الرفاق للجلوس، وقد جاء شخص ما بالفعل لإحضار الماء وصبّ الشاي. أحضر المحافظ كرسيًا بنفسه، وجلس أمام لي دونغ باو ومن معه، ثم قال محتفظًا بابتسامته: «ألم يأتِ الأمين الكبير لي معكما؟».

فأجاب قائد الفريق على الفور: «لقد كبِر الأمين الكبير لي في السن، وليس على ما يرام، بالتأكيد كان سيتعب لو أتى كل هذا الطريق معنا، فلنعتبره قد أتى».

ظلّ المحافظ شيوي محتفظًا بابتسامته وقال: «لقد سعدنا كثيرًا برؤيتكم تخطون على مسار الحياة الكريمة، فالفقر ليس من الاشتراكية، إذ إن مسار الاشتراكية الصحيح هو السماح للجماهير

بالعمل الجاد والإسراع نحو التحديثات الأربعة وعيش حياة كريمة في ظل قيادة الحزب. تمامًا مثل حياتكم الكريمة، فهي تعتمد أولاً على السياسات الناجحة للحزب، وثانيًا على جهودكم الدؤوبة التي تبذلونها بلا كلل، وبالعمل الجاد وبالوقوف على قلب رجل واحد وسعي أهالي فرقة شياوليجيا نحو القمة، استطعتم الحصول على الجرار الجديد والدراجات الجديدة التي لديكم اليوم. عليكما بالأكثر التقدُّم بالشكر لسياسات الحزب الناجحة ولأنفسكما. وأودّ أن أعرب عن امتناني لكُما بالنيابة عن لجنة وحكومة المحافظة باعتباركما كادرين قياديين على مستوى القاعدة الشعبية يعملان على الخط الأمامي لبناء التحديثات الأربعة».

همّ قائد الفريق ولي دونغ باو بالوقوف، ولكن المحافظ نهض ومنعهما. كان لي دونغ باو يفكّر أن المحافظ على مستوى قائد فوج داخل الجيش على أقل تقدير. كما أنه لا يتحدّث كثيرًا، وبالأكثر لا يمكنه التحدُّث بمثل هذا الكلام المستنير الذي تحدّث به المحافظ، فلم يسعه سوى الابتسام أمام مجاملة المحافظ لهما، ولكن قائد الفريق استطاع تدارك الموقف فقال «شكرًا على مجاملتكم، شكرًا على مجاملتكم».

لوّح المحافظ بيده ليمنع قائد الفريق من الشكر، وقال بابتسامة: «أرغب في التعرُّف على السياسات التي طبّقتها فرقة شياوليجيا، تلك التي استطاعت الخروج بنتائج في أقل من عام». قال هذا وهو ينهض ليغلق الباب، «لا تهتما بالوقت، فلتتحدثا بحرية».

وهنا فقط استطاع لي دونغ باو التحدُّث، فأمام ابتسامة وتشجيع المحافظ، استطاع التحدُّث بصدق وبلا مبالغة أو تقليل عن التعاقد

على الأراضي الذي نفّذوه قبل بداية العام الجديد، وعن فرن الطوب الذي نفّذوه بعد بداية العام. ولأنه كان قد قام بكل هذا بنفسه، فكان يحتفظ بجميع البيانات في حوزته، مثل متوسط مساحة الأرض التي يتعاقد عليها كل عضو في الكومونة، وكيفية التوزيع العادل للأراضي، وكيفية تشكيل أعضاء الكومونة للمجموعات بشكل طوعي، وأعلى وأدنى مستوى فعلي لمحصول القمح لكل مو في حصاد الربيع. ثم أخبره عن العمل في مصنع الطوب، ومقدار الناتج الشهري، ومعدل التالف منه، ومعدّل الأرباح، ومقدار ما يُسلّم للفرقة، ومقدار الربح الذي يُحتَفظ به في المصنع، وكيفية حساب العامل بالقطعة، وما إلى ذلك. وأثناء قوله لهذه البيانات، كان المحافظ يدوّن ما يقوله في دفتر ملاحظاته، كلاهما كان جادًا للغاية.

وبعدما انتهى لي دونغ باو من كلامه، أخذ المحافظ يحسب في دفتره، ثم سأله: «هل اقترضتم لشراء الجرار؟».

فأجاب لي دونغ باو: «نعم، أخذنا قرضًا من الاتّحاد الائتماني. وبعد عام سنسدده من أرباح المصنع، اعتقد أنها مدة كافية للسداد». كان لي دونغ باو دون قصد يجيب على أسئلة المحافظ بصوته الأجشّ الذي كان يتحدّث به أثناء خدمته في الجيش، فكان لصوته صدى عالي يرنّ في أرجاء المكتب الصغير.

نظر المحافظ مرة أخرى إلى دفتر ملاحظاته، ولم يسعه سوى التعجُّب، إذ أدرك أنه في الوقت الذي كانت الحكومة المركزية قد أطلقت فيه لتوّها نظام التعاقد الكامل في المصانع بشكل

تجريبي، كان مصنع طوب شياوليجيا يسبقها بخطوة ويطبّق نظام الحساب بالقطعة، كما أن تعاقد الأراضي لدى فرقتهم يُشبه بالأكثر نموذج التعاقد الذي طبّقته آنهوي، ولم يتوقّع أن سلوك المزارعين الاقتصادي العفوي سيدفعهم للسير في طليعة تنفيذ سياسات الدولة. لم يكُن المحافظ شيوي في الأصل موافقًا على قرع فريق شياوليجيا للطبول والصنوج، معتقدًا بأنهم يتملقونه، ولكنه تأثّر حقًا بعدما سمع تقرير لي دونغ باو، وأشاد بصدق: «جيد جدًا». ثم أمسك بزجاجة الماء الساخن وأعاد ملء كوبيهما، «أيها الرفيق لي، فلتحدّثني أكثر عن فكرة تعاقدكم ونظام الحساب بالقطعة في مصنع الطوب».

لاحظ لي دونغ باو أن المحافظ لم يستغلّ الفرصة وينتقد تعاقدهم أثناء حديثه معهم، فابتهج وأسرع بإجابته: «لقد سألت صهري قبل تنفيذ التعاقد أثناء قضائه الإجازة الشتوية، إنه طالب جامعي، ويعرف الكثير من الأمور، وقد حدّثني عن العديد من الطرق لتنفيذ التعاقد، لا أتذكّر أسماءها، ولكنّي أتذكّر طريقة التعاقد الأكثر عملية والأقل كسلاً. بالنسبة لمصنع الطوب، فكّرت في أنه ما دام يمكننا تنفيذ نظام التعاقد على الأراضي، إذن يمكننا أيضًا تنفيذ نظام التعاقد على تصنيع وحرق الطوب، وقد أتتني فكرة صارمة، بينما وضع لي شي قن الذي يقود الجرار الخطة التنفيذية المفصّلة، وبعدما نفّذناها، أخبرني صهري بأن هذا النظام يُدعى نظام العمل بسعر القطعة». ثم أخبر لي دونغ باو المحافظ شيوي بالتفصيل عن مبدأ العمل بالقطعة، ورأى أن المحافظ ينصت إليه باهتمام، فتحدّث بحرية واستفاضة.

مرّت ابتسامة المحافظ كنسيم لطيف على قلب لي دونغ باو، وقال المحافظ: «يبدو أن صهرك ضليع في السياسة أيها الرفيق لي، والرفيق لي شي قن أيضًا يعمل بطريقة منهجية، كما أن قادة فرقتكم ينفّذون سياسات فعّالة وقوية، وهناك أسباب واضحة لازدهار فرقتكم شياوليجيا. ولكن في الوقت الحاضر، على الرغم من أنه لم يمرّ سوى عام واحد على تشكيل فريق قادة فرقة شياوليجيا، وعلى الرغم من أنكم قد قمتم بكثير من الأعمال لتحسين حياة الجماهير، فإنني سأزيد عليكم الضغط قليلاً، وأريد أن أطلب منكم طلبًا أعلى، هل يمكنكم قبول هذا؟».

«تفضّل يا جناب المحافظ».

«حسنًا، بعد سماع تقريركم، رأيت أن هناك بعض الرفاق في فرقة شياوليجيا قد أصبحوا أثرياء أولاً بالفعل، ولكن هذا لا يكفي. بصفتكم قادة فرقة، عليكم التفكير أيضًا في كيفية إيجاد طريقة لتعزيز الرخاء المشترك لكافة أعضاء الفرقة، فهل لديكم مثل هذه الخطط في الوقت الحالي؟».

خفق قلب لي دونغ باو بشدة، وفكّر بداخله أن من حسن حظه أن سونغ يون هوي كان قد نبّهه لهذا من قبل، وأنه قد فكّر جيدًا في هذا الأمر خلال طريق عودته إلى المنزل يوم أمس، لذا فقد أصبحت لديه إجابة جاهزة الآن: «دعني أبلغك يا جناب المحافظ، نعم لدينا مثل هذه الخطط. فبعدما أصبحت الفرقة تملك المال، يمكنها الآن القيام ببعض الأمور للأعضاء. أول أمر نريد القيام به هو من تخطيط الخبير الزراعي لي تشيونغ فو، وهو شراء بذور

الأرز المتأخّر، على أن تقوم الفرقة بتربية شتلات الأرز بشكل موحّد، ثم توزيع الشتلات على جميع أعضاء الفرقة مجانًا خلال موسم الحصاد والزراعة في الصيف. ثاني أمر نريد القيام به هو السعي لتعزيز التربية المنزلية لحيوانات المزرعة، ولدينا ميل الآن إلى تربية الأرانب كثيفة الفراء بالفعل، وبعد كسب المزيد من المال من مصنع طوب الفرقة، ستقوم الفرقة بإدخال سلالات جيدة من الأرانب كثيفة الفراء وتسليمها إلى الأهالي من جميع الأعمار لتربيتها في منازلهم. لم نتوصّل إلى أفكار أخرى حاليًا، لذا نطلب من جناب المحافظ أن يقدّم لنا بعض النصائح».

عندما سمع المحافظ تقرير لي دونغ باو المتحمس بيد أنه تنقصه الموهبة الأدبية، شعر برغبة في الانفجار ضاحكًا، ولكنه تمالك نفسه، وسأله بابتسامة: «هل كنت جنديًا أيها الرفيق لي؟». اندهش لي دونغ باو، ولكنه ابتسم وهو يلمس حزامه الجلدي وأجابه: «نعم».

أخيرًا توقّف المحافظ عن الابتسام وضحك بسعادة قائلاً: «حسنًا، تحتاج القواعد الشعبية رفاقًا شبابًا وذوي معرفة وحيوية مثلك لقيادة الجماهير في الطريق نحو الرخاء. لقد أنجزتم أعمال المرحلة الأولى على نحو جيد، وتعتمدون في تخطيطكم للأعمال المستقبلية على مبدأ التكيُّف مع الظروف المحلية، أعتقد أنكم إذا عملتم بجد، فستتغيّر ملامح فرقة شياوليجيا تمامًا بحلول نهاية العام. أمّا بالنسبة للأفكار الأخرى، سأخبركم بجملة واحدة، عليكم التكيُّف وفقًا للظروف المحلية وظروف الناس، وعليكم بالتأكيد التقدُّم على نحو مطرد بالوقوف على ظروف الريف. حاليًا

لم أُجرِ أية تحقيقات بشأن فرقة شياوليجيا، وبدون تحقيق لا يكون لدي حق في الكلام، ولكنّي سأقوم قريبًا بتشكيل مجموعة من الفنّيين الزراعيين للتحقيق والبحث في أوضاع فرقة شياوليجيا، آملاً في تقديم المساعدة لتنمية الفرقة. ولكنّي لا أتفق مع سلوك قرع الطبول والصنوج والتغنّي بالمدائح من قِبلكم، فمسؤولو لجنة وحكومة المحافظة موظفون لخدمة الشعب، وليسوا كمسؤولي قصور الولاية في العصور القديمة، إذ إن أفضل ما يبتهجون به من مدح هو رؤية العمل المزدهر على مستوى القواعد الشعبية والحياة الكريمة للجماهير. بالنظر إلى تقريركم، أرى أن فريق قادة فرقة شياوليجيا فريق أفعال لا أقوال، لذا فلتقللوا من تلك الأفعال المتملّقة كقرع الطبول والصنوج، ففي هذا الشأن أريد أن أنتقدكم».

لم يتوقّع لي دونغ باو أن كلام المحافظ شيوي سيكون بمثل هذه الصراحة، لذا شعر بالتوتّر، ولم يكُن لديه أي استراتيجيات أو تكتيكات، فاندفع قائلاً: «يا جناب المحافظ، لم نكُن نريد القيام بهذا بإرادتنا، ولكن لو لم نقُم بهذه الأمر، فكيف كنّا سنقابلك، إذ كنّا نريد مقابلتك لعرض الأمر عليك، ولكننا كنّا نخشى أن تقبض علينا الكومونة قبل حتى أن نراك».

«أوه؟» لم يكُن المحافظ يتوقّع وجود سر وراء احتفالات الطبول والصنوج تلك.

لم يُخفِ لي دونغ باو شيئًا، وأخبر المحافظ بكل ما حدث بعد عودته من فرقة الحرس الأحمر يوم أمس، وأكمل قائد الفريق كلامه. وما إن عرف المحافظ بالأمر، حتى علم مباشرة أين تكمُن

المشكلة، إذ إن خطوات فرقة القاعدة الشعبية كانت قد بدأت في التحرُّك بشكل عفوي بالفعل، ولكن قادة الكومونة لم يكونوا قد أداروا رؤوسهم بعد، مما أدّى إلى عدم التنسيق بين المستويين الأعلى والأدنى، وبالتالي إصدار الأوامر بشكل أعمى من قِبَل الكومونة. لا عجب في أن يتوصّل هذان الشخصان المجبران على التصرُّف بعملية إلى فكرة سيئة كقرع الطبول والصنوج، ولكنهما كانا لطيفين وماكرين أيضًا، وإلا لما تمكّن من رؤيتهما منذ اللحظة الأولى.

لم يستطع المحافظ شيوي منع نفسه من الضحك مرة أخرى وقال: «أيها الرفيق لي، يمكنك العودة إلى المنزل دون أن تخشى شيئًا، وحتى لو لم أقُل لك، فعليك أن تفعل ذلك...».

«نعم، فأنا لا أخشى شيئًا». قال لي دونغ باو موافقًا.

ضحك المحافظ شيوي قائلاً: «بالنسبة لأمر الكومونة، سأجري اتّصالاً وأستفسر عن الأمر، وكل ما عليكم فعله هو مواصلة اتّباع مساركم القديم المحدد، فعندما أكّد الرفيق وان لي على التعاقد قال: «طالما من الممكن زيادة الإنتاج، لا تخَف من أي شيء، وحاول التخلُّص من الماضي وبؤسه، ألقه إلى أبعد ما يكون. على أي حال، فإن الاستجداء ليس من مزايا الاشتراكية». أتفهمان هذا القول؟».

فأجابا: «نفهم». فكّر لي دونغ باو في داخله بأن كلما زادت قدرات الشخص، زادت أيضًا قدرته على دفع المستمعين إليه للفهم، تمامًا مثل المحافظ شيوي هذا، وأيضًا مثل سونغ يون

هوي صهره المستقبلي، إذ يتحدّثان بكلام الوثائق لا بكلام الناس العاديين.

«حسنًا، هذا أيضًا موقف محافظتنا، فما دمتم ستجدون طرقًا لمساعدة الجماهير على عيش حياة كريمة، فإن المحافظة ستدعمكم بشتى الطرق».

خرج لي دونغ باو وقائد الفريق بقلبين هادئين مطمئنين، وبخاصة لي دونغ باو الذي شعر بأن هذا المحافظ على مستوى عالٍ من السلطة، كما أنه شخص لطيف جدًا، فعند خروجه من المكتب لم يستطع منع نفسه من سؤال المحافظ شيوي عمّا إذا كان طالبًا جامعيًا، فأجابه المحافظ ضاحكًا بأنه هكذا، فقال لي دونغ باو أنه لا عجب في هذا، واستدعى ذكر صهره مرة أخرى قائلاً إنه طالب جامعي وذو قدرة أيضًا. وقف المحافظ شيوي مذهولاً لا يدري كيف يمكنه تقييم لي دونغ باو، شاعرًا أنه أحيانًا يكون مشوّشًا، وأحيانًا أخرى يكون ذكيًا وكُفئًا. هذه المرة الأولى حقًا التي يصادف فيها شخصًا مميزًا مثله، لذا فقد أولى له اهتمامًا، ووجه أوامره لاحقًا بتحديد فرقة شياوليجيا كنقطة اتّصال بالنسبة له.

على الرغم من عودة لي دونغ باو إلى الرفاق دون أي ضجة، فإن الأخبار التي أبلغهم بها قائد الفريق حول ما حدث قبل قليل أثارت الحماسة والابتهاج في قلوبهم. وعلى الرغم أيضًا من التوقُّف عن قرع الطبول والصنوج في طريق العودة، فإن أصوات الضحك والتهليل عَلَت صوت محرّك الجرار.

بعد العودة إلى الفرقة، لم يقل الرفاق شيئًا وذهبوا مباشرة لبدء

العمل في مصنع الطوب، ومن لم يكُن ضمن عُمّال المصنع عاد مباشرة إلى منزله. ولكن بعد قليل، أرسل أحدهم إلى لي دونغ باو يخبره بأن هناك فتاة جميلة للغاية تتحدث مع والدته في منزله، ولمّا سمعت برجوع الجميع بأمان، طارت فرحًا أكثر من أي شخص آخر. ما إن سمع لي دونغ باو بهذا حتى رقص قلبه فرحًا وقال للجميع بسعادة وفخر: «إنها خطيبتي، خطيبتي تقلق عليّ. إنها من السكان دائمي الإقامة، وهي تريدني». قال هذا متمتمًا، ثم أطلق ساقاه للريح مسرعًا إلى المنزل، وبعد قليل تذكّر دراجته، فعاد إلى الوراء على عجل، وطار بدراجته عائدًا إلى المنزل.

خرجت والدته من المنزل وهي توبّخه، ولكنه نظر فقط إلى سونغ يون بينغ المختبئة خلف الباب، وتجاوز والدته بالفعل مندفعًا إلى المنزل بحماس ليصافحها بحرارة غير منتبهٍ إلى ما يحدث حوله.

كانت والدة لي دونغ باو تريد زوجة ابن حتى ولو كانت ذات إعاقة طفيفة، فما بالك بفتاة جميلة لديها إقامة دائمة مسجلة كسونغ يون بينغ. كما أن الأرانب الأربعة كثيفة الفراء التي تربيها حاليًا آتية من منزل عائلة سونغ، وعادة ما كانت تريد إرسال الأسئلة حول كيفية الاعتناء بالأرانب من خلال لي دونغ باو، ولكن صبره كان ينفد في الاهتمام بتلك الأمور التافهة، وغالبًا ما كانت الأسئلة بعبارات قليلة، واليوم، فقد أتت سونغ يون بينغ بنفسها إلى منزلهما، واستطاعت والدته أخيرًا التوصُّل إلى معرفة منهجية حول كيفية تربية الأرانب كثيفة الفراء. كانت والدته تشعر بالحذر

قليلاً من زوجة ابنها المستقبلية هذه، وشعرت بأنها تتودد إلى ابنها بالمجيء إلى هنا، ولكن عندما رأت ابنها مندفعًا إلى الداخل وليس بعينيه سوى زوجته المستقبلية، شعرت بالقليل من خيبة الأمل.

حددت عائلتا لي وسونغ موعد الزواج، ولكن سونغ يون بينغ ظلّت تقول إنه من السخيف إتمام الزواج في الأول من يونيو، وتشاء السماء أن تحقق رغباتها، فقد أتى «الأول من يونيو» عيد الطفولة في يوم أحد، لذلك انتظرا حتى يسجّلا الزواج في الثاني من يونيو. ثم اتّفق الاثنان على الانتظار حتى عودة سونغ يون هوي في الإجازة الصيفية لإتمام الزواج، إذ كانت سونغ يون بينغ تشعر بأنه سيكون من المؤسف أن يتغيّب أخوها الصغير عن مثل هذا الحدث المهم، لم تكُن تتخيّل مطلقًا أن والديها لن يستطيعا توصيلها إلى منزل عائلة لي، ولكن إذا لم يرافقها أخوها الصغير أيضًا، فستشعر وكأنها تهرب من المنزل تقريبًا.

كان لي دونغ باو مشغولاً بأموره العامة والخاصة، فمنذ لقائه بالمحافظ شيوي، اختفى الضغط القادم من الكومونة بطبيعة الحال. غالبًا ما تتطور الأمور على هذا النحو، إذ لا يكون هناك توازن مطلق بين قوى الطرفين، وغالبًا ما تتضاءل إحداها وتتنامى الأخرى، ودائمًا ما يحتفظ أحد طرفي القوة بميزة مؤقتة للبقاء على الأرجوحة. في لحظة من الزمن، اختفى القرد العجوز دون صوت أو أثر، إذ كان يدخل ويخرج في صمت رهيب وكأنه شبح. في حين اعتبرت المحافظة فرقة شياوليجيا بمثابة نموذج تجريبي بشكل غير مُعلن، وخففت لها السياسات عمدًا ودعمتها بقوة في الناحية التنفيذية، وعلى الرغم من أن فرقة شياوليجيا كان

مُسيطرًا عليها من قِبَل المحافظ شيوي، فإنها لم تُبد تطرفًا، ولم يُروَّج لها بين الفرق الأخرى على أنها فرقة متقدّمة، إذ إن خطوات فرقة شياوليجيا كانت كبيرة، لذا كان المحافظ يقلق من عدم قبول البعض لها في ظل الظروف الحالية. سرعان ما ارتفعت شهرة لي دونغ باو كالبدر في وسط السماء، إذ إنه يستعد لأن يُصبح عريسًا، كما أنه أصبح معروفًا بين سكّان المحافظة بأكملها، فصار قلبه متحمّسًا كمن يحتسي النبيذ الفاخر يوميًا، وازدادت ثقته بنفسه في فعل كل شيء.

في المنزل، استخدم لي دونغ باو مهارات البناء التي تعلّمها في الجيش لطلاء الجدران الطينية المتوارثة عبر عدة أجيال، واستخدم مجرفة البناء لتجديد الغرفة المتهالكة. بدت الغرفة مشرقة، والأرضية مستوية، ولكن لم يكُن بها أي أثاث تقريبًا، فصارت متّسعة يمكن أن يجري بها الخيل. وفي الفرقة، وبمساعدة مجموعة من الخبراء المُرسَلين من المحافظة، قام بإدخال سلالات هجينة من بذور الأرز المتأخر عالية الإنتاجية، كما تم التأكُّد من السلالات الجيدة للأرانب كثيفة الفراء، وبتوجيه من الخبراء أيضًا، تم ترميم الحفرة الكبيرة التي تم حفرها لاستخدام الطين الناتج عنها لصنع الطوب وتحويلها إلى بركة للأسماك، والتعاقد عليها مع الخبير الذكي في زراعة الأرز لي تشيونغ فو. وبطبيعة الحال، فقد ترك لي دونغ باو العمل بالقطعة في مصنع الطوب، فعلى الرغم من زيادة دخل الفرقة، فإن دخله الشخصي كان يقل، لذا فقد أخذ فترة استعدادات لحفل الزفاف. لم يكُن يريد معرفة سونغ يون بينغ بالأمر قدر طاقته خوفًا من أن تقلق، ولكنها كانت

تعرف مصادر دخله بشكل جيد للغاية، لذا فقد تكهّنت بالمأزق الذي يمرّ به، واقترحت عليه تغيير العادات والانتقال إلى منزله دون مهر. ولكنه شعر بالذنب الشديد، إذ إن البنات القبيحات من العائلات الأخرى يحصلن عند زواجهن على مهور فاتنة محمّلة على عشرات العربات، وحفلات زفاف مليئة بالعزف والموسيقى، ومآدب زفاف لا تنقطع، في حين أن عروسه الجميلة لم تطلب أي شيء، ما أشعره بالأسف تجاهها، فلم يقُل أي شيء، فقط أمسك بيديها وأقسم لها وهو يصرّ على أسنانه قائلاً: «بالتأكيد سأعاملك معاملة حسنة، بالتأكيد».

لم يكُن لدى سونغ جي شان وزوجته أي رأي أو اعتراض على الإطلاق، إذ أصبحا مُطيعين بعد تلك السنوات الطويلة المُرهقة التي وُصِموا فيها بمعاداتهما للثورة، فعلى الرغم من عدم رضاهما بشكل كامل عن لي دونغ باو كشخص، إلّا أنهما يفقدان تأثيرهما أمام إصرار ابنتهما. كما أن ابنتهما قد قالت إن كونه لطيفًا هو الأهم، وبقية الأمور مجرد أمور ثانوية لا تهُم، وهما أيضًا اقتنعا برأيها. كانا مشفقين على ابنتهما كثيرًا، لذا فباستثناء القليل من المال الذي أبقياه لشراء تذكرة قطار ابنهما للعودة في الإجازة الصيفية، استخدما كل مدخراتهما لتجهيز ابنتهما للزواج، فقط ماكينة الخياطة لم يستطيعا شراءها لقلة المعروض وضيق الوقت، فاستسلما ولم يشترياها، وتمتمت أمها قائلة إن هذا ببساطة غير عادل. ولكن الزوجين كانا قد سمعا بمجد لي دونغ باو، لذا لم يكُن سونغ جي شان قادرًا على شيء سوى الحديث مع زوجته من وراء لي دونغ باو، قائلاً إن جماهير الشعب العامل هم الأكثر مجدًا في مجتمعنا الحالي حقًا.

وحده سونغ يون هوي لم يكُن راضيًا تمامًا عن زواج أخته الكُبرى من مثل هذا الرجل القاسي، إذ كان يشعر بأنه على الرغم من نجاح لي دونغ باو في إنجاز الأمور على نحو جيد، فإنه لا يتحلّى بالمؤهلات الكافية ليصير زوجًا لأخته. لم يكُن أصلاً مستعدًا لقضاء الإجازة الصيفية في المنزل توفيرًا للمال، ولكنه زفاف أخته، فكان عليه العودة بالطبع. وبعد عودته إلى المنزل، رأى أن أخته قد استخرجت شهادة زواج بالفعل، لذا لم يجد بطبيعة الحال ما يمكن قوله. عندما رأى سونغ جي شان وزوجته ابنهما وقد عاد أخيرًا، أخذا يشتكيان إليه من وراء ابنتهما، قائلين إنهما ظلّا طوال حياتهما تقريبًا موصومين بمعاداة الثورة، وأخيرًا تم ردّ اعتبارهما بعد معاناة، لذا كانا يريدان الاستفادة من زواج ابنتهما لتوضيح كونهما مواطنين عاديين أخيرًا، وأن يزوّجاها لأحد كوادر الحزب، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن. وأكثر ما يصعب تحمُّله هو أن زواج ابنتهما يحدث مرة واحدة في العمر، وفي هذه المرة عليهم التصرُّف أيضًا كالكلب الخائف الذي يضع ذيله بين ساقيه كما كانا يفعلان وقت اعتبارهما من الفئات الخمس المنبوذين، ولن يستطيعا التصرُّف بحرية.

كان سونغ يون هوي شابًا ذا عقلية حديثة، لذا كان مدعّمًا لفكرة حفل الزفاف البسيط لأخته، ولكن بعد سماعه لشكوى والديه، أشفق كثيرًا عليهما. عندما كان في الجامعة، استغلّ لاو دا زميله في الغرفة عدم وجود أحد حولهما وسأله فجأة، لماذا يهتم كثيرًا بالسياسات والأحداث الجارية هكذا في حين أنه شاب صغير لم يواجه الكثير من المصاعب في المجتمع، وحينها ذُهل سونغ

يون هوي، ولم يستطع الإجابة سوى بأنه مهتم، فقط مهتم. وعندئذ فوجئ لاو دا، وقال إنه في مثل هذه السن الصغيرة يتمتّع ببصيرة تحليل مشكلات لا يتحلّى بها من هم أقل من الثلاثين عامًا عادة، وهذا ليس بالأمر الهين، وعليه ألّا يقف عند المهارة فحسب، بل من الضروري أن ينطلق منها إلى العمل السياسي، وإلا فستضيع هذه البصيرة هباءً. كان سونغ يون هوي متحمّسًا للغاية تجاه اقتراح لاو دا، لذلك كانت لديه خطة خفية لحياته.

وبعد ذلك، تذكّر سؤال لاو دا مرة أخرى، وفكّر فيه تفكيرًا متأنّيًا، فتوصّل إلى استنتاج آخر، وهو أن: اهتمامه بالسياسة والأحداث الجارية بالتأكيد يرجع إلى تعويض ما ينقصه، وسببه الأساسي هو والداه الصادقان الشريفان. في الواقع، لم يكُن سونغ جي شان هو الشخص الوحيد الذي تم تجنيده قسرًا بشكل مؤقت من قِبَل قوات حزب الكومينتانغ عشية التحرير، ومع ذلك فالذين واجهوا نفس مصيره استطاعوا تقييم الوضع والقفز إلى الخارج في الوقت المناسب والشكوى من معاناة التجنيد الإجباري من قِبَل حزب الكومينتانغ، وأخذوا يثبتون بالدموع وبكافة البراهين كونهم جماهير كادحة تتعرّض لمزيد من المشقّات. كما أن الحركات دائمًا ما تجد هدفًا مناسبًا للنقد، لذا فقد أصبح سونغ جي شان غير المتطوّر والذي لا يمكنه الدفاع عن نفسه بمثابة نقطة انطلاق لأولئك الناس لتبرئة سُمعتهم. كان سونغ يون هوي منذ طفولته يسمع والده متنهدًا شاكيًا من هذه الأمور، فلم يكُن بوسعه سوى الظنّ بأن أولئك الذين دهسوا والده أشخاصٌ كريهون للغاية، وأن والديه شريفان، ولكن طريقة تفكيره تغيّرت بعدما كبر، إذ فكّر في

أن والده إذا كان أكثر مرونة وفهمًا للسياسات في فترة التحرير، وإذا كان قد تصرّف بشكل أسرع وهرب صاعدًا إلى الساحة لتبرئة سُمعته، ألم تكُن ملامح طفولته قد تغيّرت تمامًا؟ ولكن بعد التفكير في الأمر، أدرك أن هذا لم يكُن ممكنًا، فشخصية والديه ضعيفة للغاية، والقدرة على تجنُّب التنمُّر هي حظ سعيد يفتقران إليه، حتى إن اكتسابهما للمرونة مجرد درب من دروب الخيال.

الآن فقط عرف سونغ يون هوي مدى صعوبة إصرار والديه الضعيفين على تربيته وأخته حتى كبرا تحت جناحيهما في ظل هذه الظروف الصعبة، إذ لم يكُن يفهم هذا الأمر فيما مضى، فقط كان ينظر إلى معاناته الشخصية حتى صاح بوالده المسكين قائلاً «كل هذا بسببك أنت»، وكاد أن يتسبب في مأساة لا رجعة فيها. ولكنه الآن بعدما بلغ، وبالإضافة إلى اهتمامه بالسياسة لتعويض ما ينقصه، أصبح يريد بالأكثر أن يصير دعامة قوية لهذه العائلة، وأن يجعل والديه وأخته يعيشون حياة كريمة. وبالنسبة لشكوى والديه بلا حول ولا قوة من وراء أخته، فهو يفهم الأمر جيدًا، ويشفق عليهما، لذلك بادر بالتدخُّل في أمر حفل زفاف أخته وتناقش معها في خطوات الحفل. ولكن شخصية سونغ يون بينغ كانت شخصية هادئة، لا تحب الاختلاط بالآخرين، بالإضافة إلى أن زملاءها في الدراسة لم يكونوا راغبين في الاقتراب منها بسبب خلفيتها العائلية، لذا لم يكُن لديها سوى عدد قليل من الأصدقاء، كما أنها في الواقع كانت ترغب في حفل زفاف متواضع قلقًا من عدم قدرة عائلتها على توفير حفل زفاف لائق. ولكن سونغ يون هوي كان مختلفًا في هذا، فعلى الرغم من أن له نفس الخلفية العائلية، فقد

كان متفوقًا وماهرًا في دراسته، ولم يكُن يرفض أيًا من طلبات زملائه لنسخ واجباتهم المدرسية، لذلك كانت تربطه علاقات جيدة مع زملائه في الدراسة. كما رأى المأزق الذي تقع أخته فيه، لذا فقد تولّى إجراءات حفل الزفاف، ولم يكتفِ فقط بالتواصل مع زملائه لدعمها، بل دعا البعض من زملائها لحضور الحفل وتوديعها، كما دعا بعض الأقارب البعيدين والجيران القريبين لزيادة عدد الحضور. كان الطريق طويلاً لتوديع الأقارب، لذا فقد رتّب بعناية من سيركب الدراجات، ومن سيقترض منه الدراجات، ومن سيجلس على المقعد الخلفي من الدراجات، وما إلى ذلك، كما ركض إلى فرقة شياوليجيا للقاء لي دونغ باو، وأمضى ليلاً كاملاً في إجبار لي دونغ باو على توزيع كل مهمة من مهام حفل الزفاف، والوقت المحدد لكل منها، وبعد الانتهاء من المناقشة، أخرج نسختين من برنامج حفل الزفاف، وأعطى إحداها للي دونغ باو، وأخبره أن يجد الشخص المناسب للتنفيذ، وبالنسبة لنسخة العروس فسيكون هو المسؤول عن تنفيذ مهامها بالطبع.

كان لي دونغ باو قد عرف من يون بينغ عن بُعد نظر صهره وقدرته العالية، وبعد تعامله معه أدرك أنه على الرغم من تمتُّعه بوجه طفولي، فإن أسلوبه كان قاسيًا للغاية. عند غضب لي دونغ باو، كان الجميع يخافونه حتى الأمين الكبير نفسه، فقط صهره لم يكُن يخافه قط، فعند اختلاف الآراء، كان صهره ينتظره ليُنهي هجومه الذي يشنه وهو يلوح بيديه، ثم ينتقد عيوبه بشكل حاد. وأحيانًا لم يكُن لي دونغ باو قادرًا على الإجابة، فيضطر لتقديم التنازلات؛ ولكن في أحيان أخرى، كان يصرّ كل طرف على رأيه،

وغالبًا ما كان صهره يدور بكلامه في دائرة ثم يعود إلى النقطة الأصلية محققًا هدفه بصبر شديد في النهاية. وفي اليوم التالي يُدرك لي دونغ باو أنه على الرغم من عدم ضجيج صهره وعدم رفع صوته وقلة كلامه، فإنه في النهاية قد أصرّ على جميع آرائه التي طرحها، ولكن لحُسن الحظ أن لا شيء من آرائه يفتقر للمنطق، كما أن كليهما يهدف إلى مصلحة سونغ يون بينغ، بالإضافة إلى أن لي دونغ باو لم يكن يفضّل الانشغال بالأمور الشخصية، لذلك صار الجانبان على وئام.

كان من المستحيل على لي دونغ باو أن يلتزم بالقواعد. ففي يوم الزفاف، استقبل موكب الزفاف ثلاثة جرارات من فرقة شياوليجيا نفسها أو مستعارة، وثلاث سيارات مليئة بالعُزّاب، وموكب مزدحم بالدراجات. والسبب في هذا يرجع إلى تحريض لي دونغ باو، إذ قال إنه أول رجل من شياوليجيا يتزوّج ويُحضر زوجته إلى القرية خلال السنوات الأخيرة، واليوم بعدما أصبحت فرقة شياوليجيا غنية، يجب على العُزّاب أن يستجمعوا شجاعتهم ويقلّدونه حاملين أموالهم في جيوبهم ويذهبون للبحث عن زوجات لهم. وقد أطاعه العُزّاب؛ إذ ظنّوا أن موكب الزفاف سيضمّ بالتأكيد الكثير من الآنسات غير المهتمّات بنظام العمل في مصنع الطوب، مرتديات ملابس أكثر هندامًا من العريس نفسه، ووجوههن حليقة وأكثر بياضًا من العروس نفسها، وكم تمنّوا أن يضعوا وردة حمراء كبيرة كتلك التي يضعها العريس على صدره للفت أنظارهن. وقد بدا لي شي قن ككبير الخدم الذي يرحب بالضيوف وكأنه يطغى

على المضيف نفسه، ولم يكُن هناك حاجة للتعارف بين الجانبين، إذ قاما بتحية بضعهما البعض بالفعل فور مقابلتهما.

عند رؤيته لموكب شياوليجيا المستعرِض كالطاووس، وفتيات موكب الزفاف اللواتي تضحكن بسخافة، وأجواء الزفاف التي تنحرف تمامًا عمّا تخيّله، عجز سونغ يون هوي تقريبًا عن الكلام، إذ أدرك أن زملاء وزميلات الدراسة الأكبر منه لم يكونوا فقط يتغازلون في أوقات فراغهم في الجامعة متجاهلين الحظر المدرسي، بل أدرك أيضًا أن المواعيد المدبّرة تنتشر في كل مكان في الصين، فاضطر إلى تعديل برنامج حفل الزفاف العشوائي مُسرعًا إلى جرّ أولئك الذين انشغلوا في مغازلاتهم لُيعيدهم إلى الموكب. كما رأى والديه يبكيان عند خروج أخته من المنزل، ولكنه بالكاد لم يكُن لديه الوقت لتفهُّم مشاعر والديه، إذ كان مشغولاً بالتعامل مع المودّعين للعروس ومزحات المستقبلين لها، كما كان ينظّف الفوضى التي يُحدثها تشبُّث لي دونغ باو برأيه. في ذلك الوقت، كان لي دونغ باو متحمّسًا للغاية لدرجة أن صوته العالي كان يملأ المكان، وكان يرتدي قميصًا مهندمًا وسروالاً صوفيًا رمادي اللون من صُنع العروس سونغ يون بينغ، وقد بدا غير مناسبٍ تمامًا لهذا الزي المهندم، ولكن من قال إنه لن يهتم بحفل زفافه، فعندما استعدّ سونغ يون هوي لتنبيه المنشغلين بالمغازلة خفية والذهاب لمتابعة موكب الزفاف، كان لي دونغ باو واقفًا بالفعل على الجرار الأحمر واستدار صارخًا: «اللعنة، لتذهبوا إلى مكان آخر لإحضار الماء، أسرعوا». عندئذ احمرّت وجنتا المقصودين بكلامه، وعلت موجات الضحك واحدة تلو الأخرى وسط موكب الزفاف. كان

حفل الزفاف بأكمله حماسيًا وفوضويًا، والعريس الذي كان يجب أن يتعرض للتنمر أكثر من غيره، كان على العكس يحمي عروسه ويوجّه الرفاق لإثارة الضجيج، بل وكان أكثر إزعاجًا من الآخرين.

كان من المقرر أن يُحتفل بالزفاف على الطريقة الحديثة، حيث كان من المتّفق عليه أن يزفّ الجميع العروسين إلى باب منزل لي دونغ باو، ثم التحية والتحدُّث وإظهار شهادة الزواج، ودعوة بعض النشطاء لتقديم عروض كالغناء والمونولوج وما إلى ذلك، ثم يوصلون العروسين إلى غرفة الزفاف، وينتهي الحفل. ولكن بشكل غير متوقع، وقبل انتهاء البرنامج المقرر، وقف الجانبان المودّع للعروس والمستقبِل لها أمام بعضهما البعض في ساحة التجفيف، وأخذا يقطفان الزهور الحمراء المُزيِّنة للجرار، يقرعان الطبول الكبيرة الحمراء، مثيرين الضجة بقرع الطبول وتمرير الزهور بين بعضهما البعض. ولكن في النهاية لم ينس الجميع أن هذا حفل زفاف، لذا كانوا أحيانًا يطرحون الأسئلة على العروسين باهتمام، وظلوا هكذا مستمرين في اللعب حتى اضطروا للمغادرة قُرب حلول الظلام، وانطلق عُزّاب شياوليجيا بعيدًا.

كان لي دونغ باو يسعد بشدة كلما ازدادت الضجة، وعلى وجهه ابتسامة كبيرة وهو يجلس بجانب سونغ يون بينغ، حتى إنه كان ينسى أحيانًا ما يحدث وينجرف في الصياح والضجيج أكثر من الآخرين. كانت سونغ يون بينغ تشاهد كل هذا بسعادة كبيرة، إذ كانت تظن أن الزواج أمر يخص الأسرة فقط، وأنه سيمرّ بمجرّد وقوفها وتحيّتها للحضور ببساطة شديدة. ومع ذلك، ففي مثل هذا اليوم الأكثر أهمية بالنسبة لها، وجدت كل هؤلاء يرافقونها

ويفرحون من أجلها، لذا كانت تشعر بالامتنان والسعادة الحقيقية. وعلى الرغم من أنها تذكّرت أنها عروس اليوم، ولا يمكنها التصرُف بعفوية، فإنها مع ذلك ضحكت بشدة عدة مرات لدرجة أنها لم تكُن تستطيع الوقوف باستقامة. كان سونغ يون هوي سعيدًا أيضًا، فحفل زفاف أخته مفعمٌ بالحيوية بشكل غير متوقّع، لذا كان سعيدًا أكثر من أي شخص آخر، وفكّر أن جِراح والديه كانت ستلتئم لو رأيا مثل هذا الحفل، ألم يكونا يرغبان في مثل هذه النتيجة؟ ولكن على الرغم من أنه كان يتعرّض كثيرًا للمُزاح ويتم تقديمه للضيوف باعتباره الصهر الوحيد للعريس الذي طال انتظاره، فإنه لم ينسَ قط الحفاظ على الوضع الحماسي الخالي من الفوضى، والتعامل مع الأحداث الطارئة في أسرع وقت ممكن.

تناول سونغ يون هوي عشاءً فاخرًا في منزل أخته المتواضع الجديد، ثم عاد إلى منزله. كان الأمين الكبير حاضرًا أيضًا في انتظار بعض الكِبار من الأقارب والجيران ليجتمعوا معًا على طاولة كبيرة. كان الجميع يحتسون الشراب ويتحدّثون بالهراء، مع الانتباه لوضعهم الاجتماعي، وشرب لي دونغ باو أيضًا، ولم ينسَ دعوة زوجته وصهره للشراب. احتست سونغ يون بينغ القليل أيضًا، فاحمرّ وجهها واغرورقت عيناها حتى كادت تذرف الدموع. لم يكُن سونغ يون هوي يقدِر على الشراب، ولكن اليوم يومٌ مميز، فشرب القليل أيضًا.

بعد الانشغال طوال هذا اليوم الحافل والهدوء أخيرًا، جلس سونغ يون هوي منخفض المزاج على طاولة الشراب، فهو الآن أمام اختيار أخته، ولكن يستحيل عليه أن يتقبّل لي دونغ باو كزوج

أخته بسرعة، إذ إنه دائمًا ما كان يشعر بأن أخته ستعاني على يد مثل هذا الزوج المتهوّر. ثم رأى أن لي دونغ باو مُهاب ومحبوب من أعضاء فرقة شياوليجيا، ولكنه لا يستطيع أن يحبُّه، فكيف لمثل هذا الشخص أن يتوافق مع أخته الرقيقة اللطيفة، وكيف ستتواصل أخته مع هذا الزوج بأفكارها الناعمة الهادئة فيما بعد؟ ما زال مُصرًّا على وجهة نظره السابقة بشأن زوج أخته، ولكن أخته قد تزوّجت بالفعل، لذا لم يعُد أمامه سوى مواجهة الأمر.

بعد تناول العشاء، ذهب العروسان ليوصلا سونغ يون هوي إلى منزله، ولمّا فكّر سونغ يون هوي في بقاء أخته في منزل لي من الآن فصاعدًا، انزعج انزعاجًا لا يوصف. وعندما رأى أخته تكفكف دموعها تحت ضوء القمر، تلألأت الدموع في عينيه أيضًا. لم يكُن الطريق إلى القرية طويلاً، وسرعان ما وصلا إلى مدخل القرية، ثم وقف سونغ يون هوي وقال بحزم للعروسين: «دعونا نتوقّف هنا. أختي، انتظري جانبًا، لدي بعض الكلمات التي أقولها لأخي الأكبر».

كانت سونغ يون بينغ تعلم عدم رضا أخيها التام عن مثل هذا الزوج، وخشيت كثيرًا من حدوث مشكلة إذا ما تحدّثا على انفراد، فقالت على عجل: «ماذا هناك، ألا يمكنني أن أسمع أنا أيضًا؟».

وضع سونغ يون هوي ذراعه حول كتف لي دونغ باو وسارا بعيدًا، وألقى لأخته بجملة واحدة: «حديث رجال، لا يمكنك الحضور مؤقتًا». قال هذا وهو يسحب لي دونغ باو إلى مكان هادئ بعيد، ثم حدّق في عينيّ لي دونغ باو وقال بحزم: «أخي،

أسلّمك أختي من الآن فصاعدًا. لقد عانت أختي كثيرًا في الماضي بسبب خلفيتنا العائلية. وأنت رجل قوي، عليك أن تحميها جيدًا، ولا يمكنك أن تتركها تتعرّض للتنمُّر».

شعر لي دونغ باو بأن هذا كلام زائد عن الحاجة، فكيف له أن يتحمّل تعرُّض زوجته الحبيبة للتنمُّر. ولكنه اضطر للإجابة بكلمة واحدة فقط: «حسنًا».

كان سونغ يون هوي واثقًا في أن لي دونغ باو سينفِّذ إجابته، فجميع الرجال لا يرغبون في تعرُّض زوجاتهم للتنمُّر، فكيف لشخص مسؤول كلي دونغ باو أن يسمح بذلك! ولكن ما كان يحتاج حلّه هو المشكلة التالية: «إن أختي هشَّة من الخارج وقوية من الداخل، ولكن عند قوّتها غالبًا ما تُضحِّي بنفسها من أجل الاهتمام بوضع الأسرة، وعند هشاشتها تقلق بشأن كل تفصيلة من تفاصيل الأسرة. أنت شخصيتك خشنة، ولكن من فضلك عاملها برفق قليلاً، واشملها بعنايتك، ولا تجعلها تضحِّي بنفسها طوال الوقت. أطلب إليك بأنانية شديدة أن تفكّر أكثر من أجل أختي، وألّا تفكّر في متعتك فقط فيما بعد، حتى لا تجعل عائلتك تقلق بشأنك».

تفاجأ لي دونغ باو قليلاً عند سماعه لهذا الكلام، ولم يستطع إلا أن يرفع حاجبيه ناظرًا إلى صهره الفتى الذي لم تذهب رائحة حليب أمه منه بعد. وتذكّر سونغ يون بينغ الخجولة عندما هندمت له ملابسه وقت مروره بالمتاعب القادمة من الكومونة، وعندما بادرت بالذهاب إلى منزله الغريب عنها تمامًا لمرافقة والدته

القلقة، وأنه لم يكُن يتوقّع شجاعتها هذه من قبل، فأدرك تلك التضحية التي يتحدّث عنها صهره. لم تكُن الجملة الأخيرة لصهره مهذّبة على الإطلاق، ولكن من المستحيل أن يغضب لي دونغ باو منه، وهذه هي الحقيقة. لقد أراد أن يشرح له أنه يضمن تمامًا عدم ترك سونغ يون بينغ تتعرّض للتنمُّر، ولكن بعد الكثير والكثير من الكلمات التي جالت بخاطره، لجأ في النهاية لطريقته التعبيرية المعتادة وقال: «حسنًا!».

كان سونغ يون هوي مستعدًا منذ البداية للجدال مع لي دونغ باو، ولم يتوقّع أن يستجيب لي دونغ باو للأمر بهذه السعادة، فوقف عاجزًا عن الكلام للحظة. كان يعلم أيضًا أن لي دونغ باو يلتزم بكلمته، وليس ممن يقولون ولا يفعلون، لذلك لم يكُن في حاجة للتأكيد على الأمر مرة بعد مرة، أو حتى لتهديده. صمت الاثنان طويلاً، ثم تنهّد سونغ يون هوي وقال بحزن: «أسلمك أختي، سأغادر، أتمنى لكما زواجًا سعيدًا».

أمسك لي دونغ باو بيد سونغ يون هوي الممدودة بإحكام، وصافحه وهو يهزّ يده عدّة مرات قائلاً: «لتُكثِر من إرسال الخطابات لأختك بعد عودتك، فهي تحبّ ذلك. سنزور منزلك كثيرًا، لا تقلق بشأن هذا، ولتعُد إلى كليّتك وتدرس جيدًا. فبثقافتك ستكون أكثر تفوُّقًا من جميعنا».

هذه المرة حان دور سونغ يون هوي ليرفع عينيه وينظر بعناية إلى لي دونغ باو، ولم يقُل الكثير، فقط اكتفى بترديد كلمته كالببغاء وقال: «حسنًا». ثم ذهب لوداع أخته أيضًا، وسار في طريقه ليعود

إلى المنزل بمفرده. ولمّا أدار رأسه، رأى أخته واقفة عند مدخل القرية تودّعه وتبدو وكأنها ما زالت تكفكف دموعها، فترقرقت الدموع في عينيه أيضًا. لقد مرّت عائلة سونغ بالكثير من المصائب والمصاعب لسنوات طويلة، وواجهها أفراد العائلة الأربعة محتضنين بعضهم، واليوم بعدما تزوّجت أخته، شعر سونغ يون هوي وكأن قطعة من قلبه قد قُطِعت. العالم كبير جدًا، وقلبه كبير جدًا أيضًا، ولكن مركز قلبه صغير للغاية يُخبئ فيه عددًا محدودًا من الناس، بينما أخته التي تُعتبر واحدة من هؤلاء الذين في قلبه أصبحت الآن فردًا من عائلة لي. إنه يعرف أن زواج أخته أمر طبيعي ومعقول، تمامًا كما أن سفر أخته الصغيرة ليانغ سي شن إلى الخارج هو أمر طبيعي ومعقول، إذ إنه يعرف أنه حياتهما المستقبلية ستكون أفضل، ولكن يعزّ عليه الفراق، فظلّ يذرف الدموع وحيدًا في البرية تحت ضوء القمر.

كانت سونغ يون بينغ تقلق بشأن الحديث الذي دار بين أخيها ولي دونغ باو، ولمّا رأت أنهما لم يتشاجرا، بل تصافحا كالرفاق، شعرت بالارتياح. ثم أدارت رأسها وسألت لي دونغ باو: «عمّا تحدّثتما؟».

لم يكُن لي دونغ باو يرغب في إخفاء الأمر عنها، حتى ولو لم يكونا من عائلة واحدة، فلا يوجد ما يخفيه عنها أيضًا، ناهيك عن أنها أصبحت زوجته بالفعل: «أخاكِ لا يسمح لي بالتنمُّر عليكِ».

«هذا الفتى، إنه متهوّر».

«ليس متهورًا، أخوكِ يعرف جيدًا ماذا يفعل. أنتما رائعان، وأنا سعيد بمعرفتكما، لقد ظننت فيما مضى أنه كسول ومستبد في المنزل».

«مهلاً، ولمَ اعتقدت هذا؟ أعتقد أن أخي ناضج وصبور للغاية، وقادر على مواجهة المصاعب. إنه ذكي جدًا، لقد ظلمته عائلتنا حقًا. لو كان وُلد في عائلة كوادر...».

«الاعتماد على الذات أفضل من الاعتماد على الآخرين. بينغ بينغ، من الآن فصاعدًا، والداك هما والداي، وأخوك هو أخي، سأعاملهم جيدًا. ليس لدي المال حاليًا، لم أستطع جعلك متألّقة في الزفاف، ولكنّي سأعوّضك فيما بعد».

«ماذا ستعوّضني! من أقام حفل زفاف حماسي كحفل زفافنا؟ وصلنا إلى المنزل». دخلا إلى فناء المنزل، وفجأة قال مرحبًا وحمل سونغ يون بينغ على كتفيه، فكادت تصرخ من هول المفاجأة وهي تغطّي فمها، ولكن بعدما اصطدم رأسها بإطار الباب المنخفض، لم تستطع منع نفسها من الصراخ في النهاية. فندم لي دونغ باو على ذلك، إذ كان قد وعد سونغ يون هوي لتوه بعدم الاهتمام بمتعته الشخصية فقط، ولمّا أدار رأسه فرحًا، اصطدم بسونغ يون بينغ، فوقف حائرًا لا يعرف كيف يعبّر عن حبّه لمثل هذه الزوجة الرقيقة.

بعد عودته إلى الكلية، صار سونغ يون هوي في السنة الثالثة، وأخيرًا سيستقبل طلابًا جامعيين في نفس عمره. أخذ زملاء الغرفة يمازحونه طالبين منه انتهاز فرصة التحاق الطالبات الجديدات بالجامعة واختيار طالبة منهنّ لتُصبح حبيبته باعتباره طالبًا قديمًا ذا خبرة، ولكنه ظلّ يتشدّق بالرفض، في حين كان قلبه يتوق لهذا إلى حد ما. وعند التحاق الطلاب الجدد بالجامعة، ذهبوا جميعًا للتدريب العملي، والذي تمّ في الشمال الغربي، في مصنع تم

نقله من شانغهاي وقت تنفيذ حركة بناء الجبهة الثالثة فيما مضى. واليوم، انخفضت استثمارات الدولة في الجبهة الثالثة، كما بدأ عُمّال المصنع القُدامى الآتين من شانغهاي يعودون مرة أخرى واحدًا تلو الآخر إلى شانغهاي وفقًا للمتطلبات السياسية، وعلى الرغم من أن المصنع بالكامل كان مليئًا بعواميد الفولاذ، فإنه كان أيضًا يمنح شعورًا بالكآبة والركود.

ولكن على الرغم أيضًا من الإحساس الكئيب الذي كان المصنع يوحي به، فإن الأبراج الحديدية وعلب الصفيح المتراصّة بعيدًا وقريبًا وخطوط أنابيب النقل المتشابكة أبهرت سونغ يون هوي القادم من الريف، الذي لم يكد يرَ مصنعًا لائقًا من قبل. في الحقيقة، لم يكُن سونغ يون هوي يعرف كيف كان أداء هذا المصنع من قبل، في حين استطاع الطُلّاب الذين التحقوا بالجامعة بعد الثانوية المهنية ملاحظة مدى تدهور هذا المصنع. كان سونغ يون هوي واقفًا منبهرًا بالفعل أمام هذا العدد اللانهائي من الصمامات والأنابيب.

لقد أولى قادة المصنع اهتمامًا كبيرًا لهؤلاء الطلاب الجامعيين، وعند تقديمهم لتقرير اليوم الأول كانوا فخورين للغاية. كما أن عُمّال المصنع كانوا مهذّبين جدًا مع سونغ يون هوي، حتى إنهم كانوا ينظرون إليه بانبهار كمن يشاهد الرسوم المتحرّكة في منظار غربي، بل وكان بعضهم يهمسون خلفه قائلين: «إنه طالب جامعي. لا يتم اجتياز اختبار القبول بالجامعة إلّا بعد عناء كعناء عبور آلاف الجنود والأحصنة لجسر خشبي». وعادة ما يُسمع مثل هذا الكلام، فيرجع الجميع عند العودة المؤقتة إلى غرفة السكن متحدّثين بفخر عنه. بالطبع كان سونغ يون هوي يشعر حينها بالفخر الشديد في داخله،

ولكنه فقط لا يبوح بذلك، بل يكتفي بإظهاره على وجهه. ولكن عند رؤيته للعُمّال مرة أخرى، كان يشعر بثقة زائدة دون سبب واضح.

كان برنامج التدريب العملي مريحًا للغاية، لذا انتاب الجميع الفضول في البداية، وتحمّسوا إلى حد ما، ولكن سرعان ما سئم بعضهم، وعادوا من المصنع مبكرًا إلى الغرفة بصفة مؤقتة، ثم لعبوا عدة جولات من أوراق اللعب، وبعدها ذهبوا متكاسلين لتناول الطعام في المطعم، ثم تجمّعوا للتسكُّع معًا على طريق المنطقة السكنية التابعة للمصنع، ولكن في الحقيقة لم يكُن هناك أي أماكن يمكنهم التسكُّع فيها، فالمتاجر قد أغلقت أبوابها مبكّرًا، والطريق الطويل صار مظلمًا، لذا لم يسيروا سوى مئة خطوة فقط بعد تناول الطعام، بينما أخذ القاطنون في المنطقة كبيرًا وصغيرًا ينظرون إليهم بفضول. في حين كان سونغ يون هوي يعزّ عليه مغادرة المصنع بعد انتهاء العمل كل يوم، فيبقى مع بعض الزملاء الجادين في المصنع، وعلى أي حال كانت إدارة المصنع مرنة، لذا كانوا يدخلون إلى غرفة التحكّم ويتبعون العُمّال لمدة نصف يوم عمل، ويقومون بدوريات لتفقُّد العُمّال كل ساعة أو ساعتين، حتى يمكنهم تلخيص وتكوين بعض المعارف الأساسية حول التشغيل من خلال تعريف العُمّال المرحبين. ما زالوا جميعًا لم يدرسوا موادًا متخصصة، حتى مادة أساسيات التخصص فلم يدرسوها بعد، لذا فبعد انتهاء فترة التدريب بأكملها، لم تصل معرفتهم حتى إلى النصف. ومع ذلك، فقد قدّموا بكل ثقة النصائح والمقترحات للأساتذة قادة الفريق وللعمال أيضًا، معتقدين أنهم قد عادوا إلى منازلهم بحمولة كاملة من المعرفة.

وعند العودة إلى الكلية وبدء دراسة مادة أساسيات التخصص، يشعرون وكأنهم اكتسبوا فكرًا جديدًا، فأحيانًا عند مصادفتهم لمصطلح ما وقت الدراسة، كانوا يتذكّرون فجأة ما سمعوه وما رأوه بأنفسهم في فترة التدريب العملي، فيشعرون كمن يخرج من المنزل ويصادف صديقه القديم، ويبتهجون للغاية، ومن ثم أخذ حبّهم للقراءة يزيد ويتجسّم تدريجيًا.

بالإضافة إلى السباق مع الزمن من أجل تنمية مواهب فعّالة لبناء التحديثات الأربعة في الجامعة، كان كل قسم أيضًا منهمكًا في إنشاء المختبرات ومكاتب التدريس والبحث وترجمة المواد الأجنبية المتقدّمة. بالطبع كان هناك نقصًا كبيرًا في عدد العاملين بالأقسام، لذا اضطروا للاستعانة بالطلاب الجامعيين. فكانت أعين الأساتذة تحدّق تارة في السبورة، وتارة أخرى في الطلاب بحثًا عن المرشحين المناسبين. كان هناك اثنان من الزملاء في السنة الثالثة يدرسان بجد، وكان أحدهما يعمل كميكانيكي والآخر ككهربائي قبل الالتحاق بالجامعة، فاختارهما الأستاذ ليساعدا في إنشاء مختبر، وفي الوقت الذي كان الجميع ينظرون إليهما بحسد، تم اختيار سونغ يون هوي من قِبَل الدكتور لو لترجمة المواد الأجنبية. وعند فتح المواد التي تسلّمها من الدكتور لو لأول مرة، شعر سونغ يون هوي وكأن الرؤية اسودّت أمام عينيه، وبنقص شديد في الأكسجين، وحينها أدرك أن مستواه في اللغة الإنجليزية غير كافٍ تمامًا، وكان مضطرًا للتخلُّص من تلك الغطرسة التي انتابته بعد حسد عُمّال المصنع له قائلين «إنه طالب جامعي، إنه طالب جامعي»، إذ ظنّ أنه ممتلئٌ بالمعرفة، وهو في الحقيقة لا

يفهم شيئًا. ولذلك فقد اضطر للعمل بجد طوال الليل حتى لا يخذل الدكتور لو.

كيف سيتسنَّى له التفكير في العثور على حبيبة، فحتى إيجاد وقت لتناول الطعام أصبح بمثابة مشكلة، إذ إنه ينسى نفسه تمامًا بمجردّ الغوص في كومة الكتب. كما كان زملاؤه ذوو الخبرة الثورية يمازحونه بسبب عمله السلمي، وانغماسه في المعرفة، قائلين إنه «دودة كتب مُسالِمة» بمعنى الكلمة. وعند سماع سونغ يون هوي لهذا، كان يشعر أن الأمر يُشبه تمامًا كما كان يُطلق عليه في المدرسة الابتدائية اسم «الخروف الصغير»، فهو المعنى نفسه مع اختلاف المُسمّى.

مكتبة
t.me/soramnqraa

5

في هذا العام، حظيت فرقة شياوليجيا برياح لطيفة وأمطار مُلائمة وحصاد وفير من الأرز المتأخّر المُحسَّن. لم يكن لي دونغ باو راغبًا في السماح لزوجته التي لم تعمل مطلقًا بالزراعة بالعمل في الحقل، وبالطبع لم يستطع أيضًا السماح لوالدته بذلك، فاضطر لحصاد المحصول كله بنفسه، وسمح لسونغ يون بينغ فقط بالتقاط آذان الأرز خلفه. كما أن سونغ يون بينغ في الواقع لم تكُن بارعة في حصاد الأرز، ودائمًا ما كانت تشعر بأن المنجل سينزل مباشرة إلى ساقيها، ومعظم العمل قد تم بمساعدة من أعضاء الفرقة، لذا لم تكُن هناك حاجة لنزول والدته إلى الحقل. تمكّنت سونغ يون بينغ من المساعدة فقط عندما حان الوقت لدراسة الأرز، حيث

أخذت تربط قش الأرز في حُزَم بيديها ورجليها. وبعد تجفيف الدُخن، وطحن الأرز الجديد، فاحت رائحة الأرز الشهية بشكل مدهش من المنزل، ثم حرثوا الأرض التي حُصد الأرز منها للتو، وزُرعَت بالقرنبيط عالي الإنتاجية الذي تحب الأرانب تناوله.

عبَّأ لي دونغ كيسين من الأرز الجديد تكريمًا لوالدته. وعلى الرغم من أن سونغ يون بينغ تستطيع قيادة الدراجة أيضًا، فإنه فضلّ الإمساك بها لتجلس أمامه على الدراجة، ولكنها أصرّت على الهروب منه؛ وركبا دراجتيهما وسارا جنبًا إلى جنب فرحين في نسيم الخريف العليل. في ذلك الوقت، كان الأمين الكبير قد تنازل عن منصبه بتلميح من الكومونة، وبطبيعة الحال أصبح لي دونغ باو أمين الفرقة، وكان أصغر أمين فرقة في المحافظة بأكملها، كما قال الجميع إنه الذراع الأيمن للمحافظ. أمّا سونغ يون بينغ فقد شعرت باختلاف طريقة تعامل الناس معها بعد الزواج عمّا كان من قبل، وهذا بالطبع يرجع إلى لي دونغ باو. حتى إن سونغ جي شان وزوجته شعرا باختلاف طريقة تعامل الناس معهما بعد زواج ابنتهما عمّا كان من قبل، فكوادر الحي أولئك الذين كانوا يتعاملون معهم باحتقار وكأنهم لا شيء أصبحوا الآن يحترمونهم، حتى إن تطاوُل لي دونغ باو عليهم قبل بداية العام لم يستطع أحد أن يذكره فيما بعد. كما أنهما أصبحا يتناولان الأرز من منزل ابنتهما، ويحتفظان بقسائم الغذاء ليستبدلا بها قسائم غذاء وطنية لدعم ابنهما.

شرعت نساء فرقة شياوليجيا تباعًا في تربية الأرانب كثيفة الفراء بتوجيه من سونغ يون بينغ، كما جزَّت فراء تلك الأرانب التي رُبِّيَت من قبل لمرة واحدة بالفعل، أمّا والدة لي دونغ باو، فقد

كانت أول من تقوم بتربية الأرانب في الفرقة، لذا فقد جزّت فراء أرانبها مرتين في الشهر، جميعها جُزَّ فرائها مرتين، وصار لديها عدة أكوامٍ من الفراء.

وبمساعدة من المحافظ شيوي، أخذت سونغ يون بينغ الأرانب لتلقيحها في مزرعة الأرانب الجيّدة التابعة لأكاديمية العلوم الزراعية بالمقاطعة، وأخذت منها دفعتين من الأرانب الصغيرة المحسَّنة. فبمجرد نمو فراء الأرنب الصغير، يمكنك فرز الجيد من السيئ، وبعد شهرين من التربية، يبدو رأس الأرنب الصغير مربعًا، وفراؤه كثيفًا وسميكًا، وعند جزّ الفراء لأول مرة في الشهر الثالث، تشعر بمدى كثافته وكأنه يقاوم المقص. اضطرت عائلة لي دونغ باو لبناء حظيرة للأرانب، بل وكانت حظيرة من طابقين. لم يكُن هذا بمثابة مشكلة للي دونغ باو، إذ إنه اشترى بضع حمولات جرار من الطوب الأصفر المعيب، ودعا اثنين من أصدقائه للمساعدة في البناء، وبعد بضعة أيام استطاعوا بناء الإطار، ثم طلب لي دونغ باو من أحد أعضاء الكومونة الأكبر سنًا صناعة باب للحظيرة، وفي لحظة واحدة أصبحت الحظيرة مكتظّة بالأرانب. بدأ الجميع يحذون حذوهم، وأخذوا تباعًا في بناء حظائر الأرانب في الفناءين الأمامي والخلفي لمنازلهم استعدادًا لتربيتها في العام القادم، وبالتالي أُستهلِكَت كميات كبيرة من الطوب المعيب من المصنع، كما دُرِّب عدد كبير من الفلاحين على البناء.

يحظى لي دونغ باو بزوجة تعتني به جيدًا، حيث صارت ملابسه أنيقة ونظيفة عند الخروج، وتحسّن مزاجه كثيرًا، حتى إن وجهه أصبح أكثر إشراقًا بعض الشيء. ولأن سونغ يون بينغ ما

زالت تدرس في الجامعة بنظام الدراسة المسائية، فقد اتّفقا على إنجاب الأطفال بعد التخرُّج. ولكن والدة لي دونغ باو كان تشعر بأنه على الرغم من تميُّز زوجة ابنها في كل شيء، فإن هناك أمرين سيئين، الأول هو أن ابنها قد نسي أمر أمه بعد زواجه، وبمجرد عودته إلى المنزل تقع عيناه على زوجته فقط، والثاني هو أن زوجة ابنها ترفض حاليًا إنجاب الأطفال لعائلة لي.

زاد دخل العائلة كثيرًا، ولم تعُد هناك حاجة لتناوُل الأرز بالبطاطا الحلوة المجففة، ولم تعُد وجبة اللحوم في بعض الأحيان بعيدة المنال.

بسبب التعاقد على الأراضي، انقطعت إمدادات المزارع التي كانت تربّي الخنازير في فرقة شياوليجيا من النُخالة والخضروات، ولم تعُد تربّي الخنازير. ومع ذلك، كان كل منزل لديه نخالة الأرز الخاصة به، لذا أخذت المنازل واحدًا تلو الآخر في تربية الخنازير بفنائها الخلفي. ومع حلول الربيع، ذُبِحَت الخنازير المسمّنة، فاشترى لي دونغ باو نصف خنزير دفعة واحدة، وقطع نصفه وأرسله إلى منزل والديّ زوجته. وكان سونغ يون هوي قد عاد إلى المنزل لقضاء عيد الربيع حاملاً مواد اللغة الإنجليزية وقاموسًا كبيرًا ثقيلاً كالحجارة، فأخذ يأكل من لحم الخنزير حتى شبع وكبُر فمه من فرط الأكل وقت عودته إلى الجامعة، وقد شعر بالارتياح عندما رأى مدى محبة لي دونغ باو لأخته، ومدى سمنة أخته الناتجة عن الراحة النفسية، بل وحيويتها وثقتها الزائدة أيضًا. في حين شعر لي دونغ باو بالانبهار تجاه سونغ يون هوي حينما رآه يترجم الكلمات

الإنجليزية الصغيرة بحجم رأس الذبابة إلى رموز صينية مزدحمة كالمربّعات الصغيرة بسهولة متناهية وكأنه يشرب أو يأكل؛ حتى إنه لم يستطع سوى الجلوس والتحديق ببلاهة بجانب سونغ يون هوي عند زيارته لعائلة زوجته.

لم يمتدح سونغ جي شان وزوجته فقط صهرهما، بل كانت الأفواه تتشدّق بمدحه في أرجاء الفرقة كافة، وتقول إنه بعدما صار أمينًا للفرقة، استطاع الجميع أن يشبعوا في غضون عام واحد، بل وأكثر من هذا. إذ صار الجميع يقولون إنهم أخيرًا استطاعوا تناوُل لحم الخنزير المُسمّن هذا العام، وفي العام المقبل سيتمكّنون من تناوُل أسماك الشبوط وأسماك الأعشاب التي تُربَّى في بركة الأسماك بمجهوداتٍ فردية والتي تعاقدت عليها الفرقة. كما أنفقت الفرقة المال لشراء جهاز تلفاز ملون، وفي كل ليلة يُخرجه متخصص من مقر الفرقة ويفتح الصندوق ويضبط الإشارة، ويعرضه للجميع، ولمّا رأوا المحاكمة العلنية للين بياو وعصابة الأربعة على شاشة التلفاز، أخذوا يتناقشون عن الوقت الذي يتعلّمون فيه من هذه المحاكمة ويحاكمون القرد العجوز وعصابته، مما أخاف القرد العجوز كثيرًا لدرجة أنه بقي في منزله لعدة أيام، ومنذ ذلك الحين قُمعت غطرسته دون أن يشعر. لم يكُن لي دونغ باو يُحب قراءة الصحف، ولكنه كان يحب سَماع الأخبار، إذ كان يشعر بالملل عند قراءته للأخبار المكتوبة في الصحف، في حين كان يشعر بالحيوية عند سماعه للأخبار المعروضة على التلفاز، لذا كان يذهب أحيانًا لسماعها. وفكّر في أنه عندما يتمكّن من جمع ما

يكفي من المال، سيذهب مباشرة لشراء جهاز تلفاز ويشاهده في المنزل، كم سيكون هذا رائعًا.

بدأت الحياة تنطلق في مسارٍ إيجابي، وتتّجه بقوّة نحو الرخاء. أمّا بالنسبة للي دونغ باو، فلم يكُن بحاجة لكلمات دعم، إذ كان الجميع أنفسهم مبادرين، ومستعدين لخوض الرحلة، خشية من التخلُّف عن الركب.

عام 1981

1

لم يقتصر الأمر على ثراء فرقة شياوليجيا فحسب، بل بدا الأمر وكأن المجتمع بأكمله قد سمع طلقة البداية، واحد اثنان ثلاثة، وصار الجميع أثرياء فجأة، وبخاصة بعض الحرفيين الذين استطاعوا كسب المال بشكل أسرع، وسرعان ما صارت لديهم الأجهزة الثلاثة الرئيسة: ماكينات خياطة، ودراجات، وساعات، وبدأوا ينطلقون نحو شراء أجهزة التلفاز والتسجيل.

وخلال فترة عيد الربيع، وللمرة الأولى في تاريخ الفرقة، أقامت شياوليجيا مآدب زفاف للعرسان أكثر من تلك التي تُقام للعرائس. وجُرَّ لي دونغ باو للذهاب إلى المنازل التي تُقام فيها تلك المآدب، فكان كبير كل منزل يطلب منه أن يشهد على زواج ابنه، ولكن سونغ يون بينغ كانت تمنعه قائلة إنه من الأفضل ترك أمر الشهادة على الزواج للأمين الكبير، والذي على الرغم من تقاعده فإنه ما زال يحظى باحترام كبير. فكان لي دونغ باو يفعل كما تقول له، ولكن والدة لي دونغ باو لم تكُن راضية على الإطلاق، إذ إنها كانت ترى أنها تلك الأرملة التي ظلّت تتحمّل كل أنواع الصعاب لتربية ابنها، وقد اكتفت من نظرات استهزاء الآخرين، والآن بعدما كَبر ابنها

وأصبح أمين الفرقة، وحان وقت شعورها بالفخر، كيف يمكنها رؤية ابنها عند دعوتها لحضور مأدبة زفاف وهو يتنازل عن ذلك المقعد الشرفي للأمين الكبير بعدما أصبح بإمكانها الجلوس أخيرًا في المقامات الأولى؟ ولكن مُعارضة كلام زوجة ابنها والتحدُّث مع ابنها خفية لن يُجدي نفعًا، إذ إنه كان يميل حقًا لزوجته، وعلى الرغم من أنه رجُل قاسٍ، فقد كان كثيرًا ما كان يفهم تلميح زوجته، ومن فوره يُخفِض من نبرة صوته.

بعد تذكير ابنها لعدة مرات دون جدوى، قررت والدة لي دونغ باو الحديث مع زوجة ابنها بشكل شخصي، ففي النهاية، هذا منزل عائلة لي، وهي سيدة المنزل. أخبرت والدته زوجته أنه قد أصبح الآن أمينًا، والأمين هو كبير الفرقة بأكملها، ومن غير اللائق ألّا يشهد على زواج أي شخص. لقد توقّعت سونغ يون بينغ مبكّرًا بالفعل أن تعترض حماتها التي أصبحت تحت الأضواء الآن، ولكنها فقط لم تتوقّع أن تتحدّث معها بشكل مباشر، فقالت لها إنه من الضروري احترام الكبير والعطف على الصغير، وعلى الرغم من تقاعُد الأمين الكبير، فإن لي دونغ باو لا يمكنه استغلال الموقف، بل عليه التنازل وتقديم الاحترام للأمين الكبير. ولكن والدة لي دونغ باو لم توافق، قائلة إن هناك أمينًا مؤهلاً أكثر من الأمين الكبير، وبعد تولّي الأمين الكبير لمنصبه أصبح يشهد على الزواج، والآن حان دور ابنها الأمين الجديد، الأحوال تتغيّر، وهذا أمر مفروغ منه. عندئذ اضطرت سونغ يون بينغ للتوضيح مبتسمة، وقالت إن حفلات الزفاف في النهاية ليست عملاً، ولا ينبغي التركيز على الأقدمية فيها، فليست مشكلة أن يُكرِم لي دونغ باو الشاب الأمين الكبير،

ولكن في اجتماعات عمل الفرقة، لا يُمكن للي دونغ باو إلا أن يجلِس في المقام الأوّل. كان لي دونغ باو واقفًا بجانبها يستمع، وعند هذه الجملة قاطعها مؤكّدًا أن زوجته على حق، فاستشاطت والدته غضبًا؛ واستدارت تشكو لجيرانها يمينًا ويسارًا من معارضة زوجة ابنها لها، قائلة إنها ليست لها مكانة في منزلها، فتناقل البعض الحديث حتى وصل إلى مسامع سونغ يون بينغ، وعندئذ شعرت بالعجز، فقد تحولت حماتها من مظلومٍ إلى ظالم.

كلما شعر المرء بتراجع سلطته، زاد اهتمامه بمحاولة حفظ ماء وجهه أمام الجماهير. بعد عيد الربيع، رفضت والدة لي دونغ باو إيقاد النيران وطهي الطعام بعد الآن، والأدهى أنها رفضت تربية الأرانب كثيفة الفراء تحت توجيهات زوجة ابنها، حتى إنها كانت تغسل ملابسها فقط، وبعدما تنتهي منها، كانت تُحضر مقعدًا وتجلس مع جيرانها بجانب الحائط لتستمتع بأشعة الشمس. لم يكُن لي دونغ باو ميّالاً للقيام بالأعمال المنزلية على الإطلاق، بل لم يكُن يعرف أيضًا مدى تعقيد الأعمال المنزلية، بالأحرى لم يكُن لديه الوقت للاهتمام بهذه الأمور المنزلية التافهة، فغرقت سونغ يون بينغ وحدها في الأعمال المنزلية. لم تكُن سونغ يون بينغ تتوقّع أن تكون أعمال عائلة لي بكل هذه الكثرة، وعلى الرغم من أنها كانت قد اعتادت على تدبير أمور منزل عائلة سونغ من قبل، فإنها لم تكُن غارقة في العمل لهذه الدرجة من قبل. لذلك اشترت سونغ يون بينغ موقدًا للفحم، معتقدة أن عملية إيقاد الفحم دائمًا ما تكون مزعجة ومضيعة للوقت. ولكن والدة لي دونغ باو ظلّت تتذمّر بشأن هذه النفقات لعدة أيام، قائلة إن قش الأرز الجاهز في

المنزل لم ينتهِ بعد وسيتعفّن، ومع ذلك أنفقتِ المال لشراء الفحم، يا له من تبذير. أصبحت والدة لي دونغ باو تنفّذ استراتيجية الآن، فهي تعرف أنه لا جدوى من الحديث مع ابنها، لذا صارت تتجادل مباشرة مع زوجة ابنها، حتى أُصيبت سونغ يون بينغ بالإحباط، ولكنها ظلّت مُحرجة من دعوة حماتها للعمل. لذا اضطرت لتوفير وقت الدراسة للعمل.

كان لي دونغ باو ما زال محتفظًا بمنصبه في مصنع الطوب، يحصل على راتب ثابت، ذلك على الرغم من أنه لم يكُن ينزل إلى موقع العمل في مُعظم الأوقات. لم يبدأ المصنع العمل إلّا بعد انتهاء احتفالات العام الجديد، وقبل حتى أن يجلس لي دونغ باو على مقعده، هرع الكثيرون إلى بوابة المصنع لشراء الطوب. شعر لي دونغ باو بالارتباك، إذ كان البرد قارسًا في هذا الوقت، ولو صبَّ الأسمنت والجير فسيتجمدان في غضون ليلة واحدة، ولِمَ هذه العجلة على شراء الطوب؟ لكنه بعدما استفسر عن الأمر، علم أن الجميع قلقون بشأن التزاحم لشراء الطوب بعد عيد الربيع، ففي هذا الوقت سيتعيّن عليهم الوقوف في الطابور لشهر كامل للحصول على الطوب، وهذا سيؤثّر على خطة العمل. لذلك اتّخذ لي دونغ باو قرارًا سريعًا، مُقرّرًا بناء فرن طوب آخر.

كان لي دونغ باو يتسابق مع الزمن، فبحلول الظهيرة أمسك بمكبّر الصوت واستدعى كوادر الفرقة والأمين الكبير لعقد اجتماع. ولم يكُن أصلاً ممن يتحدّثون بتكلُّف، لذا فما إن جلس حتى قال: «لدي خطتان، الأولى بناء سقف لفرن الطوب القديم لمنع تأثير الأمطار على حرق ونضوج الطوب في الأيام الممطرة، والثانية بناء

فرن طوب جديد. انظروا، إننا نبيع أرخص بفنَّيْن، ونُسلِّم الطوب بعد أسبوع واحد، وما زلنا نروِّج لهذا بقرع الطبول والصنوج. والآن بعدما صار سعرنا مُساويًا لسعر فرن الطوب والبلاط في المحافظة، ما زال الناس يأتون إلينا لدفع المال وشراء الطوب، حتى إن عليهم الوقوف في الطابور لثلاثة أسابيع في الخريف ليتمكّنوا من شرائه. وقد رأيت المزيد منهم في ربيع هذا العام. إذا لم نبن فرنًا آخرَ، فستبنيه الفرق الأخرى مدفوعة بالغيرة منّا، ولكن من الأفضل أن نتحرّك نحن، كما يمكننا ترتيب انضمام أعضاء فرقتنا لمصنع الطوب. عمّي، كم سيتكلّف الفرن الجديد؟».

كان الأمين الكبير قد أُجبِر على التقاعد من قِبَل الكومونة، لذا كان يشعر بالاكتئاب، ولكن لي دونغ باو أطاع سونغ يون بينغ، حتى إنه كان يُقدِّم الأمين الكبير في المقام الأول في المناسبات كافة تقريبًا، وما زال يدعوه لحضور اجتماعات الفرقة، لذا أصبح الأمين الكبير يشعر وكأنه امبراطور متقاعد عظيم، وكان سعيدًا بالتعاون في اقتراح ابن أخيه دونغ باو. ففتح درج مكتب المحاسب ذي الأربع عيون وكأنه معتادٌ على الأمر، وأخرج دفاتر الحسابات، وأخذ يقلّب فيها وهو يحسب التكلفة في صمت. فأخذ المحاسب ذو الأربع عيون يُذَكِّرُه: «عمّي، ارتفعت أسعار الأشياء كلها العام الماضي، لا يمكنك النظر في الدفاتر القديمة».

«أعرف». قال الأمين الكبير هذا دون أن يرفع رأسه، ولكنه ظلّ يُقلّب في دفاتر الحسابات القديمة، وأخرج قلمًا وورقة ليُجري حسابات طويلة بحجم نصف الورقة، وقال بسهولة بالغة: «دونغ باو، لقد ضمَّنت حساب السقيفة أيضًا، ولكن حتى أبسط سقيفة

مشمع لن تكفي أموال مصنع الطوب بالإضافة إلى أموال الفرقة لشرائها، علينا اقتراض 45 ألف يوان».

وما إن سمع الحضور المبلغ حتى فغروا جميعًا أفواههم، ووجَّهوا أنظارهم إلى لي دونغ باو، فحتى لو كانت الفرقة غنية الآن، يستلزم 45 ألف يوان انقطاع جميع أهالي الفرقة عن الطعام والشراب لستّة أشهر حتى يمكنهم دفعها. وعلى الفور قال قائد الفريق: «دونغ باو، ما رأيك أن نبني أولاً سقيفة لفرن الطوب الحالي، فأمطار الربيع غزيرة، وهذه أولوية قصوى. أمّا بالنسبة للخمسة وأربعين ألفًا، فهي قرض كبير، من سيتمكّن من النوم بسلام في الفرقة بأكملها إذا ما اقترضناها؟!».

أصبح لي شي قن عضوًا في الفرقة، لذا كان عليه أن يدلو بدلوه أيضًا: «الأمين دونغ باو على حق، فمنذ تشغيل فرن الطوب، يتجاوز الطلب العرض في كل شيء، وطوابير المشترين أمام البوابة تزداد طولاً يومًا بعد يوم. يبدو الوضع جيدًا من الخارج، ولكن المشكلات ما زالت كثيرة في الداخل، فأسعار السلع الآن مرتفعة بهذا الشكل، ما العمل إذا ما ظلَّت الأسعار تزداد بشكل لا يمكن للجميع تحمُّله؟ لن يتمكّنوا من التحمُّل، والغذاء سيصير مشكلة، فمن ستتسنّى له الفرصة إذًا لبناء منزل؟ علينا أن نكون متحفّظين قليلاً، ونبني السقيفة أولاً، وندّخر الوقت في الأيام الممطرة، ولنرى ما إذا كان الوضع متأزّمًا في السوق، وإذا...».

«أخي شي قن، أنت ذكي، في مقدورك فهم الأمور، والآخرون يمكنهم ذلك أيضًا. ولكن إذا انتظرنا حتى تبني فرقة أخرى فرنًا

جديدًا، فلن يتسنّى لنا الوقت حتى للبكاء. اسمعوا لحساباتي، فبناء فرن جديد يمكنه حل مشكلة ثلاثين عامل قوي في الفرقة، وبناء سقيفة يمكنه تشغيل عشرة عُمّال لحفر الطين وصُنْع الطوب، وكل شخص من هؤلاء الأربعين سيحصل شهريًا على راتب قيمته من خمسين إلى ستين يوانًا، وستتمكّن فرقتنا من حل مشكلة معيشة أربعين شخصًا. أحسبتم الأمر من هذه الناحية؟» قال لي دونغ باو هذا بغضب.

أشاد الأمين الكبير بما قاله لي دونغ باو: «صحيح، علينا ككوادر فرقة أن نأخذ في عين الاعتبار المنافع الاقتصادية والاجتماعية أيضًا عند القيام بأي أمر. بالإضافة إلى أن، وبصراحة، إذا صار أعضاء الفرقة أغنياء الآن، فسيكون جمع الأرز كل عام أسهل قليلاً. سأصوت لصالح دونغ باو، ولكن بالنسبة لاقتراض المال، عليك يا دونغ باو حلّ هذا الأمر بنفسك، فحتى لو أخرجنا كل ما في تحت البلاط في الفرقة بأكملها، لن نستطيع أيضًا الحصول على خمسة وأربعين ألفًا».

قال المحاسب ذو الأربع عيون بلا تردد: «وأنا أُصوّت لصالح الأمين دونغ باو، ففي كل مرة يتخذ الأمين دونغ باو قرارًا، كان يبدو مندفعًا، في حين كانت النتائج النهائية تأتي جيدة».

وللوقت جالت في أذهان الجماهير كلمة واحدة: «التملُّق». وقال شي قن: «كلام المحاسب ذي الأربع عيون منطقي، أعلم أنني أميل دائمًا نحو التحفُّظ، ولكن... دائمًا ما أشعر بالقلق، أيها الأمين دونغ باو، إننا لا نمنعك، فأنت تعرف شخصيتي».

بالطبع كان لي دونغ باو يعلم أن شي قن لم يكُن يقصد التسبب في المشاكل، فقد أعانه حرص شي قن المعتاد في الكثير من الأمور، كما ساعده على تصحيح الكثير من الأخطاء، ولكنه الآن متأكّدٌ من صحَّة ما يفعله، وليس لديه صبر لمزيد من المناقشة. «أنا عند كلمتي، ولتنظروا النتائج. إننا الآن شبعى، وسنبدأ فيما بعد في المطالبة بالحصول على ما يكفي من الأسماك واللحوم. وما زلت أقول جملتي القديمة: لو تكبّد مصنع الطوب الخسائر، فلتضعوني أنا لي دونغ باو داخل الفرن وتحرقونني. وأضمن لكم ألّا تأتي أمي وزوجتي للثأر منكم. اتّفقنا، سأذهب إلى الاتّحاد الائتماني لطلب المال». وبعدما انتهى من كلامه، أخذ ينظر بعينين لامعتين إلى جميع الحاضرين.

وفي ظل نظراته البرَّاقة، أخذ جميع الحاضرين يصوّتون له واحدًا تلو الآخر؛ حتى أُجيزَ القرار بإجماع.

ولكن لي دونغ باو أخذ يناقش الأمر مع الأمين الكبير على انفراد، سائلاً إياه إذا كانت هناك طريقة لتقليل التكلفة، ولكن الأمين الكبير أجاب بالسلب، فهذه أقل تكلفة ممكنة. كما سأل الأمين الكبير لي دونغ باو عن كيفية استعداده للتعامل في حالة تدهور السوق، إذ لا يمكن أبدًا ترك الفرن خاملاً، والرفاق عاطلين. فأجاب لي دونغ باو أنه إذا كان مضطرًا في الحقيقة، فسيقلل السعر مجددًا، فعلى أي حال لا يمكن لمصنع الطوب المملوك للدولة أن يحرّك السعر كما يريد، فالدولة لن تسمح بذلك، في حين إنهم بإمكانهم أن يكونوا أسياد القرار في المشروع الذي نفذّته فرقتهم، لذا لا بأس بالقليل من تقويض المؤسسة المملوكة

للدولة. ولكن الأمين الكبير ظل يسأله أهذا أمر جيد؟ كيف يمكننا تقويض المؤسسة المملوكة للدولة؟ ولمّا قال لي دونغ باو هذا الكلام للأمين، شعر أيضًا بوجود خطأ ما، ولكنه فكّر بشأن شقاء العمل في مصنع طوب شياوليجيا مقارنة بالعمل في مصنع طوب المحافظة، لذا رأى أنه من الضروري حصول الرفاق في مصنع شياوليجيا على المزيد من الرزق.

ومع ذلك كان لي دونغ باو مضطربًا، بل لم يكُن أقلّ اضطرابًا من الكوادر الآخرين. تمامًا كما كان الحال عندما اندفع بشجاعة وهو الفقير المُعدمُ لتشغيل فرن الطوب بعد عيد الربيع في العام الماضي، وهو في الحقيقة حينها كان قلقًا لدرجة أنه كان يرى كوابيسَ في نومه ليلاً، حيث كان يرى قوالب الطوب متراكمة كالجبل ولا أحد يريد شراءها، وأحيانًا كان يرى الفحم ينفد قبل تسوية النصف الآخر من الطوب في الفرن. ولكنه كان يعتقد أيضًا أن عليه التفوُّق على الآخرين في أي شيء يفعله، فإذا لم يستطع أن يتحلّى بروح المثابرة التي يتمتّع بها الملك القرد سون وو كونغ، عليه أن يتعلّم من الخنزير تشيوي با جيه، عليه أن يتعلّم اقتناص الفرص. وإذا كنتَ في الطليعة، ستصير الفرص أمامك أكثر، أما إذا تبعت الآخرين، فلن تحصل على فرصة أبدًا.

ولكن، الأمور مختلفة الآن، فازدهار العمل في فرن الطوب القديم يبيّن صحة قراراته، وما قاله المحاسب ذو الأربع عيون صحيحٌ لا غبار عليه، فجميع النتائج تُثبت صحة قراراته في النهاية. ومقارنة بذاك الفقير المُعدم ذي العينين الهزيلتين الذي كان عليه في البداية، فقد أصبح اليوم خبيرًا في سوق الطوب الأصفر، إذ

صار يعلم أن السوق كبيرة وعليها طلب كثير. إذن ما الداعي لقلقه؟ فقط ليواصل تقدُّمه بشجاعة. فقد خشي من جُبن جماعة شي قن ليس إلا.

وما إن فكّر لي دونغ باو هكذا، حتى ألقى بجميع مخاوفه خلف ظهره؛ فلا يوجد ما يستحيل فعله في هذا العالم، فقط الأشياء التي لا تتوقّعها، إذا فكّرت فيها يمكنك الإقدام على فعلها.

ذهب لي دونغ باو مرة أخرى إلى الاتحاد الائتماني. وهذه هي المرة الثالثة التي يذهب فيها إلى هناك، ففي المرة الأولى ذهب لاستعارة المال لشراء الجرار، وفي المرة الثانية ذهب أيضًا لاستعارة المال لشراء جرار آخر، وفي المرة الثالثة، ذهب حتى دون سؤال، ودخل مباشرة إلى مكتب المدير. فقد رأى الدخان يتصاعد من الداخل. وما إن رآه مدير مكتب الاتحاد الائتماني حتى قال: «لقد أتيت في الوقت المناسب، دعني أسألك، هل الطوب لديكم أفضل أم الطوب لدى مصنع المحافظة؟».

«كل من استخدمه يعرف هذا، بالطبع الطوب لدينا أفضل. يا جناب المدير، أريد استعارة خمسة وأربعين ألفًا، وسأردّها بعد عام، لأبني فرنًا جديدًا».

«هل تجارة مصنع الطوب جيدًا حقًا هكذا؟ عندما طلبت الطوب من مصنع الطوب والبلاط بالمحافظة، أخبروني أن الكمية التي أريدها كبيرة، وفي مقدورهم أن يعطوني أولاً خمسة آلاف قالب، وسيكون بإمكاني الحصول عليها بعد شهر، لم يعرفوا حتى متى يمكنهم إعطائي باقي الكمية. اللعنة عليهم، لقد اشتريت الأسمنت بالفعل، ألن يتكتّل لو بقي إلى ما بعد الربيع؟».

«أتبني غرفة جديدة في منزلك يا جناب المدير؟».

«إن الاتحاد الائتماني يستعدّ لإقامة مبنى سكني من طابقين، وسيبدأ العمل به في شهر مارس، فما الفائدة من خمسة آلاف قالب طوب فقط؟! كما أن فريق الهندسة المعمارية بالكومونة يقول إن بناء المسرح أهم من بناء هذا المبنى السكني، فالمسرح مشروع مقدّم كهدية بمناسبة الاحتفال بالعيد الوطني للصين، وعليّ البحث بنفسي عن عُمّال بناء لإقامة هذا المبنى السكني، كما ترى أن المبنى السكني ليس كمنزل الفلاحين من الطوب اللبِن، وإنما مبنى سكني مكون من طابقين، مبنيٌّ من خرسانة مسلحة، أيمكنني الاطمئنان لتسليم الأمر لعُمّال البناء أولئك الذين لا يعرفون سوى بناء المنازل من الطوب اللَبِن؟ دعكَ من هذا، أتريد استعارة المال؟ هناك شرط واحد، من اليوم فصاعدًا، ستبيع كل الطوب الذي تُنتجه بالكامل لي».

«اتفقنا، كم قالب؟ إن جودة طوبنا لا غبار عليها، يصدر صوتًا عند طرقك عليه، وتجد القالب وحدةً واحدة وناضجًا تمامًا، ليس أسودَ كطوب مصنع الطوب والبلاط بالمحافظة». فكّر لي دونغ باو في أن مصنع الطوب والبلاط لم يقترض أموالاً من الاتحاد الائتماني قط، لذا لم يكُن لدى المدير أي تعليق حول ما قاله لي دونغ باو عن مصنع الطوب والبلاط.

«كم قالبًا...» أمسك المدير بعنقه وأخذ يفكّر، «لمَ لا تعطِني عشرين ألف قالب طوب كبداية، ثم أخبرك لتُحضِر المزيد إذا لم تكفِ الكمية عند التنفيذ، على أي حال عليك إعطائي الكمية حينها».

قال لي دونغ باو متعجّبًا: «عشرون ألف قالب فقط؟ ألا يوجد رسم واضح للمبنى؟ فلتعطني إياه، عندما كنت أخدم في الجيش، كنت أقود فرقة، وقد نفّذنا جميع المشروعات العسكرية، لذا يمكنني فهم الأمر. لنحسبها بشكل صحيح، تحسُّبًا من أن تطلب مني الآن بشكل مؤقت ولا يكفي الطوب فيما بعد يا صديقي».

«حسنًا، هذا رائع. لتلقِ نظرة، هذا الرسم من تنفيذي، وقد رأى الجميع أنه جيد على هذا النحو».

أخذ لي دونغ باو الرسم، وما إن ألقى نظرة حتى شعر برغبة شديدة في الضحك؛ فلو نظر رجل عبوس إلى هذا لضحك هو أيضًا، أليس هذا رسمًا لطالب في المرحلة الابتدائية؟ فقط ينقصه شمس ذهبية في الزاوية اليُمنى من أعلى، وبعض الحشائش الخضراء في الزاوية اليُسرى من أسفل. دفع لي دونغ باو الرسم إلى المدير قائلاً: «الهيكل الداخلي غير واضح في الرسم، كيف نحسبها؟ لتُخبرني ببساطة بما تريد، وعلى الرغم من أن رسمي قبيح، فهو سيفي بالغرض».

ومن ثم أخذ المدير يشرح بهذه الطريقة وتلك فكرته للي دونغ باو، وما إن سمع لي دونغ باو نصف ما قيل، حتى أطلق العنان للقلم الرصاص الذي في يده، وأخذ يهزّ رأسه قائلاً: «الأرض، لقد بنيت مثل هذا لمقر قيادة الرئيس من قبل... لا يمكن قول هذا، لنقل من الأفضل إنه لا يمكن بناء ممر، ومن الأفضل ألّا يكون الحمام والمطبخ مشتركين، ما رأيك إذا وضعنا الحمام في الخارج، فما العمل إذا ذهبت الحمام الخطأ في المساء وأنت تشعر

بالنعاس؟ كما أن الجو يكون باردًا جدًا في الشتاء. انظر إلى ما رسمته لك، هذا المنزل الذي كان يعيش فيه قائدنا، وكانت أول مرة أنفّذه حينها أيضًا، لقد استغرقت الفرقة حينها عدة أيام حتى يمكنها فهم الرسم». أخذ لي دونغ باو يقول هذا وهو يرسم رسمًا بسيطًا.

فسأله المدير متعجّبًا: «ألن تكون الرائحة كريهة إذا ما وضعت الحمام في الداخل؟ هذا لا يمكن، فلن يمكنك اللحاق بالذباب من كثرته في الصيف».

فقال لي دونغ باو: «لتلصق بلاطًا في الحمام، وتغسله بالفرشاة بشكل منتظم، هذا أكثر فائدة من الدِلاء التي يستخدمها الآخرون كمرحاض، وجميع القادة يفعلون هذا».

لم يعرف المدير ماذا يمكنه القول أمام رسم لي دونغ باو، فهو لا يفهم شيئًا مهما شرح لي دونغ باو، ولكنه فكّر بسرعة وصفع يد لي دونغ باو قائلاً: «ما دام يمكنك الرسم هكذا، ويمكنك تنفيذ مشروعات المنازل، كما أن لديك الطوب، فلماذا لا تؤسس فرقتكم فريقًا للهندسة المعمارية؟ سأقرضك خمسة آلاف أخرى خصصها لشراء معدات بناء المنازل، وسأطلب منك طلبًا آخرَ، عليك بالتأكيد أن تبني لي منزلاً في شهر مايو، فابني سيتزوج في شهر يونيو، وهو لا يريد السُكنى في مساكن شعبية. يمكنك البدء أولاً في تنفيذ المنزل على الجهة الشرقية، أريد مبنى من طابقين على الجهة الشرقية».

لمعت عينا لي دونغ باو، صحيح، فهناك العديد من البنائين في فرقة شياوليجيا، وثلاثة نجارين، وأغلبهم من العُزّاب المفعمين بالقوة التي لا يجدون موضعًا لاستخدامها فيه، كما أنه قائد قد

نفّذ العديد من المشروعات العسكرية من قبل، فلماذا لا يؤسس بنفسه فريقًا لمشروعات البناء؟ علاوة على ذلك، فإذا استخدم فريق الهندسة المعمارية الذي سيؤسسه بنفسه الطوب الذي ينتجه فرن الطوب الخاص به، ألن يزيد هذا من ضمان بناء فرن جديد؟ وعلى الفور ضرب لي دونغ باو مكتب المدير ضربة شديدة كادت تُغَيِّب المدير عن وعيه. ثم ظلّ لي دونغ باو جالسًا لوقت طويل داخل مكتب المدير، وأخذ يرسم ستة منازل وفقًا للمتطلبات، كما حسب تقريبًا الكمية المطلوبة من الحديد المُسلَّح، والأسمنت، والجير، والرمل والحصى، وأيضًا الخشب، وأنابيب المياه، ومواد الطلاء، حتى يذهب المدير لشرائها من وكالة التوريد والتسويق التابعة للكومونة. وعلى الفور طلب المدير من لي دونغ باو إحضار الجرار، ليتبعه ويحضر الحديد المُسلَّح والأسمنت ويبدأ أولاً في صب الأرضية. كان المدير مترددًا في البداية، ولكن زواج ابنه اضطره للموافقة على إعطاء زمام الأمور للي دونغ باو، ولكن بعدما رأى ثمار عمل لي دونغ باو، اقتنع بالأمر؛ وسرعان ما اتّصل بأصدقائه في وكالة التوريد والتسويق يطلب منهم الإسراع بتزويد لي دونغ باو بما يحتاجه، فما زال جيدًا في إنهاء المصالح في الكومونة.

كان لي دونغ باو يعرف جيدًا ما يريد، فأخذ 50 ألف يوان وعاد بها، وبدأ العمل في فرن الطوب والسقيفة تحت إشراف الأمين الكبير، وحدد اثنين من البنّائين ونجارًا للأمين الكبير. ثم اشترى المعدّات اللازمة بالخمسين ألف يوان، وقاد جميع البنائين واثنين من النجارين وعشرين عاملاً مساعدًا للذهاب إلى الكومونة وتنفيذ مبنى كبير على الطراز الغربي.

لقد عمل لي دونغ باو سابقًا كقائد للفرقة بالإنابة، وأشرف على أربعين شخصًا تقريبًا في العمل، والآن فقد أصبح أكثر خبرة ونضجًا، وصار حاذقًا في القيادة، كما أن له هيبة دون حتى أن يغضب، ولا يجرؤ أحد على التكاسل في موقع البناء. كان المدير يذهب يوميًا لتفقُّد العمل في الموقع، ويرى الجدران الخارجية والداخلية المبنية من الطوب الأحمر ترتفع من الأرض بسرعة مذهلة، حتى إن أبناء الحرفة لما رأوها قالوا إن هذه الجدران مستقيمة خالية تمامًا من أي تعرُّجات. ولما اكتمل نصف الطابق الأول، حينها فقط أدرك المدير كيف سيبدو هيكل المنزل في النهاية، وتبيّن أن سلمًا واحدًا يُصعِد إلى غرف المنزل، وبدا المنزل من الخارج «محدّب الشكل»، وفي النهاية وُضِع الحمام والمطبخ في الداخل، وبمجرد إغلاق باب المنزل، لا يظهر أي شيء لمن في الخارج. ولمّا رجع المدير وأخبر ابنه عن الأمر، صار متشوّقًا للزواج على الفور.

سار العمل في بناء المنزل بسرعة كبيرة، فكان العُمّال يبدأون العمل في الصباح الباكر ولا يتوقّفون عن العمل حتى حلول الظلام، تمامًا كالعُمّال الذين كانوا يعملون من رؤية النجوم إلى ظهور النجوم في اليوم التالي فيما مضي، ولكنهم جميعًا لا يتذمّرون. كان الجميع يعودون إلى منازلهم متعبين لدرجة أنهم كانوا يعلقون في الوحل في طريق العودة من شدة الإرهاق، بما في ذلك لي دونغ باو، فأحيانًا ما كانت سونغ يون بينغ تساعده في الاستحمام بعد عودته إلى المنزل. كما كان هناك القليل من العُمّال المساعدين الأذكياء الذين ضربهم لي دونغ باو على مؤخرة رأسهم، وأخذ يعلّمهم كيفية

بناء الجدران ووضع الأسمنت خطوة بخطوة، فانطلقوا مسرعين إلى المعركة ليمارسوا ما تعلّموه. وكانت صيحات لي دونغ باو تنتشر في أرجاء موقع البناء. وبعد أسبوعين، بُني الطابق الأول، وبعد شهر، انتهى بناء الإطار بالكامل، وبدأ العمل في تسوية الأرضية بالملاط لتوصيل أسلاك الكهرباء وأنابيب المياه. ولمّا ظهر النموذج المبدئي للمبنى المكوّن من طابقين ببلاط أحمر وجدران بيضاء أمام الجميع، ذهلت الكومونة بأكملها، إذ لم يرَ أحدهم منزلاً بهذا الطراز الغربي من قبل، فكانت به شرفات من الأمام والخلف، وكانت الشرفات مقوّسة، وعند مدخل رواق المنزل، كان هناك عمودان أسطوانيان أبيضان كالثلج كتلك العمدان القائمة عند بوابة قاعة الشعب الكبرى. وعند الدخول إلى المنزل، تجد الجزأين الأمامي والخلفي من المنزل ساطعين، كما أن هناك حمامًا مخصصًا وبداخله مرحاض قرفصاء مصنوع من الخزف الأبيض، ولا داعي لتفريغ دلو التبوُّل صباح كل يوم، فبمجرد دفع المياه يصير نظيفًا تمامًا، كما كان هناك مكانٌ للاستحمام، ومياه الاستحمام تتصرّف بصورة تلقائية. حتى إن البعض قالوا إنهم لم يروا مثل هذا المنزل إلّا في المناطق الراقية بشانغهاي. ولّما رأى المدير المنزل على أرض الواقع اطمأن قلبه، فمثل هذا المرحاض الموجود داخل المنزل لن يكون كريه الرائحة.

أثار تقسيم هذا المنزل سداسي الغرف ضجّة في الاتّحاد الائتماني. مكتبة سُر مَن قرأ

فقبل حتى أن يُنهي لي دونغ باو وجماعته عملهم في المنزل، أرسلت إحدى جهات العمل عالية الأرباح في المحافظة إليهم

تطلب منهم بناء ثلاثين مهجعًا للموظفين على هذا الطراز. وبعد التسوية النهائية لحساب مهاجع الاتحاد الائتماني، ذُهل جميع أعضاء فريق الهندسة المعمارية بشياوليجيا، فبعد شهر ونصف دُفع للفريق ما يكفي ويزيد، وحصل كل شخص على متوسط مائة وخمسين تقريبًا. ورأى الجميع أنهم حتى ولو ماتوا من كثرة العمل، فالأمر يستحق في النهاية.

قاد لي دونغ باو فريق هندسة البناء منطلقًا من الكومونة إلى المحافظة دون توقُّف، وواصل العمل هناك. ولكنه هذه المرة رتّب الأمر جيدًا في ذهنه، فقد اشترت الفرقة بنفسها الأسمنت والحديد المُسلَّح والرمل والحصى، كما أخرجوا سي باو من مصنع الطوب وجعلوه مسؤولاً عن صبّ الألواح الأسمنتية الجاهزة، ولكن من دعاهم لبناء المنازل، عليه شراء الخرسانة الجاهزة بماله، وبهذا الشكل يمكنهم ربح مبلغ جيد من المال. فطلب لي دونغ باو ببساطة من المحافظ المساعدة في كتابة خطاب تعريفي، إذ إن الحصول على الأسمنت والحديد المُسلَّح مباشرة من شركات الإمدادات المدرجة يكون أرخص وبعدد سلع أكبر. وقد صار مدير جهة العمل عند رؤيته الآن يبدو كمن يرى كنزًا، إذ اعتاد منذ وقت طويل على نظرته الشرسة، فما إن رآه آتيًا محدّقًا بعينيه، حتى وافق مباشرة على إعطائه قرضًا آخرَ لشراء جرار أحمر من ماركة دونغفانغ دون أن يرفّ له جفن، ولم يشعر بالحرج حتى من إخباره بالفوائد التي يريدها منه.

كان لي دونغ باو يقفز على الجرار ويتجوّل في المدينة والمحافظة، وكان له مخطط، إذ طلى الجرارين الأحمرين

باللون الأسود مستخدمًا القار، وطلب من هونغ وي الذي يجيد الكتابة بخط جميل أن يستغل الفرصة ويكتب على الجرار «فرقة شياوليجيا» بالطلاء الأحمر، وبمجرد قيادة الجرار، تنتشر الدعاية المزدهرة لفرقة شياوليجيا، وهكذا تزيد حماسة الباحثين عنه للزواج أكثر من ذي قبل.

كان أعضاء فرقة شياوليجيا يتدافعون خلف لي دونغ باو متعطّشين للمال، بينما كوادر الفرقة ينظرون بخجل إلى كومة الديون المتراكمة خلفهم.

كان لي دونغ باو متحمّسًا جدًا لدرجة أنه كاد أن يبلغ من التفاني ما بلغ دا يو[1] الذي مر ثلاث مرات بباب بيته دون أن يدخله. ولحسن الحظ، أنه كعريس جديد، كان عليه العودة يوميًا إلى منزله، ولكنه من شدة التعب لم يكُن يستطيع فتح عينيه بعد عودته. ولمّا كانت سونغ يون بينغ تراه هكذا، لم يكُن باستطاعتها إخباره بمعاناتها خوفًا من إزعاج زوجها المجهد طوال اليوم.

في الربيع الدافئ تتفتّح الأزهار، وتتزاوج الأرانب وتلد تباعًا، فتصير الأعمال اليومية الواجب إنجازها في حظيرة الأرانب لا نهاية لها، ولكن حماتها كانت تجلس يوميًا دون حراك في الساحة تستمتع بدفء الشمس مع جاراتها المسنّات غير القادرات على الحراك. عادة ما تكون إناث الأرانب مطيعة لا تتحرك كثيرًا وقت

(1) دا يو: بطل أسطوري عُرف بتفانيه في مكافحة الفيضانات في الصين القديمة. تقول الأسطورة إنه: مرّ ثلاث مرات قرب بيته خلال عمله، دون أن يدخل، لأنه كان مشغولاً بخدمة الشعب.

قصّ فرائها، أمّا بالنسبة لذكور الأرانب فمن الأفضل أن يمسك بها شخصان معًا عند قص فرائها، ولكن كيف لسونغ يون بينغ أن تزعج حماتها. كل هذه الأرانب، لن يمكنها قص فرائها بمفردها. ولكنها تعلم أيضًا أن الأرانب في شهر إبريل ستلد أكثر من مئة أرنب من الأرانب كثيفة الشعر جيدة النوع، ويجب توزيعها على جميع المربّين في الفرقة لتربيتها، كما يجب أيضًا مراقبة الأرانب الصغيرة التي لم تفتح أعينها بعد أثناء الرضاعة بعناية، وإلا فلن تتمكّن الأرانب الضعيفة من الرضاعة، أو ستطأ الأرانب الكبيرة تلك الصغيرة، فقد تحدث أي مشكلة. كما كانت تعلم أنها بمفردها لن تستطيع القيام بكل هذه الأمور حتى ولو ظلّت تعمل لأربع وعشرين ساعة يوميًا بداية من ذلك اليوم الذي تشرع فيه الأرانب في الولادة واحدة تلو الأخرى. فكّرت في ألّا تعتمد على حماتها وتبحث عن أحدهم للمساعدة. ولكنها قلقت، إذا ما فعلت هذا، فهل ستُتّهم باستغلال العُمّال؟ إنها لا تخشى من كثرة التعب مطلقًا، وإنما تخشى تصنيفها ضمن الطبقة الاستغلالية بعد حصولها على ردّ الاعتبار بصعوبة بالغة، كما تخشى تلك الأيام الصعبة التي كانت عُرضة فيها للانتقاد في أي وقت، بل وتخشى بالأكثر توريط لي دونغ باو في الأمر.

لذلك أرسلت إلى أخيها الصغير لتسأله عن إمكانية تعيين أحدهم للمساعدة، وكانت ذاكرة أخيها كقاعدة البيانات: في العام الماضي، كانت هناك وثيقة بشأن العاملين لحسابهم الخاص في غير الزراعة، وقدّ نصّت بوضوح على عدم السماح باستغلال الآخرين في العمل. إذا ما تحايلت على القانون وطلبت المساعدة

من أحد الأقارب فلن تكون هناك مشكلة، ومن ثمَّ تُعطِيه راتبه بعد انتهاء العمل كهدية شكر، ولن يقول الآخرون شيئًا، ولكن إذا ما طلبتِ المساعدة من غير الأقارب، فقد يكون الأمر متعبًا. ومن ثمّ لم تجرؤ على التفكير مرة أخرى في إيجاد أحدهم للمساعدة.

عندما رأت موعد ولادة الأرانب يقترب شيئًا فشيئًا، اضطرت سونغ يون بينغ لمناقشة الأمر مع لي دونغ باو على انفراد، إذ لم تستطع التحمُّل أكثر من ذلك. أمسكت بلي دونغ باو الذي كان مستلقيًا على السرير بعد انتهائه من تناول الطعام، وسألته مشيرة إلى وجهها: «دونغ باو، ألا ترى أنّي نحفت؟».

فدقق لي دونغ باو النظر ثم أسرع قائلاً: «يبدو أنكِ لم تنحفي، ولكن وجهك لا يبدو على ما يرام. ماذا بكِ؟ هل أنتِ مريضة؟».

أبعدت سونغ يون بينغ يد لي دونغ باو التي تتحسس جبهتها، وأجابته متنهّدة: «لست مريضة، وإنما متعبة. الطقس حار قليلاً الآن، وعليّ قصّ فراء الأرانب كلها. والأرانب حُبلي في هذه الأيام، كما أنها تأكل كثيرًا، والكثير منها مريض، إنني منشغلة جدًا، ولكن بعد بضعة أيام سأصبح أكثر انشغالاً، فالأرانب الصغيرة ستولد، وهذه الأرانب الصغيرة جميعها هي شريان حياة الأعمال الجانبية لفرقة شياوليجيا، ومن الأفضل ألّا يموت واحد منها، بيد أنني لن أستطيع القيام بكل ما تحتاجه، فما العمل؟».

«الأمر سهل جدًا، فمن يريد تربية الأرانب، عليه المجيء لمساعدتك لمدة ثلاثة أيام، وسأعلن الأمر غدًا، ولا أحد سيجرؤ على الرفض. لا تتعبي نفسك، فأنا أشعر بالأسف من أجلك».

لم تتوقّع سونغ يون بينغ أن تُحلّ الأمور بهذه السهولة، فلم تستطع منع نفسها من الضحك، إذ إنها أدخلت نفسها في كثير من المتاهات عندما اعتمدت على تفكيرها. «حسنًا، أريد فقط من يساعدني في تنظيف بيوت الأرانب، وجمع الخضروات من الحقل وتقطيعها، والذهاب إلى محطة الحبوب لشراء النخالة، هذا فقط. وسأتولّى أنا الأمر بعد ولادة الأرانب الصغيرة، فالأرانب الصغيرة تكون ضعيفة، وأخشى عليها من العدوى، قد تُصاب ببكتيريا إذا ما تعاملت مع الكثير من الأشخاص».

قال لي دونغ باو: «ليست أمور كثيرة، يمكن لوالدتي أن تقوم بها أيضًا. أليس أكثر ما تكرهين هو دخول وخروج الناس كثيرًا في المنزل؟». أطرقت سونغ يون بينغ، وحاولت ألّا تنفعل: «والدتك، إنها الآن لا تأتي لتناول الطعام إلّا بعدما أذهب إلى الساحة وأدعوها مرتين لتأتي، وفي المرة الأولى تتظاهر بأنها لم تسمعني». فأسرع لي دونغ باو بالجلوس بعدما كان متكئًا على مقدمة السرير، وما إن رأته سونغ يون بينغ هكذا حتى أسرعت بتهدئته، وقالت بصوت منخفض: «ماذا تفعل، إنها والدتك، لقد ربّتك بما يكفي حتى تقاعدت، لا تكُن قاسيًا هكذا. من الأفضل ألّا نتجادل مع الكِبار، علينا إيجاد طريقة أخرى».

نظر لي دونغ باو إلى سونغ يون بينغ، وحينها أدرك الأمر قائلاً: «لا عجب في أن وجهك يبدو سيئًا، وعيناك تكونان منتفختين عند الاستيقاظ صباحًا. ظننت أنكِ قد اعتدتِ على الأمر بعدما ربيتِ كل هذه الأرانب في منزل والديك، لم أتوقّع أن... هل تركتِ محاضراتك بالجامعة المفتوحة مؤخرًا؟».

وما إن سألها زوجها هذا السؤال حتى ذرفت دموعها من شدة الشعور بالظلم، فغضب لي دونغ باو وهمّ بالذهاب إلى والدته، ولكن سونغ يون بينغ أمسكت به بشدة لتمنعه من الذهاب إليها خوفًا من أن تسوء الأمور أكثر. فأدار لي دونغ باو عينيه وأخذ يفكّر، واكتشف أن الأمور متعبة في المنزل أكثر من تلك التي في موقع البناء، فهناك فردان في المنزل، ولا يمكنه أن يدير ظهره لأيٍ منهما، كما لا تجرؤ زوجته على رفع صوتها. ففكّر طويلاً، ثم قال: «فلتبيعي هذه الأرانب، فقط بيعي كل الأرانب ببساطة. ولتتركي لي أمر كسب المال فيما بعد، انظري، بعد شهر واحد صار راتبي من مصنع الطوب أربعين، ويمكن لفريق هندسة البناء أن يحصلوا على أكثر من مئتين بشكل أساسي، حتى المحافظ شيوي لا يمكنه الحصول على كل هذا المبلغ. لقد قلت من قبل إنني لن أدعك تشقين عندما أتزوّجك، عليكِ مواصلة الدراسة في الجامعة، وستعملين كمحاسبة لدي فيما بعد، ولن يكون لديكِ الوقت لتربية الأرانب».

«أنا لست سيدة برجوازية، ولست حساسة لهذه الدرجة، أنا فقط قلقة...».

«لقد قال أخوكِ إنكِ الأكثر قلقًا، لا تقلقي، أنا أتولّى الأمور في هذا المنزل، فلتقضي مزيدًا من الوقت في الدراسة، فأنتِ مشروع مُحاسب، لا يمكنك الاستمرار في تربية الأرانب، هكذا يمكنك تحقيق حلمك». أطرقت سونغ يون بينغ تفكّر لوهلة، وفجأة أضاء وجهها، ثم تنهدت قائلة: «نعم، لم أحسب الأمر جيدًا وصرت كمن يضع العربة أمام الحصان الذي يجرّها، وإلا فلمَاذا أدرس

في الجامعة منذ البداية. فلأتخلص من هذه الأرانب، وأركّز على دراستي، فأنا أحسد هوي الصغير على تفوُّقه في الدراسة. دونغ باو، انظر، لقد كنت أفكّر في الأمر لعدة أيام، وظللت قلقة لمدة شهر تقريبًا، وأتيت أنتَ لتحلّ المشكلة ببضع كلمات فقط. أنت عظيم حقًا».

عندئذ شعر لي دونغ باو بالاطمئنان، بل وأثنت عليه زوجته أيضًا، فابتسم قائلاً: «فيما بعد إذا كان لديكِ ما يشغل بالك فلتخبريني مباشرة، وإلا فلن أدرك الأمر فأنا غليظ القلب. وأمي...»

غطّت سونغ يون بينغ فمه وقالت بصوت منخفض: «لا تتدخل في شأن أمّك، يمكنك انتقادها باعتبارك ابنها، ولكن قلبها يضمر غضبًا ستصبُّه عليَّ أنا فقط، لذا فمن الأفضل أن ندعها وشأنها. هناك أمر آخر أريد مناقشته معك، كما ترى لقد ظلت الأمطار تسقط لعدة أيام، ودائمًا ما يتسرّب ماء المطر من الجزء السفلي للجدار، فصارت الغرف قاتمة جدًا، ونبتت الطحالب على جميع الجدران المطلية حديثًا. نحن الشباب عظامنا قوية، ويمكننا التحمُّل والسكنى فيها، ولكن والدتك كبيرة في السن، وقد تؤذي السُكنى فيها قدميها وساقيها. إذا ما بعت الأرانب بالكامل هذه المرة، سأتحصّل على مبلغ ليس بقليل، يمكننا هدم بيوت الأرانب وبناء منزل من الطوب في هذا المكان، وبعدما نحصل على مزيد من المال نهدم منزلنا ونبني منزلاً آخر من الطوب أيضًا».

وما إن سمع لي دونغ باو ما قالته حتى قال بخجل: «انظري كم تقلقين بشأن أمي، في حين أن أمي قليلة المعرفة تتنمر عليكِ.

يمكننا بعد هدم بيوت الأرانب في الخلفية أن نبني جدارًا ونزرع أشجارًا للفاكهة، وسأطلب موافقة الفرقة على تأسيس غرفة أمي. إذا بنينا منزلاً صغيرًا في الخلف، سيحجب الهواء تمامًا عن منزلنا».

«لا، أنت أمين الفرقة، لا يمكنك أن تتميّز عن الآخرين، فإذا حصلت على موافقة بشأن تأسيس الغرفة، لن تصمت أفواه تلك العائلات التي لديها عدد أكبر من الأفراد». ابتسم لي دونغ باو وقال: «أنت تقلقين مرة أخرى. سأحصل على موافقة بشأن أرض قاحلة وليست أرضًا خصبة، من يجرؤ على الثرثرة. ستكفي الموافقة على أربعين مترًا مربعًا. سأمهّد الأرضية في غرفة أمي حتى لا تصرخ من برودة قدميها في شتاء كل عام. كم لدينا من المال الآن؟».

صدّقت سونغ يون بينغ أن لي دونغ باو يقوم بالأمور بطريقة منهجية، فلم يعُد لديها شك، وعلّقت دموعها في عينيها، ثم أخرجت دفترًا رفيعًا بابتسامة هادئة: «انظر، لقد سجّلت كل الحسابات».

تفاجأ لي دونغ باو بمجرد رؤيته: «لدينا كل هذا؟ لقد جمعنا ما يكفي لبناء منزل صغير منذ وقت طويل. انتظري، سأطلب من أحدهم استبدال قسيمة الشراء، وسنذهب إلى المدينة لشراء جهاز تلفاز، حتى لا تضطري للذهاب إلى المحافظة من أجل حضور المحاضرات. ربما يتعيّن علينا الذهاب إلى شانغهاي لشراء ساعة يد، سأسأل أيًّا من الأقارب لديه وسيلة لهذا. ونحتاج أيضًا إلى ماكينة خياطة».

ضحكت سونغ يون بينغ بصوت عالٍ قائلة: «كيف لك ألّا تستطيع إبقاء أي مال في يديك هكذا، الفرقة الآن مثقلة بالديون، وأنت لا تفرح إلا بعدما تنفق ما لدينا من مال قليل، أيها المشاغب». ولمّا رأى لي دونغ باو زوجته أخيرًا وقد ضحكت، انقضّ عليها وقبّلها قبلتين ثم أفلتها وقال: «سيُدفع الراتب قريبًا جدًا، لا تقلقي. سنشتري ببساطة ثلاث ساعات يد، واحدة لكل منّا، وواحدة أيضًا لهوي الصغير، فليس من اللائق أن يحمل هذا الطالب الجامعي المحترم كل يوم المنبه المعدني المتهالك الذي أحضره من المنزل أثناء ذهابه إلى المحاضرات وإيابه. أشعر بالحرج من ارتداء الساعة القديمة التي أهديتِها لي كهدية زواج، يمكنك إعادتها إلى والدتك فيما بعد، فوالدتك تحتاج إلى واحدة أيضًا».

لم تستطع سونغ يون بينغ منع نفسها من الضحك ولكمت لي دونغ باو قائلة: «أيها المُبَذِر». لكنها أطاعت ما قاله، فدائمًا ما تكون أفكاره غير متوقّعة، ولكن معظمها تكون جيدة. كانت سعيدة حقًا، فقد أخذ لي دونغ باو عائلتها أيضًا بعين الاعتبار.

لكن، في الوقت الذي كان مدير الاتحاد الائتماني التابع للكومونة يواجه صعوبة في التعامل داخل المحافظة، كانت مذكرة المحافظ شيوي قد بدأت تأثيرها للتوّ، فأخذ سي باو مذكرة المحافظ أولاً واتّجه إلى قسم المبيعات التابع لمكتب تجارة البلدية لشراء الأسمنت والحديد المُسلَّح، ولكن سرعان ما قوبل بنظرات باردة، وسمع ردودًا باردة. ومرة بعد مرة، عاد فارغ اليدين، ولم يستطع سي باو إلّا أن يذهب إلى لي دونغ باو لإبلاغه بصعوبة الموقف. قال سي باو بوجه بائس حزين، إنه ذهب لشراء الحديد

من المدينة، ولكن أولئك الموظفين في مكتب الخامات بالبلدية ماطلوا في البداية، وطلبوا منه الانتظار، وبعدما نفد صبرهم لإلحاحه، شكوا عدم مبالاة المحافظ شيوي بالوضع العام، وأنه فقط يحصل على مميزات لمشروعاته الخاصة داخل المحافظة، ويوافق على المذكرات بشكل عشوائي للمساعدة في شراء الخامات المخطط لها، ولا يعرفون أي مميزات يحصل عليها من مشروعاته. ومشروعات المحافظات والمدن الأخرى ترغب أيضًا في الاندفاع نحو التحديثات الأربعة، ولكن لو حصلت محافظتكم على كافة الخامات، فكيف سينتج الآخرون. ثم قال سي باو إنه ذهب مرة أخرى لاحقًا، ولم يهتم به الموظفون قائلين إنهم لا يمكنهم تمييز محافظة المحافظ شيوي عن البقية.

فوجئ لي دونغ باو، ماذا، مذكرة المحافظ عديمة الفائدة؟ أراد لي دونغ باو الإسراع على الفور إلى المحافظة لإبلاغه، ولكنه فجأة تذكّر أنه حتى ولو لم يسمح مكتب الخامات بالشراء، ألن يسِير الأمر إذا ما ذهب مباشرة للشراء من المصنع؟ تمامًا مثل مصنع الطوب والبلاط بالمحافظة، ألا يكون الأمر أصعب عندما يشترون الطوب من قسم المبيعات بوكالة التوريد والتسويق بدلاً من شرائه مباشرة من المصنع؟ عندما عاد لي دونغ باو إلى منزله، وضع المنشفة وفرشاة الأسنان في حقيبة، وتتبّع عنوان مصنع الأسمنت المطبوع على كيس الأسمنت وعنوان مصنع الحديد والصلب المعلّق على لفة الحديد المُسلَّح، وذهب برفقة سي باو يتتبّعان الطريق للوصول مباشرة إلى المصنع.

في البداية، وصلا إلى مصنع أسمنت في المقاطعة نفسها، وكان العاملون في قسم التوريد والتسويق بالمصنع مهذّبين جدًا، فما إن رأوهما آتيين من مكان بعيد حتى أحضروا لهما كوبين مملوءين بالشاي المُركّز. ولكنهم أخبروهما بأسف شديد إنه مصنع مملوك للدولة، وأن الدولة هي التي تورّد مواد الإنتاج وفقًا لخطة محددة، والمواد المُنتجة يجب بيعها للدولة وفقًا لمهام التوريد التي نصّت عليها الدولة، وفي النهاية توزّع الدولة الأسمنت بشكل موحّد إلى المناطق المحددة.

كان كلام العاملين منطقيًا، وبمجرد سماع سي باو لهذا تدلّت زوايا عينيه وشفتيه، وقال في قلبه إنه لا يوجد أمل، وأصبح كمن يصير مديرًا لمصنع المنتجات الأسمنتية بعد صعوبات كثيرة ولكن لا يجد طعامًا ليأكله فيضطر لإغلاق المصنع. لم يكُن لي دونغ باو مستعدًا للاستسلام، فأمسك بكوب مطليّ بطبقة من المينا، ومدّ رقبته باحثًا عن رئيسة قسم التوريد والتسويق، ولمّا وصل أمامها قال باختصار: «أيتها الرئيسة، كما ترين لقد أتينا من مكان بعيد، فلم لا تبيعين لنا بضعة أطنان، فقط بضعة أطنان، يكفي أن تعطونا بضعة أطنان فقط».

فلمّا وجدت مديرة القسم لي دونغ باو لديه حس الدعابة، قالت ضاحكة: «المواد الخام التي نستوردها والمواد الأسمنتية التي ننتجها جميعها بحصص محددة، وإذا خالفنا القواعد وبِعنا لكما، ستحدث فجوة كبيرة في مستودعنا، ولن نستطيع إنجاز خطة العام الحالي؛ وإذا لم نستطع إنجاز خطة العام الحالي، ستتلاشى مكافأة نهاية العام كفقاعة».

كان سي باو يشعر بالخجل نيابة عن لي دونغ باو عند سماعه لهذا، وأخذ يفكّر في داخله كيف للي دونغ باو أن يقول مثل هذا الكلام دون المستوى، لا بد من أنها مزحة. في حين أن لي دونغ باو لم يهتم مطلقًا، وظل محدّقًا في رئيسة القسم وقال لها باختصار: «أيتها الرفيقة، أعتقد أنه من الممكن ملء تلك الفجوة بسهولة، إذ يمكنكم أيضًا استيراد بعض المواد غير المخطط لها لإنتاج الأسمنت، ولا تعطوا الأسمنت المُنتج لمكتب التجارة، ألن يسير الأمر إذا بعتموه مباشرة؟ ثم تصرفون الأموال الناتجة عن البيع كمكافآت لنهاية العام، وتبيعون الأسمنت لنا. لمّا رأى سي باو لي دونغ باو وهو يربّت على المنضدة ويتحدّث بجدية، شعر وكأنه يريد أن يستتر تحت المنضدة حقًا، فهذه مؤسسة مملوكة للدولة، مؤسسة رسمية، وتقوم بكل شيء وفقًا للخطط والقواعد، ونظامها صارم، كيف للي دونغ باو أن يتحدّث كما يريد هكذا، كيف يمكن لشخص أن يتفوّه بمثل هذا الكلام الدنيء. فصار كما يقول المثل: إن تبِع النمر أكل اللحم، وإن تبِع الكلب أكل القذر. لقد تعرّض للإحراج اليوم مع لي دونغ باو.

وكما هو متوقّع، فقد ابتسمت رئيسة قسم التوريد والتسويق وقالت: «أيها الرفيق لي، أيها الأمين لي، نحن نتفهّم شعوركم، ولكن مؤسستنا مؤسسة مملوكة للدولة، علينا القيام بالأمور وفقًا للمهام التي تخطط لها الدولة، فلو فعلنا كما تقول وتصرّفنا خارج الخطة، وانشغلنا عن العمل المخطط له، ألن تصير البلاد في حالة من الفوضى؟».

كان سي باو يريد حقًا جرّ لي دونغ باو من يده والخروج، ولكنه دائمًا كان قلقًا بشأن وجه لي دونغ باو الصارم، لذلك لم يكُن يجرؤ إلا على أن يحدث نفسه فحسب، واستمر بلا حول ولا قوة في سماع الأمين وهو يواصل حديثه بلا توقُّف: «أيتها الرفيقة، ما زلنا مدينين للاتحاد الائتماني بمبلغ كبير من المال. فلتساعدينا، فلتساعدي فرقة شياوليجيا، فرقتنا، يجب أن تساعدينا». فعبس وجه سي باو ولم ينبس ببنت شفة.

قالت رئيسة قسم التوريد والتسويق: «ليس الأمر أنني لا أريد المساعدة، وإنما أنني لا أستطيع. لنقم بهذا، سأعطيكم بعض عناوين مصانع الأسمنت والجير في مقاطعتنا، ولتذهبا إليها وتسألا هناك. ولكن على كل حال لا تعلّقا آمالاً كثيرة على الأمر».

حينئذ نفد صبر لي دونغ باو واضطر لإخراج ورقة مكتوب فيها عناوين وأرقام هواتف ثلاثة مصانع أسمنت قريبة وبعيدة. وما إن خرجا من بوابة المصنع، حتى تنفّس سي باو الصعداء أخيرًا، وقوّم ظهره، ولم يكُن يتوقّع أن يتلقّى ضربة على مؤخرة رأسه جعلته يترنّح، وعلى الرغم من أنه لم يجرؤ على المقاومة، فقد تمتم قائلاً: «ماذا تفعل أنت؟ لا تصبّ غضبك عليَّ».

فحدّق لي دونغ باو بعينيه وقال: «أيها الوغد، لا تظنّ أنني لم أرك تغمز بعينيك وتعقد حاجبيك. فقط اركب القطار وعد، وأخبر عائلتي أنني سأعود بعدما أنتهي من الذهاب إلى هذه المصانع الثلاثة».

فابتعد سي باو قليلاً عنه وقد كان مشتعلاً من الغضب، وقال دون أن يخشى الموت: «لا فائدة من الذهاب، إنها مضيعة لنفقات

السفر». فقال لي دونغ باو: «ماذا تقصد بأنها بلا فائدة؟ ألن نسأل ثلاثة مصانع أسمنت أخرى؟ أنت لا تفهم شيئًا، إذا كنت قادرًا هكذا، فلم لا تتبادل الأدوار مع الأمين؟».

تراجع سي باو ثلاث خطوات وقال: «حسنًا، اذهب أنت، أنا لن أذهب، لنوفّر بعض المال. سأعطيك حقيبة السفر، وأنت تشتري لي تذكرة قطار».

لم يكُن لي دونغ باو يرغب أيضًا في رفقة سي باو، إذ كان يظنّ في البداية أن أمر البيع سيتم بسلاسة ووضوح بتبادل المال مقابل السلع ليس إلا، لذا كان يريد أخذ سي باو معه ليوسّع أفقه ويرى العالم، ولكنه لم يتوقّع أن الحصول على القليل من الأسمنت سيكون بهذه الصعوبة، بل وقد يكون شراء الحديد المُسلَّح أكثر صعوبة وفقًا لما قاله رئيس قسم التوريد والتسويق. لم يكُن يرغب أيضًا في رؤية سي باو له وهو يستعطف الآخرين، فهذا محرج. فهو ليس من عامة الناس مثل سي باو، وسي باو لا يحمل أي أعباء، أما هو فإنه أمين الفرقة ومسؤول عن طعام المئات من أهالي الفرقة، ويحمل على ظهره دينًا ثقيلاً، إذ تلاحقه مئات الأفواه والديون الثقيلة، لذا فلا يسعه إلا أن يركض لتحقيق الهدف.

واصل لي دونغ باو حمل الحقيبة السوداء بيد، ويقلّب صفحات الأطلس الوطني باليد الأخرى ليبحث عن مصانع الأسمنت، وأدرك أن الزي العسكري القديم ذو فائدة كبيرة، إذ إنه كان أحيانًا يسير مرتديًا زيه العسكري القديم فيصادف بعض المحاربين القدامى، ويتحدّث بصراحة عمّا بداخله، ثم يعرّفه هذا المصنع

بذاك، ويعرّفه ذاك بآخر، وأخيرًا استطاع العثور على مصنع أسمنت يتمتّع بجو مماثل لمصنع الطوب الخاص به، وعلى مساحة أصغر قليلاً، لكنه يتمتّع بإنتاج قوي. كان هذا المصنع يعمل لساعات إضافية لإنجاز الخطة الوطنية، وبعد ذلك يشتري الفحم والحجر الجيري والمواد الخام الأخرى خارج الخطة، ثم يبيع الأسمنت المُنتج مباشرة بنفسه. صافح لي دونغ باو بحرارة يد الأمين الذي استقبله، ففي النهاية التقى أخيرًا بأحد الرفاق. ولكن، كان مصنع الأسمنت مختلفًا عن مصنع طوب فرقة شياوليجيا، إذ كان سعر بيع المصنع للأسمنت الذي خارج الخُطط له أعلى من سعر البيع الوطني. وقد ألهم هذا لي دونغ باو بشيء ما، إذ رأى أنه ما دام البيع يسير بسلاسة، فلمَ لا يزيد السعر؟

وافق أمين مصنع الأسمنت على تسليم البضاعة بكلمة واحدة، وبعد حساب التكلفة، أرسل مباشرة شاحنة المصنع بالأسمنت إلى فرقة شياوليجيا، وكانت التكلفة أقل من سعر الأسمنت المُشترى من المدينة حتى بعد إضافة سعر الشحن. إذا كانت البضاعة متوفرة، يسير الأمر بسلاسة، فبمجرد دفع المال، تشاهد الأسمنت يخرج من المخزن ويُحمّل على الشاحنة. ولكن لي دونغ باو لم يكُن يرغب في الجلوس تحت الشمس ومشاهدة الأسمنت يُحمّل على الشاحنة برتابة، لذا انتظر في مكتب أمين المصنع ليتبادل الخبرات معه، فتحدّث عن نظام الحساب بالقطعة الذي يطبّقه، وطريقة تقييمه، بينما تحدّث أمين المصنع عن التعاقد مع ورش العمل، وكيفية تنفيذ المسؤوليات والحقوق بالنسبة للأفراد، كلاهما متخصصٌ في مجاله، ولديهما وجهات نظر متقاربة، لذا

تبادلا الكثير من الخبرات الإدارية لكل منهما. وفي المساء، احتسيا الشراب معًا، وكلاهما كان يشعر أنه على الرغم من أنهما يفكّران في حلول وخطط ويبذلان جهودًا مضنية في سبيل المصلحة الجماعية، فإنهما يذهبان إلى المعركة حاملين رأسيهما على كفّيهما، ولو عصفت بهم التقلبات، دائمًا ما تكون رأس القائد هي التي تسقط أرضًا.

كانت وجهات نظرهما متقاربة جدًا، وقبل انطلاق شاحنتي الأسمنت في اليوم التالي، أعطى أمين مصنع الأسمنت لي دونغ باو عنوان قائد قسم التوريد والتسويق في أحد مصانع الحديد والصلب، حتى لا يتكبّد عناء البحث ويذهب إلى هناك مباشرة، وقال إنه فيما مضى كان هناك عميل قد اشترى حديدًا مُسلَّحًا خارج الخُطط له من ذلك المصنع قبل أن يشتري الأسمنت من مصنعه. كما وافق أمين مصنع الأسمنت على اتّصال لي دونغ باو به إذا احتاج أسمنت مرة أخرى، دون الحاجة للمجيء بنفسه، وسيرسلون الأسمنت إلى فرقة شياوليجيا، ويعود سائق الشاحنة بالمال؛ كان لي دونغ باو مبتهجًا جدًا، فالعمل الشاق يؤتي ثماره.

بعد عودته إلى شياوليجيا بالشحنات المحمّلة بالأسمنت والحديد المُسلَّح النادر، لم يتحدّث لي دونغ باو مع أي منهم في مقرّ الفرقة، وطرد سي باو بكلمة واحدة، واستبدل به شي هونغ وي الأكثر شجاعة منه. وبعد تولّي هونغ وي لمنصبه، لقّنه لي دونغ باو درسًا، فعلى الرغم من أنهم استطاعوا توصيل الحديد المُسلَّح والأسمنت إلى شياوليجيا في النهاية بسعر أرخص من شرائهما من المدينة، فإن سعر ذلك المصنع أعلى من سعر البيع الحكومي. نحن

لا نضمر أي ضغينة تجاه الوحدة والتكاتف، وإنما نتعلم، وعلينا ألّا نشعر بالحرج، فمن يحتاج إلى الخرسانة الجاهزة بطريقة عاجلة، نزيد السعر أمامه، ومن لا يحتاج إليها بطريقة عاجلة، ويمكنه الانتظار، نخفض السعر أمامه، ولكن لا يمكننا مطلقًا أن نبيع بسعر أرخص من السعر الموجود في السوق. بالنظر إلى ما حدث مع سي باو، وعلى الرغم من أن هونغ وي كان متشككًا في اعتبار هذا بمثابة مضاربة ومخالفة للقانون والقواعد، فإنه وافق في النهاية بكلمة واحدة، أليس هذا ما تفعله مصانع الحديد والأسمنت؟ من يضمر أي ضغينة تجاه الوحدة والتكاتف؟ لقد كان حذرًا وماكرًا في تنفيذه لما يقوله لي دونغ باو، ولكنه لم يتوقّع أن يتعرّض لكثير من التوبيخ، بينما ظلّت الخرسانة الجاهزة تُباع بكثرة، وفاق الطلب العرض، وحينها أدرك هونغ وي الذي ذاق حلاوة العمل أن لي دونغ باو يسعى لتعزيز الوحدة والتكاتف.

وعلى غير دراية، تغيّرت نبرة هؤلاء الفلّاحين الذي كانوا يتشدّقون من قبل بمصطلحات الأرز والمبيدات، لتصير مصطلحات الربح والخسارة هي الغالبة على حديثهم.

فقط سي باو وحده هو الذي كان يشعر بالظلم، فقد تسرّح من وظيفته دون أن يفعل أي خطأ، بل وأخذ الكثيرون يشيرون إليه ويضحكون خلفه. ولكن بصرف النظر عن مدى الظُلم الواقع عليه، فقد كان يعلم جيدًا أنه لا فائدة من البحث عن أحدهم والحديث معه، فقط لي دونغ باو وحده. فسأل لي دونغ باو على انفراد عمّا إذا كان قد أثار غضبه في مصنع الأسمنت الأول، ولكن لي دونغ باو أجاب بالنفي، إذ إنه ليس تافهًا لهذه الدرجة، وأخبره أنه عندما

عيّنه كان بسبب وجهه المبتسم عادة، والذي سيمكّنه من استعطاف الآخرين للحصول على البضائع، ولكن من منّا لا يعرف طريقة بيع السلع، وما الذي لا يمكن بيعه الآن؟ أي شخص يستطيع عدّ النقود يمكنه فعل هذا. وما دمت لا تستطيع استعطاف وإقناع الآخرين، فلا يمكنك إلا أن تُسرّح. لم يكن لدى سي باو ما يمكن قوله، إذ إنه رأى لي دونغ باو الذي لطالما عرفه كشخص متسلّط وقد استطاع استعطاف وإقناع الآخرين، حتى إنه قد خجل من طريقة استعطافه لهم، وبدا أن لي دونغ باو لم يكُن غبيًا قط، بل لم يكُن أمامه خيار سوى ذلك. لا يمكن تفويت الفرصة، والوقت لن يعود مجددًا، لذلك اضطر لاستعطاف لي دونغ باو لإعطائه فرصة أخرى.

وافق لي دونغ باو شفهيًا، ولكن قلبه لم يكُن يريد ذلك تمامًا. لقد ظلّ يدور داخل المقاطعة وخارجها لما يقرب من شهر كامل، وعاد لا يملأ قلبه الآن سوى زوجته ذات الجمال الساحر. وما إن عاد إلى المنزل، حتى بدأ بالصياح في الفناء، وهو صاحب الحنجرة القوية في الأصل، بالإضافة إلى إنه كان متحمّسًا حينها، فأفزعت صيحته الدجاج والكلاب في الجوار. وسرعان ما رأى سونغ يون بينغ تركض مسرعة إلى الخارج بوجه تغمره الابتسامة، ولم يهتم بوضوح النهار، فقط أحاطها بذراعيه وحملها متّجهًا بها نحو الداخل، وهذه المرة كانت سونغ يون بينغ قد اكتسبت خبرة، فما إن وصلا إلى الباب حتى أخفضت رأسها واستطاعت أخيرًا تجنُّب الارتطام.

ولمّا دخل لي دونغ باو إلى المنزل، رأى أرانب صغيرة تُشبه الفئران الحمراء المُقوّسة داخل صناديق من الورق المقوّى،

صندوق لكل أسرة من الأرانب، فكانت الغرفة مليئة بصناديق الورق المقوّى ولا يوجد مكان تقريبًا للوقوف. وما إن رأت السيدة التي أتت للمساعدة الأمين هكذا، حتى تفاجأت وضحكت بصوت عالٍ، وغادرت من تلقاء نفسها إلى المنزل. ولكن بمجرد خروج السيدة من المنزل، دخلت والدة لي دونغ باو، فاضطر لي دونغ باو لإفلات سونغ يون بينغ بلا حول ولا قوة، إذ كان يعرف مدى رقّة زوجته. رأت سونغ يون بينغ حماتها تريد التحدُّث مع ابنها، فذهبت إلى الخلف وأمسكت بأنثى أرنب كبيرة لإرضاع الأرانب الصغيرة، وكان لي دونغ باو يتحدّث مع والدته بفمه فقط، بينما ظلّت عيناه تراقبان زوجته، وأخذ يراقب معها تلك الأرانب أثناء رضاعتها، ظلّ يراقب ويراقب حتى قال إنهما أيضًا سينجبان أبناءً يملؤون الغرفة. كانت والدة لي دونغ باو عاجزة عن فعل أي شيء، ولم يكُن في وسعها سوى الغضب من زوجة ابنها لعدم احترامها للتقاليد واستحواذها على ابنها.

على الرغم من أن لي دونغ باو كان متعبًا من طول الطريق، لكنه استطاع أيضًا الشعور بها بجانبه أثناء نهوضها بهدوء في منتصف الليل. فأخذ يُشخّر تظاهرًا بالنوم، وانتظر سونغ يون بينغ قليلاً، ولكنها لم تعُد، فانتابه القلق، ونزل ليبحث عنها، فرآها منشغلة بالركض في الغرفة لتُمسك بالأرانب الصغيرة التي تقفز في الجهة الشرقية لترضع من أمهاتها، وتسحب ساقي أنثى الأرنب الكبيرة في الجهة الغربية لتنقذ الأرنب الصغير المُكوَّم أسفلها، لم يُصدر الأرنب الصغير أي صوت، بل ولم يكُن لديه أيضًا أي فرصة للتنفُّس. خلع لي دونغ باو حذاءه، وأخذ يساعدها من تلقاء نفسه،

وعلى الرغم من أنه كان ضخم البنية، فإنه استطاع التعامل مع جهة من الجهتين، ليُعطي فرصة لسونغ يون بينغ لتلتقط أنفاسها. وبعد الانتظار قليلاً، رأيا الأرانب الصغيرة وقد شبعت وأخذت تخرج واحدًا تلو الآخر من حضن والدتها، فأمسكا بالأرانب الأمهات واحدة بعد واحدة وأخذا يعيدانها إلى بيوتها، ثم احتضنا الأرانب الصغيرة وأدخلوها إلى لحاف صغير مغطّى بالقش.

رأى لي دونغ باو أن والدته لم تخرج من غرفتها من بداية الأمر إلى نهايته، وعلى الرغم من أن شفتيه لم تقولا هذا، فإن الأمر كان جليًا في ذهنه. فاستدار وعانق زوجته كمن يعوّضها عمّا حدث لتنام، وما إن أمعن النظر، حتى رأى ذقن زوجته وقد نحفت. وهذه المرة لم يناقش الأمر مع زوجته، وإنما ذهب في اليوم التالي بهدوء إلى الساحة ليرى والدته الجالسة تدردش تحت ظل الشجرة، فوبّخها لعدم معرفتها كيفية الاعتناء بعائلتها، كما أنها ليست كبيرة في السن لدرجة عدم القدرة على الحركة، فقط في الخمسينيات من عمرها ومع ذلك لا تفعل أي شيء بل تذهب يوميًا للجلوس في الساحة، فقط تفتح فمها وتمدّ يديها للطعام ليس إلا، وتتصرف كربّات بيوت الطبقة الاستغلالية. بعدما وبّخها ابنها، وعلى الرغم من شعورها بالظلم في داخلها، فإن والدة لي دونغ باو أطاعت ما قاله ابنها وطبّقته، فعادت إلى الشجرة لتأخذ مقعدها، ثم أسرعت بالعودة إلى المنزل لإشعال النار وطهي الطعام، ولكنها لم تكُن تعرف كيفية استخدام موقد الفحم، فاستخدمت الفرن التقليدي. كما كانت معتادة على طهي الأرز في قدر كبير، فتضع عليها سلة من الخيزران تحوي جميع الخضروات لتسويتها على البخار.

وهكذا يمكنها ترشيد استهلاك الحطب، والزيت أيضًا. لمّا رأت سونغ يون بينغ أن والدة لي دونغ باو صار في مقدورها العودة إلى المنزل وطهي الطعام دون الحاجة للإلحاح عليها عدة مرات، شعرت بالرضا، أمّا بالنسبة لأوراق الملفوف التي ظلّت تُطهى حتى اصفرّت، فلم يكُن بوسعها إلا أن تغض بصرها عنها. لم تكُن سونغ يون بينغ تعرف كيف غيّرت حماتها تفكيرها فجأة، فاستدارت وسألت لي دونغ باو، ولكنه رفض أن ينسب الفضل إليه.

أخذت الأرانب الحمراء الصغيرة تتحوّل تدريجيًا إلى اللون الوردي، وتتفتّح عيناها، ثم تتحوّل تدريجيًا إلى اللون الأبيض، وينمو فراؤها الناعم، ومن ثم بدأت في المُشاغبة، وأخذت تركض في جميع أنحاء صناديق الورق المقوّى، ثم بدأت تحاول التسلُّق والخروج من الصناديق، ولكن حواف الصناديق كانت عالية جدًا، فكانت تسقط للخلف مرارًا وتكرارًا. وبعد شهر، تحوّلت الأرانب بالكامل إلى اللون الأبيض، لم يبقَ سوى عينيها باللون الأحمر، واستطاعت أخيرًا الخروج من بيوتها، فأخذت نساء فرقة شياوليجيا تهرع إليها للإمساك بها والعودة إلى المنزل لتربيتها كما لو كانت بيضًا من ذهب، أمّا وجه سونغ يون بينغ فقد صار شاحبًا، وفي النهاية انهارت من الإرهاق، ونُقلت إلى المستشفى للفحص، فوجد الطبيب الهيموجلوبين منخفضًا جدًا لدرجة أنه أخذ يوبّخ لي دونغ باو على إساءته لمعاملة النساء.

بعد بيع الأرانب بالكامل، استطاعت سونغ يون بينغ أخيرًا الاستلقاء على السرير للتعافي، وأحيانًا ما كان لي دونغ باو يعود إلى المنزل لإلقاء نظرة عليها، خوفًا من عدم اعتناء والدته بها، لذا

كان يُحضر لها الشاي والماء بنفسه. وعند عودته، كان دائمًا ما يرى سونغ يون بينغ تقرأ، فكانت تُخبره بابتسامة إنها اليوم استطاعت الانتهاء من مذاكرة محاضرات أسبوع كامل، أو إنها قرأت قصة من كتاب عجائب القصص، ثم ترويها له، فكان لي دونغ باو يتعجّب في داخله من كيفية تشابه القصص بعضها مع بعض، الفرق الوحيد أن البطلة أنثى ثعلب أو أنثى شبح. ولكنه كان مهووسًا بسماع صوت يون بينغ، ودائمًا ما كان يسمعه جميلاً مهما تعود عليه.

في الوقت الذي كان الجو فيه لطيفًا وساحرًا داخل المنزل، كان الجو المحيط بلي دونغ باو عاصفًا رعديًا في الخارج. إذ بدأ كل من في المحافظة، بل وفي المدينة يعرفون تدريجيًا بالذهاب إلى شياوليجيا متى أرادوا بناء المنازل، لذا كان الأسمنت والخرسانة الجاهزة والطوب والبلاط هي الأكثر طلبًا في فرقة شياوليجيا. فبمجرد التواصل مع الفرقة، لا يكون هناك داعٍ للقلق، فقط ينتظرون فريق هندسة بناء شياوليجيا ليُحضر القوىَ العاملة والمواد الخام والرسومات بنفسه، بل ويشيّد المبنى بنفسه أيضًا، وما عليهم إلا إرسال من ينظّف موقع العمل والسُكنى في المنزل المشيّد مباشرة. وقد دعا الرفاق هذه العملية بالصفقة المكتملة. وعلى الرغم من ارتفاع السعر قليلاً، فإنه لم يكن مرتفعًا جدًا أيضًا، فإذا أردت شراء مواد خام غير متوفّرة كثيرًا في السوق، ألن تحتاج إلى بذل الكثير من الجهد ودفع الكثير من الأموال حتى يمكنك الحصول على الموافقة؟ وهكذا الحال في دفع المال، الأمر متُعِب أيضًا، فعلى أي حال تسليم الأمر لفرقة شياوليجيا من أجل راحة البال أفضل كثيرًا من التعامل مع المؤسسات الحكومية.

أدّى بيع معظم المواد الخام في السوق لفرقة شياوليجيا إلى نقص حصة الآخرين، ومن ثم أخذت حركة البيع تتباطأ تدريجيًا في كل من شركة هندسة البناء بالمحافظة التي كانت تحتل حصة السوق من الشمال إلى الجنوب فيما مضى، وفريق هندسة البناء بالكومونة، وأيضًا في مصنع الطوب والبلاط بالمحافظة، وجميع إدارات المبيعات ذات الصلة. وعلى الرغم من أن هذه الشركات لم تكُن تقلق أيضًا بشأن لقمة العيش، فإن مكافآتها السنوية تأثّرت بشكل كبير. ولا سيما مصنع الطوب والبلاط بالمحافظة، فقد تعرّض للفترة الأطول من الضغوط، لذا أخذ العاملون به زمام المبادرة وذهبوا لرفع الأمر إلى المحافظة، وأبلغوا عن أن فرقة شياوليجيا تضارب السوق، وأنها تستغل السلع المباعة بسعر رخيص داخل الخطة الوطنية وتبيعها بسعر أعلى، كما أبلغوا عن أن فرقة شياوليجيا تعبث بنظام الاقتصاد المخطط، وتتنافس مع المؤسسات المملوكة للدولة. لم يكُن المتقدّمون بهذه الشكوى من المتمرّدين كالقرد العجوز وأمثاله، بل كانوا من كوادر المؤسسات المملوكة للدولة، أولئك المدعّمين من الحكومة، لذا كانوا على دراية بالإجراءات الحكومية، ويعرفون أن الفرقة بمثابة لُعبة في يد المحافظ شيوي، لذا تقدّموا ببلاغ مباشر إلى الأمين قونغ، الأمين الأول للجنة الحزب بالمحافظة، عبر قنوات مختلفة.

أولت لجنة الحزب بالمقاطعة اهتمامًا كبيرًا لهذا الأمر، بل يجب القول بأنها أولت اهتمامًا مبالغًا فيه، فقد استدعت خصيصًا قادة المستويات الأربعة للدوائر الحكومية من المركزية إلى المحلية لعقد اجتماع وبحث ظاهرة فرقة شياوليجيا، ومناقشة ما

إذا كانت ظاهرة اقتصادية معقولة قد ظهرت بعد انعقاد الجلسة الكاملة الثالثة للجنة المركزية، أم أنها عودة لأعمال المضاربة التي كان ينفّذها رجال الأعمال المخالفين للقانون قبل التحرير. قال مدير مكتب التجارة بالمحافظة إن الفولاذ والأسمنت اللذين تعيد فرقة شياوليجيا بيعهما من مواد الإنتاج الشحيحة محليًا، ووفقًا لما يُنصّ عليه، فإن هذه المواد عليها أن تخضع للإدارة المخططة، أمّا الطوب وما يشابهه من مواد الإنتاج فليس التعامل بها مقيّدًا كثيرًا. بينما قال المحافظ شيوي، كل ما سمعناه حتى الآن من طرف واحد فقط من طرف المؤسسات المُبلِغة، ولا يمكن الاستناد بشكل أعمى إليها في معرفة حقيقة الأمر، فعلينا أيضًا إعطاء الفرقة فرصة توضيح الأمور. وعلى الفور اتّخذ الأمين قونغ قرارًا بإرسال فريق تحقيق مكوّن من الإدارات المعنية للتحقيق في إجراءات التشغيل الاقتصادي لفرقة شياوليجيا وترك الحقيقة تتحدث عن نفسها. ومن ثم أُمِرت فرقة شياوليجيا بتعليق كافة الأنشطة الاقتصادية مؤقتًا.

اشتمّ المحافظ شيوي رائحة غريبة من تصرُّفات الأمين قونغ الحازمة غير المسبوقة، وأدرك أخيرًا ما وراء الأمر: فهدفهم هو زعزعة الأوضاع. ولكنه حتى ولو أدرك حقيقة الأمر، ففرقة شياوليجيا ما زال عليها القيام بدور حاسم في العملية بأكملها.

كان الجو حارًا في شهر يوليو، والمراوح الخضراء تطنّ في سقف غرفة الاجتماعات، وقادة المحافظة المجتمعون يتحدّثون بلهجاتهم المحلية، ولكن المحافظ شيوي الغريب عنهم الذي كان يتحدّث الفصحى استطاع فهم كل ما يقولونه. ولم ينطق بكلمة

أخرى للدفاع، إذ رأى أن التيّار الفكري المحافظ ما زال يسيطر بشدة على عقول هؤلاء القادة ذوي الشعور الرمادية الذين كانوا قد تعرّضوا لتجارب صعبة في الماضي، غير أن بعضهم كان لديه دوافع خفية لاستغلال الصراعات بين هذه القوة المُحافظة المتجذّرة والتقارير المركزية التي تدين أمثال فرقة شياوليجيا، ومن ثم كانوا ينتهزون الفرصة لتعزيز هذا التيار الخفي داخل الدوائر المحلية للقيادات.

أدرك المحافظ شيوي أنه صغير بعض الشيء، ولم يأخذ كافة الجوانب بعين الاعتبار، وأن خبرته في العمل المحلي ليست كافية، وبالتالي أصرّ على النجاح لدرجة أنه أساء لمجموعة من المواطنين، أي فرقة شياوليجيا. لقد فهم أنه بينما يقوم بعمله لتحقيق الإنجازات السياسية، لم يول اهتمامًا كبيرًا لتحسين المستوى السياسي والأيديولوجي لجميع كوادر المحافظة، ولم ينجح في دفع كوادر المحافظة لتغيير طريقة تفكيرهم في حلول المشكلات، والأهم من ذلك أنه لم يُخفِ هالته كقائد شاب واسع المعرفة قادم من خارج المحافظة، مما أدّى إلى ظهور حالة من الاستياء لدى كوادر القاعدة الشعبية في المنطقة، مما أدّى أيضًا إلى فقدانه للدعم من معظم قادة المستويات الأربعة للدوائر الحكومية.

كانت الآراء في اجتماع اليوم جميعها منحازة إلى طرف واحد تقريبًا، لذا لم تُفضِ اعتراضاته إلى أي نتيجة، بل وقد تكون اعتراضاته أيضًا قد أثارت استياء المشاركين في الاجتماع، مما سيؤدي إلى إجراء تحقيق أكثر صرامة مع فرقة شياوليجيا. إذا نُفِّذ التحقيق في قضية الفرقة، فستكون كالحصان الجامح

الذي يُشَدّ لجامه فجأة، مما يؤدي إلى عرقلته وعدم قدرته على الوقوف، فتنقلب العربة التي يجرّها أثناء سيرها، ومن ثم ستتحوّل المشكلات الصغيرة التي تواجه الفرقة كنقص الموارد المالية وثقل الديون للاتحاد الائتماني إلى مشكلات اقتصادية كبيرة. على الرغم من أن المشاركين في الاجتماع لم يقولوا هذا صراحةً، فإن جميعهم كانوا يعلمون أن تلك المشكلات ستكون فيما بعد بمثابة علامات في تاريخ المحافظ شيوي، فتُصبح كوصمة عار على أدائه السياسي. نظر المحافظ إلى الشعر الرمادي الذي يعلو رأس الأمين قونغ الجالس بجانبه، وأدرك معنى المزيد من وصايا من سبقوه في المنصب، إذ قالوا إن القيام بالعمل المحلي يستلزم تركيز نصف الطاقة في إدارة العلاقات مع الأشخاص المحيطين.

وفي نهاية الاجتماع، بينما كان الجميع ينتظرون تعبيره عن موقفه، صرّح بتأييده للتحقيق، وقال إذا وُجد خطأ يجب تصحيحه، وإذا لم يوجد فيجب تشجيع فرقة شياوليجيا، فالهدف من التحقيق هو مساعدة فرقة شياوليجيا على حل التقلُّبات والمنعطفات المتناثرة على الطريق أمامها، ومساعدتها أيضًا على الاتّحاد والمضي قُدمًا في ظل توجيهات السياسة المركزية. ومن ثم، أصبحت الجملة السابقة هي الغرض من تشكيل فريق التحقيق. وقد أشاد الأمين قونغ بهذه الجملة التي قالها المحافظ، وظل الجو متناغمًا وكأن شيئًا لم يكُن حتى نهاية الاجتماع.

ولكن المحافظ شيوي عاد إلى مكتبه، وظلّ يفكّر بمفرده وقتًا طويلاً، وأراد بشدة أن يصل إلى لي دونغ باو ليقدّم له نصيحة سرية، ولكنه شعر بأن هذا غير لائق، فعلى الرغم من أنه لم يعتبر

فرقة شياوليجيا تخصه مطلقًا، فإن جميع من في المحافظة على جميع مستوياتهم الإدارية كانوا متأكّدين من أنه الداعم لها، كما أنه نفسه كان يريد التجربة في الفرقة، لذلك، ففي الوقت الذي تريد فيه العصابة المحلية استعراض بعض القوة أمامه، سيكون من المناسب جدًا أن يصل إلى فرقة شياوليجيا التي لا تكون أحوالها مثالية قليلاً ولكن لا بأس بها. لقد ربطوه بالفعل مع فرقة شياوليجيا، وبصرف النظر عن الطريقة التي يريد بها الوصول إلى لي دونغ باو، ففي جميع الأحوال لا يمكنه الهروب من أعين كل هؤلاء. فقط سيتسبب في إثارة المشكلات.

ولكن، هل سيأخذ الأمر ببساطة هكذا؟ بالطبع لا.

فبعد يومين، استخدم سلطته كمحافظ وأصدر أمرًا علنيًا أمام الجماهير لفريق التحقيق المُشكّل سريعًا، بأن عليهم ألّا يتسامحوا أبدًا بعد انتهائهم من التحقيق، وإذا وُجدت مشكلة اقتصادية كبيرة، فلا بد من انتقادها، والتعامل معها، والسعي لضمان تصحيح الأسباب الجذرية. وعندئذ، ثارت حالة من الضجة بين الجماهير، فبعضهم كان متشككًا في الأمر، والبعض الآخر كان ينظر بازدراء، وصارت الآراء متضاربة فيما بينهم.

2

صارت ظروف عائلة سونغ الاقتصادية أفضل كثيرًا، فبعد زواج سونغ يون بينغ، تقاعدت والدتها وتولّت تربية تلك الأرانب، ولم يكُن دخلها أقل من سونغ جي شان. وبعدما امتلكا المال،

صار الأبوان يتمنيّان عودة ابنهما كل يوم، فأرسلا إليه المال في صباح يوم ما طالبين عودته لقضاء الإجازة الصيفية. وهذه المرة، نزل سونغ يون هوي من القطار وعاد بمفرده، وظلّ يسلك الطريق الضيق حتى اتّجه إلى منزل أخته لتناول الغداء عند الظهيرة.

لم يكُن لي دونغ باو في المنزل، ولمّا رأت والدته سونغ يون هوي، هذا الطالب الجامعي الذي تجرّأ على مناطحة ابنها، شعرت بالقلق والخوف، إذ إنه سيكون في المستقبل كادرًا وطنيًا رسميًا، في حين أن ابنها لم يستطع الوصول إلى صفوف الكوادر بعد تطوّعه في الجيش كل هذه السنوات، كما أن منصبه الحالي كأمين لفرقة يكاد لا يتعدّى قائدًا لوحدة غير رسمية، لذا اضطرت لأن تكون مهذبة بشكل غير مسبوق. كانت سونغ يون بينغ تقف جانبًا وتشاهد وهي سعيدة تحية أخيها الذي يضع زوجًا من النظارات على عظمة أنفه، ثم أسرعت وكسرت أربع بيضات، وقطعت قطعة من لحم الخنزير المقدد المعلّق في سقف الغرفة، وطهت لأخيها وجبة لذيذة.

بعد تناول الطعام، تذرّعت والدة لي دونغ باو بحجة للخروج، وحينها فقط استطاعت الأخت وأخوها التحدُّث على انفراد. رأى سونغ يون هوي أخته تدخل غرفتها وتبحث عن شيء ما في الخزانة، فقام ليتجوّل في غرفة المعيشة وقال بصوت عالٍ: «أختي، لقد أضفتِ العديد من الأثاث، واشتريتِ ماكينة خياطة جديدة أيضًا، يبدو أن أخي لي دونغ باو قد أوفى بوعده حقًا».

فدهشت سونغ يون بينغ في الداخل وسألته: «بماذا وعدك دونغ باو في يوم زفافنا؟ لمَ لم يخبرني؟». فضحك سونغ يون

هوي قائلاً: «لم يقُل شيئًا في ذلك اليوم، ألم يعِد لي دونغ باو أبويّ بشراء الأجهزة الثلاثة الكِبار بعد عام واحد من الزواج؟ سمعت أمي تقول هذا في الخطاب، كما أنكِ أعدتِ ساعة اليد القديمة التي قدّمتِها له كهدية زواج، واشتريتِ ساعة جديدة لكِ».

«أوه، ذلك الشيء. لا أخفيك سرًا، إننا نوفّر قسائم شراء استعدادًا لشراء جهاز تلفزيون، فالجهاز المُنتج محليًا ليس جيدًا، ونريد شراء جهاز من ماركة سانيو». قالت هذا وهي تخرج من الداخل حاملة سروالاً، ووضعته على المنضدة، ثم أشارت لسونغ يون هوي ليأتي: «هذه الساعة اشتراها لك دونغ باو، فقد اشترى واحدة لكل منّا...».

«ما هذا الجمال؟ إنها غالية الثمن جدًا، أختي، لا يمكن، لا يمكن، أنتِ...».

فلوّحت سونغ يون بينغ بيدها: «لا ترفض، فحياتنا الآن صارت أفضل قليلاً، وعليّ الاعتناء بعائلتي أيضًا، إنها هدية بسيطة من دونغ باو. فلتطِعني وتأخذها، من الطبيعي أن تشارك الأخت أخاها فيما لديها، لا يمكنك أن تعتبرني غريبة بعد زواجي! هذا القميص وهذا السروال من صنع يدي، أليسا جيدين؟ انظر تنورتي لقد صنعتها بنفسي أيضًا، فبعدما قضيت عامًا كاملاً لم أمسّ فيه ماكينة خياطة، صنعت لنفسي أخيرًا أبسط تنورة، وبعدها فقط تجرّأت على صُنع سراويلكم، وفي النهاية صنعت قمصانًا أيضًا، أعتقد أنها تبدو جيدة على دونغ باو، وهذا القميص والسروال لك، يمكنك تجربتهما لألقي نظرة، فقد نسيت مقاساتك، وصنعت السروال طويلاً جدًا، فلو لم يوافق مقاساتك سأعدّله لك».

نظر سونغ يون هوي بخجل إلى الساعة والقميص والسروال، فزوج أخته لم يكُن يعلم معارضته لزواجهما، ومن المستحيل أن يقبل براحة بال هذه الهدايا الغالية الثمن التي يهديها له زوج أخته. «أختي، سأقبل الملابس، ولكن ساعة اليد غالية الثمن جدًا، لا يمكن».

«لا يمكن إعادتها بعد شرائها، إذا لم تُرِد إياها فلتُعطِها لوالدي، ولا يهمني إذا أراد والدي إعطاءك ساعته القديمة أم هذه الساعة الجديدة». وبدون أي تفسير، أمسكت يده وألبسته الساعة، وأدارت رأسها لتنظر، ثم ضحكت قائلة: «جيدة جدًا، وحديثة جدًا. لتسرع بارتداء الملابس الجديدة لألقي نظرة». قالت هذا وهي تدفع أخاها إلى داخل الغرفة، «لتنتظر قليلاً ولا تعُد إلى المنزل بسرعة، وأنا سأتّصل بوالدي لأخبره. ستعقد فرقتنا اجتماعًا بعد الظهيرة لمناقشة أمور النصف الثاني من العام، كما عليها تنفيذ سياسة الحصاد الصيفي والزراعة الصيفية، لتسمع إذا كان ما يقولونه صحيحًا أم لا، وسنوصلك أنا ودونغ باو معًا إلى المنزل مساءً، فالدراجة أسرع قليلاً».

«إن أخي دونغ باو يقوم بعمل جيد جدًا، فكيف سيكون هناك خطأ في الاجتماع، لا تكوني متواضعة يا أختي، ولكنني أريد الاستماع حقًا، فالأمر ممتع». ارتدى سونغ يون هوي الملابس وخرج من الغرفة، كان السروال طويلاً بعض الشيء، وباقي الأشياء كانت على ما يرام. سعدت سونغ يون بينغ كثيرًا بسماع ذلك، وضحكت قائلة: «لمَ أراك وقد ازددت طولاً؟ ألا يبدو هذا السروال طرازه قديمٌ بعض الشيء؟ ما رأيك في أن أصنع لك

سروالاً بقصة الجرس؟ لقد رأيت الكثيرين يرتدون سراويل بقصة الجرس في المدينة، ولديهم سوالف طويلة».

أخذت سونغ يون بينغ تدير أخاها وجهًا وظهرًا لترى الملابس الجديدة، فقال لها: «لن أرتدي سروالاً بقصة الجرس أبدًا، فذات مرة قال مدير المدرسة الابتدائية التي أعمل فيها موجّهًا إن عينيه تتأذّيان عند رؤيته لسراويل الجرس، حتى إنه أعلن وقت الاجتماع أن من يجرؤ على المجيء بسروال جرس إلى المدرسة سيجعله يجلس خمسين جلسة قرفصاء، وإذا لم ينقطع السروال، فسيطلق سراحه. وأستاذنا الجامعي لُو أيضًا يعارض سراويل الجرس، ويقول إنها غير لائقة».

ما إن سمعت سونغ يون بينغ هذا حتى احمرّ وجهها: «كنت على وشك أن أصنع لك سروالاً بقصة الجرس لترتديه. لقد حان الوقت، لنذهب إلى الساحة، لتضع قبّعة من القش».

كان سونغ يون هوي محرجًا جدًا للخروج إلى الساحة بملابس جديدة، لذا لم يوافق على الخروج إلا بعد تبديل ملابسه أولاً. وما إن وصل إلى الساحة وألقى نظرة، حتى رأى ظلال الأشجار وقد احتُلّت جميعها، وكانت منصّة الاجتماع عبارة عن مكتب قديم مغمورٌ بشمس شهر يوليو الحارقة، ولم يكُن أحد جالسًا عليها. وبعد فترة من الوقت، رأى لي دونغ باو مسرعًا بالمجيء، والمحاسب ذو الأربع عيون الذي كان موجودًا منذ وقت طويل يقول: «أيها الأمين دونغ باو، لقد حضر الجميع بالفعل».

هزّ لي دونغ باو رأسه، وتوجّه مباشرة للجلوس على المنصّة، وما إن نظر حوله حتى رأى سونغ يون بينغ وبجانبها سونغ يون

هوي، فلم يهتم مطلقًا بجلوسه على المنصّة وصاح سائلاً: «هوي الصغير، متى عدت؟»، فأجابه سونغ يون هوي بصوت عالٍ: «لقد تناولت طعام الغداء بالفعل».

«لترحل متأخرًا قليلاً». بعدما انتهى لي دونغ باو من الاطمئنان على شؤون منزله، عاد إلى شؤون عمله، وبدأ في إعداد تقريره، وكالعادة كان تقريره لا يرقى لمستوى الإلقاء على المنصّة.

«لقد فحصت كل قطعة أرض، وسيكون حصاد الأرز المبكّر هذا العام جيدًا. وهذه المرة أرى ألّا تتأخروا في تسليم الحبوب، وألّا تنتظروا المحاسب ذا الأربع عيون ليطلبها منكم، فقد صار لديكم طعام الآن بالفعل، وحتى لو سلمتم الحبوب مبكّرًا أو متأخرًا، فعليكم تسليمها في جميع الأحوال، لذا فلتسرعوا قليلاً، ولا تزيدوا من أتعاب الفرقة، فكوادر الفرقة مشغولون جدًا. إن شتلات الأرز المتأخّر مصنوعة من بذور عالية الإنتاجية كانت الفرقة قد قدّمتها من قبل، وفي العام الماضي تكبّدنا الخسائر بسبب البذور عديمة الفائدة، لذا كان علينا التفكير جيدًا هذا العام. أولئك الذين يرغبون في حرث أراضيهم بالآلات، يمكنهم الذهاب إلى لي شي قن للتسجيل بعد الاجتماع، ولن يُستخدم الجراران اليدويان في نقل الطوب من مصنع الطوب، بل سنخصصهما لحراثة الأراضي الزراعية. تذكّروا، هذا لمدة يومين فقط. ومجددًا، عندما يتعلّق الأمر بتسليم الحبوب، لا تستغلّوا الفرقة بعدم تسليمكم لها. لقد طلبت منكم زراعة أشجار الفاكهة في الفناءين الأمامي والخلفي من منازلكم، وقد قمتم بعمل جيد في هذا، واعتنيتم بها جيدًا، وعليكم مواصلة العمل الجاد فيما بعد أيضًا. والأرانب

كثيفة الفراء التي تربّيها النساء جيدة أيضًا، ولا تنسيَنَّ الحصول على التطعيمات. وأداء مصنع الطوب وفريق هندسة البناء، وأيضًا مصنع الخرسانة الجاهزة جيد جدًا أيضًا، وقد سلّموا الكثير من الأموال للفرقة، وسنحاول إيجاد المزيد من الطرق حتى يتمكّن جميع العُمّال الأقوياء من الحصول على عمل. دعونا نتحدّث عن أهداف النصف الثاني من العام، ببساطة، نريد تحويل مزارعينا إلى عُمّال. الخطوة الأولى، كل أسرة لديها يد عاملة ستحصل على راتب شهري كالعُمّال، وهذه الخطوة على وشك الإنجاز بالفعل. الخطوة الثانية، بعد زيادة المال الذي تحصل عليه الفرقة، سيتمكّن كل عضو في الفرقة من الحصول على السداد لنفقاته الطبية كالعُمّال فيما بعد، ومن المتوقّع أن تتم هذه الخطوة بحلول بداية العام المقبل. الخطوة الأخيرة، قبل نهاية العام المقبل، سيتمكّن جميع الأعضاء من الحصول على تأمينات العمل بعد بلوغ سن الستّين كالعُمّال، ولا يهم إذا ما كان المبلغ التأميني خمسة أو عشرة يوانات، ففي كل الأحوال ستضمنون تناول الطعام، ولن تموتوا جوعًا. انتهى كلامي، ألديكم ما تقولونه؟».

وقبل أن يتمكّن لي دونغ باو من إنهاء حديثه، غطّى صوت التصفيق المُدوّي على جملته الأخيرة، حتى إن بعض المسنّين والمسنّات تأثّروا لدرجة أن ذقونهم أخذت ترتجف، تأمين عمل؟ إذن يمكننا أن نكون مستقرين فيما بعد؟ كما نادى بعض الشباب بالأسفل وقالوا: «أيها الأمين دونغ باو، سنطيعك، ونصبح عمّالاً». «أيها الأمين دونغ باو، هل ستحصل زوجاتنا أيضًا على أجر؟» «ما دام الأمين دونغ باو موجودًا، فلن نحتاج إلى العمال». «سنطيع

الأمين دونغ باو، سنطيع الأمين دونغ باو». ضجّت الساحة بأجواء حماسية غير عادية، بينما كان دونغ باو جالسًا في الأعلى بوجه أسود شرس كالجبل الراسخ.

أمّا سونغ يون هوي، فقد انتقلت عدوى الحماس من الجميع إليه، وتأثّر مثلهم وأخذ يصفّق معهم هو الآخر. كانت سونغ يون بينغ مبتهجة جدًا، ولكن عندما نظرت إلى جانبها، رأت لي شي قن راكضًا من بعيد بوجه يعلوه بالقلق محدّقًا بعينين قلقتين في لي دونغ باو الجالس على المنصّة، فلم تستطع منع قلبها من الارتجاف، وتسللت من بين الحشد واستوقفت شي قن لتسأله: «أخي شي قن، ماذا هناك؟».

فأجابها شي قن لاهثًا: «لقد كنت أسلّم الطوب إلى المحافظة قبل قليل، وهناك سمعت الناس يشمتون فرقتنا ويقولون إنها نهايتنا هذه المرة، ولمّا استفسرت عن الأمر عرفت أن المحافظة سترسل فريق تحقيق إلى فرقتنا للتحقيق مع الأمين دونغ باو...».

«ماذا؟ وماذا قال المحافظ شيوي؟ أليس المحافظ شيوي...» وتغيّر وجه سونغ يون بينغ تمامًا.

«سمعت أن هذا ما أمر به المحافظ شيوي، وطلب تحقيقًا صارمًا، وألّا يتسامحوا أبدًا، وإذا تبيّن وجود خطأ ما سيتوجّب عليهم القبض على الأمين دونغ باو. سمعت أن أحدهم يدّعي بأننا نضارب السوق ونعبث بنظام الاقتصاد المخطط».

وصلت كلمات شي قن إلى مسامع الآخرين أيضًا، فصُعِق الأعضاء الذين كانوا يتطلّعون إلى مستقبل أفضل قبل قليل، وبخاصة

المسنّين والمسنّات منهم. عندما يلعن الناس في القرية شخصًا ما، فإنهم يقولون ما يريدون، بكلمات بذيئة لم تُسمع من قبل.

نظر سونغ يون هوي وشقيقته في حيرة إلى بعضهما، وأمسك سونغ يون هوي بشقيقته ذات الوجه الشاحب، ولكنه لم يقُل شيئًا أيضًا. انجذب لي دونغ باو إلى الضجة التي ثارت في جميع الأرجاء، وبعدما استفسر عن الأمر من شي قن، سأل متعجّبًا: «وهل أنا أضارِب السوق؟ وهل أخذت فِتًّا واحدًا من المال الذي نربحه لي أنا شَخصيًا؟ كل المال أعطيه للفرقة! إذا أصرّوا على كوني مُضارِبًا، فلا مشكلة لديّ في البقاء في السجن، ولكن كيف سنسدد الديون التي تدين بها الفرقة للاتحاد الائتماني؟ أسيسدد كل عضو من الأعضاء مائة يوان؟ لا يمكن!».

أجاب شي قن: «ولكن لا يوجد أحد كامل، فما دام فريق التحقيق ينوي التصرف معنا، فسيمكنهم العثور على ثغرات في عمل الفرقة طوال تلك السنوات. حتى إن المحافظ شيوي هو من وجّه بهذه التعليمات، يبدو أنه علينا توخّي الحذر من التهم التي يريدون تلفيقها لنا، ففريق التحقيق لن يمرّ مرور الكرام بالتأكيد».

بينما أخذ لي دونغ باو يحدّق في سونغ يون هوي طويلاً، ثم قال: «لا اعتقد أن المحافظ شيوي هو من دفع الأمر إلينا بيده، بالتأكيد هناك من نشر هذه الشائعات المغرضة حولنا عمدًا. ما دام المحافظ هو من أرسل إلينا فريق التحقيق بنفسه، فعليّ فتح الباب أمامهم للتحقيق، وإلا. إنني أقوم بالأمور بشكل علني، اللعنة على تحقيقهم، لا يمكن. وبالأكثر لا يمكن أن يعطّلوا فريق هندسة البناء وفرن الطوب الخاص بنا».

«صحيح، لم تستطع فرقتنا أن تحصل على طعام يكفيها إلا خلال العام الماضي فقط، يبدو أن هناك بعض الحقودين الذين يريدون الإطاحة بالأمين دونغ باو، لن نقبل. فبدون الأمين دونغ باو كيف سنصير عُمّالاً؟ أيها العجوز القديم، ألم تذهب مرة أخرى إلى المحافظة للإبلاغ عن الأمين دونغ باو؟ ماذا تدبّر بحق الجحيم؟». فنظر البعض بنظرات الشك إلى القرد العجوز، وفجأة تحمس الجمع، وأحاطوا به من جميع الجوانب، ولمّا رأى القرد العجوز جميع الرفاق مستعدين للهجوم، صرخ قائلاً: «ليس أنا، لم أبلغ هذه المرة حقًا، أنقذني أيها الأمين دونغ باو».

«ليس القرد العجوز». قال لي دونغ باو بهدوء، وكان صوته منخفضًا على غير العادة، ولكن من بجانبه استطاعوا سماعه. وبعدما تلقّى القرد العجوز، الذي لم يكُن هناك من يضاهيه في الماضي، بضع لكمات، أطلق ساقيه للريح وهرب. فكّر لي دونغ باو قليلاً، ثم قال: «إنني أصدّق المحافظ شيوي. ولكن ماذا لو حدث لي أمر ما حقًا، سيظنّ الجميع أن كلامي في اجتماع اليوم مجرد هراء. تعالوا معي جميعًا، سنعقد اجتماعًا في المقر. تعالَ أنت أيضًا يا هوي الصغير».

«كيف يمكن لحديث اليوم أن يكون مجردّ هراء؟ نحن المسنّين نريد تأمين عمل، ومن يقف ضد دونغ باو في المحافظة، سنقف ضده أيضًا». أثارت كلمات المسنّ الشائب الشعر استجابة مدوّية بين الجميع، حتى إن سونغ يون هوي صُعِق عند سماعه لهذه الكلمات، ولمّا نظر ليرى ذلك المسنّ المتحدّث وجده بالكاد يستطيع الوقوف ويستند متّكئًا على حفيده، ويتسم بالوضوح

والروح التقليدية، لا عجب في أنه استطاع قول مثل هذا الكلام ذي المستوى. ولمّا نظر مرة أخرى إلى لي دونغ باو، رآه يلوّح بيده ليدعو الجميع للذهاب إلى المقر، كان سونغ يون هوي من قبل يظن لي دونغ باو متهورًا، ولكن بعدما رآه اليوم، أدرك أنه قيادي كالجنرالات حقًا. بعد ذلك، استمع يون هوي إلى رأي شقيقته، وتبعا دونغ باو إلى المقر.

حضر جميع مسؤولي الفرقة للاجتماع في المقر، بينما ظلّ المزارعون المجتمعون بالمئات قابعين في الساحة ولم يغادروا. أخذ الأمين الكبير يستفسر بدقة من شي قن عن الشخص الذي سمع منه هذه الأخبار، وكم عدد الذين يتداولونها، وما موقف أولئك الذين يتداولونها. ولمّا وصل شي قن في كلامه إلى احتقار بعض الأشخاص للمحافظ شيوي باعتباره مثقّفًا ضعيف الشخصية ولا يعرف سوى الغدر بمن انتهت مصلحته معه، حينئذ أظلم وجه الأمين الكبير عبوسًا. كان الجميع يتطلّع إلى التفسير النهائي الذي سيعطيه الأمين الكبير لهم، ففتح الأمين الكبير النافذة وصاح مستدعيًا القرد العجوز ليأتيه فورًا.

لم يمضِ وقت طويل حتى ظهر القرد العجوز وهو يرتجف ويتصبب عرقًا باردًا عند باب المقرّ، فجرّه المحاسب ذو الأربع عيون إلى الداخل، ما جعله يدافع عن نفسه ويقول: «لم أفعل، لم أُبلغ عن الأمر حقًا».

في ذلك الوقت كانت مقامات كل منهما قد اتّضحت بالفعل، ولم يعُد الأمين الكبير خائفًا من القرد العجوز، فسأله ببرود: «أتعرف عن العلاقة بين المحافظ شيوي والأمين قونغ؟».

عندها فقط اطمأن القرد العجوز، وحاول تقديم المساعدة قدر استطاعته، فأوضح التفاصيل بشكل غير مسبوق: «إن الأمين قونغ رجل مخضرم، إذ كان أمينًا قبل قيام «الثورة الثقافية»، كما أنه كان قد درّب معظم مسؤولي المحافظة الحاليين من قبل. وفي عام 1978، عاد الأمين قونغ من مدرسة الكوادر وتولّى منصبه مرة أخرى، وفي الوقت ذاته، أرسلت السلطات العليا المحافظ شيوي، والمسؤول الجديد له زهوته، فبمجرّد تولّي المحافظ شيوي لمنصبه، بدأ باستبدال عدد كبير من الكوادر الشعبية، ويُقال إن الأمين قونغ في البداية استغلّ المحافظ شيوي كسكّين لقطع الفئات الثلاثة[1]، وبعدما طفح الكيل بالمحافظ شيوي أقال الأمين قونغ أيضًا في النهاية. وحينها أُقِلت أنا أيضًا، واستبدلوا بي الأمين الكبير، وفي بداية الأمر اجتمعنا نحن المُقالين معًا لنتحدّث عمّا إذا كان الأمين قونغ سيرفض مرور هذه الحادثة مرور الكرام، وأنه سيعارض قرار المحافظ. ولكن الأمين قونغ في النهاية لم يتّخذ أي إجراء، إذ سمع أن المحافظ يتمتّع بخلفية قوية، وأنه يعتمد على القيادة المركزية، كما أن زوجته مُقيمة في العاصمة بكين. ولكنني سمعت أنه خلال اجتماعات اللجنة الدائمة، غالبًا ما يكون المحافظ شيوي معزولاً في بعض القرارات. لم يُعد بإمكاني متابعة الأمور التي تجري في المحافظة مؤخرًا، ولكن لا أعتقد أن الوضع قد تغيّر كثيرًا هذه الأيام». عند حديث القرد العجوز، كانت عيناه تبدوان كعينيّ فأر طريقه مسدود يركض مفزوعًا متيقظًا برُعب لما يدور حوله.

---

(1) أتباع لين بياو وجيانغ تشينغ المعادين للثورة والمتمرّدين، والذين لديهم فكر العصابة الخطير، ومنفّذو أعمال السلب والنهب.

حدَّث الجميع أنفسهم بأنه يبدو حقًا على علمٍ بما يجري وراء الستار في الأجهزة الإدارية، لو لم يكُن المحافظ شيوي قد سقط عليه من السماء، ولو لم يكُن له أي علاقة به، وتولّى محافظ آخر هذا المنصب، لكان منصبه الآن ثابتًا كالحجر. كان لي دونغ باو يستمع ويقول في داخله، ما الصلة بين علاقة قادة المحافظة والتحقيق؟ ألا يسير الحال إذا نُفذ العمل على نحو جيد؟ بينما كان سونغ يون هوي يفكّر فيما إذا كان المحافظ لم يعُد محتملاً للضغط والعزل الواقع عليه من قِبَل الأمين قونغ طوال هذه السنوات، وقرر اتّخاذ زوج شقيقته بمثابة كبش فداء للانضمام إلى معسكر الأمين قونغ؟ لذا سأل القرد العجوز: «ألهذا السبب أمر المحافظ بنفسه بالتحقيق مع فرقة شياوليجيا؟».

أجاب القرد العجوز متمسّكًا بحذره: «في الوقت الحالي، تعرف المحافظة كلها، بما في ذلك المدينة كلها أيضًا، أن فرقة شياوليجيا بمثابة راية في يد المحافظ شيوي، وما دام الأمين دونغ باو لم يقتل أحدًا أو يشعل نارًا أو يقم بأي فعل مخالف للقانون، فلن يقطع المحافظ شيوي هذه الراية بيده، فقطع راية فرقة شياوليجيا يُعتبر هجومًا عليه شخصيًا. بعدما فكّرت مليًّا أظن أن المحافظ يفعل علنًا ما يجب فعله سرًا، ففريق التحقيق كان يُشكّل سرًا في الماضي، ويظهر فجأة ليفاجئك قبل حتى أن تلاحظه. ولكن المحافظ انتهك القواعد هذه المرة، ووقف علنًا يشكّل فريقًا للتحقيق، كما أعطى توجيهاته لفريق التحقيق، بل وتحدّث بأسلوب قاسٍ جدًا، وهذا من شأنه أن يصدم الناس بسهولة فينشروا القيل والقالَ سريعًا. كما ترى، لقد وصلت الأخبار لشي قن وأتى لينبّهكم لتستعدوا جيدًا،

وإذا استعدّيتم جيدًا، فأي تُهمة يمكن لفريق التحقيق إثباتها عليكم؟ لم تُظهِر هذه الخطوة عدم أنانية المحافظ وعدم اهتمامه بمصلحته الشخصية فحسب، بل وقد استخدمها أيضًا لإحداث ضجة كُبرى تُظهر نظافة سُمعة فرقتنا، فرقة شياوليجيا، إنه ذكي حقًا، لم يكُن يظهر من قبل على هذا المثقّف الأنيق كونه بهذا الدهاء، لا عجب في أنني لا أستطيع الوقوف أمامه».

بعد سماع هذا، أخذ الجميع ينظرون إلى بعضهم، بل ودهش سونغ يون هوي أكثر منهم جميعًا، وأدرك أن نفس الأمر يمكن لواحد من أهل المهنة أن يرى حقيقته برؤية دواخل الأمور وسط كل هذه الطرق الملتوية. ومع ذلك، فإنه لأمر مُبهِر أن يستطيع المحافظ القيام علنًا بأمر كان من الواجب القيام به سرًا في الأصل. فلم يسع سونغ يون هوي سوى أن يقول للقرد العجوز: «أنت موهوب حقًا».

«من المؤسف أنه لم يتم استخدامه في المكان المناسب من قبل». وأضاف لي دونغ باو قائلاً: «أيها القرد العجوز، سأعطيك فرصة لإثبات جدارتك، أنت، من الآن فصاعدًا، ستساعد عمي وصهري في تنظيف جميع بيانات الفرقة. إذا فكّرت في الخداع، فانتبه لنفسك».

«حسنًا، حسنًا، شكرًا على ثقتك أيها الأمين دونغ باو، كيف يمكنني الخداع في قضية كُبرى تمسّ فرقتنا، فرقة شياوليجيا، لا تقلق أبدًا. لقد تجاوزت الستّين من عمري، وما زلت أنتظرك لتقودنا في طريق التحديثات الأربعة، وأحصل على تأمين عمل كالعُمّال».

لم يسع القرد العجوز سوى الانحناء، إذ لم يكُن يتوقّع قط أن يُعيد لي دونغ باو استخدامه في اللحظات الحرجة التي تسبق التحقيق، مما دفعه للشعور وكأنه توقّف أخيرًا بعدما كان ينزلق نحو الحافة، فألمَّ بقلبه فجأة امتنانٌ وتأثر دفعه إلى البكاء.

كان الأمين الكبير قلقًا من هذا الأمر لدرجة أنه غمز للي دونغ باو، شاعرًا في داخله بأن أمثال القرد العجوز مصائبهم أكثر من إنجازاتهم، وعليه ألّا ينخدع بسير الأمور على ما يرام في البداية، فبمجرد التورُّط في الأمر ستتوالى المتاعب. في حين أن لي دونغ باو قال بصدر رحب: «أنا أيضًا لا أقلق من خداعك، فحتى ولو أردت الخداع، لن يساعدك الآخرون، أمّا إذا سألتني أنا، فلنرى إذا ما كانت قبضتي ستجيبك أم لا».

«حسنًا، حسنًا، حسنًا». وواصل القرد العجوز انحناءه.

عندئذ، جال في فكر سونغ يون هوي أمر مهم آخر، فاللعب مع أشخاص ماكرين كالقرد العجوز هو أمر مرهق حقًا، ولكن بالنسبة لهذا النوع من الناس، فإن قبضة اليد هي الوسيلة الأكثر مباشرة والأكثر فعالية، كيف سيجرؤ القرد العجوز على القيام بأي فعل خاطئ تجاه لي دونغ باو ويظلّ طوال حياته معرّضًا لقبضته المؤلمة؟ لقد انفتحت عيناه اليوم على العالم، فقد رأى طرق المحافظ شيوي الملتوية من أجل إنقاذ البلاد، كما رأى موقف زوج شقيقته المتسلّط، وكلا الموقفين وما لهما من مزايا ونقاط قوة، بالإضافة إلى أنه لم يتوقّع أن يكون هناك سبب قوي للثقة المتهورة التي يثقها زوج شقيقته في المحافظ شيوي، لذلك هدأ

قلبه على الفور، واستدار وقال لشقيقته بهدوء: «أختي، لن يحدث شيء».

في حين أن سونغ يون بينغ لم تطمئن كثيرًا، ولكنها لم تستطع سوى التظاهر بالاطمئنان، بل وقد حفرت أظافرها علاماتٍ في كفّها من شدة قبضتها المضمومة.

فيما بعد، تولّى لي دونغ باو المسؤولية، وأحضر كل من هونغ وي وشي قن مستندات حول مصنع المنتجات الأسمنتية الجاهزة ومستندات مصنع الطوب وأعطياها للمجموعة المكوّنة من ثلاثة أفراد، كما أحضر لي دونغ باو بنفسه جميع مستندات فريق هندسة البناء. كان الأمين الكبير والقرد العجوز وسونغ يون هوي يجلسون ثلاثتهم أسفل سقف الغرفة المحترق بالشمس يستعدّون جيدًا، فكان القرد العجوز جادًا حقًا، إذ كان يتناقش مباشرة مع الجميع حال رؤيته لما لا يروقه، وإذا لم يكُن بإمكانه تسيير الأمور، كان يسجّل علامة على الورقة ويضعها منفصلة جانبًا. ناهيك عن الأمين الكبير، إذ كان أكثر حذرًا منه، ولكنه لم يكُن متفوّقًا عليه في اكتشاف أخطاء السياسات. كما كان سونغ يون هوي يقارن المستندات مستعينًا بالسياسات التي يعرف كل خباياها جيدًا، ولكنه لم يكُن يتوقّع أن يتعلّم من فم القرد العجوز طرقًا عديدة لإساءة تفسير السياسات وتصيُّد الأخطاء عمدًا، ولكن الأمر بدا له أشبه بطلاسم لا يفهمها.

ولكنه ليس ممن يسهل انقيادهم، إذ دائمًا ما كان في ذهنه إطار عام يقود تفكيره، وبعدما ساعدهم في مراجعة المستندات لمدة

ساعة تقريبًا، اكتشف خطبًا ما، فمد يده وسحب المستند من يد القرد العجوز، وقال للي دونغ باو: «أخي، أرى أن نتوقّف قليلاً، ولتستمع إلى وجهة نظري. من واقع الأمر حاليًا، يبدو أن الأخطاء الكُبرى ليست كثيرة، ويمكن تغطيتها أيضًا، ولكنك حاد الطباع، والأخطاء الصغيرة لا تتوقّف عن الظهور في المستندات، وبالتالي قد تتشكّل مشكلة كُبرى من هذه الأخطاء الصغيرة أولاً، وثانيًا إذا حاولنا التستُّر على كل هذه الأخطاء الصغيرة، فقد يتسبب هذا في عدم ترابط البيانات بصورة واضحة، وحينها لن نتمكّن من الصمود أمام استجواب فريق التحقيق. في رأيي، لن تنجح طريقة تعديلنا المُسبق هذه في المستندات».

صُعق جميع الحاضرين بمجرد فهمهم لما يقوله سونغ يون هوي، توجّهت الأنظار نحو لي دونغ باو، ففكّر لي دونغ باو قليلاً، وقال: «يا هوي الصغير، كلامك منطقي...»، عندئذ قاطع القرد العجوز لي دونغ باو بجرأة قائلاً: «لدي طريقة لإخراج فريق التحقيق من فرقة شياوليجيا، ولن يجرؤوا حتى على المجيء مجددًا فيما بعد. ولكن لا أعرف إذا ما كنتم ستقولون إنني أخدعكم أم لا».

فوجئ الجميع لرؤية القرد العجوز يتصرّف بمثل هذه الروح المبادِرة، وبعدما قال له لي دونغ باو «قُل»، قفز من مكانه وهمس في أذنه. ولمّا سمع لي دونغ باو ما قاله، انفجر ضاحكًا، وصفع المنضدة قائلاً: «هكذا سيكون الأمر، يا عمي، اسمع أنت أيضًا، لتقوما أنت والقرد العجوز بهذا الأمر على نحو منفصل».

ارتاب الأمين الكبير في الأمر، ولكن بعد سماعه إلى همس عدوه القرد العجوز، أرخى حاجبيه أخيرًا، ولم يعرف ماذا بإمكانه فعله سوى أن «يمدحه» قائلاً: «أنت داهية حقًا».

بعد ذلك أدرك سونغ يون هوي نوعية هذا الرجل، القرد العجوز، فعلى الرغم من أنه كان يؤمن بقبضة زوج شقيقته، فإنه عندما رأى شخصية هذا النوع، انتابه القلق أكثر، إذ شكّ في احتمالية تدبيره للمكائد في وقت حرج كهذا، ففي جعبته الكثير من الأفكار الشيطانية، ولا يمكن الاحتراز منه، حتى ولو استطاع زوج شقيقته التعامل معه فيما بعد، لكن الرجال الشُجعان لا يتقبلون الخسارة بسهولة. بعد انتهاء الاجتماع، قال وداعًا وحمل حقائبه وركب دراجة شقيقته عائدًا إلى المنزل لرؤية والديه. وطوال الطريق كان يفكّر بتمعُّن في الضرر الذي قد تسببه فكرة القرد العجوز لزوج شقيقته، ولكن على الرغم من ذلك، لم يستطع العثور على أي ثغرات فيها. بيد أن سونغ يون هوي كان يعتقد أن هذا يرجع لصغر سنه وقلة خبرته، ومع ذلك يمكن اعتباره أيضًا شخصًا ظلّ يعاني من شر الطبيعة البشرية منذ طفولته، ولا يصدّق أن مثل هذا القرد العجوز قد يكون بريئًا إلى هذا الحد.

بعد عودته إلى المنزل لم يتحدّث عن الأمر مع والديه خوفًا من أن يقلقا، كما توقّع أن الشائعات الآتية من المحافظة لن تصل أيضًا إلى مسامع والديه الصادقين. ولكن ظلّ قلقًا بشأن شقيقته، لذا تذرّع برغبته في إعادة دراجة أخته في اليوم التالي، وبكّر مسرعًا إلى فرقة شياوليجيا حتى قبل طلوع النهار. لم يتعجّب لي دونغ باو مطلقًا من ظهور سونغ يون هوي مرة أخرى، بل أخذ يتناوب على التربيت على كتفيّ سونغ يون هوي وشقيقته مؤكّدًا عدم وقوع أي ضرر. ولكن سونغ يون هوي اقترح أن يتظاهر زوج شقيقته بعدم معرفة أي شيء، وأن يغادر وكأن شيئًا لم يكُن. على الرغم من أن لي دونغ

باو لم يكُن يرغب في هذا، فإنه نفّذ اقتراحه، وطلب منه أن يبقى في المنزل ويعتني جيدًا بشقيقته، ثم ذهب إلى القرية وصاح داعيًا أربعة أو خمسة أفراد من فريق هندسة البناء لمغادرة القرية. ولكن قبل رحيله، عاد لي دونغ باو مرة أخرى، وطلب من سونغ يون هوي ألّا ينفعل في حالة حدوث أي شيء، وألّا ينسى إبقاء عينيه على القرد العجوز. عندئذ اطمأن سونغ يون هوي قليلاً، إذ أدرك دهاء زوج شقيقته وسط تهوُّره، وأنه يعي بخطورة ذلك الرجل.

ولكن سونغ يون هوي لم يتوقّع أن يجعل القرد العجوز فريق التحقيق عاجزًا إلى هذا الحد، بعد أن كان لا بد له من أن يكون جادًا بل وصارمًا أيضًا، إذ تحوّل النداء من طلب الحياة إلى الصراع من أجل الحياة من قِبَل القرويين، وتحوّل الأمر إلى مهزلة بمجرد دخول فريق التحقيق إلى القرية. ففي اليوم الأول، أُخرج فريق التحقيق من القرية على يد مجموعة من كبار السن ذوي الشعر الأبيض وهم باكين حاملين العكاكيز والعصيان والمكانس، وأخذوا يضربونهم حتى دعّمهم مسنّو المدينة بأكملها معترفين بأن نية فريق التحقيق كالتالي: إنهم يشعرون بالغيرة بعد حصول أهل القرية أخيرًا على ما يكفيهم من الطعام لمدة عام، فأتوا إلى فرقة شياوليجيا حاقدين محاولين تصيُّد الأخطاء. بعد عودة لي دونغ باو على مهل إلى الفرقة، قابل فريق التحقيق في منتصف الطريق، فطلب منهم العودة مجددًا إلى الفرقة ولكنهم رفضوا، فمن يجرؤ على مواجهة المسنين والصغار والنساء الحوامل!

وفي اليوم التالي، أجبر القادة فريق التحقيق على العودة مجددًا إلى فرقة شياوليجيا، وهذه المرة استقبلهم الشباب حاملين

المجارف الزراعية وسكاكين المطبخ، قائلين إن حياتهم أخيرًا قد تغيّرت حتى أصبحت الفتيات ترغبن في الزواج بهم، ولم يكُن من السهل الحصول على شريكات لحياتهم، ولكن هذا كله أفسده فريق التحقيق بحضوره أمس، فكيف لهم ألّا يقاتلوا من أجل حياتهم. هذه المرة استمع لي دونغ باو لكلام القرد العجوز ولم يغادر، بل أفسح الطريق وسط الشباب الذين يريدون القتال ليدخل فريق التحقيق بأمان إلى مقر الفرقة. ولكن أعضاء فريق التحقيق الجالسين داخل المقر كانوا يواجهون بحرًا عاصفًا من الحشد المجتمع في الخارج، إذ كان الحصى والطين يخترق النوافذ طوال الوقت، فكيف لهم أن يستمروا في العمل، لذا فضّلوا التسلُّل هاربين! ولكن شعار فرقة شياوليجيا «تحوُّل المزارعين إلى عُمّال» أخذ ينتشر مقتحمًا القُرى المجاورة، حتى إن جميع المزارعين الذين وصل هذا الشعار إلى مسامعهم أخذوا يغبطون فرقة شياوليجيا، قائلين إنه إذا صار أمناء فرقهم كلي دونغ باو، فسيحصلون جميعًا على رواتب شهرية، وسداد لنفقاتهم الطبية، وتأمينات عمل، وسيكون في أراضيهم الزراعية خضروات يمكن حصادها وأرز يمكن أكله، ألن تتحقق الشيوعية هكذا؟

وبصرف النظر عن جميع أعضاء فرقة شياوليجيا، فحتى الرأي العام يكاد يكون بأكمله داعمًا للفرقة وداعمًا للي دونغ باو، إذ إن أمين فرقة يقود مزارعي الفرقة ليعيشوا حياة العُمال، حتى إنه لم يُقِم مأدبة في زفافه، بل وما زال يعيش في المنزل الطيني الذي ورثه عن أجداده، أين يمكن العثور على مثل هذا الأمين الذي يتفانى في خدمة الجماهير! وقد دفع هذا الصراع القرى المجاورة إلى معرفة

القائد لي دونغ باو، وملاحظة مدى تقدُّم فرقة شياوليجيا، ومن ثم بدأوا يغبطون أهالي الفرقة على معيشتهم المزدهرة.

في اليومين الثالث والرابع، لم يظهر فريق التحقيق مجددًا، خشية من مهارة المبارزة التي يتمتّع بها أهالي شياوليجيا كبارًا مع صغار، والأهم من ذلك، هو أن أفراد فريق التحقيق لا يمكنهم مجابهة ضغط الرأي العام، ذلك الضغط الذي يأتي بشكل أساسي من اجتماع مناقشة تقرير الملخّص اليومي الذي يقضي بعودة فريق التحقيق إلى المحافظة يوميًا، إذ لم يكُن بإمكانهم إلا أن يُبلغوا عن اللعنات الغاضبة من قِبَل مزارعي فرقة شياوليجيا، تلك اللعنات التي صارت بمثابة إدانة لأعمالهم التحقيقية. كان بوسعهم تجاهل تلك اللعنات، ولكن، في البداية عند إصدار الأمر بالتحقيق، كانت نية الأمين قونغ وضع المحافظ شيوي في موقف مُحرج برئاسته لاجتماع مناقشة التقرير اليومي، واليوم أصبح المحافظ يجلس بالفعل على كرسي رئيس الاجتماع ولكن يطرح أسئلة حادة بشكل واثق. وقد أتت نتائج يومين من التحقيق ملخّصة في رؤية فريق التحقيق لمدى ازدهار وقوة فريق شياوليجيا، مما عرّض بعض الناس للخسارة.

لم يكُن سونغ يون هوي يعلم مطلقًا أن القضايا السياسية الجادة يمكن حلها بأساليب غير جادة وغير شريفة، وقد أُعجب بطريقة زوج شقيقته التي تبدو قاسية في تعيين الموظفين. لم يفهم طريقة تفكير زوج شقيقته، ولكن الوقت قد أثبت صحة ثقته في المحافظ، وأيضًا صحة تعيينه للقرد العجوز، فبإمكان أصحاب السُلطات العُليا تكوين تحالفات، ودائمًا ما كان الناس يفعلون هذا، حتى الأشخاص الفاسدون أو غير الأكفاء يمكنهم الوصول

إلى مواقع السلطة إذا ما وجدوا فرصة، فقد فعل النبيل منغ تشانغ هذا في الماضي لينجو بفعلته. إن تعيين الموظفين يحتاج إلى سعة الأفق والانتقائية، وزوج شقيقته كان يتمتّع بسعة الأفق، مما مكّنه من تعيين شخص لطالما اعتُبر غير صالح للتعيين من قِبَل كثيرين. ومن ثمّ صار سونغ يون هوي ينظر بنظرة إعجاب حقيقية للي دونغ باو. كما شعر أيضًا أنه بلا مبادئ، إذ نظر بقليل من الإعجاب للقرد العجوز. اعرف نفسك واعرف عدوّك، غالبًا ما يُقصد بهذا القول أمثال القرد العجوز، إذ إنه يفهم الوضع، ويفهم التناقضات، ويُمسك العصا من المنتصف، ويسبح مع التيار، وغالبًا ما يصل إلى ضِعف العائد بنصف المجهود، فيستفيد كثيرًا من هذه المعركة.

صار موضوع فريق التحقيق ممنوع الذِكر في المحافظة، بينما صار موضوع دردشة الجميع عند تناول الشاي بعد العشاء في فرقة شياوليجيا. كان لي دونغ باو راضيًا عن الأمر إلى حد ما، إذ كان يعتقد أن المحافظة لا تستطيع فعل شيء معه، بينما كانت سونغ يون بينغ حذرة وحريصة كعادتها، فعلى الرغم من ابتهاجها عند رؤية هذا، فإنها دائمًا ما كانت تنصح لي دونغ باو بالتواري عن الأنظار مرارًا وتكرارًا. على الرغم من أن لي دونغ باو لم يكُن موافقًا على هذا، ولكنه دائمًا ما كان يطيع ما تقوله سونغ يون بينغ خشية من أن يُقلقها عليه، لذا كان مضطرًا لأن يضبط نفسه. بالطبع، بعد عودته إلى المنزل كان يضيف توابلَ للطبخة بتوضيحه لكيفية مقاومته لإغراءات الإطراء في الخارج، فكانت سونغ يون بينغ تُكافئه بطبخ أكلة لذيذة له، وتسخّن له إبريقًا من النبيذ، وتلمس وجهه بلطف، فيغمره شعور بالاكتفاء.

كان سونغ يون هوي أكثر المهتمين بمصنع المنتجات الأسمنتية الجاهزة المحظور في شياولجيا، لذا بعدما طلب من زوج شقيقته، صار يذهب من حين إلى آخر إلى هناك للتعرُّف على الوضع رغبة منه في التوصُّل إلى سبب اعتبار مصنع المنتجات الأسمنتية الجاهزة أداة للمضاربة والعبث بالاقتصاد المخطط. لم يكُن هونغ وي بطبيعة الحال يجرؤ على ترتيب قيام السيد شقيق زوجة أمين الفرقة بخلط الأسمنت وربط الحديد المُسلَّح وحمل الخرسانة الجاهزة، لم يجرؤ حتى على طلب أي شيء منه خشية من أن يلقى مصير سي باو المشئوم، لذا تركه يتجوّل في المصنع كما يشاء. بينما عمل سونغ يون هوي على ربط النظريات بالتطبيق، ورسم خطًا واضحًا للإنتاج والتوريد والتسويق، واكتشف مواضع التناقض مع السياسات الحالية، إذ رأى أن الرمل والحصى والطوب والبلاط لم تكُن موادًا مخططة مهمة متعلّقة بالاقتصاد القومي، ولا يمكن لإعادة بيعها أن تحظى بأهمية كبيرة، حتى إن حركة إعادة بيعها في السوق الحالية ليست قاصرة على فرقة شياوليجيا وحدها، ولكن من المؤكّد أنه من السهل التلاعب بالأسمنت والحديد المُسلَّح الذي يُعاد بيعه من قِبَل مصنع المنتجات الأسمنتية الجاهزة. ففكّر مليًا، واقترح على لي دونغ باو إضفاء معالجة بسيطة على الحديد المُسلَّح بالمعدّات الموجودة قبل بيعه، مثل القطع والتقويم، وستأتي تكلفة المعالجة من عائد الحديد المُسلَّح نفسه. وهكذا، لن يستطيع أحد اتّهامهم بالمضاربة في إعادة البيع. وبعدما سمع لي دونغ باو هذا، قال لزوجته: «إنه ماكر»، ثم قال لشقيق زوجته: «حسنًا».

كان المحافظ شيوي راضيًا عن كل ما فعله لي دونغ باو، حتى إنه مدحه بشكل خاص على انضباطه في عدم التحدُّث عن الأمر مرة أخرى، شاعرًا بصعوبة هذا بالنسبة لرجل حاد الطباع مثل لي دونغ باو، وخمّن وجود شخص أو اثنين من ذوي الفكر والمشورة وراءه. كان المحافظ في الأصل ينوي استغلال فشل فريق التحقيق في القيام ببعض الحيل وشنّ هجوم مضاد، ولكن في ذلك الوقت جاءت زوجته التي كانت تعمل كأستاذة بإحدى جامعات بكين لقضاء العطلة الصيفية ولمّ الشمل، وقد أحضرت له معها عددًا من الوثائق السرية، من بينها وثيقتين تمت مناقشتهما للتو في اجتماع رفيع المستوى في أوائل شهر يوليو. ومن بين هذه الوثائق، كانت هناك وثيقة بعنوان «اعتبار تعزيز وتنمية الكوادر الشابة ومتوسطة العمر كأولوية قصوى» والتي كتبها الرفيق تشن يون، ووثيقة ثانية بعنوان «ملخّص الندوة حول تقاعد الكوادر القُدامى» والتي تمت صياغتها برئاسة الرفيق تشن يون؛ وثالثة بعنوان «تعزيز الكوادر الشابة ومتوسطة العمر بالآلاف» والتي كانت الخطاب الذي ألقاه الرفيق تشن يون في الاجتماع. ومن خلال هذه الوثائق الثلاث، إلى جانب تلخيص الأوضاع المحلية الراهنة، استطاع المحافظ رؤية الاتّجاه العام للأوضاع والعمل بجد والاستعداد جيدًا. منذ طرح الرفيق سونغ رن تشيونغ لتجديد الكوادر المتقاعدة بإضفاء الطابع الشبابي والمعرفي في منتصف العام الماضي، إلى طرح قضيتيّ اعتبار التجديد بتنمية الكوادر الشابة ومتوسطة العمر وتقاعد الكوادر المخضرمة بمثابة أولوية قصوى في الوقت الحالي، استطاع المحافظ رؤية اتّخاذ الحكومة المركزية لخطوات متسارعة.

وما إن تذكّر المحافظ شيوي شعر الأمين قونغ الذي يغلب عليه الشيب ومشيته المسنّة، حتى ابتسم وتراجع عن خطته التي كان ينوي تنفيذها، ومع ذلك، ففي الوقت الذي توقّف فيه عن اتّخاذ الإجراءات ضد الأمين قونغ، بدأ أيضًا في تحدّي فِكر الأمين قونغ، وقرر نشر روح المؤتمر الوطني لمديري مكاتب المواد المنعقد مؤخرًا بقوة وبشكل هادف، بل ونشرها أيضًا على مستوى القاعدة الشعبية. وقد أكّدت روح المؤتمر على ضرورة تنفيذ الإدارة المخططة على مواد الإنتاج المهمة والشحيحة في إطار تحقيق توازن جيد بين العرض والطلب الاجتماعي، وتنفيذ الشراء والبيع الحر على مواد الإنتاج العامة، والسعي لتحقيق التنظيم دون التقييد، والمرونة دون الفوضى. وهذه الإجراءات في الحقيقة كانت تهدف إلى إعادة النظام بعد الفوضى التي أحدثها فريق التحقيق.

ولكن قبل نشر روح المؤتمر، كان المحافظ قد سمع بالفعل تقارير تفيد بأن فرقة شياوليجيا قد غيّرت طريقة عملها، ولم تعُد تعمل بالمضاربة، وإنما تقوم بكذا وكذا. فوجئ المحافظ شيوي عند سماعه لهذا، هل يمكن لذلك الرجل الحاد الطباع لي دونغ باو أن يكون أحمقَ آخرَ قد حالفه الحظ وقفز أمام السياسات؟ ولمّا سمع فيما بعد فهم الأمر، إذ أدرك أن هذا بفضل توجيهات شقيق زوجة لي دونغ باو الذي يتحدّث عنه كثيرًا. وهذه المرة، فوجئ المحافظ بنوعية الطلاب الجامعيين اليوم، فاستدار وسأل زوجته الأستاذة الجامعية عن الأمر متعجّبًا من جودة مستوى طلاب جامعات اليوم، فأجابته زوجته بأن شقيق زوجة لي دونغ باو المدعو سونغ يون هوي قد يكون أكثر تميُّزًا من الآخرين.

بعد فترة من الوقت، ذهب المحافظ برفقة تشن بينغ يوان في جولة إلى الريف، وذهب بنفسه عمدًا إلى فرقة شياوليجيا ليرى كيف تسير أحوال الفرقة مؤخرًا وعلى أرض الواقع. وبمجرد دخول القرية، رأى أعمال الحصاد الصيفي والزراعة الصيفية وقد أُنجِزت بالفعل، فقط ساحة تجفيف الحبوب وحدها ما زالت تحوي آثارًا للحصاد الصيفي. ولمّا سأل المزارع المسنّ الذي يعمل في الحقل، أخبره أن الفرقة تموّل حراثة الأرض مجانًا بشكل موحّد، كما قال مفتخرًا إن الفرقة حاليًا قد صارت ثرية، والثراء يعني سهولة القيام بالأمور. اتّفق المحافظ معه في هذه النقطة، إذ إنه قد رأى آخرين ما زالوا يزرعون بذور الأرز في الفرق التي مرّ بها. كما رأى المحافظ شيوي أيضًا بركتيّ الأسماك اللتين تأسستا في موضع استخراج الطين اللازم لمصنع الطوب، بالإضافة إلى أشجار الفاكهة المزروعة حول بركتيّ الأسماك، وأشجار الفاكهة المغروسة أيضًا في كل رُكن من أركان القرية، وهذا ما كان قد اقترحه على لي دونغ باو. وعلى الرغم من أن أشجار الفاكهة كانت صغيرة، فقد بدت خضراء بشكل مُبهِج.

كما ذهب المحافظ لزيارة مصنع الطوب أيضًا، فاستطاع رؤية مدى اتّساع المنطقة المحيطة بالمصنع مقارنة بالعام الماضي، وتشغيل فرنيّ الطوب على قدم وساق، بالإضافة إلى تشغيل معدّات صُنع الطوب الميكانيكية التي اشتروها حديثًا، ولذلك صار من الممكن صُنع الطوب في نهار الصيف دون الخوف من تشقق الطوب بفعل الشمس الحارقة ما دام يُغطّى بحصيرة منسوجة من قش الأرز المحصود مؤخرًا.

كان بجوارهما مصنع المنتجات الأسمنتية الجاهزة، فلم يكشفا عن هويتهما الحقيقية، ولم يجرؤ الآخرون على إعاقة مسارهما بعدما رأوا هيئتيهما المهيبة. رأى المحافظ شيوي في موقع العمل شابًا يضع نظارة ذات إطار بلاستيكي باللون العاجي، يوجّه الجميع باستخدام رافعة تم شراؤها حديثًا وعمودين سميكين من الخيزران لتسهيل نقل الخرسانة الجاهزة الثقيلة ووضعها على الجرار، فنجحت الطريقة الجديدة، وصفّق الجميع فرحين. كان وجه الشاب يبدو طفوليًا، ومع ذلك كان يتصرّف بثقة، ويصدر تعليمات موجزة وواضحة، ولم يبدُ في تصرفاته طفوليًا البتة. ففكّر المحافظ في أن هذا الشاب قد يكون شقيق زوجة لي دونغ باو، الذي كان يبدو مثقفًا ولطيفًا. ولعلّ الفكرة الصبيانية لطرد فريق التحقيق إلى خارج القرية هي أيضًا فكرته؟ حقًا لا ينبغي الحكم على شخص من مظهره.

ولمّا رأى سونغ يون هوي هذا الرجل بمظهره المميّز وفكّر في الاقتراب وإلقاء التحيّة، كان المحافظ ورفيقه قد استقلّا دراجتيهما بالفعل وانطلقا. ولم يكُن المحافظ في هذه الزيارة ينوي لفت الأنظار، فلا داعي لملامسة أعصاب أي شخص في أمر تافه كهذا، وبخاصة قبل مرور شهر حتى على حادثة فريق التحقيق. فهدفه الرئيس من القدوم إلى القرية هو التأكُّد من جودة الراية التي يرفعها بيده، وقد تأكّد من كل ما يريد التأكُّد منه، فلا حاجة لإفزاع أي شخص من فرقة شياوليجيا، ولا داعي أيضًا لظن أهالي شياوليجيا بأنه يدعّمهم بكل طاقته فيدفعهم هذا للتجرُّؤ والتصرُّف كما يريدون فيما بعد.

ولكن لا يمكن أصلاً لفرقة شياوليجيا أن تتصرّف كما تريد مثلما يظن المحافظ شيوي، فباعتباره كيانًا اقتصاديًّا خارج النظام، إذا أثّر بشكل خطير على مصالح الأفراد داخل النظام، فإنه هكذا يؤثر على الوضع العام، مما يؤثّر بشكل عام على كافة الكيانات داخل النظام. ما دامت الشكوى في المحافظة لم تُجدِ نفعًا، وإرسال فريق تحقيق إلى الدوائر الحكومية الأصغر لم يُجدِ نفعًا أيضًا، بل وهناك وثائق جديدة تُصدَر لفتح أسواق جديدة، ولكن، ألن يستطيع الأخ الكبير التعامل معك أيها الأخ الصغير؟ ومن ثم أقام الإخوة الكبار حفل شاي وفكّروا في شيء واحد مشبّعين بفكرة تثقيل فرقة شياوليجيا ببعض المتاعب، فأصدروا تعليمات إلى جميع محطات الشراء في المحافظة: تصاريح شراء فراء الأرانب، تُمنح كل فرقة حصة محددة من تصاريح شراء فراء الأرانب، ولا يُسمح بشراء الفائض عن الحصة المحددة، ومع ذلك لا توجد قيود على تسجيل الأسر المقيمة. وفرقة شياوليجيا تعدّ أكبر فرقة لتربية الأرانب كثيفة الفراء في المحافظة بأكملها، لذا فمن الواضح أن رأس حربة هذه التعليمات موجّهة مباشرة إلى الفرقة.

ولكن قبل انتهاء الموجة، أتت موجة أخرى، فالمصائب لا تأتي فرادى. إذ بعد تشغيل فرنيّ الطوب التابعين للفرقة، أخذ الطوب الأصفر والبلاط الأحمر ينتشر وصولاً إلى المحافظات والمدن المجاورة، وهو ما لم يُرضِ مصانع الطوب والبلاط المحلية في تلك الأماكن، فرفعت شكواها إلى القيادات، فأرسلت حكوماتهم المحلية موظفين خاصّين لإقامة كمائن أمنية عند تقاطع الطرق انطلاقًا من مبدأ حماية الاقتصاد المحلي، مما أدّى إلى منع

انتشار طوب شياوليجيا الأصفر، والذي أثّر بدوره على انتشار المنتجات الزراعية والجانبية الأخرى، مما وجّه ضربة قوية غير متوقّعة لمصنع شياوليجيا للطوب والبلاط.

كان لي دونغ باو يبدو عابسًا في تلك الأيام، مع وجود ظلّين قابعين أسفل وجنتيه، حتى إن كل من حوله كانوا يخافونه بمجرد رؤيته. ولكن مع مروره بمثل هذا الوقت العصيب، ظلّ محافظًا على التعامل في جميع الجوانب، حيث تبادل ما يكفي من قسائم الشراء قبل بدء الدراسة في الجامعة المفتوحة، وأعطاها لسونغ يون هوي ليذهب برفقة شقيقته إلى المدينة ويشتريان جهاز تلفاز. ولكن سونغ يون بينغ لم توافق، وقالت إن ادّخار الحبوب يقي من المجاعة، لذا فمن الأفضل ألّا ننفق المال كله. ولكن لي دونغ باو لم يطِع كلام زوجته هذه المرة، ووضع يده على شعره وقال بصرامة إنهم سيشترون التلفاز بالتأكيد، فهو لن يفيد فقط في تسهيل حضور محاضرات الجامعة المفتوحة، بل سيفيد أيضًا في سماع الأخبار الصادرة عن الحكومة المركزية، وفهم السياسات كما يفعل سونغ يون هوي، حتى لا يتورّطوا في مكائد أولئك الأشقياء دائمًا. وهذه المرة أيّد سونغ يون هوي زوج شقيقته بلا شروط، إذ إنه كان مدركًا بالفعل لعدم هواية زوج شقيقته لقراءة الصحف، غير أنه لا يفهمها حتى ولو قرأها، وأن الاستماع إلى الأخبار هو أفضل طريقة لفهم السياسات، ناهيك عن أن فهم السياسات الوطنية أمر غاية في الأهمية، وهذا لا يحتاج إلى توضيح.

ذهبت سونغ يون بينغ بلا حول ولا قوة برفقة شقيقها إلى المدينة لشراء جهاز تليفزيون. ففي الصباح الباكر، استقل الاثنان دراجتيهما

إلى المحافظة، ثم اشتريا التذاكر وركبا القطار متّجهين إلى المدينة، وبعد شراء تذكرتي العودة ذهبا إلى المتجر متعدد الأقسام رقم واحد بوسط المدينة لشراء التلفاز. وكانا يعرفان السعر بالفعل. بعدما عدّت سونغ يون بينغ قسائم الشراء واحدة تلو الأخرى، وشاهدت البائع يتحقق منها واحدة تلو الأخرى، وسمعته يقول إنها صحيحة، شحب وجهها، وأظلمت عيناها، وانهارت على منضدة البيع الزجاجية، فتفاجأ سونغ يون هوي وفقد عقله، ولكن لحسن الحظ أن البائع كان سريع البديهة، فأحضر مقعدًا لهما، وساعد في إفاقتها، وبعد وهلة فتحت سونغ يون بينغ عينيها. فلمّا رأى البائع هذا قال لها لا عليكِ لا عليكِ، فكثيرون يغشى عليهم بعد مجيئهم بمثل هذا المبلغ الكبير، يغشى عليهم أمامي من جميع الأعمار. ولكن سونغ يون هوي لم يكُن مقتنعًا بهذا، إذ كان يرى أن شقيقته تقلق بشكل مفرط مؤخرًا، وعلى الرغم من أنها وزوجها قد فقدا الوزن معًا، فإن شقيقته منهكة نفسيًا وجسديًا. وما إن بدأ الحديث مع شقيقته، حتى انهمرت دموعها، إذ دائمًا ما كانت تتظاهر بالقوة أمام زوجها وتهدّئه بكلماتها اللطيفة، ولكن الأمر مختلف أمام شقيقها، فلا يمكن لأي منهما إخفاء أمر عن الآخر. طلبت من شقيقها ألّا يُخبر لي دونغ باو، حتى لا يزيدون الطين بلة.

تذكّر سونغ يون هوي أن الذين يعانون من انخفاض السكر يحتاجون لتناول المزيد من السكر، ولم يسع سونغ يون بينغ سوى الابتسام بمرارة بعد سماعه لهذا، إذ كانت حماتها تخشى الفقر لدرجة أنها كانت تتناول كل الحلوى خلال أيام قليلة من إصدار قسائم شرائها. ففضّلت سونغ يون بينغ أن يصطحبها إلى

المستشفى للحصول على الجلوكوز، وبعد ذلك يرجعان لأخذ التلفاز إلى المنزل. وبعد تناول ماء الجلوكوز، عادت سونغ يون بينغ إلى المنزل وكأن شيئًا لم يكن، حتى إن لي دونغ باو لم يكتشف ماذا حدث. أخيرًا توصّل لي دونغ باو إلى خدعة ما في المنزل، حيث استدعى القرد العجوز الذي كان واسع المعرفة وواسع الحيلة، وطلب منه مرافقة سي باو والذهاب مباشرة إلى مصانع غزل ونسيج فراء الأرانب بشانغهاي وعواصم المقاطعات الكبرى. وما دامت محطات الشراء لن تشتريها، فيمكنه استبعادها، إذ كان يعتقد أنه ما دامت مصانع الأسمنت تشتري المواد الخام خارج المخطط لها للإنتاج، فالأمر نفسه ينطبق على مصانع غزل ونسيج فراء الأرانب. ألا يُقال إن البلاد كلها كلعبة شطرنج؟

أمّا بالنسبة لمبيعات الطوب والبلاط، فقد اندفع لي دونغ باو مقررًا مزاحمة مصنع الطوب والبلاط بالمحافظة. حيث اجتمعت الفرقة للمناقشة، فمن ناحية سيخفضون الأسعار ويقرعون الصنوج والطبول في المحافظة بأكملها لتعرف جميع الشركات العامة والخاصة بهذا كما فعلوا من قبل، وعلى الأقل ستبحث الشركات الخاصة عنهم بالتأكيد؛ ومن ناحية أخرى سيقومون بتوسيع نطاق التعاقد على مشروعات البناء، وبالطبع المشروعات التي سيتعاقدون عليها سيستخدمون فيها الطوب الخاص بهم. ولكن لي دونغ باو فكّر في مسألة مهمة، إذ إن فريق هندسة البناء الخاص به لا يمكنه سوى التعاقد على مشروعات البناء المدنية، ولا يمكنه التعامل مع المشروعات الأخرى كالمسرح وقاعة الشعب الكُبرى، وتلك الأماكن هي أكثر ما يستهلك الطوب في بنائه. فكّر هونغ

وي في طريقة ما، وهي أن يذهبوا مباشرة للتحدُّث مع مهندسي معهد التصميم المعماري بالمحافظة ويطلبون منهم المساعدة في توجيهات المشروعات خارج ساعات العمل الثمانية. كانت سونغ يون بينغ قلقة بشأن هذا، فمزاحمة مصنع الطوب والبلاط بالمحافظة، ألن يتسبب هذا بمشكلة؟ وبعد مزاحمة مصنع الطوب والبلاط بالمحافظة، ماذا سيفعل العمّال هناك؟ ولكن زوجها لم يكُن بوسعه سوى تهدئتها قائلاً لا تقلقي لا تقلقي، وطلب شقيقها للتشاور، فقال له الفقر يدفع لتغيير الفكر، وبلغة علم الاقتصاد السياسي، لا بد لعلاقات الإنتاج من التكيُّف مع تنمية قوى الإنتاج، ولو لم يغيّر مصنع الطوب والبلاط من طريقة تفكيره، فلن يستطيع إلا أن ينتظر القضاء عليه. أمّا سونغ يون بينغ فكانت ترى أن هذين الشخصين يعملان على ضعضعة جدران الاشتراكية.

قبل عودة سونغ يون هوي إلى الجامعة، ذهب إلى لي دونغ باو بمفرده ليذكّره بأنه في حالة حدوث أمر طارئ فيما بعد فمن الأفضل ألّا يُعلم سونغ يون بينغ بهذا الأمر، خوفًا من أن تقلق نظرًا لسوء حالتها الصحية. وفي تلك الفترة، كان لي دونغ باو يحاول قدر الإمكان إخفاء مشاعره من فرح أو ضيق عند عودته إلى المنزل حقًا، ما لم يكُن الأمر خطيرًا ويصعب التعامل معه، فبعد أن يعرف جميع من في الفرقة بهذا الأمر، كان يتحدّث مع سونغ يون بينغ بشأنه في النهاية، حتى تظنّ سونغ يون بينغ أن الأمور ستسير على ما يرام فيما بعد.

رُب ضارة نافعة. إذ كان لدى القرد العجوز طريقته الخاصة، فبعد عودته برفقة سي باو، كان سي باو ما زال في حالة ذهول، لذا

ذهب القرد العجوز بمفرده إلى لي دونغ باو ليطلب منه تشكيل وإنشاء محطة شراء فراء أرانب خاصة بفرقة شياوليجيا، على أن يكون سعر الشراء مماثلاً لسعر محطات الشراء العامة، ثم نقل الفراء بعد شرائه إلى مصانع الصوف وتسليم 20% من الأرباح إلى الفرقة. ولكن لي دونغ باو رفض بكلمة واحدة، فكيف يمكنه أن يسمح لشخص مثل القرد العجوز أن يأخذ زمام المبادرة في التجارة، وكيف يمكنه أن يطمئن لتسليم المال لشخص ينكر حتى والديه؟ لكن سي باو كان عديم الفائدة حقًا، ولن يستطيع استغلال فرصة أخرى إذا أعطاه دونغ باو إياها، لذلك اضطر لي دونغ باو على مضض أن يطلب من سي باو الذهاب برفقة شي قن لتتبُّع نفس المسار الذي سلكه القرد العجوز، وكان شي قن ذكيًا حقًا، لذا فبعدما أنهى رحلته عاد إلى الفرقة وشرع في إنشاء محطة شياوليجيا لشراء فراء الأرانب، وهكذا عاد القرد العجوز ليقف متفرّجًا مرة أخرى.

كانت فرقة شياوليجيا الحالية مختلفة عن ذي قبل؛ إذ صارت ثرية بالفعل، وصار بإمكانها سداد نفقات شراء فراء الأرانب، كما صار بإمكانها سداد نفقات نقل فريق النقل التابع للكومونة، وبمجرد رفع سعر شراء فراء الأرانب قليلاً، فستبدأ كافة الأسر المربية للأرانب الكثيفة الفراء في جميع أنحاء المحافظة والمدينة في الاتّجاه نحو فرقة شياوليجيا لبيع فراء أرانبهم. ومن ثم، ثارت حالة من القلق في محطات الشراء المملوكة للدولة في جميع أنحاء المدينة، فاضطرت بهدوء وبلا حول ولا قوة إلى إلغاء رسوم الحصول على تصاريح شراء فراء الأرانب، ثم إلغاء تصاريح شراء

فراء الأرانب نفسها، وهكذا يكون قد عفا عليهم الزمن، ولم يعودوا يتمتّعون بتلك الأيام الخوالي التي كانوا يتولّون فيها زمام الأمور.

كانت فرقة شياوليجيا واسعة الحيلة، فإذا لم تكُن الأمور تسير على ما يرام في جانب ما، كانت على العكس تسير على ما يرام في جانب آخر، فعلى الرغم من أن مصنع الطوب لم يكُن من الممكن تطويره، ولم يكُن مُستغلاً إلى حد ما، فإن الأمور الأخرى كانت مزدهرة، وبخاصة فيما يتعلّق بدعوة فريق مهندسي معهد التصميم المعماري بالمحافظة للعمل بدوام جزئي. وفي نهاية هذا العام، تم الوفاء بالوعود التي قُطِعت في منتصف العام، فبالإضافة إلى سداد النفقات الطبية، أُصدِر أول راتب تأمين عمل بقيمة عشر يوانات لجميع المسنين البالغين الستّين عامًا قبل عيد الربيع.

وفي هذا العام، ظلّت الألعاب النارية في ليلة عيد الربيع تضيء سماء شياوليجيا حتى الفجر.

اشترى لي دونغ باو أيضًا عددًا لا يُحصى من الألعاب النارية وأشعلها في فناء منزله، فكلما زادت إحباطاته زادت شجاعته، وقد أحب كثيرًا تلك الجملة التي قالها سونغ يون هوي له من قبل: «الطريق وعر، والتقدُّم صعب، ولكن المستقبل مشرق». لذا كانت تغمره مشاعر الفخر والطموح في مواجهة هذا العام الجديد.

مكتبة
t.me/soramnqraa

عام 1982

1

لم يتوقّع سونغ يون هوي أنه سيحظى بشعبية كبيرة هكذا، فبمجرّد انتهاء عيد الربيع، أرسلت إليه إحدى الشركات الكُبرى المملوكة للدولة، وهي مصنع جينتشو العام، تطلب توظيفه لديها. لحسن الحظ أن مصنع جينتشو العام كان في المقاطعة المقيم فيها، وهو المصنع الذي كان يسعى جاهدًا ليرسله الموجّهون إليه للتدريب. ومع وجود مثل هذه الفرصة الجيدة، شرع مطمئنًا في العمل على مشروع تخرُّجه. ولكنه لم يكن بإمكانه فهم أنه على الرغم من تحسُّن درجاته بعد ثلاث سنوات ونصف في الجامعة، وتميُّز ملامح ملفه السياسي أخيرًا، فإنه أمر لا يصدّق أن يُبادر أحد المصانع الكبرى ويرسل إليه لتوظيفه، حتى ولو بتوصية من الموجّهين، كما أنهم لم يُرسلوا مطلقًا إلى مصنع جينتشو العام لترشيحه بصفة خاصة. فقط الأستاذ لُو وحده هو الذي كان يشعر بالأسف حيال عدم تقدُّم سونغ يون هوي لاختبارات قبول الدراسات العليا، إذ كان يراه شابًا ذكيًا وواعدًا.

بدأت فرقة شياوليجيا تعتزّ بنفسها، فالوثيقة التي أصدرتها الحكومة المركزية هذا العام تتحدث عن قضايا العمل الريفي،

إذ تقول إن «أنظمة المسؤولية المختلفة التي يطبّقها الريف حاليًا تتضمن أجور المعدّل الثابت لتعاقدات المدة القصيرة، وأجور التعاقد المهني للإنتاج المشترك، وربط الدفع بالإنتاج، والتعاقد على الإنتاج مع الأسر والمجموعات، والتعاقد على العمل مع الأسر والمجموعات، وغيرها، وجميعها أنظمة مسؤولية إنتاجية تندرج تحت الاقتصاد الجماعي الاشتراكي». وأخيرًا لم يعُد نظام التعاقد مع الأسر على الإنتاج الذي تطبّقه فرقة شياوليجيا أمرًا هامشيًا، وصار بالإمكان التحدُّث بشأنه علانية.

في شهر فبراير، أصدرت الحكومة المركزية قرارًا بشأن إنشاء نظام تقاعد الكوادر المخضرمة، والذي نصّ بوضوح على صرامة تطبيق سن تقاعد الكوادر المخضرمة على جميع المستويات. وجميع الكوادر الذين رأوا هذه الوثيقة أدركوا أن الأمين قونغ قد عفا عليه الزمن، وأخذ جميع من في المحافظة من كبيرها إلى صغيرها يتزاحمون حول المحافظ شيوي، ولم يعُد هناك سوى القليل حول الأمين.

كان مدير المكتب تشن بينغ يوان يعرف جيدًا كيفية التودد للآخرين في كل زمان ومكان، فربط الوثيقة الأولى لهذا العام بقنوات القوة التي يسيطر عليها بنفسه، وعمل بجدّ حتى عيّن فرقة شياوليجيا التي يقدّرها المحافظ شيوي كنموذج لتعلُّم إصلاح الاقتصاد الجماعي الريفي الوارد في الوثيقة الأولى، وظلّ طوال الليل ينظّم الأقلام والدفاتر للإسراع إلى فرقة شياوليجيا واكتشاف الشرارة الأولى لتقدُّم الفرقة. ولكن على الرغم من أن المعاملة التي قوبلوا بها كانت مختلفة قليلاً عن معاملة فريق التحقيق، فإنها

لم تكُن أفضل كثيرًا عنها؛ إذ لم يصدّقهم أي من أهالي شياوليجيا كبيرها أو صغيرها، بل وقلقوا من خداعهم كمن يعلّق رؤوس الأغنام ويبيع لحم الكلاب، إذ تخوّفوا من ادّعائهم بتعيين الفرقة نموذجًا مع إجراء تحقيق في حقيقة الأمر. وعلى الرغم من عدم وجود أي سكاكين أو سيوف في استقبالهم، فلعنات المسنين والمسنّات لم تتوقّف أيضًا.

ولكن تشن بينغ يوان كان مصرًا ولم يستسلم، فهذا الشأن يتعلّق بمستقبله على أي حال، ولمّا رأى أن جميع أهالي فرقة شياوليجيا من كبيرها إلى صغيرها ما زالوا متمسّكين بحذرهم، أدرك أن التعامل بشكل رسمي قد يقابَل بالرفض، كما أنه لن يستطيع الآن إصدار أوامر بالقوة، فلا بد من الحذر والتوازن في اتخاذ القرارات، إذ إن وجود المحافظ شيوي يمنعه من إصدار مثل هذه الأوامر. يبدو أن المرونة هي السبيل الوحيد للمضيّ قدمًا. لا يوجد أمر صعب في العالم ما دام هناك من يستعدّ له. قبل حتى أن يشعر لي دونغ باو بقيام أحدهم بإجراء فحص شامل حوله، كان تشن بينغ يوان قد أنهى بالفعل كافة أعمال التحقيق والتنسيق بحزم وسرعة، كما قاد بنفسه مدير معهد التصميم المعماري بالمحافظة إلى موقع البناء، وأكمل المهمة بنجاح، والتي كانت على المستوى الخارجي بمثابة دعمٍ قوي تقدّمه حكومة المقاطعة إلى نموذج الإصلاح الاقتصادي الريفي.

ومن ثم، فقد صار فريق الهندسة المعمارية بشياوليجيا يحصل على ما يريد من تصاميم ومواقع بناء ومعدّات ومواد بناء وقتما يريد، فزادت قوّته بشكل كبير. وبسبب تخطيط وتصميم تشن بينغ يوان،

قيل عن الاقتران بين فريق الهندسة المعمارية بشياوليجيا ومعهد التصميم المعماري بالمحافظة بأنه قد أصبح بمثابة مثال لبناء الحكومة مسرحًا لعرض أداء المؤسسات وربط القيادة الحكومية للنظرية بالواقع وتوجيه القاعدة الشعبية لتحقيق الثراء. كما صارت الفرقة أيضًا بمثابة نموذج للتعلُّم الإقليمي بسبب ارتفاع الإنتاج الزراعي وتنوُّع الأعمال الجانبية وتقدُّم الصناعات الجماعية وضمان معيشة أعضاء الفرقة. وبسبب تلك الهوية التي دُعيت بها الفرقة من قبل كراية في يد المحافظ شيوي، فقد صار رسميًا بمثابة راية تحظى باعتراف الجهات الرسمية، وهذا التحوُّل في الهوية يُعني إمكانية تقديم الفرقة لشكاوى علنية إلى قادة المحافظة متى صادفت أي عقبات داخل النظام فيما بعد.

في الوقت الذي كان تشن بينغ يوان يقوم فيه بكل هذا، ظل المحافظ صامتًا لا يعترض ويراقبه وهو يبذل قصارى جهده ليجعل من فرقة شياوليجيا نموذجًا. وبعد فترة وجيزة، تقاعد الأمين قونغ بشرف، واستمر المحافظ في منصبه، واقترح تعيين تشن بينغ يوان نائبًا له. أمّا بالنسبة لنوعية الأشخاص مثل تشن بينغ يوان، فهو يعرفها جيدًا، ولكنه في بداية تولّيه لمنصبه كان عليه قبول أي شيء حتى ولو أرسله أحدهم إلى الموت، ناهيك عن كون تشن بينغ يوان حصانًا جامحًا قد يضلّ طريقه. وما يحتاجه المحافظ شيوي الآن هو التأكُّد من نواياه، إذ إن تشن بينغ يوان هو أيضًا شخص قادر على إنجاز المهام.

وحده لي دونغ باو كان مذهولاً من التكريم الذي أمامه، فكيف للسماء أن تُمطِر ذهبًا بلا سبب هكذا؟ وأمام هؤلاء الأشخاص

الذين أتوا من كل مكان للتعلُّم منه، لم يكُن بوسعه سوى قول جملة واحدة على المنصّة، وهي الحقيقة بالفعل: «ما دمتُ أهتم بشأن الكبير والصغير في فرقة شياوليجيا، فسيدعّمونني جميعًا، وما دام أهالي شياوليجيا يدعّمونني بالمئات، فلا يوجد شيء لا يمكُن تحقيقه». في كثير من الأحيان، إذا ما نظرت إلى هذه الجملة بنظرة شريرة، فقد تراها جملة تنمّ عن جهل، ولكن إذا نظرت إليها بنظرة طيّبة، فستراها جملة بسيطة. وكما ترى من كلامه، فهو شخص فقير الكلام ولكن سريع العمل.

ذاع صيت لي دونغ باو في كل مكان.

الأحداث السعيدة تأتي تباعًا. فوسط أصوات الألعاب النارية المنطلقة واحدة تلو الأخرى احتفالاً بالمنازل الجديدة في الفرقة بأكملها، اكتمل بناء منزل الأمين دونغ باو المتواضع الجديد المكوّن من مطبخ وحمام وغرفة معيشة وغرفة نوم، واحترم الزوجان والدة دونغ باو الكبيرة مقدّمين إياها أولاً لتسكن في المنزل الجديد. كانت والدة لي دونغ باو سعيدة جدًا في البداية، ولكن بعد يومين فقط من السُكنى فيه أدركت أنها قد عُزِلَت، ولم يعُد بإمكانها التدخُّل في شؤون ابنها، وأن زوجة ابنها قد سيطرت على شؤونه من جميع النواحي. بل وشعرت أنها قد خسرت هذه المرة، إذ كانت من قبل تتباهى أمام جيرانها بأنها صاحبة المنزل، وأن ابنها وزوجته يطيعانها، وأنها أول من ينال كل ما لذّ وطاب من مأكل ومشرب ومسكن، ولكن، لم يعُد الأمر هكذا، فقد طردتها زوجة ابنها من منزلها بكل بساطة، غير أنها لا يمكنها البوح بمعاناتها خوفًا من سخرية الآخرين. فمثلاً عندما يعود ابنها متعب

مثل هذه الأيام، كيف ستكون له طاقة ليزورها في منزلها الجديد، وإذا أرادت الآن العودة إلى المنزل القديم لرؤية ابنها، فعليها أولاً تخطّي عقبة زوجة ابنها.

خططت سونغ يون بينغ لخروج حماتها من المنزل القديم، وقد عرفت بالطبع أن حماتها ستفهم هذا يومًا ما، ولكن خروجها سهل وعودتها صعبة، فقد استغلّت سونغ يون بينغ الوقت لتضرب الحديد وهو ساخن، وحوّلت غرفة حماتها إلى مخزن، وطلبت من جيرانها مساعدتها في نقل الأرز وقش الأرز الذي كان موضوعًا في غرفة المعيشة وتكويمه في غرفة حماتها. ولكنها تحترم الكِبار بفطرتها، لذا ظلّت تُعطي حماتها نصف محصول الخضروات التي يتم حصادها من أرضهم الخاصة أو الأشياء الجيدة التي يُحضِرها لي دونغ باو. وقد اشترى لي دونغ باو جهاز راديو ترانزستور، فأعطته سونغ يون بينغ لحماتها ليخفف إحساسها بالملل، بل وعلّمتها أيضًا كيفية استخدامه. كما ذهب لي دونغ باو إلى المدينة لحضور اجتماع وهناك فاز بمروحة مكتب كهربائية، فوضعتها في منزل حماتها الجديد، ولكن حماتها قلقت على ابنها من التعرُّق بسهولة في الطقس الحار، فأعادتها إليهما مرة أخرى وسط ضجّة كبيرة. وما بين هنا وهناك، أخذ الكثيرون يحسدون تلك العلاقة الجيّدة بين الكِنّة والحماة في منزل الأمين.

ظلّت والدة لي دونغ باو غاضبة لعدة أيام، ولكنها أيضًا شعرت من الانفصال في المسكَن أن زوجة ابنها امرأة واعية وعاقلة. وقد صارت أعمالها أقل بعد سُكناها منفردة، وأصبحت تستيقظ مبكّرًا، وكثيرًا ما كانت تذهب إلى أرضهم الزراعية وتحصُد الخضروات

وتُحضرها إلى منزل ابنها، وإذا ما رأت زوجة ابنها وقد ذهبت للدراسة في المحافظة، فكانت تُخرِج المكنسة وتنظّف الفناء من تلقاء نفسها، وتغسل الخضروات وتضعها عندهم. فبعد مرّتين من احترام سونغ يون بينغ، انقلب الحال وصارت حماتها سعيدة بالأمر.

بعدما اختار تشن بينغ يوان فرقة شياوليجيا كنموذج بالفعل، صار بطبيعة الحال يفكّر في إضفاء بعض الرسمية والدقة والرقي على هذا النموذج. لذلك لم يدّخر جهدًا في التفكير في طرائق عدّة، ولكن لي دونغ باو لم يُعجب كثيرًا باقتراحات تشن بينغ يوان، إذ شعر بأنها مجرّد مظاهر فارغة ولا يمكن للفرقة أن تجني مالاً من ورائها، بينما كان متحمسًا جدًا لاقتراح تشن بينغ يوان الذي طرحه بشأن توحيد حسابات الفرقة، ومصنع الطوب ومصنع المنتجات الجاهزة ومحطة شراء فراء الأرانب والفريق الهندسي. كما رأى أن انشغاله يزيد مع زيادة أعمال الفرقة، وصار هناك احتمال كبير بوجود ثغرات في الأمور المالية إذا لم يستطع الانتباه إليها. لحسن الحظ أن سونغ يون بينغ قد تخرّجت في الجامعة المفتوحة، فصارت مع المحاسب ذي الأربع عيون في الحسابات، بالإضافة إلى كنة جديدة كانت قد تخرّجت لتوّها من المدرسة الثانوية وتزوجت حديثًا وأتت إلى فرقة شياوليجيا، وأيضًا المحاسب الخبير بالمكتب التجاري الذي كان تشن بينغ يوان قد أرسله إليهم، وأسسوا جميعًا نظام ودفاتر الحسابات الخاصة بالفرقة، وقد أعجب شي قن بشدة بهذا، وكثيرًا ما كان يرشّح نفسه للانضمام إليهم.

إن العمل في المحاسبة يعني قبول الانغماس في العمل حتى الموت، ولحسن الحظ أن سونغ يون بينغ كانت شخصًا مجتهدًا يقبل بهذا، بينما كان لي دونغ باو في الأصل رجلاً يهوى التصرُّف بأريحية، يفعل ما يريد، ولا يتبع أي نظام، وليس لديه أي نظام يمكن الحديث عنه، ولم يجرؤ أحد على السيطرة عليه. ولكن بعدما صارت الزوجة الأكثر صعوبة للمراس التي رآها في حياته هي المسؤولة عن الأموال، وتحت تأثير كلماتها الناعمة، صار مضطرًا للتصرُّف وفقًا للقواعد سعيًا لابتسامتها. ولمّا رآه الأخرون يطيع القواعد، اضطّروا بالطبع إلى طاعة القواعد مثله، ومن ثم اتّخذت إدارة الأموال مظهرًا جديدًا في فرقة شياوليجيا.

كان لي دونغ باو من قبل يُصاب بالدوار بمجرّد رؤيته لدفاتر الحسابات المليئة بالأرقام الصغيرة، ولكنه الآن بعدما تعلّم على يد سونغ يون بينغ صار باستطاعته قراءة دفاتر الحسابات والتقارير، بل وصار أيضًا يُدرِك الحيل ويعرف الذوق، وعند حديثه مع مسؤولي الكيانات المختلفة في الفرقة كان يقلّب دفاتر الحسابات ويقارنها بالتقارير، فلم يكُن أحد يجرؤ على التذرُّع بأي حجج موضوعية أو شخصية. لذلك، اشترى لي دونغ باو زجاجتين من النبيذ وعلبتي سجائر وأهداهم لتشن بينغ يوان تعبيرًا عن امتنانه له، فأبقاه المحافظ تشن لتناول الطعام، وفتح زجاجة نبيذ وعلبة سجائر، وتحدّثا كثيرًا. وعندما رأت ابنة المحافظ تشن مدى غلظة لي دونغ باو، زمّت شفتيها ورفضت الانضمام إلى طاولة الطعام.

شعر لي دونغ باو بالغرابة، متعجّبًا من شعوره بأن الأمين شوي كان بعيد المنال عند تولّيه لمنصب المحافظ، تمامًا كما هو الحال

الآن، فحتى مع علمه بأن معظم ما يفعله تشن بينغ يوان يرجع إلى اهتمام الأمين بالفرقة، فلماذا إذًا لا يجرؤ حتى على الذهاب بالسجائر والنبيذ إلى مكان إقامة الأمين؟

عاد لي دونغ باو إلى منزله ثملاً قليلاً، وكانت سونغ يون بينغ قد أعدّت له بالفعل مقدار دلوين من ماء البئر ليستحمّ بعد عودته، إذ إنها تهتم لأمره وتخشى أن يتضرر من استحمامه بماء البئر البارد، لذا دائمًا ما كانت تملأ له الماء من البئر وتضعه في الخارج ليصير دافئًا حتى يستحم به. كان لي دونغ باو كعادته يتفوّه بأصوات عالية تارة ومنخفضة تارة أخرى، وأحيانًا ما كانت يداه تؤلمه ولا يستطيع الإمساك بمغرفة الماء، فينادي زوجته لتساعده في سكب الماء، وفي أحيان أخرى لم يكُن يستطيع فرك ظهره ولا تنظيف عنقه، فكان يطلب من زوجته المساعدة. فبعد رحيل والدته من المنزل، زادت الرومانسية بين الزوجين الشابّين أكثر مما كانا عليه في شهر العسل.

وبعد الاستحمام، أدار لي دونغ باو ظهره للمروحة الكهربائية كعادته فمنع الهواء كالجدار، واختبأت سونغ يون بينغ خلفه لتحصل على القليل من الهواء. ثم أخبر زوجته كعادته بما فعل اليوم، وعن ماذا تحدّث مع المحافظ تشن، وكانت سونغ يون بينغ تأكل بذور البطيخ وهي تسمعه. لم يكُن لي دونغ باو بارعًا في أكل بذور البطيخ وتلك الأشياء، فكان يلقي حبّة كاملة في فمه ويعضّها بقوة حتى يستطيع تقشيرها، ولم يكُن سهلاً عليه تقشير حبة واحدة، فكان يمسكها بيديه الغليظتين ويبذل جهدًا كبيرًا حتى يستطيع فتح حبة واحدة، فتسقط على الأرض، ولكن يظلّ طعمها لذيذًا. فقط

عندما يكونا بمفردهما، دائمًا ما كانت سونغ يون بينغ تقشّر بذور البطيخ وتأكل واحدة، وتضع واحدة في كف لي دونغ باو، فينتظر حتّى يُجمِّع عددًا من الحبّات في كفّه ويضعها دُفعة واحدة في فمه، وقبل حتى أن يمضغها ويبلعها، يمدّ كفه إلى ركبة سونغ يون بينغ منتظرًا ليأكل المزيد، وغالبًا ما كان يسمع بعض أصوات التذمُّر من زوجته، ولكنه كان يشعر بالراحة وكأنها تدغدغه.

كان يعلم أيضًا بأن زوجته ستذكّره بألّا يكون مجنونًا جدًا بعدما ينتهي من تقريره هذا، وأنه كان يمكنه أن يكتفي بإهداء السجائر والنبيذ للمحافظ فحسب، فلماذا إذًا يذهب بكل هذا الإهمال ويجلس لاحتساء الشراب في منزله ويظلم زوجته بطهو الطعام، حتى إن ابنته لم تستطع الانضمام إلى الطاولة. فقال لي دونغ باو إن المحافظ هو من أصرّ على إبقائه ولم يسمح له بالذهاب، ولم يكُن هو من تقاعس عن الذهاب. لقد صار الآن يأكل ويشرب في الكثير من الولائم بسبب إصرار الآخرين على إبقائه بكل قوّتهم، كما شرح لزوجته أنه يعلم أيضًا أن الهدايا تعمي العينين، ولكنه الآن ليس كما كان من قبل، وما دام الجميع يريد مصادقته، لن يستطيع رفض ذلك تمامًا حتى لا يُحرجهم. وقال أيضًا إنه يمكنه توخّي الحذر، فأحيانًا يكون الجنون نفسه هو عدم دعوة الآخرين لاحتساء الشراب. كان أكثر ما يزعج لي دونغ باو هو ذهاب البعض للبكاء والشكوى لدى سونغ يون بينغ بعد ضربهم أو سبّهم من قِبَله مدّعين الظلم، فكانت سونغ يون بينغ تستجوبه بعد عودته إلى المنزل، ويتحوّل الأمر إلى مشكلة إذا لم يستطع سرد الحجج، إذ إن الصوت الناعم المفضّل لديه يمكنه أن يواصل إحراجه طوال الليل، فكان يضطر إلى ضبط

أعصابه حتى لا تواصل زوجته تذمُّرها. وأحيانًا ما كان يرى الأمر جيدًا هكذا، إذ إنه ما دام صار كادرًا الآن، فلن تُصبح مشكلة إذا ضرب أو سب أحدهم.

ولكنه لا يفهم، لماذا إذا أصرّت زوجته المعروفة بحُسن مزاجها على القيام بأمر ما، فإنها تتغلّب على كافة الصعوبات والمخاطر حتى تقوم به في النهاية، كيف لها أن تكون عنيدة هكذا؟ لقد أخبره صهره إن هذا يُسمى بالنعومة من الخارج والصلابة من الداخل، وهذا النوع من الناس هو الأصعب في التعامل معه.

ولكن اليوم شعر بأن زوجته شاردة الذهن بعض الشيء، ولمّا لاحظ أن وقت الذهاب للنوم قد حان، انتهى من تناول بذور البطيخ وقال «لا أريد المزيد»، ثم سألها متشككًا: «ماذا يشغل بالك اليوم؟».

«ألاحظت هذا أيضًا؟ هل لاحظت أي تغيُّر على وجهي في هذه الأيام؟». فنظر لي دونغ باو إليها بعناية وهزّ رأسه: «لا، لا يوجد أي تغيُّر، أتشعرين بعدم الراحة؟».

«ألا يوجد تغيُّر حقًا؟» بدت سونغ يون بينغ قلقة مرة أخرى، «أنا... كنت أرتّب ورق الحمام اليوم، وفجأة تذكّرت أن... تلك تأخرت لما يقرب من أسبوع».

«تلك؟ أي تلك؟» لم يفهم لي دونغ باو ما تعنيه، فاقترب مرتبكًا وتحسس جبهتها، ولم يجد أي حرارة. فتوتّرت سونغ يون بينغ: «تلك، تلك التي تأتي كل شهر. أنا... أقلق بشأن ما إذا كان قد حدث أم لا».

صُعق لي دونغ باو، ولكنه سرعان ما فهم: «ابن؟ ابننا؟ كيف أن يحدث بهذه السرعة؟ ابننا سريع. لنذهب غدًا للفحص في المركز الصحي، لا تخافي، سأحملك على ظهري إلى هناك، ولن أقلبك أبدًا». ولمّا رأت سونغ يون بينغ فرح لي دونغ باو وصوته الذي بدا كالرعد، أسرعت ومدّت يدها وغطّت فمه قائلة: «ولكن ماذا لو لم يكُن الأمر هكذا؟ لا تهلل، لا تدع الآخرين يسمعون فيسخرون منّا. دونغ باو، إنني قلقة جدًا، ما رأيك في أن أذهب إلى بيت والدتي لأسألها. فلو ذهبنا إلى المركز الصحي سيعرف الجميع».

«وماذا لو عرف الجميع، لقد حملت عروس شي قن قبل حتى أن تُنظَّف نفايات الألعاب النارية أمام منزلهما، انظري إلى عدد البطون الكبيرة في الفرقة الآن، لا تخافي. لو كنتِ تخافين من مصادفة أحد نعرفه في المركز الصحي، فسأصحبك غدًا إلى المركز الصحي بالمحافظة، إنكِ الأنحف من بين كل هؤلاء العرائس». لم يستطع لي دونغ باو الجلوس ساكنًا لفترة طويلة، بل كان يقفز يمينًا ويسارًا ويدور حول زوجته، وكأن عينيه تستطيعان رؤية ما وراء الأشياء.

«ألا يقلق المرء من السخرية لو لم يكُن الأمر صحيحًا؟ وأيضًا... وأيضًا... على كل حال أنا قلِقة دائمًا».

«لا تخافي، أنا معكِ. لنذهب غدًا إلى المحافظة، ونشتري بعض الحليب المجفف والحليب الرائب لتشربيهما كل يوم، فعليكِ إطعام فمّين فيما بعد. أما زال لدينا قسائم قماش في المنزل؟ ملابس وحذاء ابننا...».

«هه، ما زلنا لم نتأكّد بعد».

«هذا أكيد، أكيد. فابني يشبهني، متسرّع. ها، ابني، ابني». أخذ لي دونغ باو يرقص فرحًا، ويحمل زوجته معانقًا إياها تارة، وينزلها أرضًا تارة أخرى، ولا يدري ما أفضل طريقة لتقبيلها. كان متأكّدًا تمامًا من وجود طفل في بطنها، وفي هذه اللحظة شعر وكأن هويّته تغيّرت، صحيح، فقد صار الآن أبًا، وفيما بعد سيعانق زوجته بذراع، وابنه بالذراع الأخرى، شعور جميل كما كان يتمنّى. لم يكُن يتخيّل أنه سيعيش أيامًا جميلة كمثل هذه الأيام حقًا، ناهيك عن الشبع من الطعام، إذ صار على الطاولة الآن لحم وسمك كل يوم، كما استطاع شراء الثلاثة أجهزة الكبيرة، وصار لديه جهاز تلفاز ومروحة كهربائية، وأجمل ما لديه هو زوجة جيدة كهذه، بل وستنجب له ابنًا أيضًا. لم يكُن يحلُم بمثل هذه الأيام الجميلة من قبل. «ابني، ابني، هاهاها». على الرغم من قلق سونغ يون بينغ، فإنها لم تستطع منع العدوى من فرحة لي دونغ باو، ودائمًا ما كانت عبارة «أنا معكِ» التي يقولها لي دونغ باو تدبّ الروح في قلبها، فضحكت مع لي دونغ باو، ولكن بعد قليل ساورها القلق مرة أخرى: «دونغ باو، ماذا لو كانت ابنة؟ ألا تحب البنات؟ لدينا الآن تنظيم الأسرة، ولا يمكننا إلا إنجاب طفل واحد».

«ابنة، ابن، كلاهما واحد، وكلاهما جيد، كل ما ننجبه جيد. إذا كانت ابنة سندعوها بينغ الصغيرة، وإذا كان ابنًا سندعوه باو الصغير. ولتختاري أنتِ الاسم بنفسك». كان لي دونغ باو مبتهجًا وكأنه سيرى ابنته غدًا، وأقسم أمام بطن سونغ يون بينغ قائلاً: «باو الصغير، بينغ الصغيرة، والدك يكسب المال بلا هوادة، ويكسب

الكثير من المال، سأشتري لك الكثير من حلوى توفي الأرنب الأبيض الكبير لتأكلها، وستأكل كل يوم بيضة صباحًا، وسمكة ظهرًا، ولحمًا مساءً. وسيهدم والدك المنزل القديم ويبني منزلاً جديدًا عوضًا عنه، وستسكن في المنزل الجديد بمجرد ولادتك. ماذا أيضًا؟».

ثم رفع رأسه ليسأل سونغ يون بينغ عن رأيها، فوجد سونغ يون بينغ تضحك بالفعل، وقد بدد الضحك غيوم مخاوفها.

2

اختار سونغ يون هوي القيمة المتوسطة وفقًا للنطاق الزمني المحدد في بطاقة التدريب، ولم يذهب مبكرًا ولا متأخرًا جدًا، إذ ذهب حاملاً اللوازم الحياتية البسيطة على شيَّالة كتف متوجّهًا للتسجيل في مصنع جينتشو العام. كانت كل الأشياء التي أخذها تقريبًا من الجامعة، واختار أن يضع في مقدمة الشيَّالة حقيبة شبكية سميكة باللونين الأحمر والأبيض كانت والدته قد غسلتها ونظّفتها جدًا، وبداخلها طستان، وكوب مطلي بالمينا، وزجاجة مياه ساخنة داخل حافظة خيزران، وعلبة غداء من الألومنيوم، ووعاءان مطليان بالمينا، وعدد من عيدان تناول الطعام، والكثير من الكتب، وحصيرة من القش مربوطة خارجها؛ وفي نهاية العمود ربط لحافًا وحقيبة سفر جلدية قديمة، تلك التي كان والده يستخدمها من قبل، إذ وضع فيها الكتب وأدوات الكتابة، بالإضافة إلى مراسلاته مع عائلته وليانغ سي شن، وعدد قليل من الملابس لجميع فصول العام.

بمجرّد نزوله من الحافلة، رأى المداخن والأبراج منتصبة بعيدًا، ودون الحاجة لسؤال توجّه مباشرة إليها، وعند رؤيته للبوابة شمّ أيضًا تلك الرائحة الغريبة التي تحوم في الهواء. كانت الظهيرة بالفعل، وقد بدا أن حراس مصنع جينتشو العام أكثر صرامة من ذلك المكان الذي تدرّب فيه من قبل، ولكن بعد السؤال عرف أن كل الأشخاص الجالسين بين الحراس قد خرجوا لمشاهدة الطلاب الجامعيين الذين أتوا للتدريب، حتى إن البعض قالوا إن الجميع هنا، وكان عدد الخارجين من المصنع للمشاهدة خمسة، أربعة فتيان وفتاة واحدة. ثم أشار الجميع وسط ثرثرة عالية إلى سونغ يون هوي لينظر إلى مبنى مكوّن من ثلاثة طوابق بجوار بوابة المصنع، وأخبروه إن مكتب كادر المصنع العام يقع في الغرفة الأولى عند زاوية الدرج في الطابق الثاني.

فابتسم سونغ يون هوي شاكرًا، وحمل أمتعته مودّعًا إياهم. ثم رفع رأسه سامعًا الهمسات القادمة من خلفه، وحمل الشيَّالة على الكتف الآخر، وفي قلبه شعور بالسير نحو العاصفة.

كان الناس يخرجون من المبنى الإداري للمصنع العام ويدخلون إليه، ولمّا رأى العمّال المرتدين زي العمل شخصًا داخلاً يحمل شيَّالة على كتفه نظروا إليه عن غير قصد حتى إنهم تعجّبوا من منظره. كان سونغ يون هوي يعرف الورطة الواقع فيها، ولكن ما باليد حيلة، فكيف له أن يحمل كل هذه الأمتعة طوال الطريق بدون شيَّالة كتف. في ذلك العام عندما ذهب إلى مسقط رأسه كان ينزلق عند التقاط وحل الخنازير، وبعد أربع سنوات من الجامعة، كان عليه التكيُّف جيدًا عند حمل شيَّالة الكتف كصباح

اليوم، بل وكلا كتفيه كانا يؤلمانه أيضًا. ولا عجب مطلقًا في أن يتلقّى كمًا من نظرات الاستغراب في مكتب الكادر.

ولكن سرعان ما دعاه الشخص الجالس في الداخل باسمه، وسأله إذا ما كان سونغ يون هوي أم لا قائلاً إن الأمين شوي بنفسه قد طلب من الكلية أن ترسله إلى المصنع في بداية العام. لم يسأل سونغ يون هوي عن سبب طلب الأمين شوي إياه، بالأحرى لم يسأل حتى من هو الأمين شوي، إذ كان واثقًا في نفسه، ويرى أنه بتقديراته على أوائل الدفعة عام بعد عام بالطبع ستسعى وحدات التوظيف لاختطافه للتدريب، ولكنه كان أصلاً قليل الكلام، لذا اكتفى ببعض الابتسامات للشكر، في حين امتلأ قلبه بالفخر. وعلى الفور سأله شخص ما عن العلاقة التي تجمعه بالأمين شوي، فاضطر للقول إنه لم يسمع به مطلقًا، ولكنه رأى نظرات عدم التصديق في أعين الجميع. امتلأت الغرفة بالثرثرة ونظرات التقييم، ولكن سونغ يون هوي تجاهلها، وصبّ اهتمامه فقط على ملء كافة الاستمارات، وبعد قليل تم نقله إلى مكتب الأمن للتسجيل وطلب تصريح الدخول، ثم بعد قليل تم نقله إلى المكتب المالي للتسجيل وتسليم الاستمارة، ثم إلى مكتب الشؤون العامة للتسجيل، واشترى بعض قسائم الغذاء وقسائم الخضروات، وفي النهاية تم نقله إلى قسم التكنولوجيا الحيوية بالمصنع العام، وغالبًا كان هذا القسم هو محطته الأخيرة. حينها كان وقت الانتهاء من العمل قد قرُب، لذلك فعند انتهائه من الإجراءات رأى الكثير من السيدات في منتصف العمر يمددن رؤوسهن لينظرن إليه عند الباب، ولم يكُن يعرف السبب.

كان الطلاب الجامعيون الأربعة الآخرون الذين تم توزيعهم حديثًا قد عادوا لتوّهم من العمل وهم يتعرّقون بغزارة وشعورهم شعثاء وغير مرتّبة، حتى بدوا وكأنهم كانوا يعملون بأعمال النظافة أو ما شابه. ولكن بالنسبة للطلاب الجامعيين، فهذا يسمّى تدريبًا. كان قسم التكنولوجيا الحيوية مفعمًا بالحيوية أيضًا، ومليئًا برماد السجائر وأصوات الثرثرة. واحد فقط من مسؤولي الشؤون العامة هو الذي أتى لاستقبال سونغ يون هوي، وسلّمه مفتاح المهجع ومفتاح درج المكتب، وطلب منه أن يذهب إلى المهجع برفقة الطلاب الجامعيين الثلاثة الآخرين الذين تم توزيعهم حديثًا بعد الانتهاء من العمل. كان هذا المسؤول يشكو أثناء تأدية عمله قائلاً إنه الأسوأ حظًا في جيش الطريق الثامن الصيني، هذا الذي علّم نفسه بنفسه، ففي وقت «الثورة الثقافية» قالوا إنه مثقّف متعفّن من التسعة أنواع المنبوذة في فترة الثورة، وضربوه، والآن يقولون عنه إنه غير مؤهّل ولا يستحقّ المسمّى الوظيفي ولا الترقية، لذا دعوه يقوم بأعمال الشؤون العامة. ظلّ سونغ يون هوي يسمعه مبتسمًا دون أن يقول شيئًا. سرعان ما شعر المسؤول بالارتياح بعد الشكوى، ومن ثم أخبر الطلاب الجامعيين الخمسة بنبرة رحيمة بقدوم ثلاثة عمّال آخرين للتسجيل غدًا في المصنع، وبعد حضور الجميع سيتسنّى لهم البدء في العمل من الغد، وقد استعدّ مدير المصنع فِيّ وكبير المهندسين ليو لاستقبالهم، لذلك أُصدر إذن بانتهاء العمل مبكرًا اليوم.

خرج الطلاب الخمسة دفعة واحدة، وكان أربعة من بينهم متعبين لدرجة تمنعهم من التحدُّث، فقط واحد منهم يُدعى يوي شان تشينغ أشار إلى دراجة ثلاثية العجلات بعد نزوله من المبنى

مُخبرًا سونغ يون هوي: «فلتأخذ هذه الدراجة وتذهب بأمتعتك إلى المهجع، وهناك سِر مباشرة في طريق البوابة، ثم اعبر الجسر وانعطف يسارًا، ونحن سنلحق بك».

ولمّا رأى سونغ يون هوي تلك الدراجة الثلاثية العجلات وقد وُضعت عليها بعض المكانس والمجارف المتناثرة، ظنّ أنها قد تكون أدوات عملهم، فقال لهم: «لتركبوا جميعًا، وأنا سأوصلكم».

فهللوا جميعًا وركبوا في المقعد الخلفي. ولكن سونغ يون هوي أدرك أن طريقة قيادة الدراجة الثلاثية العجلات تختلف عن قيادة الدراجة العادية، فما إن قفز على الدراجة حتى انزلق المقود ودارت الدراجة دائرة واسعة حول مكان وقوفها، فضحك الأربعة الجالسون في الخلف في النهاية ودعوه إلى التعوُّد عليها شيئًا فشيئًا وعدم التعجُّل. ولكن بعدما تعوّد سونغ يون هوي قليلاً على استخدامها، اصطدم بحوض الأزهار المصنوع من الطوب الأصفر مرتين قبل أن يتمكّن في النهاية من الانعطاف متعرّجًا والتوجُّه مباشرة إلى السكن. بعدما استقر الجميع في أماكنهم، بدأوا يتبادلون الأسماء، وكانت الطالبة الوحيدة بينهم فقط هي التي تزوّجت قبل الالتحاق بالجامعة. كان الأربعة الجالسون في الخلف يتذكّرون قائلين إن ما أعطاهم المسؤول من عمل ليس تدريبًا بل تعذيبًا، وقالوا أيضًا إن أولئك العُمّال والفنيين يكونون أكثر ترحابًا وقت فراغهم، ولكن دائمًا ما يكون هناك طعمٌ مر في حديثهم، فيجمعون بين الحسد والغيرة، وكأن هذه الدفعة من الطلاب الجامعيين قد استولوا على كنز يخصّهم؛ ولكن إذا بحثت عنهم للعمل، يكونون جميعًا مماطلين ومتغطرسين، وأكثرهم ينفّسون غضبهم على

الطلاب الجامعيين وكأنهم أبقار، وبالإضافة إلى فضولهم، فإنهم غير ودودين أيضًا، لذا لا تتباهى في أي موقف أو أي مكان. كما تعجّبوا من حُسن حظ سونغ يون هوي، قائلين إنه قد علم مبكرًا، ولكن أتى متأخرًا قليلاً للتسجيل فقلل فترة التعذيب بضعة أيام، فرد سونغ يون هوي وقال إن فترة تدريبه ستبقى دائمًا أقل بضعة أيام من الذين أتوا أولاً.

وما زاد من غضب الرفاق هو أن الغرفة المخصصة لسونغ يون هوي كانت في الطابق الثاني، بل وكانت أيضًا غرفة لشخصين فقط، وأنهم الثلاثة شباب والفتاة الذين وصلوا مبكّرًا للتدريب قد وُزّعوا جميعًا على غرفة واحدة تتسع لأربعة أشخاص، وجميعهم في الطابق الأول. ففكّر سونغ يون هوي في قلبه خفية إن هذا الأمر غالبًا ما يتعلّق بالأمين شوي الذي ذكره أولئك الأشخاص في مكتب الكادر. ولأن الجميع يعرفون أن من يأتي أولاً يفُز أولاً بالنسبة للسَكَن في المهاجع الجامعية، فإن من يأتي لاحقًا لا ينوبهُ سوى الفُتات ويظلّ يتمنى الحصول على المستويات الأعلى، ما لم تكُن هناك أسباب خاصة. لم يكُن سونغ يون هوي يعرف ماذا يحدث بشأن الأمين شوي، ولكنه كان يعرف تمامًا إن تصريحه بعدم معرفته بالأمين شوي لن يُجدي نفعًا في الواقع، وحاليًا لم يتمكّن من رؤية مساوئ هذا الأمر، لذلك اضطر للاكتفاء بقول بضع كلمات تشجيعية بتواضع للذين خلفه، ثم أخذ الأمتعة وصعد المبنى وهو يعرف أنه لا جدوى من الكلام الزائد.

بعدما تعرّف سونغ يون هوي على بيئة المهجع بأكمله، وانتهى من الاستحمام وإحضار الطعام وتناوله، ظهر زميله في الغرفة عند

الباب. كان زميله شابًا طويلاً قويًا يرتدي ملابس العمل وذا سوالف كبيرة وشعر طويل، يشبه المأمور ياموراً من فيلم «المطاردة» الياباني. رأى سونغ يون هوي هذا الشخص وهو يدخل على مهل من الباب، ويستند إلى قائمة الباب وينظر إليه ببرود باعتباره ضيفًا غير مدعو، فلم يعرف ماذا يعنيه بهذا، ولكنه أدرك أنه غير ودود بشكل واضح، فألقى التحية مبتسمًا وقال: «مرحبًا، اسمي سونغ يون هوي».

لم يُظهر وجه ذلك الرجل أي تعبير، ولم يقُل أيي كلمة، فقط تحرّك ودخل الغرفة، وجلس لتناول الطعام، بينما ظلّت عيناه مثبّتة على سونغ يون هوي.

الآن حان دور سونغ يون هوي ليشعر بالفضول، فأكل بضع قضمات، وأخيرًا طفح كيله وسأل: «إنك تنظر إليّ منذ وقت طويل، هل استطعت إيجاد عيني الثالثة؟». فهزّ الرجل كتفيه ضاحكًا ضحكة ذكّرت سونغ يون هوي بالفتيات المُنحلّات، وبعدها بقليل قال الرجل: «يوم أمس كنت في الطابق السفلي أنظر إليكم هكذا أيضًا كمجموعة طلاب جامعيين، فرأيتكم وقد احمرّت آذانكم كالفتيات، حتى إن الطعام كاد أن يدخل في أنوفكم. أنت جريء جدًا، هل تولّيت ريادة الفصل من قبل؟».

حينها تذكّر سونغ يون هوي ما قاله يوي شان تشينغ عن عدم ود العُمّال وعدم التباهي أمامهم، فقال له ضاحكًا: «هل استطعت رؤية هذا؟ ذكيّ. بماذا أدعوك؟»، فنظر الرجل نظرة عميقة لسونغ يون هوي وقال: «اسمي شيون جيان شيانغ. جميعهم قالوا إنك

ستسكن في غرفتي بأمرٍ من الزعيم شوي، هل أنت قريبه؟» على الرغم من أن مسلسل «غوريلات غاريسون» لم يُعرض إلا نصف موسمه، فإن الشباب صاروا يطلقون على القادة كلمة «الزعيم».

كان سونغ يون هوي قد انتهى من تناول العشاء، فحمل صحن الطعام بتلقائية وسار به نحو شيون جيان شيانغ وفرد يديه مبتسمًا وقال: «انظر، لدي خمس حواس وأربعة أطراف، لا أكثر ولا أقل، إنسان طبيعي. أنا لا أعرف لماذا يسألني الجميع هذا السؤال الذي سألتني إياه، نحن سنسكن معًا، والأيام بيننا، بالتأكيد ستعرف الإجابة، ولا حاجة لمعرفتها اليوم».

لم يتوقّع شيون جيان شيانغ أن يتحوّل سونغ يون هوي من ضيف إلى صاحب غرفة بهذه السرعة وهذه السهولة، فنظر إلى ظهره وهو خارج ليغسل الصحن، ولم يتمالك نفسه إلا أن دبّت الحرارة في وجهه مُحرجًا، ولم يعُد بإمكانه طرح الأسئلة المتعالية المليئة بالتحقيقات والثرثرة، وإنما أراد أن يسدد له لكمة. وفي هذه اللحظة، كوّن في ذهنه بعض التخمينات حول السبب الذي دفع الزعيم شوي الأسطوري بنفسه للتواصل عبر علاقاته من أجل تدريب هذا الطالب المدعو سونغ يون هوي.

وجد سونغ يون هوي الأمر مضحكًا عندما كان يغسل الصحن، إذ شعر بأنه يصادف زُملاء مخضرمين أينما ذهب، فعندما كان طالبًا بالصف الرابع في المدرسة، كثيرًا ما كان يرى تلك النظرة المتعالية في أعين زملائه وهو يستجوبون طلاب الصف الأول، وفي هذه اللحظة حان دوره ليتعالى عليه شخص آخر. حتى عندما كان جروًا

حقيرًا فيما مضى، لم يكُن يسمح لأحد بالتعالي عليه، فما بالك بالآن. ولكن نظرًا لسماعه باسم الأمين شوي مرة أخرى من فم شيون جيان شيانغ، ألا يمكن أن يكون المصنع بأكمله من أعلاه إلى أدناه يعرف علاقته بالأمين شوي؟ أين يمكن أن يكون قد التقى بمثل هذا المسؤول رفيع المستوى؟ لم يكن لدى سونغ يون هوي أي فكرة على الإطلاق. ولكن بعد عودته إلى الغرفة وجّه شيون جيان شيانغ إليه جملة: «لن تمرّ أيامك القادمة على ما يُرام». فذهل سونغ يون هوي للحظة، ثم ابتسم ابتسامة خفيفة وقال: «أشكرك على تنبيهي». وهو يفكّر بداخله إذا ما كان سيقع في ورطة بسبب اهتمام الأمين شوي؟ يبدو أنها مصيبة حقًا.

غضب شيون جيان شيانغ بشدة لدرجة أنه ضرب الطاولة قائلاً: «هل ستموت إذا سألتني؟ لا يمكنني أن أكون روتينيًا وأقول الأيام بيننا مثلك. الطلاب الجامعيون خبثاء».

ردّ سونغ يون هوي على مهل: «لقد وصلت اليوم لتوي، ولا أعرف سوي من أين يُفتح الباب، ولا أعرف من أنتم تقريبًا، بينما تلاحقني أنت بهذا السؤال وذاك السؤال، بل وتفحصني بنظرة حذرة كتلك التي تنظر بها الجدة العجوز بلجنة الحي، فأخبرني من هو غير المنطقي فينا؟ إذا كان لديك ما تقوله، فلتقله، وإذا كان لديك ريحٌ فلتطلقه، لماذا تُخفي وتراوغ؟ أنت خبيث أكثر مني».

ذهل شيون جيان شيانغ ولم يدر أيبكي أم يضحك، وهزَّ كتفيه مرة أخرى وقال: «إذًا لأسألك سؤالاً آخرَ، أين ستذهب هذا المساء؟ سأذهب لمشاهدة فيلم «الركن المنسي من الحُب»،

سمعت أنه حماسي جدًا، هل تريد الذهاب معي؟». ولمّا رأى سونغ يون هوي شيون جيان شيانغ يتحدّث بلطف، تحدّث هو أيضًا باعتدال وقال: «ألا تعرف إذا ما كانت هناك غرفة مطالعة أم لا، أريد مطالعة الصحيفة، أيمكنك اصطحابي إلى هناك؟».

«هناك غرفة مطالعة بقصر ثقافة العُمّال، وهي مفتوحة حتى الساعة التاسعة، سآخذك إلى هناك لاحقًا. لماذا أنت في عجلة من أمرك، منذ إصدار فيلم «جيل الشباب»، صار الجميع يتظاهرون بالقراءة في الأماكن العامة لاصطياد الفتيات الصغيرات، إنك موسوم على جبهتك بعلامة الطلاب الجامعيين، فلماذا ستتظاهر، لقد صارت سيدات المصنع بأكمله تحدّقن فيك بالفعل». وما إن سمع سونغ يون هوي هذا حتى انفجر ضاحكًا وقال: «بسبب ما قلته، فأنا مصمم على قراءة الصحف فقط وليس الكتب، فأنا لم أصل إلى سن الزواج بعد. إنني في الحادية والعشرين من عمري، هل أنت أكبر مني؟».

«أعرف أنك صغير، فأنا أكبرك بخمس سنوات، فلتدعوني بالزعيم فيما بعد. كيف لك أن تكون صغيرًا هكذا، هناك ثمانية أفراد في هذه الدُفعة وجميع المتخرجين من الثانوية الفنية يكبرونك، أنا أعرف فقط أنك الأصغر، ولكنّي لم اتوقّع أن تكون صغيرًا هكذا. انتظرني يا أخي الصغير، سأغسل صحني واستحم، ما زال الوقت باكرًا». وبعدما انتهى من كلامه خرج متمايلاً بقدميه الكبيرتين.

فكّر سونغ يون هوي بداخله لماذا يبدو هذا المصنع هكذا، فقبل وصوله حتى، صار الجميع يعرفون كل شيء عنه، وكأن

المصنع بأكمله اطّلع على ملفه، وحتى الطُلاب الذين يحظون بشعبية كبيرة لا يمكنهم أن يحظوا بهذه المعرفة المخيفة. ولكنه كان يشعر أيضًا ببعض الفخر في داخله، فقد ذاع صيته قبل وصوله حتى، وسبق صيته يمهّد له الطريق جيدًا. لم يهتم سونغ يون هوي كثيرًا بما قاله شيون جيان شيانغ بشأن عدم مرور أيامه القادمة على ما يرام، فقد أتى لتوه، كما أنه مثقّف، ولم يخطئ في حق أحد، فمن يمكنه ألّا يحبّه؟

ولكن عندما خرج سونغ يون هوي برفقة شيون جيان شيانغ ذي الشعر المصفف إلى الخلف والقميص المزيّن بالزهور والسروال الواسع من الأسفل، اكتشف أن جميع من يلقون التحية على شيون جيان شيانغ يلاحقونه بسؤال، أهذا هو الطالب الذي يسكن معك، ثم يقيّمونه بنظراتهم الفاحصة. ومع تكرار هذه النظرات، لم يسع سونغ يون هوي إلا أن يتيقّظ، ويشعر بحس الغرابة في قلبه، حتى إنه رغب بشدة في الغوص لإلقاء نظرة في قلوب أولئك الذين يلقون التحية على شبون جيان شيانغ ليراهم حين يُلقون التحية هل كانوا سيسألون «أهذا من يريده الأمين شوي؟»، وحينها شعر وكأنه يرى حبلاً خفيًا يربطه بالأمين شوي، مما دفعه للتفكير في كلام شيون جيان شيانغ الذي لا يعرف مدى صحته من خطئه، هل يمكن لأيامه القادمة ألّا تمرّ على ما يرام بسبب الأمين شوي؟

يبدو أن مصنع جينتشو الرئيسي مصنعٌ غنيّ جدًا، إذ كان لديه دار سينما، وبجوارها قصر ثقافة عُمّال مكوّن من ثلاثة طوابق ويبدو قديمًا بعض الشيء، وغرفة مطالعة الصحف والمجلات تقع في الطابق الثاني منه. لم يذهب شيون جيان شيانغ لمشاهدة الفيلم،

وإنما دخل برفقة سونغ يون هوي إلى غرفة المطالعة، ولكنه لم يجلس لمطالعة الصحيفة، وإنما انحنى عند الباب ومازح اثنتين من أمناء الغرفة. بينما وجد سونغ يون هوي لنفسه كومة من أعداد «صحيفة الشعب اليومية»، ولم يتوقّع أن يجد بجانبها «صحيفة رفرنس نيوز»، فلم يخجل وأنزل لنفسه اثنتين من الصحف المعلّقة. لم يكُن هناك من يقرأ هذا النوع من الصحف، ليس كتلك الصحف والمجلات التي يبادر الجميع بأخذها من على الرف بمجرد صدورها كمجلتيّ «أفلام الشعب» و«ريدرز دايجست» و«صحيفة شينمن المسائية». وهناك رأى يوي شان تشينغ أيضًا، الذي كان يقرأ «مجلة القصة الشهرية».

أخذت أمينتا غرفة المطالعة تلاحقان شيون جيان شيانغ بالسؤال عن سونغ يون هوي، فقال إنه ما زال صغيرًا، وأنهما تبدوان قديمتان كالمخلل في نظره، وأنه، وحده هو الذي يراهما كزهرتين، فغضبتا منه لدرجة أنهما أمسكتا المجلات وكأنهما حجارة وأخذتا تضربانه بها. فهرب منهما إلى جانب سونغ يون هوي، وألقى نظرة عليه فوجد ذلك الفتى يقرأ بجدية المقالة الافتتاحية لـ «صحيفة الشعب اليومية»، وبدا كأنه لا يتظاهر بالقراءة مطلقًا، فنظر إليه لوهلة وكأنه خارق، وأخذ صحيفة وجلس بجانبه ليقرأ، وما إن بدأ في القراءة حتى شعر برأسه يؤلمه، فاكتشف أن ما يقرأه هو «صحيفة التحرير اليومية» التي لا تقل جدية عن تلك. وبينما كان يقلّب صفحاتها بقليل من الاهتمام، كان يلقي نظرة جانبية على سونغ يون هوي ليرى ماذا يقرأ، وبعدما رآه شعر بالإحباط، إذ رأى أن ذلك الفتى يزداد تركيزًا مع ازدياد جدية المحتوى، كما أن

العدد الرابع الذي كان يقرأه بتأنٍّ، كان ذلك الفتى قد مسحه بنظره بسرعة، إنه خارق فعلاً، لا عجب في اختيار الأمين شوي لهذا الفتى خصيصًا.

ظل الوضع هكذا حتى نبّهتهما الأمينة، فأعاد سونغ يون هوي الصحيفة إلى الرف وذهب برفقة شيون جيان شيانغ. لم يكُن يعرف سبب بقائه في غرفة المطالعة برفقته، بل ولاحظ أنه قد ظلّ ينظر إليه أيضًا. ولمّا خرجا سأله ضاحكًا: «أيها الزعيم شيون، هل لديَّ وردة أم سلحفاة محفورة على وجهي؟ لقد ظللت تتفحصني طوال الليل».

فأجابه شيون جيان شيانغ مؤكّدًا: «أنت كلّك غريب». فسأله سونغ يون هوي بفضول: «وماذا بي؟».

«كيف لك أن تتعجب من سؤالي؟ اسمع يا فتى، سيدتا غرفة المطالعة مهتمتان بك، وتسألان عنك، أترغب في التعرُّف إليهما؟». ففكّر سونغ يون هوي قليلاً، ثم رفض بأدب: «هناك فرق في السن».

«لذلك أقول إنهما تبدوان كالمخلل في نظرك». ففكّر سونغ يون هوي قليلاً وسأله: «جميعكم تقولون إن الأمين شوي هو من عيّنني بنفسه، ألدى الأمين شوي ابنة؟». وما إن سمع شيون جيان شيانغ حتى انفجر ضاحكًا وتمايل بدراجته: «كيف لك أن تفكّر حتى في الأمر، ولكن لحسن الحظ أن الزعيم شوي لديه ابنان، وليس لديه ابنة. وإلا لكنت قد وقعت في مشكلة، ولو كنت اندفعت للتعامل مع إنتاج عائلة شوي، لكان عليك الزواج من فتاة

قبيحة. دعني أخبرك، ولو لم تفهم يمكنك السؤال مجددًا. كان للزعيم شوي الكلمة الأخيرة في هذا المصنع، وعندما قام بتعيينك كان في السلطة، ولكن لم نكن نتوقع أن تُصدر وثيقة من الوزارة قبل فترة قصيرة تقول إن الكلمة الأخيرة صارت لمدير المصنع، فتعقّدت الأمور بين الجانبين، أحدهما يريد السلطة، والآخر لا يريد التخلّي عنها. برأيك، هل تمرّ أيامك القادمة على ما يرام بعدما عرف الجميع أنك من طرف الزعيم شوي؟».

هكذا الأمر إذًا، فكّر سونغ يون هوي بداخله، ولكنّه حسب أن سلطة الأمين شوي ما زالت عالية جدًا، إذ استطاع الاهتمام بتفاصيل حياته وسمح له بعدم الانخراط في الأعمال الشاقة، بل ولم يدعه أيضًا يسكن في الغرفة الرباعية المقابلة للمرحاض، ولم يدعه يسكن أيضًا في الطابق الأول المليء بالرطوبة. ولكن، على الرغم من كونه معروفًا بأنه صغير، فإنه بمجرّد دخوله من الباب وقع في دوامة الصراع بين الفصيلين، فلم يسعه سوى أن يبتسم بمرارة ويقول: «برأيك ماذا يمكنني أن أفعل؟ فأنا لا أعرف أي أحد في هذا المصنع، ولم يرني أحد من قبل، ألا ترى أنه ظلم كبير لي؟».

«من جعلك خارقًا، فأنت تجرؤ على قراءة «صحيفة الشعب اليومية» للتسلية، بينما لا يهتم بي أحد كما ترى». ففكّر سونغ يون هوي قليلاً، ثم قال: «كنت الأصغر في دفعتي بالكلية، لذا كلفني الرفاق الكبار بمهمة قراءة الصحيفة، وبالتالي فقد اعتدت عليها بعد أربعة أعوام وصرت أقرأها للتسلية. إن زملائي في دفعة الكلية هم الخارقون حقًا، حتى إن بعضهم يبدو كالمرجع المنزلي».

فضحك شيون جيان شيانغ بسخرية، وقال بتكاسل: «لا تعاملني كأحمق كبير، لقد كنت أتحدّث معك طوال الليل، وما زال لا يمكنني تخمين وزنك؟ أيضيع ما أكلته من طعام جاف طوال الخمس سنوات الماضية هباءً؟ ما محبة إلا بعد عداوة، أحترم فيك ذكاءك، لذا أدلّك على الطريق، والأيام بيننا».

لم يتوقّع سونغ يون هوي أن شيون جيان شيانغ سيساعده حقًا، فلم يسعه إلا أن يمدّ يده ويضرب ضربة على ظهره قائلاً: «شكرًا جزيلاً، سأطيع ما تقوله».

فاستدار شيون جيان شيانغ وألقاه بجملة: «إذًا فلتُعدّ لي الماء المغلي بدءًا من الغد ولمدة ستة أشهر».

«لشهر واحد!».

«أصرنا أصحاب؟».

فضحك سونغ يون هوي ضحكة جافة، ولكنه كان قد فقد مزاجه بالفعل. فبعدما تخلّى عن أداء اختبارات قبول الدراسات العليا، ولم يستطع الانتظار حتى يدخل المجتمع ويعمل بجد في سوق العمل، لينتهي به الأمر بالمعاناة من هذه الكارثة غير المتوقّعة. وغدًا سيلتقي بمدير المصنع فِيّ وكبير المهندسين ليو، فهل سيمكنه الخروج بأي نتائج جيدة؟ كان يشعر بالإحباط بمجرّد التفكير في هذه الأمور. لا عجب في أن الرفاق كانوا ينظرون إليه بكل هذا الفضول، وكأن على وجهه زهورًا مرسومة، واتّضح أن الجميع ينتظرون متشوقين ليشاهدوا ماذا سيحدث معه.

أصرّ شيون جيان شيانغ على أن يدير وجهه ليرى أولاً تعبير وجه سونغ يون هوي بوضوح، ثم قاد الدراجة نحو الأمام، ولمّا

رأى الفتور على وجه سونغ يون هوي، فكّر في نفسه أن هذا الفتى رجل على كل حال، وحالته النفسية متوازنة إلى حد كبير.

بعدما عادا إلى المهجع، كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة بالفعل، فذهب شيون جيان شيانغ للاستحمام ثم النوم. وقال إن عمله بنظام المناوبات لخمس سنوات قد أثّر فيه بأن جعل حياته تتمحور حول كلمة واحدة يوميًا، وهي «النوم»، فالمناوبة الصباحية تبدأ في الثامنة صباحًا وحتى الرابعة مساءً، وفي المساء يريد النوم جيدًا ليتجنّب عدم القدرة على الصمود في المناوبة الليلية التالية، فتكون النتيجة أن يوقظه شخص ممن يعملون في المناوبة الوُسطى قبل الساعة الثانية عشرة مساءً، فيستيقظ ويظل عالقًا في السرير؛ والمناوبة الوُسطى تبدأ في الرابعة مساءً وحتى الثانية عشرة صباحًا، والتي تنتهي بحلول منتصف الليل، وبعدما ينام بصعوبة يوقظه شخص ممن يعملون في المناوبة الصباحية، ولا يسعه سوى التحدُّث عن نومه وقت الظهيرة لتعويض عدم النوم، فلا يكون لديه طاقة لعدم النوم بشكل كافٍ في الصباح، ولا يكون قويًا بما يكفي لأنه ينام بعد الظهر، فلا تكون لديه طاقة للقيام بشيء طوال اليوم؛ وفي المناوبة الليلية بعد عودته يكون أمامه النهار كله للنوم، ولكن الشمس الساطعة تمنعه عنه، وفي فترة الظهر يمنعه أيضًا الجوع عن النوم، وفي الليل بعدما ينتهي من تناول العشاء يسرع لينام قليلاً، وما إن يغطّ في النوم مستلذًا به حتى يوقظه المنبّه للذهاب إلى العمل؛ وبعد انتهاء المناوبة الليلية يحلّ يوم العطلة، والذي يكون مشغولاً جدًا فيه لدرجة تمنعه من النوم، ومن يكون لديه الوقت للتنزُّه أو المرح؟! كما قال شيون جيان شيانغ، سرعان

ما يخرج ذوو العلاقات من نظام المناوبات الثلاث، فقط عديمو الفائدة الذين يفتقرون للعلاقات من عُمّال الطبقة الدنيا هم الذين يؤدّون المناوبات الثلاث، حتى إن الفتيات اللواتي تعملن بنظام النوبات الثلاث بمجرد وصولهن لسن الأربعين، تبدأ تصبُّغات الوجه في الظهور لديهن كمن في الستّين من عمرهن، بل وتبدأن في الإصابة باضطرابات الغدد الصماء أيضًا. ولكنه قال أيضًا إن سونغ يون هوي لن يختبر أبدًا معاناة نظام المناوبات الثلاث، إذ إن قدر الطلاب الجامعيين أن يصبحوا كوادر، ويخضعون في الإدارة لمكتب الكادر، بينما يخضع هو العامل الصغير في الإدارة لقسم العمل والتوظيف، ما يجعله منعدم الآفاق المستقبلية تمامًا.

وسط شكواه نام شيون جيان شيانغ، في مثل هذا اليوم الحار، نام هذا الرجل ذو الدم الحار محاطًا بستارة داكنة خارج ناموسيته، وقد ظنّ سونغ يون هوي أنه يستخدمها لحجب الضوء أثناء النهار، فأطفأ مصباح الفلوريسنت عمدًا، وأبقى على مصباح مكتب شيون جيان شيانغ، ومن ثم فاز بكلمة شكر ناعسة من شيون جيان شيانغ المستلقي على السرير.

على الرغم من أن سونغ يون هوي قضى يومًا متعبًا في السفر، فإنه لم يستطع النوم؛ فبعدما خرج في الصباح بقلب يقفز فرحًا، حلّ المساء لتتحطّم آماله، إذ كانت جميع الأقسام التي زارها اليوم مكتظّة بالموظفين الذين كان لديهم موقفان متطرفان تجاه الطلاب الجامعيين، وكذلك المجتمعات الصغيرة داخل المصنع الكبير، تلك المليئة بالشائعات المتطايرة والفخاخ المنتشرة في كل مكان، مما دفعه للشعور بأن مصنع جينتشو ليس كفرقة شياوليجيا، فنسيم

الإصلاح لن يعبر بوابته، وبيئة العمل هذه تختلف تمامًا عما كان في مخيلته، ومن ثمّ أُصيب بالإحباط، ولكنه كان يعرف أن وضعه الحالي يشبه تلك الملاحظة الطويلة الملصقة على منضدة العرض الزجاجية في كل متجر: «البضاعة المُباعة لا تردّ ولا تُستبدل»، فليس هناك طريق للعودة.

وما دام لا يوجد طريق للعودة، اضطر للبقاء في الحاضر بثبات. فأخرج من حقيبته الجلدية مسودّات الترجمة الأوّلية بهدوء، تلك التي كان قد ساعد الأستاذ الجامعي لو في ترجمتها من قبل، ثم تعمّد إخراج مسودّة ترجمة لها علاقة بمصنع جينتشو الرئيسي، وكانت تتكون من عدة مقالات منشورة في مجلات الصناعة الأجنبية، والتي تروي أحدث التقنيات وأحدث نتائج أبحاث المعدّات للمنتجات ذات الصلة بالمصنع. فغدًا يبدأ العمل رسميًا، وسونغ يون هوي لديه عادة التحضير مسبقًا، لذا كان عليه أولاً فهم مبادئ المعدات لألّا يضل طريقه داخل الورشة. في بداية الترجمة، كان الأستاذ لُو يقدّم له بعض النصائح الخاصة لإخراج ترجمة دقيقة، وفيما بعد عمل تصحيح الترجمة على تقوية ذاكرته، والآن بعدما أخرجها لينظر إليها مجددًا، صار يعرفها وكأنها مألوفة بالنسبة إليه، حتى إنه تذكّر بعض البيانات بوضوح.

ولكن هذه المرة مختلفة عن ذي قبل، فما كان يحتاجه من قبل هو انعدام الخطأ، أمّا ما يحتاجه اليوم هو عُمق الفهم. كان الأستاذ لُو قد أخبره بأن التقنيات الأساسية لصناعة مُنتج ما تتشابه إلى حد كبير في العالم كله، ولا يمكن للمعدّات الرئيسية الخروج من «أ» و«ب» و«ج» و«د»، ولكن غالبًا يكون للتقنيات الدقيقة تأثيرٌ

كبير على إخراج المُنتج وجودته. قبلما يأتي سونغ يون هوي إلى مصنع جينتشو الرئيسي، كان قد بحث عن معلومات تخصّه، ولكنه للأسف لم يجد أيًا منها يتحدث عن معدّاته الحالية حتى بمساعدة الأستاذ لُو. بل وتذكّر أيضًا أن الأستاذ لُو حينها تنهد قائلاً، هناك العديد من الأمور التي تحتاج إلى تحرُّك، والفجوة الضخمة التي ظهرت في العلوم والتكنولوجيا الصينية تحتاج إلى هؤلاء المثقفين الناشئين الذين تخرجوا لتوّهم من الجامعة لسدّها. عندما سمع سونغ يون هوي هذا الكلام حينها شعر بحس المسؤولية، واليوم عندما أمسك بمسودّات الترجمة وتذكّر كلام الأستاذ لُو، تضاعفت ثقته بنفسه كمن يشعل مصباح الليل ليواصل الحرب، وقرأ جميع مسودّات الترجمة ذات الصلة بوجه يتصبب عرقًا يشع عليه ضوء مصباح المكتب، حتى إنه اضطر للاستحمام مرة أخرى قبل النوم.

في صباح اليوم التالي، ركب الدراجة ثلاثية العجلات وذهب لاصطحاب الطلاب الأربعة الباقين ليذهبوا جميعًا إلى العمل. فبالنسبة لهؤلاء الطلاب الجدد الذين لا يملكون دراجات، تُعدّ المسافة من المهجع إلى المصنع بعيدة جدًا، ولكنهم ليس لديهم المال حاليًا لشراء دراجات. اليوم أتى أيضًا ثلاثة طلاب من الجامعة والمدارس الثانوية الفنية يُعدّون أبناءً للمصنع، ولكن جميعهم كانوا يركبون دراجات جديدة كليًا، وسرعان ما اتّضحت الفروق بين الظروف المادية للعائلات. من السهل على الشباب تجاذب أطراف الحديث معًا، لذا سرعان ما اختلط الثمانية وأحضروا مقاعدَ للجلوس في زاوية أكبر مكتب بقسم التكنولوجيا الحيوية منتظرين توزيعهم على العمل.

كان الرفاق يتحدّثون عن الأعمال التي سيوزّعون عليها فيما بعد، فقال أبناء العاملين بالمصنع الثلاثة إنهم قد يوزّعون على العمل بمكتب التصحيح الشامل للمساعدة في أعمال التصحيح الشامل التي تم إطلاقها للتو. ولأن عدد الأفراد كان مساويًا لعدد الأماكن، لم يكُن هناك نقص في العمالة سوى في هذا المكتب. لم يقل سونغ يون هوي كلامًا كثيرًا، وإنما جلس جانبًا يستمع، وبدأ يتذكّر كافة المعلومات المتعلقة بالتصحيح الشامل، إذ إنه كان قد رأى شيئًا كهذا في بداية العام، ولكنه لم يهتم كثيرًا، إذ كان مركز اهتمامه حينها يختلف عمّا هو حاليًا.

ظلّ الرفاق يتحدّثون لما يقرب من ساعة، حتى وصل مسؤول الشؤون العامة وطلب من الجميع الذهاب فورًا إلى قاعة الاجتماعات الصغيرة بالطابق الثالث، فهرعوا جميعًا من الطابق الأول إلى الطابق الثالث. كانت هذه هي المرة الأولى التي يرى سونغ يون هوي فيها قاعة اجتماعات صغيرة بهذا الجمال، إذ كانت طاولة الاجتماعات دائرية ومغطّاة بمفرش أبيض اللون، وحولها ستائر باللون الأخضر الداكن، فبدت نظيفة وضخمة. بعد الجلوس بوقت قصير، دخل ثلاثة أشخاص يبدون كالقادة واحدًا تلو الآخر، وجميعهم يرتدون ملابس عمل أنيقة، وجميعهم يبدو الشيب واضحًا على سوالفهم.

وكما يقول المثل، من السهل رؤية الملك، ولكن من الصعب التعامل مع الحاشية. كان القادة الثلاثة ودودين جدًا، وأسلوبهم أفضل مائة مرة من مدير عام قسم التكنولوجيا الحيوية. تصافح القادة والرفاق واحدًا تلو الآخر وتحدّثوا. كان أبناء العاملين

بالمصنع الثلاثة يعرفون القادة، وما إن فتحوا أفواههم بالتحية حتى دهش سونغ يون هوي، إذ أدرك أن الرجل الخمسيني النحيف القوي الذي يضع نظارة بإطار أسود هو الأمين شوي، فقد أتى أيضًا. وبعدما صافح مدير المصنع فِيّ وكبير المهندسين ليو، وصلت المصافحة إلى السكرتير شوي. صار كلاهما يعرف بعضهما البعض، فربّت الأمين شوي على كتف سونغ يون هوي وجلس معه، وفي الوقت ذاته دعا الجميع للجلوس أيضًا، ثم التفت إلى مدير المصنع فِيّ الذي يجلس بجانبه وقال: «أيها المدير فِيّ، هذا هو هوي الصغير، سونغ يون هوي، لم اتوقّع أن يكون صغيرًا في السن هكذا، فهذه المرة الأولى التي أراه فيها. وقد رشّحه لي شيوي الصغير، وما دام بتوصية من شيوي الصغير، فلم أسأل عنه، وإنما بحثت عنه بكل الطرق حتى وجدته. لم أتوقّع أن يكون صغيرًا هكذا، يبدو أنه من مواهب هذا الجيل».

تساءل سونغ يون هوي في داخله عن شيوي الصغير، إذ اتّضح أنه قد جاء إلى جينتشو بسبب هذا. كان مدير المصنع فِيّ يضحك بالفعل قائلاً: «هو بتوصية من شيوي الصغير فعلاً، لقد أوصى شيوي قبل مغادرته لليو بموهبتين عظيمتين، لا عجب في أن ينفّذ شوي الكبير الأمر بنفسه».

فقال كبير المهندسين ليو الجالس على الجهة الأخرى بدون مجاملة: «لقد اطّلعت على ملف سونغ الصغير من قبل، ودائمًا ما كانت درجاته ضمن المراكز الثلاثة الأولى. من بين الثمانية طُلّاب الموزّعين هذا العام، تعدّ كلية يوي الصغير هي الأفضل، ودرجات سونغ الصغير هي الأفضل. يا جناب الأمين وكبير المهندسين،

إنني أريد هذين الاثنين». وكأنه ينتقى الخُضَر من السلال في السوق الزراعية.

فابتسم الأمين شوي قائلاً: «أنا لا يمكنني الجدال معك أصلاً، ولكن بعدما رأيت سونغ الصغير راودني سؤال ما. جميع الجالسين هنا قد التحقوا بالجامعة بعد سنوات عدة من العمل أو دعم المناطق الحدودية والدعم الزراعي، وأظن أن سونغ الصغير وحده ليس منهم. هل التحق سونغ الصغير بالجامعة بعد تخرُّجه كطالب منتظم من المدرسة الثانوية مباشرة؟».

كاد سونغ يون هوي أن يرى نظرات الغيرة التي يرمقه بها جميع الرفاق، فقال على عجل: «لقد التحقت بالمدرسة الثانوية بعد تخرُّجي من المدرسة الإعدادية ودعمي للزراعة لمدة عام. من فضلك من هو شيوي الصغير؟ ولماذا لا أتذكّره؟». لم يُفاجأ الأمين شوي مطلقًا، وإنما أجاب أولاً على سؤال سونغ يون هوي: «يمكنني أن أدعوه بشيوي الصغير، ولكن أنت لا يمكنك، إنه المحافظ شيوي المسؤول عن والديكم، أوه، لا، لقد صار الآن الأمين شوي. كان يعمل في مصنعنا من قبل. تقول مدرستك الإعدادية..».

«لقد درست مقررات الثانوية العامة بنفسي عندما كنت أدعم الزراعة، لذلك لا أعدّ من طُلّاب الانتظام بالثانوية العامة، ولم تكُن هناك قيود على التسجيل». وهنا فقط اكتشف سونغ يون هوي الأمر وراء تعيينه في مصنع جينتشو العام، إنها توصية الأمين شوي، إنه زوج شقيقته هو من مدحه لدى الأمين شوي بالطبع. هكذا الأمر إذًا!

«لا عجب، لا عجب في أنك صغير هكذا. ما دمت قد اجتزت الدعم الزراعي، فسوف أتخلّى عن فكرتي، أيها الأخ فِيّ، لقد أخذت الكثير من وقتك، تفضّل بالحديث».

كان لدى مدير المصنع فِيّ كلام ليقوله في الأصل، فالآن بعدما تولّى السلطة حديثًا، صار بالطبع يرى هؤلاء الطلاب الجامعيين الجدد كقوة جديدة مهمة، كما يُعدّون أيضًا كالورق الأبيض بالنسبة لمصنع جينتشو الرئيسي، ويمكن أن يتعلّموا منه، فهم يختلفون عن العُمّال القدامى الذين يتأرجحون بين الأمين شوي والمدير فِيّ، لذلك أولى اهتمامًا غير عاديًا للأمر، ولكنه شعر وكأن الأمين شوي يطغى كضيف عليه بوصفه مديرًا للمصنع، فلو تحدّث حقًا، سيبدو وكأن الأمين شوي يأذن له بالحديث، وستنخفض مكانته دون قصد. لذا لم يُرد هذا، واضطر لتغيير الخطة الموضوعة. «دعونا نتعرّف ونتحدّث اليوم، أو ماذا عن تقديم كبير المهندسين ليو أحوال المصنع لنا؟ فباستثناء رفيقة واحدة هنا، سيعمل الباقون تحت إدارتك فيما بعد».

كان كبير المهندسين ليو قد استعدّ جيدًا بالفعل، فبدأ في شرح تخطيط المصانع الفرعية الثلاثة التابعة للمصنع الرئيسي بإيجاز، بما في ذلك المعدّات الرئيسية، والمواد الخام، وأنواع المنتجات النهائية، والقدرة الإنتاجية، وأيضًا المكانة المهمة لهذا المصنع على مستوى البلاد. كان يتحدّث وينظر إلى تعبيرات وجه السبعة طُلّاب الجالسين حوله، فوجد ستّة منهم يعطون تعبيرات وجه متحمّسة بشكل غير مُفاجئ له، صحيح، فالجميع سيشعرون بالفخر لانتمائهم لمصنع جينتشو الرئيسي الذي يعدّ مؤسسة من

الدرجة الأولى على مستوى البلاد، وحده سونغ الصغير الذي تم ترشيحه من قِبَل شيوي الصغير هو الذي اختلف عنهم، إذ لم يرَ كبير المهندسين ليو أي تأثُّر في عينيه، وإنما رأى نظرة تفكير. كان كبير المهندسين ليو يراقب، والأمين شوي والمدير فِيّ يراقبان أيضًا، إذ كانوا جميعًا يختارون أفضل ورقة بيضاء حتى يرسموا بأيديهم عليها العلامة المائية التي تخصّ الأمين شوي أو المدير في.

كان سونغ يون هوي يستمع باهتمام، فكل ما قاله كبير المهندسين ليو بشأن التشغيل والمواد الخام والمنتجات النهائية لم يخرج تقريبًا عن ذلك الإطار، يبدو أن ما قاله الأستاذ لُو صحيح تمامًا، فصناعة المنتج الواحد تتشابه كثيرًا على مستوى العالم. ولكن ما فاجأه فقط هو القدرة الإنتاجية ومستويات التكنولوجيا الرائدة التي أشعرت كبير المهندسين ليو بالفخر، فوفقًا لما فهمه من المقالات المترجمة، فإنها تكاد تكون لم تصل بعد إلى مستوى الدول المتقدمة في الستينيات. دائمًا ما كان الأستاذ لُو يقول إن الفجوة كبيرة جدًا، وعليهم العمل بجدّ للحاق بالركب. لم يكُن لديه أي فكرة في البداية، ولكن بعدما قارن البيانات اليوم، تكوّنت لديه معرفة عميقة، لذا كان يسمع ويدوّن تلك البيانات، استعدادًا للعودة إلى المهجع والتحقق منها بدقة.

بعدما أنهى كبير المهندسين ليو تعريفه، نظر إلى المدير فِيّ، ولمّا رآه يغمز له، فهم، وتابع الحديث: «إن المصنع يواجه حاليًا مهمتين كبيرتين، الأولى هي استكشاف الإمكانات، والابتكار، والإصلاح، فنظرًا لقلة رصيد البلاد من النقد الأجنبي، لا يمكننا إدخال المعدّات الأجنبية المتقدّمة على نطاق واسع، وإنما يجب

استكشاف إمكانات المعدّات الحالية، وزيادة تحسين قدراتنا الإنتاجية من خلال سلسلة من الإصلاحات التكنولوجية، ونقل تركيز الإنتاج في اتّجاه مواد خام السلع الاستهلاكية، وذلك بالوقوف على الظروف الحالية للمصنع؛ والثانية مواصلة تطبيق أعمال التصحيح المحددة من قِبَل السلطات العليا، أي تصحيح نظام المسؤولية الاقتصادية وتحسينه، والتنفيذ الشامل لصياغة وتحسين مؤشرات التقييم الاقتصادي ونظام المسؤولية الوظيفية وإدارة الجودة، وفي الوقت ذاته تقييد وتصحيح وتعزيز انضباط العمل لجميع الموظفين من خلال صياغة نظام الثواب والعقاب وفقًا للتطبيق الصارم للتقييم الاقتصادي ونظام المسؤولية الوظيفية. وتنفيذ هذين الأمرين يحتاج إلى أيدٍ عاملة كافية، لقد اطّلعت على ملفاتكم، ورأيت أن بعض تخصصاتكم يركّز على الحرفية، والبعض الآخر يركّز على المعدّات، لذا قمت بتوزيعكم مبدئيًا وفقًا لتخصصاتكم. أو لنطلب من مدير المصنع إلقاء نظرة أولاً؟».

لم يقُل الأمين شوي شيئًا، وإنما وقف وأخذ قائمة الأسماء أولاً ليقرأها بنفسه. فاضطر مدير المصنع فِيّ أن يحرك رأسه قليلاً وينظر إلى القائمة معه. وبعدما قرأها الأمين شوي قال: «يوي الصغير خريج من الدفعات الثلاث الأولى وقت اندلاع الثورة الثقافية، لذا فإن خبرته الاجتماعية كبيرة، ويجب ضمّه إلى مكتب التصحيح الشامل. أمّا سونغ الصغير فهو صغير جدًا، ولا يناسب العمل في الموافقة على الأنظمة، لذا من الأفضل أن يتبادل الدور مع يوي الصغير. ليس لدي اعتراض على الباقين. فِيّ الكبير؟ ليُبدِ فِيّ الكبير رأيه».

كان وضع مدير المصنع فِيّ سلبيًا للغاية، لذا اضطر أن يقول بأريحية: «شوي الكبير على حق، ليكُن الأمر هكذا». في الواقع كان مدير المصنع فِيّ قد ألقى نظرة بالفعل على هذه القائمة، وكوّن ترتيبات بشأن سونغ ويوي، حيث فكّر في تأثير الأمين شوي في أمرهما، وعلم أن عليه احترام الأمين شوي ووضع سونغ يون هوي في مكتب التصحيح الشامل ليبدأ طريق الإدارة من نقطة أعلى، أمّا بالنسبة لابني المصنع الآخرين، فعليهم الاهتمام أولاً بأبنائهم، لذا فمع بالغ الأسف وضعوا يوي شان تشينغ في مجموعة استكشاف الإمكانات. ولم يتوقّع قط أن الأمين شوي سيبدّلهما بنفسه. هذا رائع حقًا، ولكنه لم يكُن يعرف فيما يفكّر الأمين شوي، أو ربما كما قال حقًا، فهو لا يعرف سونغ يون هوي مطلقًا، لذلك فليس له أي ترتيبات خاصة بشأنه. أمّا يوي شان تشينغ فكان سعيدًا بشكل غير عادي، حتى إنه كان يكنّ امتنانًا غير عاديًا للأمين شوي.

سرعان ما انتهى الاجتماع، فوقف الأمين شوي أمام الجميع ودعا سونغ يون هوي للحضور إلى مكتبه، فشعر سونغ يون هوي نفسه وكأنه كومة من البطاطا الحلوة التي تُقاد إلى الموقد لتُشوَى وتتعذّب.

بمجرد دخول الأمين شوي إلى مكتبه، لم يدعُ سونغ يون هوي للجلوس، وإنما قال مباشرة: «سونغ الصغير، أريدك أن تنزل إلى المستوى الأساسي وتعمل بنظام المناوبات الثلاث. فباعتبارك عاملاً تقنيًا، إذا لم تختبر بنفسك تشغيل المعدّات على الخط الأمامي، فسيكون كل ما تفعله فيما بعد بلا فائدة. استكشاف إمكانات وإصلاح وابتكار، جميعها ترهات. لن أضع لك حدًا

زمنيًا، فما دام تفكيرك جيد، فسأعيّنك بناءً على مواهبك بمجرّد تحقيقك للإنجازات».

كان سونغ يون هوي يسمعه وعيناه تتدليان إحباطًا، نظام المناوبات الثلاث، ذلك المستوى الأساسي هو الذي تحدّث عنها شيون جيان شيانغ؟ ولكن قبل أن يردّ سونغ يون هوي حتى، قال الأمين شوي بدون تردد: «أريدك أيضًا أن تضع فكرة أنك من الطلاب الجامعيين جانبًا، وتُغلق موضوع شهادتك اعتبارًا من اليوم، ولا تذكره مرة أخرى، وتنزل وتختلط بالعُمّال الآخرين. أتعرف شيوي الصغير، إنه ابن أحد الكوادر رفيعة المستوى، ومع ذلك فلم يكُن أي شخص يعرف ذلك عند مجيئه، وكان يسارع بأداء الأعمال الأصعب والأكثر إرهاقًا، فدعّمه جميع العُمّال وأُعجبوا به، وكان الجميع يوافق على كل ما يقوله. ما دمت هنا بتوصية من شيوي الصغير، فأنا أؤمن برؤيته، وسيكون بمثابة مثل أعلى لك فيما بعد. كيف أصبح شيوي الصغير الآن؟».

كان كلام الأمين شوي يخرج كالعاصفة على سونغ يون هوي، فلم تكُن أمامه فرصة حتى للتفكير، ولم يكُن باستطاعته سوى متابعة تسلسل أفكار الأمين شوي قائلاً: «لقد استُبعد الأمين شوي قبل عام باعتباره أجنبيًا، ولكنه صار مسيطرًا تمامًا في العام الحالي. على الرغم من أنني لم اتعامل بشكل مباشر معه من قبل، فإنني سمعت الكثير عنه، وكما تقول جنابك، فالجميع كانوا يدعمونه ويثقون به جدًا».

ضحك الأمين شوي عند سماعه لذلك وقال: «أينما أُلقي الشخص الذي يتمتّع بالمهارة والشخصية، لا بد وأن يأتي بنتيجة

في النهاية. أنت محظوظ جدًا، فقد رشّحك شيوي الصغير، ولكنّي لن أعطيك اهتمامًا خاصًا، فأنا لا أريد تدليلك كأحد أبناء الفرق الثماني[1]، يجب أن تبدأ خطوة تلو الأخرى بداية من القاعدة الشعبية».

عند سماع هذه الكلمات، لم يستطع سونغ يون هوي إلا أن يقوِّم ظهره، ويقول بوضوح كلمة «نعم». وبعدما خرج، فكّر في الأمر مرة أخرى، فعلى الرغم من أن الأمين شوي لم يُعطه فرصة الاختيار، فقد شعر أن ما قاله الأمين شوي صحيح، إذ كان على ثقة بأن الفرص الأفضل تأتي من المستوى الأساسي في نظام المناوبات، تمامًا مثل الأمين شوي.

وعند وصوله إلى قسم التكنولوجيا الحيوية، كان الأمين شوي قد أعطى أوامره عبر الهاتف بالفعل، ووُزِّع سونغ يون هوي على الورشة الأولى في المصنع الفرعي الأول، والتي تُعدّ الورشة الرئيسية للفرع الأساسي في المصنع الرئيسي، وهي قلب المصنع. لم يفهم الجميع كيف أساء سونغ يون هوي للأمين شوي حتى يتم تقليل شأنه بمجرد وصوله، مما أضاف نغمة جديدة للتكهُّنات بشأن العلاقة بينهما، وقلل من الشكوك في قلب مدير المصنع فِيّ.

كانت الورشة الأولى قد تلقّت اتصالاً مباشرًا من الأمين شوي بالفعل، وعلى الرغم من أن القواعد الحالية تقضي بإطاعة تعليمات مدير المصنع فِيّ، فإن الجميع قد اعتادوا بالفعل على

---

(1) فرق إدارية وعسكرية تحت حكم سلالتي جين وتشينغ اللاحقتين في الصين، وأبناؤها من النبلاء.

تعليمات الأمين شوي، ويتبعون كل ما يقوله، لذلك سرعان ما قاد أمين الورشة سونغ يون هوي إلى القسم الأول كمن يقود مجرمًا، ثم قاد رئيس القسم سونغ يون هوي بنفسه إلى غرفة التحكُّم في موقع تشغيل المعدّات، وسلّمه إلى مشرف المناوبات الذي لحُسن الحظ تصادف وجوده في المناوبات الصباحية. وما إن دخل سونغ يون هوي من الباب حتى سمع موجة من الضحك العالي وسط ضجيج الآلات العالي، ولمّا نظر، وجده شيون جيان شيانغ جالسًا على مقعده يضحك كالفتيات المُنحلات. فابتسم واقترب منه وضغط بكفه على كتفه قائلاً: «من الآن نحن إخوان، نتقدّم ونتراجع معًا».

فقال شيون جيان شيانغ ضاحكًا: «توقّعت ألّا تمرّ أيامك القادمة على ما يرام، ولكنّي لم أتوقّع أن تُسيء إلى أحدهم بهذه السرعة، هاهاها، سأموت من فرط الضحك».

فكّر سونغ يون هوي في نفسه أنه لو كان قد تم توزيعه بعيدًا بالفعل، لكانت ضحكة شيون جيان شيانغ قد صارت شريرة حقًا. بعد ذلك أسرع سونغ يون هوي بالحضور إلى رئيس القسم بمجرد طلبه إياه، ثم أمر رئيس القسم بتعيين مشرف المناوبات معلّمًا له، وقال إن مهارات المشرف من الدرجة الأولى، والجميع يعرفون هذا، لذا عليه التعلُّم منه جيدًا. ولم يقُل شيئًا آخر، ثم غادر. كان مشرف المناوبات رجلاً أمينًا، فدعا سونغ يون هوي لإحضار مقعد والجلوس بجانبه، وأخبره إن لقبه هوانغ، كما قال إن جميع طلاب الجامعات الصناعية والزراعية والعسكرية الذين وُزِّعوا علينا كانوا يبدؤون أولاً من الورشة، وطلب منه ألّا يُحبط؛ فوضع أساسِ

متين يعود بالنفع على العمل الفني فيما بعد. لم يُخفِ سونغ يون هوي شيئًا على المُعلِّم، بل قال بصراحة إن النزول إلى المستوى الأساسي كان برغبته، وليس لأنه أساء إلى أحدهم. عندما قال هذا، لم يتمكّن من حوله من سماعه، إذ كان صوت الآلات عاليًا جدًا في الخارج، وجودة عزل الجدران سيئة جدًا. وحينها ابتسم مشرف المناوبات بارتياح، وقال إن هذا جيد، حقًا جيد.

كان مشرف المناوبات يخرج للتفقُّد مرة كل ساعتين، فأخذ سونغ يون هوي برفقته خلال عملية التفتيش من بدايتها إلى نهايتها، وأخبره ما وظيفة هذه وما وظيفة تلك، وأن لون الأنابيب يمثل نوع السائل الذي يسري بداخلها، وماذا يمثل لون تلك الأنابيب، على الرغم من أن طلاء الأنابيب يتقشّر بشكل فوضوي. وخلال الجولة، كانت هناك مئات الصمامات، وعدد لا يُحصى من الأنابيب، وعشرات المضخّات مختلفة الأحجام، بالإضافة إلى أبراج وخزانات بثلاث درجات ومدخنة واحدة. كان سونغ يون هوي يتذكّر ما يراه لاحقًا وينسى ما رآه سابقًا، وبعد عودته إلى غرفة التحكُّم، كان قد نسي كل شيء بالفعل، فواساه المشرف هوانغ وطلب منه ألّا يتعجّل الأمر، فهو سيحضر له غدًا رسمًا تخطيطيًا كان قد رسمه من قبل، ومن ثمّ ستتكون لديه بعض الأفكار بعد مقارنته مع ما في ذاكرته. فسأله سونغ يون هوي إذا ما كان هناك كتبٌ حول هذه الأمور، فأخبره مشرف المناوبات هوانغ إن قسم التكنولوجيا الحيوية بالمصنع الفرعي الأول قد جمّع الكتاب بالفعل، ولكن ما زال لم يُنشر بعد.

كان على شيون جيان شيانغ الخروج للتفقُّد كل ساعة، وربما لكون الموقع مملاً إلى حد ما، فكان كسولاً أيضًا ولم يقل الكثير، حتى إنه لم يأتِ ليتحدّث مع سونغ يون هوي طوال اليوم. وسونغ يون هوي لم يذهب إليه أيضًا، فأحيانًا ما كان يضع خوذة الأمان، ويمضي يتعرّف على خطوط الأنابيب ويتأكّد من وظيفة الصمامات واحدًا تلو الآخر، وبعد اكتشاف نقطة ما، كان يذهب مباشرة إلى غرفة التحكُّم ليسأل مشرف المناوبات هوانغ إذا كان ما اكتشفه صحيحًا أم لا. وأحيانًا أخرى كان المشرف هوانغ يدعوه لعدم التعجُّل هكذا، فالأمر سيمرّ كغمضة عين عاجلاً أم آجلاً، ولكنه لم يكُن متعجّلاً، وإنما هو مجتهدٌ بطبيعته، ويريد تأدية عمله بإخلاص، والآن بعد دخوله بيئة جديدة، صار يسعد في كل مرة يفهم فيها شيئًا ما، دون أي شعور بتعب أو صخب.

كان الغداء يُسلّم من قِبَل طاهِي المطعم على دراجة ثلاثية العجلات، إذ إن هذه الورشة هي ورشة العمل الرئيسة في الخط الأول. وفي تمام الساعة الثالثة وأربعين دقيقة بعد الظهر، جاء عُمّال المناوبة الوُسطى لتسلُّم العمل، ومرة أخرى صار الجميع فضوليين بشأن سونغ يون هوي. بعد انتهاء العمل في تمام الرابعة، غادر الرفاق ونزلوا ليأخذوا دراجاتهم. وعلى الدرج، قال شيون جيان شيانغ لمن ينزل خلفه: «مرحبًا، أيها الطالب الجامعي، هل ستقود دراجتي؟».

«ما المقابل؟». فضحك شيون جيان شيانغ عند سماعه لذلك: «أرخص قليلاً، ثلاث زجاجات من الماء المغلي».

فقال مشرف المناوبات هوانغ: «أستموت لو أوصلت تلميذي؟ زجاجة ماء واحدة، زجاجة واحدة للذهاب، وأخرى للإياب».

ابتسم شيون جيان شيانغ بمكر: «ما زالت ابنتك صغيرة، انتظر حتى تكبر ابنتك لتبتلع هذا الطالب الجامعي، علامَ تحميه الآن؟»، فرفع المشرف هوانغ حقيبة أدواته وأخذ يطارد شيون جيان شيانغ وقال ضاحكًا: «لن أسمح لك بالتنمُّر على تلميذي على أي حال، كن مطيعًا».

كان في الجوار ما يزيد عن عشرة عُمّال قد انتهوا من العمل، وبضعة عُمّال آخرون قد حضروا إلى العمل ولكن أتوا لتفقُّد الأمر، وقد أخذوا جميعًا يصدرون أصواتًا تحريضية، فبعضهم أخذ يسخر من المشرف هوانغ للسانه الأخرق، والبعض الآخر أخذ يحرّض شيون جيان شيانغ على ألّا يطيعه مهما قال، والبقية مستمتعون بالمشاهدة. لم يهتمّ شيون جيان شيانغ بالمشرف هوانغ، وإنما قرص رقبة شاب كان قد حضر لتوّه، فتألّم حتى طلب الرحمة منه، وأخذ الجميع يتشاجرون قليلاً حتى غادروا العمل وأخذ كل منهم دراجته ذاهبًا.

قاد سونغ يون هوي الدراجة هذه المرة، وركب شيون جيان شيانغ في الخلف، وبعد مرورهم من منطقة المصنع الصاخبة، سأل شيون جيان شيانغ: «أرغبت في النزول بنفسك؟ أنت جبان حقًا». فأجابه سونغ يون هوي ضاحكًا: «القمة موحشة، أما العمل المتواضع فيُريح القلب».

فوبّخه شيون جيان شيانغ قائلاً: «هل أنت رجل؟ لماذا تخافهم؟ ماذا يمكنهم أن يفعلوا بك، أنت تلازمهم كل يوم وتجعل

الأضواء مُسلطة عليهم، بل هم من يخافونك. إن جميع الغرف في مكان واحد، والجميع يعرفون من يسكنها، وأكثر ما يخشاه القادة هنا هو تقديم الشكوى لدى من هم أعلى منهم، أتفهم؟ يا دودة الكتب، صارت جميع الفتيات تحبّ دود الكتب الآن».

لم يتوقّع سونغ يون هوي أن يكون شيون جيان شيانغ صادقًا معه، لذا أسرع بتوضيح الأمر له: «إن ما ندرسه في الجامعة محدود، وإذا انضممت إلى قسم التكنولوجيا الحيوية بمجرد مجيئي، فسأصبح كمن يسكن قلعة معلقة في الهواء. لا أريد أن أمضي أيامي فيما بعد مع كوب الشاي والصحيفة دون أن أعمل شيئًا، بل أرغب في فعل المزيد وتعلُّم المزيد في شبابي».

فكّر شيون جيان شيانغ قليلاً، ثم قال: «ما زلت غبيًا، من السهل على الإنسان النزول، ولكن من الصعب عليه الصعود، انظر إلى معلمك هوانغ، إنني أطيعه فقط، وهو ماهر جدًا، وعندما يتعلّق الأمر بالإصلاحات الرئيسة، فالجميع يطيعونه في قسم التكنولوجيا الحيوية بالمصنع الفرعي، ولكنه لن يتمكّن من الهروب طوال حياته من مصير العمل بنظام المناوبات، لا يجب أن يكون الإنسان ملتزمًا جدًا».

على الرغم من أن سونغ يون هوي لم يكُن بإمكانه الاعتراف لشيون جيان شيانغ بشأن حديثه مع الأمين شوي، فقد أفصح عن أمر ما: «في الحقيقة، لم أستوعب الأمر كثيرًا. الأمر كله يتوقّف على الإنسان، فبدلاً من أن أذهب بجُبن إلى مكتب التصحيح الشامل وأكنس الأرض وأغلي الماء وأُخرِج القمامة، أُفضِّل النزول إلى المستوى الأساسي لتعلُّم المزيد من الأشياء».

قال شيون جيان شيانغ: «أنت واقعي، ولكنك لست من النوع الذي يجعل منك مسؤولاً. للأسف! كنت أضع عليك آمالاً في الترقية والاغتناء لتساعد إخوتك». فالتفت سونغ يون هوي ضاحكًا وقال: «أنت واقعي أكثر، كما أنك في الحقيقة متحمّس جدًا، ولكن إذا أصررت على التظاهر بالإهمال فستكون مزعجًا، لقد قلت إنه من الرائع ألّا تتجهم وقت الضحك، من كان يريد ترقيتك أصلاً سيخاف منك، أرأيت من قبل قائدًا يرتجف جسمه كله عندما يضحك؟».

أخذ شيون جيان شيانغ يهتزّ بعنف في المقعد الخلفي من الدراجة، فاضطر سونغ يون هوي للتوقُّف عن القيادة والهروب، ولكن شيون جيان شيانغ لم يبدل المقاعد، وظلّ جالسًا في المقعد الخلفي وألقى بسونغ يون هوي ليعود إلى مقعد القيادة ويوصلهما إلى المهجع. بعد العشاء، لم يستطع شيون جيان شيانغ هذه المرة إلا أن يذهب إلى السينما، إذ إنه كان قد سمع عن وجود مشهد ساخن في فيلم «الرُكن المنسي من الحب».

استغل سونغ يون هوي ضوء النهار في استكشاف منطقة مهجع المصنع، فوجد بداخلها روضة أطفال ومدرسة ابتدائية وحديقة، فكانت أكثر صخبًا من المدن الصغيرة. وبعد العودة، واصل الاطّلاع على المناهج المتخصصة، وبعد إلقاء بضع نظرات ألقاها بعيدًا، إذ أدرك بعد قضاء يوم كامل في الورشة إن هذه المناهج عديمة الفائدة حقًا. ثم أمسك بالتصميم الميكانيكي ليلقي نظرة، فتعجّب من اتّصال بعض الصمامات التي رآها اليوم بخطوط الأنابيب بطريقة مباشرة، في حين أن البعض الآخر له حواف.

عاد شيون جيان شيانغ متأخرًا جدًا بعد شُرب بعض النبيذ، وكان يتصبب عرقًا من صدره وظهره، بل وبدت عيناه محدّقتين بشكل غير طبيعي. ولمّا سأله عن رأيه في الفيلم، أجاب بأنه ممل، وليس مثيرًا. ولكن بعد قليل هدأت عيناه مرة أخرى، وأخذ يتفوّه بجملة وكأنه في حُلم «السُترة الخضراء... أظهرت الثديين أبيضين كالثلج». كان سونغ يون هوي قد سمع في الجامعة ما يكفي من أحاديث النوم لرفاقه ذوي الخبرة حتى تعود، فسأله ضاحكًا: «وهل ترى أن هذا ممل؟».

فأسرع شيون جيان شيانغ مُجيبًا: «ولكنه مشهد واحد فقط، وبقية المشاهد تُظهِر كآبة وجه شن دان بينغ وعُمق كراهيتها. أيها الطالب الجامعي، سمعت أنكم ترقصون معًا، هل رقصت من قبل؟».

«لا، مرة واحدة فقط، عندما دخلت الجامعة لتوّي رأيت الأساتذة يرقصون، ولكننا لم نكن نعرف كيف نرقص، ولم نقم بهذا أيضًا فيما بعد. ماذا يقلقك؟ فلتقصّ شعرك الطويل، وترتدي ملابس أكثر أناقة، ألم تقُل إن رواتب مصنعنا عالية؟ لا بد من أن يكون البحث عن شريكة حياة سهلاً جدًا».

فأجاب شيون جيان شيانغ بصوت حشرجة وقال: «الأمر ليس بهذه السهولة، فالرجال في مصنعنا كثيرون والسيدات قليلات، وإذا ما تزوّجت من عاملات مصنعنا، سأُعطَى نقاط الشقق[1]

(1) في الفترة من عام 1949 إلى نهاية التسعينيات، كانت الحكومة تعطي الشقق بالإيجار المخفّض للموظفين.

على الفور، وسأحصل على المزايا بأكثر من الضِعف، حتى إن المأكولات الموزّعة عليّ لن تنتهي. وإلا، سأظلّ مضطرًا للسُكنى في هذه الغرفة. ستعرف فيما بعد مدى جنون عاملات مصنعنا. ولكن كما ترى، فجميع الطُلّاب الجامعيين الموزّعين عُزّاب، والفتاة الوحيدة بينهم متزوجة. ومن يمكنه أن يغلبكم، دعك من هذا، سأذهب لأستحم».

لم يكُن لدى سونغ يون هوي أي مخاوف بشأن هذا، فعلى الرغم من أنه يتفهّم مشاعر شيون جيان شيانغ، فإنه لم يكُن بيده حيلة، فأخذ ينظر إلى قميص شيون جيان شيانغ المزيّن بالزهور المُلقى على السرير مدركًا السبب الذي دفع هذا الفتى للشعور بالإثارة. وبعد قليل، عاد شيون جيان شيانغ، وخرج سونغ يون هوي للاستحمام، وبعد عودته، كان باب الغرفة مغلقًا بإحكام بعدما كان دائمًا مفتوحًا ما دام هناك أحد بالداخل، وظلّ مغلقًا حتى بعدما طرق كثيرًا. وبعد فترة من الوقت، انفتح الباب، ولمّا دخل سونغ يون هوي، كان شيون جيان شيانغ قد عاد بالفعل إلى السرير، وقد فهم سونغ يون هوي الأمر ضمنيًا، لذا لم يبحث عمّا يقوله له، بل أخذ يقرأ في كتاب كالراهب العجوز الذي يغرق في حالة من التأمُّل، ولكنه كان أيضًا مشتتًا بعض الشيء.

عند ظهر اليوم التالي، دعا شيون جيان شيانغ مجموعة من أصدقائه إلى الغرفة لاحتساء الشراب، بينهم رجال ونساء، وكان جهاز التسجيل يصدر صوتًا عاليًا بأغنية تقول «علي، علي بابا»، في حين أخذ شيون جيان شيانغ يتمايل بمؤخرته المغطّاة بالسروال الواسع من الأسفل ذهابًا إيابًا. كان سونغ يون هوي قد خرج مبكّرًا

ليبحث عن المكتبة التي أخبره عنها المعلم هوانغ، ليرى ما إذا كان بإمكانه العثور على بعض المعلومات ذات الصلة. وكما هو متوقّع، فقد وجد كنزًا ثمينًا.

بعد عودة سونغ يون هوي، كان شيون جيان شيانغ قد شرب حتى تحوّل بياض عينيه إلى الأحمر الدموي، وقد أخذ يضرب بالطست في كل أرجاء الممر كالثور، في حين كان الرجال والنساء المجتمعون بالغرفة قد انصرفوا بالفعل. فخاطر سونغ يون هوي وخدعه وأقنعه بالدخول إلى غرفة الاستحمام، وبعد الوقوف أسفل الماء البارد لنصف ساعة تقريبًا، هدأ ذلك الفتى أخيرًا، ثم استدار وذهب مع سونغ يون هوي إلى المناوبة الوُسطى وكأن شيئًا لم يحدث. سأله سونغ يون هوي مع من كان يتشاجر، فأخبره أنه لم يكُن يتشاجر، وإنما كان يشعر بالضجر. كما أخبره أيضًا إن هذه ظاهرة طبيعية، ففي المرة السابقة، كان أحدهم قد شرب حتى الثمالة وأخذ يلوّح بالسكين، بل وظلّ يضرب الحائط بالسكين بعدما هرب الجميع، واستمر هكذا حتى نفدت طاقته وقيّده الآخرون. ثم نظر شيون جيان شيانغ إلى الوراء مشيرًا إلى ذلك العامل الذي كان يلوّح بالسكين ليراه سونغ يون هوي، فوجده رجلاً أنيقًا ومهذبًا. لم يكن سونغ يون هوي يفهم كيف لهؤلاء الذين يتمتّعون بوظائف جيدة وأموال كثيرة والعديد من الأصدقاء أن يكونوا مملين هكذا.

دارت الأيام التالية حول موضوع «النوم»، يومًا بعد يوم. وبعدما حصل سونغ يون هوي على المعلومات التي كتبها له المعلّم بنفسه، أحرز تقدمًا سريعًا، ولم يحدد له القسم وظيفة معينة، وإنما

تركوه يعمل في الوظيفة التي يريدها، إذ إن مدير القسم كان قد قال إن الطلاب الجامعيين سيتم ترقيتهم بعد عدة أيام، لذا لا يمكن تعيينهم في وظيفة الآن. لذلك كان سونغ يون هوي يخرج يوميًا في الطقس الجيد، ويركض حول المعدّات ويفحصها من أسفل وأعلى ومن الداخل والخارج. وبعد أسبوع واحد فهم العملية بأكملها؛ وبعد أقل من أسبوعين، كان قد فهم المبادئ، وصار بإمكانه قراءة عدادات الماكينات والتعامل مع الأخطاء الشائعة؛ ومع بداية الأسبوع الثالث، صار بإمكانه إصدار أمر صيانة، ولكن كان يعطيه أيضًا للمعلم لإلقاء نظرة؛ وبداية من الأسبوع الرابع، صار بإمكانه تولّي عمل الذين يطلبون إجازة، ويجلس أمام لوحة العدادات ويقرأها، ويراقب الأرقام، ويقوم بالعمليات والتشغيل. فقال المعلم إنه يتعلّم بسرعة.

بداية من الأسبوع الرابع، وفي الوقت الذي لم يكن أمامه عمل ليتولّاه، كان يُعدّ لوحة رسم تخطيطي خلف غرفة الآلات. إذ كان يرسم أولاً رسمًا تخطيطيًا لخط سير العملية، وبعد التحقق من صحة الرسم في موقع العمل، وأيضًا بعد مراجعته مع المعلم، كان يبدأ بتتبُّع السوائل خطوة بخطوة، ثم يرسم مخططات لقطع الغيار والأجزاء والأنابيب الخاصة بكل المعدّات. في بداية الأمر، كان هذا العمل صعبًا جدًّا، إذ لم يكُن ماهرًا في رسم المخططات، ويُخرِج الرسم محمّلاً بكثير من العيوب الصغيرة، وبخاصة عندما يتعلّق الأمر بقطع غيار غير قياسية، إذ يكون عليه الذهاب إلى قسم صيانة الماكينات لإيجادها، وفي بعض الأحيان لم يكُن باستطاعته رسم قطعة غيار لا قياسية صغيرة حتى بعد قضاء يوم كامل. ويكون

من الجيد إذا كان هناك رسم تخطيطي في غرفة الأرشيف الفني للورشة، وهكذا يمكنه رسمها أمامه، على أن الرسومات التخطيطية الموجودة في الأرشيف تكون غير مكتملة، وفوضوية، وإذا كنت تريد العثور على بيانات، فعليك أولاً تنظيمها. كانت مديرة غرفة البيانات امرأة في منتصف العُمر، وكانت سعيدة بوجود فتى عاقل يساعدها في تنظيم البيانات، لذا أعطت المفتاح سرًا لسونغ يون هوي، ليتسلل خلسة إلى الغرفة ويغلق الباب ويبحث عن البيانات بنفسه إذا لم تكُن موجودة بعد انتهاء عملها.

كان العاملون بقسم الصيانة منزعجين أصلاً من سونغ يون هوي، ويقولون إنه بمجرد وصوله زادت أوامر الصيانة وصارت كالأرز، مما دفعهم للاجتماع ضده، حتى إن بعضهم استغل وجوده في العمل واندفعوا إلى غرفة التحكُّم وأخذوا يوبّخونه ويسبّونه، ولكن شيون جيان شيانغ ردعهم بسبابه، حتى إنهم كادوا يتشابكون بالأيدي. ولكن بعد فترة من ازدحام أعمال الصيانة، انخفض عدد أوامر الصيانة مرة أخرى، حتى إن القيادات العليا أشادت بقلة التسريبات كثيرًا، ومنحت شهر مكافأة للقسم الأول وقسم الصيانة في إشارة واضحة إلى تحسُّن أداء المعدّات. وفيما بعد عندما كانوا يواجهون مشكلة صيانة، ولم يكونوا متأكّدين من قطعة الغيار التي يجب استخدامها، كانوا يتّصلون هاتفيًا عبر الخطوط الداخلية بغرفة التحكُّم ليسألوا سونغ يون هوي. ومن ثم بدأت العلاقة بين الطرفين تقوى شيئًا فشيئًا. في بعض الأحيان تصير القاعدة الشعبية بسيطة جدًا، فما دام بإمكانك اكتساب المهارات، سيطيعك الآخرون.

خلال هذه الفترة، كان سونغ يون هوي يعمل في الورشة بمعدل أربع عشرة ساعة يوميًا، وباستثناء الثماني ساعات التي ينامها، لم يكُن أمامه سوى ساعة واحدة لغرفة المطالعة والمكتبة، وساعة أخرى ليمضيها في الأكل والشرب والسير. لطالما كان سونغ يون هوي مجتهدًا في فعل الأشياء، وكلما كانت الأمور أكثر صعوبة وتعقيدًا، زادت قدرته على مواجهة الضغوط.

مع بداية الشهر الثالث، بدأ بعض قادة المصنع الفرعي في المجيء للسؤال عن عمله، وحالما تأكّدوا من جودة عمله، لم يُظهروا أي تعليقات جوهرية بشأنه.

في الوقت الذي بدأ سونغ يون هوي يشعر فيه بالارتياح للمستوى الأول، انطلق صراع قوي على السلطة بين قادة المصنع الرئيسي؛ إذ كان مدير المصنع فِيّ يدير أعمال الإنتاج والتشغيل اليومية في المصنع من الظاهر، في حين كان الأمين شوي يستغل مجلس نواب العمّال عديم الفائدة في المصانع الأخرى ولجنة الحزب ذات الفائدة ليمارس داخليًا سلطة اتخاذ القرار والانتخاب والعزل بنشاط، وسلطة الاقتراح مع مَن أعلى منه، ما ساعده على الاستيلاء على سلطة مدير المصنع فِيّ شيئًا فشيئًا، وبالتالي صارت أوامر مدير المصنع صعبة التنفيذ شيئًا فشيئًا، لذا دائمًا ما كان نصف القرارات التي يتّخذها المدير فِيّ تقابل بالرفض، ومن ثم بدأ بعض المحيطين به يدخلون في حالة من الترقُّب والتزعزع.

كان سونغ يون هوي قابعًا في المستوى الأساسي، لذا لم يكُن على علاقة بهذه العواصف، ولم يكُن عليه سوى أداء عمله على

نحو جيد. ومع ذلك وصلت ضوضاء العاصفة إلى مسامعه، وعلى الرغم من أن الأمين شوي لم يكُن سيئًا معه، فإنه شعر أن الأمين شوي مستبد جدًا، كما أنه يتدخل في السلطة الفعّالة لنظام مسؤولية مدير المصنع. بالطبع لم يكُن يستطيع قول هذا.

فعاش حياة هادئة ولكن مزدحمة.

3

أجّلت سونغ يون بينغ يوم الذهاب إلى المستشفى مرارًا وتكرارًا، وأخيرًا في أحد الأيام طفح الكيل بلي دونغ باو، وقال لها لو لم تذهبي، حسنًا، سأحملك إلى هناك. قال هذا وهو يحملها حقًا ويريد الذهاب بها، ولكنها قالت إن لديها عمل، فأخبرها أنه الأمين، وهو من يقرر من يعمل ومن لا يعمل، وأصرّ على الذهاب بها حاملاً إياها، فاضطرت سونغ يون بينغ للموافقة بلا حول ولا قوة. طوال الطريق كان المارة يلقون عليهما التحيّة بلا انقطاع، ويسألونهما إلى أين يذهبان، وماذا سيفعلان، فكانت سونغ يون بينغ تشعر بالحرج من القول، في حين كان لي دونغ باو يكذب بصوته العالي.

أخيرًا ظهرت نتيجة الفحص، وكانت سونغ يون بينغ حُبلى، وعلى الرغم من أنهما كانا قد اختارا اسم المولود بالفعل، فقد فرحا فرحة ما بعدها فرحة. كان قسم النساء والتوليد مليئًا بالنساء، فاستشعر لي دونغ باو بالحرج من الدخول، في حين كانت سونغ يون بينغ في الداخل تتحدّث مع الطبيب، ولي دونغ باو في الخارج

يسأل عن هذا وذاك، فكان صوته يتردد عاليًا في الممر، ما دفع الطبيب إلى الضجر، فخرج طبيب من قسم آخر يوبّخه بصوت عالٍ، ولمّا رأت سونغ يون بينغ هذا فقدت رغبتها عن التحدُّث مع الطبيب، كما أن الطبيب لم يرغب في التحدُّث مع هذا النوع من الناس، فخرجت سونغ يون بينغ مُحرجة، وسحبت لي دونغ باو الذي ظلّ منفعلاً محمّر الوجه يصيح بصوت خشن، وخرجا من المستشفى على عجل.

ولمّا خرجا من المستشفى، شكَت سونغ يون بينغ للي دونغ باو بهدوء من علوّ صوته، وأخبرته أنهما ليسا في الريف، ولو رفع أحدهم صوته يزدريه الناس، ولكن لي دونغ باو لم يأخذ الأمر على محمل الجد، ولم يشعر بالحرج، ولم يهتم بشكواها، وإنما سحبها من يدها ليشتريا ما يأكلانه. ولمّا رأته سونغ يون بينغ يرفع صوته وغير مهتم، لم يسعها سوى أن تتنفّس الصعداء. كانت تريد أن تدعه يتصرّف كما يشاء، ولكنها ظلّت تفكّر في نظرات الآخرين، وتوبّخ نفسها على ما أصبحت عليه من تفاهة، فكانت تنزعج أيضًا عند رؤيتها لنظرات السخرية التي يرمقها بها الآخرون. منذ أن أدركت أنها حُبلى في آخر مرَّة، ظلّ قلبها يحمل قلقًا لا يهدأ، ودائمًا ما ظلّت تشعر بثِقَل المسؤولية التالية، وأن هناك عددًا لا يُحصى من الأمور الكبيرة والصغيرة التي تستلزم حلّها قبل ولادة الطفل، ولكنها لم تكُن تعرف من أين تبدأ، لم يكُن لي دونغ باو إلّا ليزيد الأمور سوءًا، لذا ظلّت تشعر بالانزعاج في داخلها، واليوم بعد ظهور النتيجة كانت ترغب بشدة في أن تتحدّث مع الطبيب عن الأمور التي يجب الانتباه إليها، وأن تسأله عمّا يقلقها، بل وكانت

تحتاج بشدة لسماع اقتراح الطبيب، ولكنها استشاطت غضبًا بعدما قوطع حديثهما بعلوّ صوت لي دونغ باو.

تحدّث لي دونغ باو بسعادة بالغة عن الحياة السعيدة في وجود الأطفال، وبعدما سارا لبعض الوقت، لاحظ وجه سونغ يون بينغ المكتئب، ففزع وسألها: «ماذا بك؟ هل أنت مريضة؟ أم أن الطبيب قال شيئًا ما؟».

«لقد قاطعت الطبيب في كل ما يقوله، وهل يمكن للطبيب أن يقول شيئًا. لم أستطع طرح أي سؤال من الأسئلة التي راودتني».

«مهلاً، لنعُد ونسأله. وأعدك بأن أُبقي فمي مطبقًا». أسرع لي دونغ باو وأطبق فمه عندما أدرك خطورة المشكلة، ونظر بعينين كبيرتين منتفختين كالضفدع.

لم تدرِ سونغ يون بينغ أتضحك أم تبكي، وسحبت يد لي دونغ باو قائلة: «إلى أين سنعود، هل ستعود إلى مكتبة شينخوا لتقرأ نفس الكتاب. أنت، لماذا قاطعت حديثي مع الطبيب، المستشفى ليست فرقة شياوليجيا، ولست أنت المتحكّم بها».

«حسنًا، أنتِ المتحكّمة في أمور المنزل. بينغ بينغ، هل قال الطبيب أيضًا بعدم التقاط الصور؟».

«ولماذا سأسأل عن هذا؟» عندما قالت سونغ يون بينغ هذا لاحظت أيضًا وجود استوديو تصوير بجوارها، وداخل نافذته صور ملوّنة بألوان زاهية. لقد كان الاثنان فقيرين عندما تزوّجا، فلم يلتقطا سوى صورة زفاف واحدة باللونين الأبيض والأسود، وهي من دفعت ثمنها. ولكن الآن بعدما أصبحت الحياة أفضل، ورأت

أشياء أجمل، لم يكُن بوسعها إلا أن تتأثر. «أعتقد أنه لا مشكلة في هذا، دونغ باو، دعنا نلتقط صورة ملوّنة».

«لنلتقط عدة صور، هاها، لتلتقطي صورة بكامل جسمك، وبعدما نأخذها، اكتُبي عليها من الخلف لنُريها لابننا لاحقًا، أوه، هذه الصورة، لأسرة مكوّنة من ثلاثة أفراد، فأحدهم ما زال في الرحم». ابتهج لي دونغ باو أيضًا وقال الكثير عندما رأى سونغ يون بينغ تفكّ عقدة حاجبيها.

ابتهجت سونغ يون بينغ عند سماعها لهذا. عادة لم تكن تلمس يد لي دونغ باو النقود، فهي من تحمل النقود دائمًا، فذهبت إلى البائع لتدفع الثمن ويلتقطا صورتين، صورة برأسيهما، وصورة بكامل جسميهما، ولكن لي دونغ باو كان يريد التقاط أكثر من صورتين بالتأكيد، ولكنها خشيت من ارتفاع ثمنها، فلم توافق، وفي النهاية أخذ لي دونغ باو المحفظة منها، ودفع ثمن خمس صور، في حين ظلّت سونغ يون بينغ تشكو وقت انتظارهما في الصف، ولكن لي دونغ باو كان سعيدًا جدًا، لذا لم يهتم بما تقوله. وبعدما شَكَت سونغ يون بينغ لبعض الوقت، حرّكت يديها لتقوّم مظهر زوجها، وأخرجت منديلاً لتمسح وجهه، فأغلق لي دونغ باو عينيه كالقطة، وللأسف كانت سونغ يون بينغ تعرف أنه نمر متخفٍّ في مظهر قطة، لذا لم تنخدع بمظهره. بعد ذلك، بحثت عن مرآة لنفسها لتمشّط ضفائرها، فأشار لي دونغ باو إلى صور الفتيات المعلّقة على النافذة في الخارج وقال إنهن جميلات في هذا المظهر، ولكنها لم توافقه، وشعرت بالخجل، وأصرّت على تمشيط شعرها، ولكن لي دونغ باو لا يناقش وإنما يتصرّف فقط،

وما إن يتصرّف حتى يخرّب، وبعد دورين فقط حان دورهما، فصاح المصوّر عند الباب، واضطرت سونغ يون بينغ لترك شعرها الكثيف منسدلاً، ودخلت تشعر بالخجل الشديد لدرجة أنها لم تتمكّن من رفع رأسها.

كان شعر سونغ يون بينغ المنحلّ من الضفائر مجعّدًا، فلمّا رآه المصوّر استحسنه، وأحضر بنفسه مشطًا ومشّط جانبًا منه وتركه ينسدل على صدرها، ثم مشّط الجانب الآخر وتركه خلف أذنها، وساعدها في تمشيط خصلات الغرة الخفيفة لتزيد كثافتها، وهكذا بدت سونغ يون بينغ بمظهر ساحر بشكل غير طبيعي. على الرغم من أن لي دونغ باو لم يعجبه مطلقًا رؤية المصوّر وهو يدور حول زوجته بأصابعه الرفيعة، ولكن بعدما رأى النتيجة، لم يقُل شيئًا، وأخفى قبضته خلف ظهره.

تراجع المصوّر إلى الخلف، وبمجرد إضاءة الأنوار، رأى لي دونغ باو عيني زوجته تلمعان، ورموشها كثيفة كالمروحتين، وشعرها لامع وكأنه مغطّى بطبقة من الضباب، ووجهها رقيق كبيضة البطّ المقشّرة، فأعجبته لدرجة أنه لم يستطع أن يبعد عينيه عنها، وتمتم ناظرًا إليها قائلاً «جميلة، جميلة»، حتى إنه لم يسمع لتوجيهات المصوّر، فرأى المصوّر أن هذا حسن أيضًا، إذ بدا المشهد مليئًا بالمشاعر، فقال «اثبتا، اثبتا، ابتسما»، وبدأ العدّ. تظاهر لي دونغ باو بالصمم، وأراد بشدة تقبيل زوجته، فكانت النتيجة أنه قبّل أُذُن زوجته المكشوفة قبل انطلاق وميض الفلاش، وعند صدمة المُصوّر، كان قد ضغط الزر بالفعل، فالتقط «صورة خاطئة».

بعد عدة أيام، ذهب لي دونغ باو بمفرده إلى استوديو التصوير بالمحافظة لإحضار الصور، ولما رأى تلك «الصورة الخاطئة»، طار فرحًا، ولم يتجادل في الحساب مع الاستوديو. وعند عودته إلى المنزل مساءً، شاهدا الصور معًا وفرحا جدًا بها، وظلّا يضحكان كثيرًا ممسكين ببطنيهما. ولما تمعّنت النظر، لاحظت الهجوم المتسلل الذي أتى من جانبها، حتى إنها فوجئت لدرجة دفعتها لرفع حاجب وخفض الحاجب الآخر، في حين بدا لي دونغ باو فخورًا بنجاحه في مؤامرته، فبدا المشهد مضحكًا جدًا. عاد الاثنان ليطبعا صورتين أخريين، واحتفظ كلاهما بنسخة في محفظتيهما ليستطيعا رؤيتها كل يوم. وعلى العكس من ذلك، لم يكونا ليهتمّا بالصور الصحيحة بهذا الشكل. أشارت سونغ يون بينغ إلى لي دونغ باو الذي في الصورة وقالت، هذا أب سيئ، لا يبدو كالآباء على الإطلاق، في حين أشار لي دونغ باو إلى سونغ يون بينغ التي في الصورة وقال، هذه الفتاة الصغيرة، ما إن كبرت قليلاً في السن حتى صارت أمًا، ولا يبدو عليها ذلك.

خلال الأيام القليلة التالية من شهر أغسطس، أمضى كلاهما، وقد كانا يستعدّان لأن يصيرا أبًا وأمًا، وقتهما في ضحك ومرح، إذ انتشلت هذه «الصورة الخاطئة» سونغ يون بينغ من مزاجها السيئ، وفي كل مرة تشعر فيها بالقلق، كانت تُخرِج الصورة بلا وعي وتنظر إليها، فيسير كل شيء على ما يرام.

ولكن، مع اقتراب أواخر شهر أغسطس، وردت أخبار سيئة من المحافظة. فعندما كانت زوجة الأمين شوي التي أتت لزيارة أقاربها في الإجازة الصيفية تساعد زوجها في تجفيف اللحاف

الشتوي في الشرفة، لم يكُن اللحاف الثقيل مستقرًا على الشرفة، فوقفت على كرسي لتقوّمه، وسقطت من الطابق الثالث وماتت.

وبمجرّد سماعه لهذه الأخبار، ذهب لي دونغ باو لزيارة الأمين شوي، إذ صار باستطاعته الآن دخول المحافظة والخروج منها كما يشاء. ولكنه ما إن وصل إلى هناك، أُخبِر بأن الأمين شوي عاد بالجثمان إلى بكين بين عشية وضحاها، وأن هذا الشخص الهادئ صار كالأحمق بمجرد موت زوجته. كما قال آخرون إن الأمين شوي أصلاً من بكين، وإنه يتصرّف بطريقة مثيرة للإعجاب، إذ أعاد الجثمان إلى بكين في يوم شديد الحرارة كهذا.

ولمّا سمع بعودة الأمين شوي، أراد لي دونغ باو الذهاب لرؤيته، ولكن سكرتيره رفض بأسلوب مهذّب قائلاً، إنه في حالة عدم وجود أمر آخر، فإن شأن الأمين الخاص ينتهي إلى هنا، ولا توجد استثناءات. فيما بعد، ظلّ لي دونغ باو يذهب لرؤية الأمين شوي برفقة آخرين، فلاحظ أن ابتسامته تلاشت، وجسمه صار نحيفًا، وبدا مكتئبًا. وعندما اقترب منه على انفراد، كان لي دونغ باو يعرف أنه ليس ممن يجيدون التحدُّث بلطف، لذا لم يستطع إلّا أن يشدّ على يد الأمين شوي ويهزّها بقوة وكأنه يعضّده. وكان الأمين يعرف هذا أيضًا، لذا كان يمدّ يده ويربّت على ظهر لي دونغ باو مُظهِرًا لمحة من الحزن.

عاد سونغ يون هوي إلى المنزل خلال ثلاثة أيام عطلة العيد الوطني، فابتهجت العائلة بأكملها، حتى إن سونغ يون بينغ ولي دونغ باو عادا إلى منزل العائلة للم الشمل. أعطى سونغ يون هوي

نصف راتبه لوالديه، كما أهدى شقيقته 500 جرام من خيوط النايلون قائلاً إنها لحياكة سترة صغيرة لابن شقيقته المستقبلي. ثم أخبره الجميع أن يأخذ المال لنفسه ويشتري به بعض الملابس الجديدة بدلاً من ملابس الجامعة القديمة التي يرتديها دائمًا، إذ إنه صار كادرًا الآن، وأصبح الأمر مختلفًا. فقال سونغ يون هوي إن عليه دائمًا ارتداء ملابس العمل وقت الذهاب إلى الوحدة أو الخروج منها، كما أن الطقس ما زال باردًا، ووُزِّعت عليه السترة المبطنة بالقطن، ولديه أيضًا معطف وحذاء للمطر، ولا يحتاج لشراء مظلة، حتى إنه تقريبًا لا يستخدم الملابس التي يشتريها لنفسه، بالإضافة إلى أن المطعم مدعّم، وطعامه جيد وأسعاره رخيصة، ويحصل على لحوم في كل وجبة. حتى إنه لا يحتاج لشراء أشياء كالصابون أو مسحوق الغسيل أو ورق المرحاض، إذ تُوَزَّع عليه كل ثلاثة أشهر. كما قال أيضًا إنها قد وُزِّعَت عليه مؤخرًا، وهناك بعض المزايا غير متوفّرة، لذا عليه مراقبة ما يحصل عليه العُمّال القُدامى من مال بين الحين والآخر، حتى إذا ما صار موظّفًا بدوام كامل يمكنه العودة إلى المنزل بمزيد من المال. ولمّا سمع لي دونغ باو هذا قال مُحرجًا، يبدو أن الهدف من تحويل مزارعي فرقة شياوليجيا إلى عُمّال ما زال بعيدًا عن التحقيق.

قَبِل الوالدان المال، ولكنهما احتفظا به كحساب منفصل ليستخدماه عند زواج ابنهما. كما تناقشوا جميعًا بخصوص شراء سندات الخزانة، إذ إن فائدتها تصل إلى 8%، وهي أعلى قليلاً من فائدة البنك، ولكن بمجرد وضع المال، لا يمكن استخدامه لسنوات عدّة، مما يدعو للقلق، في حين أن سعر فائدة الادّخار

لمدة ثلاث سنوات في البنوك الآن يتجاوز 5%، ويبدو أنها ستظلّ ترتفع، كما أن إيداع المال في البنوك يمكّن من سحبه في حال الحاجة إليه بشكل عاجل في المنزل، وليس كسندات الخزانة التي لا يمكن سحب المال في حالتها. قال لي دونغ باو إن البنك الزراعي التابع للكومونة ينزعج يوميًا بسبب سندات الخزانة، لذا يضطر للاتّفاق مع الكومونة لتُصدِر أوامر لكل وحدة بتوزيع عدد من المهام باعتبار هذا دعمًا لبناء الدولة. ولمّا سمع الجميع لي دونغ باو يقول هذا، تخلّوا تمامًا عن فكرة شراء سندات الخزانة، فهل يمكن أن تكون البضاعة المُجبر على شرائها بضاعة جيدة؟

كان أفراد العائلة الأربعة مجتمعين معًا يتحدّثون بحماس، وحده لي دونغ باو كان يقف جانبًا ويشاهد، إذ شعر بأن شقيق زوجته يبدو وكأنه يشعر بالملل هذه المرة، ليس كما كان من قبل، فعلى الرغم من أنه لم يكُن يتحدّث كثيرًا من قبل أيضًا، فإن عينيه كانتا مليئتين بالثقة بالنفس. لم يكُن لي دونغ باو سليلاً مباشرًا لعائلة سونغ التي تخفي ما بداخلها، لذا سأل سونغ يون هوي ماذا به بمجرد ملاحظته للأمر. لقد أصبح سونغ يون هوي مُعجبًا جدًا بلي دونغ باو الآن، لذا لم يُخفِ عنه الأمر وأخبره مباشرة، إذ كان يشعر أيضًا بأن التدريب مفيد جدًا، ولكنه في بعض الأحيان يرى بعضًا ممن يرتدون خوذات بلون خوذات الكوادر ويمشّطون المصنع بغطرسة أثناء خروجه في الظلام الدامس بعد انتهاء المناوبة الليلية، لذا فإنه يشعر بالظلم الشديد، بالإضافة إلى المنافسة الشرسة على السلطة والأرباح بين القيادات العُليا، ولا يبدو أن أحدًا بينهم يسعى

حقًا لتنمية الاقتصاد، ولذلك فهو متشكك قليلاً الآن بشأن صحة أو خطأ قراره بالنزول إلى المستوى الأساسي.

قال لي دونغ باو إنه لا يعلم ماذا يحدث في المصنع، ولكن بالنسبة له، فما دام هناك شيء يؤمن به، لن ينظر إلى الوراء أبدًا ويصطدم بسوق العمل حتى يصل إلى مراده. ولمّا قال لي دونغ باو هذا، تدخّلت سونغ يون بينغ وأكملت الحديث نيابة عنه، وقالت إنه حتى ولو اصطدم بسوق العمل، فعليه أيضًا أن يواجهه بشدة عدة مرات ليعرف ما إذا كان باستطاعته اجتيازه. كما نصحت شقيقها قائلة، إن الطرق السهلة يمكن للآخرين رؤيتها أيضًا، ولو أراد أشخاص مثلهم لا ينحدرون من عائلات كُبرى أن يتنافسوا مع الآخرين، فلا يمكنهم إلا الاعتماد على أنفسهم وبذل المزيد من الجهد والوقت، وهذا أمر لا بد منه. وافقها سونغ يون هوي بمجرد سماعه لما قالته، وأضاف إن وراء كل عامل كبير في مصنعهم الكثير من الأقارب المهمين، وبالطبع يحصلون على المناصب الجيدة بمجرد رؤيتهم لها، ولكن الأشخاص مثله لا يمكنهم الوصول إلا بالعمل الجاد. كما فكّر أيضًا في شيون جيان شيانغ، وقال إن الأشخاص مثله قد لا يجدون فرصة منافسة عادلة، فيستسلمون ببساطة.

كان سونغ يون هوي مترددًا حينها، إذ إنه عندما اجتهد في العمل، قوبل بمقاومة وإهانة من العاملين بقسم الصيانة، وعندما استقر مرتاح البال في المستوى الأساسي وتعلّم بجد، قوبل باتهام بنفيه إلى الحدود، وصار الجميع يتحدّثون بشأن هذا، وحتى ثقته القوية بنفسه اهتزّت أيضًا في تلك اللحظة. ولكن لمّا عاد إلى

المنزل وتحدّث مع عائلته، عاد إلى طبيعته وكأنه استعاد شحن بطاريته، وبخاصة عندما تحدّثت شقيقته عن كيفية اصطدام لي دونغ باو بسوق العمل في بدايته، فالجميع قد بدأوا من الصفر، وإذا لم تبذل الكثير من الجهد، فكيف سيمكنك الفوز بدون عمل شاق.

غادرت سونغ يون بينغ ولي دونغ باو مباشرة بعد الانتهاء من العشاء خوفًا من عدم تمكّنهما من رؤية الطريق إذا ما تأخرا، إذ لا يمكن إرهاق سونغ يون بينغ الآن. كانت سونغ يون بينغ أصلاً في حالة معنوية مرتفعة، ولكنها شعرت فجأة بالحزن في منتصف الطريق، إذ إنها عندما عادت إلى منزل عائلتها بخبر حملها السار، لم ترَ تلك الفرحة التي غمرت والديها عند رؤيتهما لشقيقها وهو يعود بالراتب إلى المنزل اليوم، يبدو أن والديها متحيزان بعض الشيء. فأخبرها لي دونغ باو إنه من الجيد أن تنفّس عن غضبها بمفردها، كما أخبرها إنها صارت متشككة مؤخرًا، ولا يعجبها أي شيء.

انزعجت سونغ يون بينغ عندما رأت زوجها أيضًا لا يتحيّز لها، فظلّت تشكوه طوال الطريق، كما قالت إنه مؤخرًا عندما رآها حُبلى أظهر ردّة فعل كبيرة، ولمّا كانت تتقيأ وتغضب ليلاً ولم تدعه يلمسها، صار غاضبًا ويسعى للانتقام. ظلّت تشكوه حتى شعر لي دونغ باو بالظلم، فنشب جدال بينهما، وكانت سونغ يون بينغ تجادل بمزيد من مشاعر الظلم، مما اضطره للصمت شاعرًا بغمٍ شديد. ظلّا هكذا حتى وصلا إلى منزلهما، وهناك رأى دموع زوجته تتساقط تحت الضوء، فأراد بشدة أن يصيح في وجهها، ولكنه لا يمكنه ذلك، فاضطر للتوسُّل إليها، وطالبها بالتفكير

بضميرها، إنه لم يسبق له أن تحمَّل توبيخًا دون الرد عليه. وما إن فكرت سونغ يون بينغ في الأمر حتى أخبرته أن الأمر ليس كذلك وأخفضت رأسها شاعرة بالذنب. وأخيرًا تصالحا. كان لي دونغ باو غير سعيد بالمرة، ولكنه لم يجرؤ على البوح بهذا بمجرد أن فكّر في تعب زوجته بسبب الحمل. كان إنجاب طفل في الأصل بمثابة أمر سعيد، ولكن تقلّب مزاج زوجته صار يثير غضبه مؤخرًا.

عاد سونغ يون هوي وواصل انغماسه في العمل الجاد، واستمر لي دونغ باو أيضًا في مواصلة الطريق حتى النهاية. أصدرت القيادات العليا وثيقة مؤخرًا كان لي دونغ باو قد ذهب إلى الكومونة وعرف بها بالفعل، تقول بعدم السماح بحصار المنتجات الصناعية المُنتَجَة للمناطق الأخرى في كافة المحافظات والمدن. وبعد صدور الوثيقة، طلب لي دونغ باو من شخص ما أن يُحَمِّل نصف جرار بالطوب ويذهب للتحقق من الأمر، ولكنه لم ينجح في شحن البطاقة، وصار نصف جرار الطوب عالقًا، فأبلغ لي دونغ باو المحافظة بالأمر، فأخبره المحافظ تشن بينغ يوان بصعوبة الوضع في المحافظة، وجميعها محافظات شقيقة، ولو شكا له محافظو تلك المحافظات المجاورة، فلن يمكنه أيضًا التصريح بالأمر.

لم يذهب لي دونغ باو للبحث عن الأمين شوي، فمزاجه ليس جيدًا في تلك الفترة، ولم يرد إزعاجه بمثل هذا الأمر التافه. وعلى أي حال، فقد صاروا الآن متقدمين، إذ أصبحت فرقة شياوليجيا نموذجًا، وعادة ما يحضر قادة المدينة والمحافظة برفقة قادة آخرين لزيارة الفرقة، وكل ما عليه فعله هو عرض المشكلة على القادة عند مقابلتهم. إذ صار الآن يعرف بأن القيام بالأمور لو سار وفقًا

للقواعد، فلن يعرف أبدًا متى يمكن إنجازه، في حين أن القادة سيدعمون تقدُّمه لو أبلغهم بالأمر، وبمجرد أن يقول القائد جملة واحدة، فستكون نافذة أكثر من الركض لتنفيذ الإجراءات حتى تنكسر ساقاه. إن الخبرة هي نتاج المعارك الحقيقية.

على الرغم من أن لي دونغ باو كان يرفض بشدة أن يناديه أحدهم وقت العمل ليرافق القادة في زيارتهم ويقول الكلام نفسه مرارًا وتكرارًا، فإنه مؤخرًا كان متشوقًا جدًّا لوصول القادة في سبيل عرض مشكلته عليهم، وأخيرًا، وبعد عرض مشكلته مرارًا وتكرارًا، عمل نائب عمدة المدينة بجرأة غير عادية على أرض الواقع إلى أن حل مشكلة حصار المنتجات الصناعية. وبالنسبة لمشكلة حصار المنتجات الصناعية في المدن الأخرى، صرّح نائب عمدة المدينة بأنه سينسّق الأمر بعد عودته. ولكن لي دونغ باو لم يعُد يهتم بالفعل، فالطاقة الإنتاجية الحالية تكفيه دون حصار في المدينة بأكملها. لذلك، فبمجرد مغادرة نائب عمدة المدينة، استدار وطلب من فرن الطوب العمل بكامل طاقته.

كان لي دونغ باو يَلقَى مئات الاستجابات بنداء واحد خارج منزله، في حين كان يبتلع غضبه كالكنة الصغيرة داخل منزله.

4

عندما صبغت رياح الخريف قمم الجبال بألوانها، أتى اتّصال هاتفي من الأمين شوي إلى مقر فرقة شياوليجيا ليسأل ما إذا كان هناك مجاري مياه يمكن الصيد بها في محيط الفرقة، فأخبره لي

دونغ باو أن هناك بركتي أسماك يمكنه الاختيار بينهما كما يريد، ولمّا سمع الأمين شوي هذا ضحك، إذ إنه لم يكُن متشوقًا لصيد الأسماك والاستمتاع بنسيم الخريف في الفرقة، وإنما كان يريد فقط العثور على مكان هادئ للاسترخاء في عطلة نهاية الأسبوع. عندئذ، فهم لي دونغ باو ما يقصده، وأجابه على عجل بنعم، فهناك الكثير من الأسماك، والقليل من المارة، ولكن الطريق صعب المسير قليلاً.

كان لي دونغ باو سعيدًا جدًا بمساعدته للأمين شيوي، لذا بكّر في صباح يوم الأحد وذهب لقطف بعض الخضروات من الأرض، ثم ذهب إلى المحافظة ليصطحب الأمين شوي إلى البركة وصيد الأسماك في البرية. كانت البركة هادئة، فجلسا بجانبها ليصطادا، وخلفهما تلال خضراء تحجب الرؤية، وفوقهما ظل شجرة صفصاف كبيرة وكأنه ظل لشخصين يتعانقان، ومع ذلك، أحضر لي دونغ باو قبعة نسائية واسعة من القش وأعطاها للأمين شيوي ليرتديها، وأخبره أن اليرقات الموجودة في أشجار الصفصاف هي الأكثر عددًا والأكثر سميّة، ولو سقطت على العنق تكون لدغتها مؤلمة كلسعة النار. كانت سونغ يون بينغ قد طلبت من لي دونغ باو بالفعل قبل خروجه من المنزل ألّا يتحدّث كثيرًا ويجلس جانبًا ويلهو بمفرده، فالرجل قد أتى بحثًا عن الهدوء، لذا التزم لي دونغ باو بما قالته، ولم يزعجه بمجرد جلوس كل منهما. ولكن في الواقع فالصيد لم يكُن بالأمر الذي يمكن لعديمي الصبر مثله القيام به، وقد أدرك هذا بالفعل، لذا قام بوضع صنارة صيد الجمبري بجانب البركة، وأخذ يستخرج الديدان من الأرض، ويعطي الدودة السمينة للأمين شيوي ليصطاد السمك، ويأخذ النحيفة ليصطاد بها الجمبري.

كانت صنارة الصيد التي أخرجها الأمين شوي سوداء لامعة وقابلة للسحب، ويُقال إنها يابانية الصنع، ولكنها لم تصطد طوال اليوم ولو سمكة واحدة. كان لي دونغ باو قد استعار صنارة صيد الجمبري من شخص ما مؤقتًا، ومع ذلك ظلّ سعيدًا بالانشغال طوال اليوم بالهرولة على العشب، ولكنه غالبًا ما كان يصطاد أسماكًا صغيرة بطول الإصبع، تلك التي كان يأكلها خلسة.

هبَّ نسيم الخريف، فتناثرت زهور القصب المترامية على ضفاف البركة وعلق بعضها في شعور الجالسين، وكانت ثمة موجاتٌ صغيرة، أثارتها قفزات الأسماك، ثم غاصت عائدة إلى القاع لتسبح بين نباتات المياه المتموّجة. بدا سطح المياه زجاجيًا، ولمّا غطّت الغيوم البيضاء أشعة الشمس، صارت المياه شفافة، وبدت نقية لدرجة يصعب تصديقها.

وبعد وقت طويل، فتح الأمين شوي فمه أخيرًا وسأل: «دونغ باو، كم اصطدت؟».

«أكثر من عشرين واحدة، لنعُد وقت الظهيرة ونطهو الجمبري المالح، ونحتسي القليل من الشراب. أيها الأمين، ألا تريد تغيير الدودة الموجودة على خطافك؟». فابتسم الأمين شوي وقال: «جيانغ تاي قونغ يصطاد، ولا يقع في الفخ إلا من أراد.[1] دونغ باو، سأختبرك بسؤال، أي أوراق تتحوّل إلى الأخضر في الربيع هنا؟» فضحك لي دونغ باو: «لست جيدًا في هذا الاختبار. اللون

(1) مستشار عسكري وسياسي حكيم في الصين القديمة. يُقال إنه يصطاد السمك بصنّارة دون طُعم، ويقول: «السمكة التي ترغب في أن تُصاد، ستأتي بنفسها».

الأخضر لدينا طوال العام هنا، ناهيك عن خيزران موسو، وحتى بعد سقوط الجليد بكثافة في العام الماضي، يظلّ اللون الأخضر موجودًا أسفل الجليد».

ولمّا سمع الأمين شوي هذا انفجر ضاحكًا: «هناك خطأ بسؤالي، لا تغضب. إنني أقصد شجرة الصفصاف التي فوقنا، كانت زوجتي تقول إن شجرة الصفصاف تصير كالدخان الأصفر قبل بزوغ براعم الأشجار الأخرى بمجرد وصول الربيع إلى جنوب نهر اليانغتسي، في حين أنها تكون أول شجرة تُسقِط أوراقها بمجرد وصول الخريف، وتكون أوراقها المتساقطة جميلة جدًا أيضًا، وباللون الأصفر. لقد ذكّرتني هذه الأرض المليئة بالأوراق الصفراء برقة حبيبتي».

قال لي دونغ باو في داخله، كيف يمكن لجميع النساء أن تتشابه هكذا: «إن زوجتي بينغ بينغ أيضًا تختبرني وتسألني أي شجرة تتفتّح زهورها أولاً في الفناء الخلفي، وإذا ما تمكّنت من الإجابة، تظلّ تعذّبني. هاها. أيها الأمين، هل جمعك الحب الحر أيضًا بزوجتك؟».

«نعم، كيف لاحظت هذا؟» على الرغم من قلة الحديث بين الأمين شوي ولي دونغ باو، فإن الاثنين جمعهما نوع من التفاهم الضمني، وكانا يعرفان أن بعض الأشخاص يمكنهما أن يكونا أصدقاء، ويمكنهما التحدُّث بصراحة. هكذا كان الحال بين لي دونغ باو والأمين شوي.

«بالطبع لاحظت هذا. فقد جمعني الحب الحر ببينغ بينغ، وبعدما تزوّجنا، صارت علاقتنا جيدة، حتى أفضل كثيرًا من الذين

يتزوّجون من خلال المواعيد المدبّرة. عندما ارتبطنا، كنت فقيرًا جدًا، وحتى الشقة كانت تتسرّب إليها الرياح، كانت بينغ بينغ جميلة، ولديها إقامة مسجلة، ومع ذلك كانت تريدني، وتزوّجنا. هاها. لقد أقسمت لها أن تكون زوجتي طوال حياتي، وأن أفعل ما تقوله، وأن يُنفَّذ كل ما تقوله في المنزل، وأن أطيعها في كل شيء».

قال الأمين شوي بإعجاب: «أنت أفضل مني، فقد قلت هذا لزوجتي حينها، ولكن في النهاية قلت أيضًا إن الرجل الجيد لديه طموح في كل الجهات، فسكنت بعيدًا عنها لفترة طويلة، ولكن فات أوان الندم. دونغ باو، أنت تنفّذ ما تقوله، إنك رجل بمعنى الكلمة». أنا نه ها تمبتكه

«ليس الأمر هكذا أيضًا، فهي حُبلي بابننا، وتكون منزعجة كل يوم بشكل غير مسبوق، حتى إنني أرغب في توبيخها بشدة أحيانًا، وقد وبّختها مرات لا تُعَدّ في داخلي. أنا أيضًا لا أنفّذ ما أقوله».

«إن نفسية المرأة تشهد تغيُّرات كبيرة وقت حملها، وبسبب هذه التغيُّرات تشهد الشخصية تغيُّرًا كبيرًا، إنها لا تتعمّد جعل الأمور صعبة عليك. لا تتجادل معها كرجل. دونغ باو، أخطط للعودة إلى بكين، وأعتقد أنه يمكنني الحضور في عيد الربيع، لن أتمكّن من رؤيتك كثيرًا فيما بعد».

كان لي دونغ باو يفكّر لتوّه في وجود سبب للتغيُّرات الكبيرة التي تشهدها شخصية المرأة أثناء الحمل، لذلك فإنه يكون على خطأ إذا ما غضب منها. ولم يتوقّع أن يقول الأمين شوي مثل هذه الجملة القاسية، فصُدم لوهلة، ثم قال: «أيها الأمين شوي، سمعت

أنك لا تريد العودة إلى المبنى المكوّن من ثلاثة طوابق الذي كنت تسكن به، أعرف أنك تشتاق إلى زوجتك، ولكنك رجل، لذا لا يمكنك التوقُّف عن القيام بالأمور من الآن فصاعدًا».

«من ناحية... ما قلته أنت هو السبب فعلاً، ومن ناحية أخرى، لدي ابن التحق بالروضة لتوّه ويحتاجني في بكين».

«ولكن يعزّ عليّ فراقك. ومع ذلك يمكنك العودة إلى بكين، فما قلته أنت منطقي، وبعد ولادة ابني سيتعيّن عليّ أن أربطه بجانبي يوميًا، فهو من لحمي ودمي. وأنا سأذهب إلى بكين لرؤيتك فيما بعد».

«نحن أصدقاء، يمكنك الذهاب إلى بكين ورؤيتي في أي وقت».

«لا تُرسل سكرتيرًا ليمنعني عند الباب، فأنا لست ممن يجيدون التحدُّث بلطف، ولن آتي إليك لو لم يكُن هناك أمر ما».

ولمّا سمع الأمين شوي هذا ضحك، فلو لم يقُل لي دونغ باو هذا بصراحة لصار الأمر غريبًا. «الأمر مختلف، فلو كنت سمحت لك بالدخول في الفترة الماضية، لكان من المُحرج أن أمنع الآخرين من ذلك، وإلا لظنّوا أنني لا أحترمهم، ألن يكون الأمر مزعجًا بالنسبة لي؟ أظنّ أنك لن تتجادل معي أيضًا».

«هذا صحيح».

«بعد مغادرتي... إذا تمت الاستفادة من تشن بينغ يوان جيدًا، سيكون كُفئًا للغاية، وإذا ما قيّده أحد، سيكون من الصعب التعامل معه. بالتأكيد سيتغيّر سلوكه تجاهك بعد مغادرتي، وأمامك طريقان

يتعيّن عليك سيرهما، الأول هو الابتعاد عنه فيما بعد، وعدم السماح له بالإمساك بك، فأنت لن يمكنك الانسجام مع شخص مثله؛ والثاني هو تقديم بعض المزايا من حين إلى آخر، لا تكن بخيلاً. وبالنسبة لما تقوم به، فإنك تقوم بالأشياء بجرأة وشجاعة، وبالتأكيد ستكون السياسات الوطنية أكثر مرونة مع الوقت. وإذا كان هناك أي ردّ، سأعلمك بخطاب».

«سأنفّذ ما تقوله».

«إن شقيق زوجتك يعمل جيدًا في مصنع جينتشو الرئيسي، فقد أخبرني الأمين شوي إن هذا الفتى يقوم بالأمور بشكل واقعي، ويمكنه القيام بإنجازات كبيرة، فهو موهبة واعدة. ولكنه ما زال لم يثبت بعد، لذا لا يمكن مدحه كثيرًا، فإذا مُدِح كثيرًا سيظل ينتفخ حتى إنه لن يعرف حجمه الطبيعي وسيعوق هذا تطوّره. إذا عاد شقيق زوجتك إلى المنزل وشكا إليك، شجّعه قليلاً، ولكن لا تخبره بأن الأمين شوي يلاحظه دائمًا».

«لقد أخبرته بهذا من قبل، فأنا أريده ألاّ يعود إلّا بعدما يصطدم بسوق العمل، وقد استمع إليّ».

«حسنًا، مع وجودك كقدوة له، سيتعلّم منك. دونغ باو، إنني أقلق عليك أكثر من أي شيء، فشخصيتك صدامية، ولست ماكرًا جدًا، لذا تسهل عليك الإساءة إلى الآخرين والقيام بأمور خاطئة. عليك التفكير جيدًا قبل القيام بالأمور فيما بعد، أو يمكنك الاتّصال بي لتسألني بمجرد اصطدامك بأي مشكلة».

«حسنًا. إن بينغ بينغ تهتم بي دائمًا، وأنا الآن على الأقل لا أسارع باستخدام قبضتي».

ضحك الأمين شوي، ونظر إلى ساعته، ثم دعاه لي دونغ باو لتناول الغداء في منزل عائلة لي. ولمّا دخلا القرية، ظلّ يوجّه لي دونغ باو بشأن كيفية تحسين القرية، وكيفية رفع مستوى معيشة الجميع بشكل حقيقي والوصول إلى مستويات غير مسبوقة. وافق لي دونغ باو على ما يقوله الأمين، فبعض الأمور التي قالها الأمين لم تخطر بباله من قبل.

نظر الأمين شوي إلى سونغ يون بينغ، ثم نظر إلى لي دونغ باو مرة أخرى، شاعرًا بالتناقض الكبير بينهما، ولم يستطع منع نفسه من الضحك، وأخبر لي دونغ باو أن عليه معاملة زوجته بمزيد من اللطف، إذ إن موافقة إنسانة مثلها على الزواج منه تبيّن مدى لطفها تجاهه. ولمّا رأت سونغ يون بينغ الأمين شوي شعرت برهبة، إذ بدا بجسم نحيف ومظهر أنيق، وكأنها لم ترَ رجلاً وسيمًا في التلفاز والأفلام من قبل، ولكن الأمين هذا... كان يبدو نبيلاً بشكل لا يوصف.

5

قد لا يعدّ شهر ديسمبر نهاية العام في أذهان الصينيين، ولكن بالنسبة للمؤسسات الصناعية والتعدينية، فإن شهر ديسمبر يعدّ شهرًا حاسمًا لتوديع القديم واستقبال الجديد، وبخاصة بالنسبة لمكتب التصحيح الشامل.

كان عشرات الآلاف من العاملين بالمصنع في انتظار نتيجة الانتهاء من نظام مسؤولية التقييم الاقتصادي لمكتب التصحيح

الشامل، فكانت الشائعات تظهر من وقت لآخر ومفادها أن النظام المشبوه لا يسعد قلوب الناس، مما أثار ضجة في المصنع على جميع المستويات، وفجأة صار لدى عُمال المناوبات موضوعًا يوميًا يتحدّثون فيه بعدما كانوا يمضون الثماني ساعات محدّقين في العدادات بوجوه خالية من أي تعبيرات، وصار الحشد يناقش الأخبار القادمة من مكتب التصحيح الشامل يوميًا في غرفة التحكم التي لم يكُن يُسمع بها من قبل سوى أصوات الآلات.

قام الأمين شوي بـ«الامتثال إلى رغبة الشعب»، ورتّب التدخُّل الكامل لمجلس نوّاب العُمّال في أعمال مكتب التصحيح الشامل، بمعنى آخر، أن تتم المناقشة الإلزامية لجميع اللوائح الخاصة بمكتب التصحيح الشامل من قِبَل مجلس نواب العُمال، وإلا، لن توافق جماهير الشعب. كان مدير المصنع فِيّ ينوي أصلاً اتّخاذ أعمال مكتب التصحيح الشامل كنقطة بداية للتخلّي عن الهيكل الإداري العميق الذي كان يخصّ الأمين شوي أو استبداله، وتعديل الهيكل الإداري للمصنع بأكمله إلى حد كبير، والبناء التدريجي لفريق كوادر يخصّه من أعلى إلى أسفل، وبدء قرن جديد ينتمي إليه كمدير للمصنع، ولم يتوقّع أن الأمين شوي سيتدخّل تحت مسمّى مجلس نواب العمال. ولذلك، كان من المستحيل لوعيه الشخصي أن يتجسّد في وثائق مكتب التصحيح الشامل، وإلا، لم يكُن سيُقابَل سوى بالرفض من مجلس نواب العُمال.

كان ظلّ الأمين شوي الطويل المهيب واضحًا خلف مجلس نواب الشعب، تمامًا كما كان الحال قبل نظام المسؤولية، ولكنّه غيّر طريقته ليظلّ ممسكًا بقوة بحق المبادرة في المصنع بأكمله.

كان مدير المصنع فِيّ مقيّدًا تمامًا في الإدارة، كما كان العاملون بمكتب التصحيح الشامل مهمومين أيضًا، إذ إن الأشياء التي كانوا يبذلون جهدًا في كتابتها كانت تُمزّق بمجرد مناقشتها من قِبَل مجلس نواب العُمال. إن الحماس هو أسهل ما يمكن تبديده، لذلك فقد الجميع فخرهم القوي الذي كان يدفعهم في البداية إلى تغيير العالم.

كان سونغ يون هوي دائمًا ما يهتم أيضًا بأعمال مكتب التصحيح الشامل، فالوظيفة التي صارت تخصّ يوي شان تشينغ هناك كانت من نصيبه أصلاً، ولكنه الآن أكثر حظًا، فلو لم ينزل إلى المستوى الأساسي، لتحوّل يوميًا إلى قارب صغير في قلب عاصفة مكتب التصحيح الشامل، ومن يدري متى كان سينقلب. على العكس من الآن، إذ يمكنه الآن تحديد اتّجاهات دراسته وعمله، والعيش في تناغم واتّحاد مع الجميع. يبدو أنه قد انخرط في سوق العمل الصحيح.

ومع ذلك، كان سونغ يون هوي يشعر باشمئزاز شديد تجاه الأمين شوي، فكيف يمكن لشخص واحد أن يكون أنانيًا لدرجة أن يطلق حركة عُمّالية في ظلّ احتكاك داخلي كبير ويعوق خطوات تقدُّم مصنع كبير كهذا. نظرًا لكونه جديد في المصنع، لم يكُن يعلم ماذا يمكن أن يفعل فيما بعد، لذا لم يستطع إلا أن يقف جانبًا ويراقب، وبسبب هذا، استطاع أن يلاحظ بموضوعية ظل الأمين شوي وراء مجلس نواب العمال. وعلى العكس من ذلك، فقد تحرّك أولئك الموظّفون الذين يمثّلهم مجلس نواب العُمّال بفعل عصا الشائعات السحرية المُطلَقَة بهدف، سعيًا لخطة

تقسيم السلطة في المستقبل. وكما يُقال: لا تُركز على توافه الأمور فتعميك عن رؤية الأمور الكُبرى، وبالفعل دعّم الموظّفون ممارسة مجلس نواب العُمّال لسلطته بشدة. أحيانًا ما كان يرغب سونغ يون هوي بقوة في إخبار الآخرين أنهم يتم استغلالهم، ولكنه في النهاية لم يفتح فاه، إذ كان يعلم أن من يعرف كثيرًا يخسر كثيرًا.

ولكن في الوقت الذي كان يشعر فيه بالاشمئزاز تجاه الأمين شوي، نقلته الورشة فجأة إلى الفريق الفنّي، وأعطته مكتبًا صغيرًا وعيّنت له اثنين من الفنيين ليقود هذين الشابين الذين اجتازا لتوّهما اختبار الفنيين لتنظيم وتحسين البيانات الفنية للورشة. وفيما بعد سمع أن هذا تم بتوجيهات من الأمين شوي، مما دفعه للشعور بمزيد من التعقيد، فلم يسعه سوى أن يطبق فمه بقوة.

على الرغم من كون هذين الفنيين من الشباب، فإنهما كانا كبيرين بمؤهلاتهما، ولا يطيعان مديرهما، والسبب الرئيس في هذا كان شكّهما في المستوى الفني لسونغ يون هوي نظرًا لعدم مروره باختبارات أعطال المعدّات الكبيرة، كما أنهما لم يكونا مقتنعين مطلقًا بفاعلية شهادته الجامعية معتقدين أن قيادته لمجموعة مكوّنة من ثلاثة أفراد قد ترجع إلى كونه من دفعة الطلاب الجامعيين الأولى بعد «الثورة» والتي تعدّ الأكثر حظًا والأكثر جذبًا للاهتمام. بالإضافة إلى أنه سواء بذلوا الكثير من الجهد أو القليل منه، فستكون في النهاية النتيجة واحدة، إذ إن هذا الرجل، سونغ يون هوي، الذي ليست له هوية واضحة حتى، لن يكون له تأثير على راتبيهما ومكافآتهما بالطبع، فلو بذلا القليل من الجهد سيوفّران طاقتيهما ليعودا إلى المنزل ويجلسا على الأريكة، فكلاهما ينتظر الزواج.

في اليوم الأول لترتيب العمل، واجه سونغ يون هوي حالة من السلبية والخمول. كان سونغ يون هوي مهذّبًا بالفعل، لذا لم يخصص لكل منهما سوى كمية عمل تكفي نصف يوم فقط، ولكنهما لم ينهيا عملهما في يوم كامل. وقبل انتهاء الدوام بخمس دقائق، سألهما لماذا لم ينهيا عملهما، وكان كلاهما ضجرًا جدًا، فأجاباه قائلين: علامَ يأخذ الطلاب الجامعيون الأمور على محمل الجد، هنا لن يلاحظه أحد حتى ولو مات من كثرة العمل، فلماذا يصعّب الأمور على نفسه! فأجابهما سونغ يون هوي بجدية قائلاً إنه على الرغم من شقاء العمل، فإن ما سيتعلّمه من معرفة ستفيده هو، وعلى الرغم من إرهاق العمل، فإن فرحة إنجاز عمل ما ستعود إليه في نهاية الأمر، حتى ولو لم يرَ عائدًا مباشرًا أمامه، فما يجنيه من متعة وتحسُّن لا يمكن أن يقدّر بمال. ولكن ما قاله سونغ يون هوي بصدق قوبل بسخرية منهما.

شعر سونغ يون هوي بالعجز، إذ لم يكُن يتوقّع مثل هذا الموقف. لقد علم بالفعل من قبل أنه ليس لي دونغ باو، ولن يمكنه أن يستخدم قبضته كلي دونغ باو إذا ما تجرّأ شخص على الاعتراض عند إعطائه مهمة ما. لم يكُن بوسعه سوى المناقشة بالمنطق، ولكنه كيف سيتناقش بالمنطق مع من لا يفهم المنطق؟ لذا ذهب إلى المعلّم الذي كان في المناوبة الوُسطى، فأراد المعلّم أن يساعده ويتحدّث مع الفنيين، إذ عمل كلاهما تحت يده لعدة أيام من قبل، وقد يُكْرِمانه. فكّر سونغ يون هوي قليلاً، ورأى أن هذا غير صحيح، فحتى عند تعرّضه للتنمُّر في المدرسة الابتدائية لم يكُن يذهب لإبلاغ المعلّم، فكيف يتراجع بعد هذا العُمر؟

عاد إلى غرفته ليفكّر في حل آخر، فذكّرته مواجهة اليوم مع الفنيين بأمر ما: لا يؤخذ الكلام كدليل، ومن ثم أمضى ليلته ببساطة دون فعل أي شيء، فقط استخدم لوحة الرسم الموجودة في الغرفة ليرسم جدولاً لمهام العمل، العمل اليومي لكل شخص، ورسمه مفصّلاً، فصار كم العمل ومدى تقدّمه لكل منهما واضحًا بمجرد النظر إلى اللوحة، وما عليهما سوى وضع علامة قبالة ما أُنجز من عمل، أمّا الملاحظات الموجودة في الخلف، فهي لتوضيح سبب عدم إنجاز العمل، وقد رسمه في نسختين لكل منهما للاستخدام عند اللزوم. عند عودة شيون جيان شيانغ من العمل، كان قد أنهى اللوحة لتوه، فسأله شيون جيان شيانغ عن الأمر، ثم أخبره ببساطة أن يوبّخهما إذا لم ينهيا عملهما، لا داعي لأن يكون مهذّبًا معهما، وإذا تجرّآ على المعارضة، فليخبره إذًا، فقبضته تحكّه. وافق سونغ يون هوي ضاحكًا، فعلى الرغم من أن صداقة شيون جيان شيانغ كانت مختلفة، فإن الصداقة عمومًا تمنح الشجاعة للمرء.

عند الذهاب إلى العمل في اليوم التالي، غيّر سونغ يون هوي سلوكه تمامًا وعلّق الجدول، ثم أخبر مساعديه بوضوح أن ما يسبقه شرط يعقبه نور، وعليهما اتّباعه في القيام بالأمور، ولا يوجد شيء اسمه أنا جيد وأنت جيد، ومَن يتراخَ ولا يريد العمل، يُمكنه طلب النقل، وإذا لم يرغب في النقل، عليه إذًا الالتزام بجدول العمل. ولمّا رأى أنهما لم ينطقا بكلمة وغير راضيين عن الأمر، اضطر لضغط وقت عمله الخاص ومراقبة عملهما في كل وقت، وإذا لم ينجزا العمل، كان يوبّخهما. لم يكُن يتحدّث كثيرًا، ولم يكُن أيضًا كسليطة اللسان التي تلعن في الشوارع طوال اليوم، بل استخدم

مهارات التوبيخ المستهدِفة التي كان قد طوّرها عندما كان يُطلق عليه «ابن الحرام» ولم يكُن باستطاعته التحدّث كثيرًا، فكانت الجملة الواحدة كسهم في القلب تفطره، ومن لا يرغب في تحمُّل التوبيخ، كان عليه العمل جيدًا.

أخذ الفنيّان يشكوان الوضع لمدير الورشة والأمين، ولكن عندما سألهما القادة عن مواضع الظلم التي تعرّضا لها، وأي توبيخ تحملاه، لم يستطيعا أن يقولا شيئًا، إذ اكتشفا أنهما قد غضبا حينها حتى الموت، ولو قالا شيئًا الآن، فسيبدو كلامهما ككلام إغاظة ليس إلا.

وهذه أيضًا مهارة كان سونغ يون هوي قد طوّرها بنفسه في بيئة طفولته الصعبة، فلم يكُن أمامه طريقة أخرى، إذ لم يكُن بإمكانه قول الحقيقة بإعطاء الآخرين سببًا ليتنمّروا عليه، لذا كان دائمًا ما يتمتّع بمهارة في توبيخ الآخرين. ومن ثم، لم يكُن أمام الفنّيين سوى متابعة العمل بطاعة، حتى ولو لم يتبقّ سوى عمل سونغ يون هوي وحده بعد إنجاز كل منهما لعمله، فقد تقدّم العمل بسرعة كبيرة أيضًا مع اتّحاد ثلاثتهم.

في تلك الفترة، أتى الأمين شوي للتفتيش ذات مرة، فمن المعتاد أن يهتم القادة بالورشة الرئيسية في الخط الأمامي، لذا كانوا يأتون لزيارتها مرة أو مرتين في الشهر. ذهب الأمين شوي برفقة مدير وأمين الورشة لإلقاء نظرة على تشغيل المعدّات، ثم إلى غرفة التحكُّم الرئيسية، بعد ذلك ذهب إلى مكتب الورشة للاستماع إلى التقرير، وتجوّل يمينًا ويسارًا في المكان، ثم دخل عن قصد أو عن

غير قصد إلى الغرفة الصغيرة التي كان يوجد بها سونغ يون هوي، فنظر عن قصد أو عن غير قصد إلى جدول تقسيم العمل المُثبَّت على الحائط.

راجعه بعناية، ثم سأل سونغ يون هوي عدة أسئلة تفصيلية، كما سأله عن كيفية تنفيذ مهام الجدول بالتفصيل، وبالطبع لم يكُن باستطاعة سونغ يون هوي أن يخبره بتوبيخه لهما، وإنما اكتفى بإرجاع السبب إلى وعي الجميع. كان الأمين شوي يعلم بالطبع باستحالة هذا، فهو ذكي جدًا، ولكنه لم يُكثر من الأسئلة، وإنما طلب من مدير الورشة أن يُجري اتّصالاً لاستدعاء جميع العاملين بمكتب التصحيح الشامل، فاحتشدوا في هذه الغرفة الصغيرة لدرجة لم تترك مكانًا لدخول الهواء، ثم عقد اجتماعًا في المكان بشأن جدول تقدّم العمل الخاص بسونغ يون هوي، وأخبرهم بضرورة النزول إلى أرض الواقع والقيام بالعمل بأنفسهم، فباتّخاذ الموقف الصحيح والفهم العميق للعمل في الخط الأمامي فقط يمكنهم وضع خطط مسؤولية تطابق الواقع، بدلاً من الجلوس في مكاتب المصنع العام وتخيُّل أوهام لا أساس لها. كما قال إن حق النقض لمجلس نواب العمال لم يُظهر فقط إلا معارضة الأوهام، وأيضًا لم يُظهر فقط إلا خطأ الفكر القيادي لمكتب التصحيح الشامل منذ أكثر من ستة أشهر. كما طلب من الجميع العودة والتفكير جيدًا في المستقبل وعدم مواصلة الطريق القديم مجددًا.

اسودّت وجوه الجميع من توبيخ الأمين شوي، ولكن لم يجرؤ أحد على قول شيء، بالأحرى لم يقل أحد أن الفكر القيادي القديم من صياغة مدير المصنع فِيّ، والأمين ومدير المصنع كل

منهما يقول شيئًا، فلمن سيسمع العاملون تحت أيديهما. كان سونغ يون هوي يقف جانبًا وينظر مفكّرًا في هذه المناصب. كما لاحظ أن يوي شان تشينغ كان حاضرًا أيضًا، ولكنه كان واقفًا في ركن الحجرة، إذ لم يكُن سوى وافد جديد لا يؤخذ بعين الاعتبار.

بعدما أمر الأمين شوي العاملين بمكتب التصحيح الشامل بالمغادرة، أخذ سونغ يون هوي في نزهة على انفراد وسط أبراج المصنع الكثيفة، وأخبره بصدق «الأمور تُنجز بسبب الناس، وتفسد بسبب الناس أيضًا». كما قال، هناك أشخاص لا يمكنهم الإدارة حتى ولو كانت طريقة تفكيرهم أفضل، ولا يمكنهم تطبيق أفكارهم على أرض الواقع، فتصبح أفكارهم مجرد كلام فارغ في النهاية. وأكثر ما يثير الخوف هو أن هناك بعض الأشخاص لا يمكنهم إنجاز الأمور، فيأخذون في الشكوى من ظلم المجتمع وتولّي الأشرار للمناصب، فيعطون حُججًا لفشلهم، ولكن هذه كلها ليست بحجج حقيقية. إذا أراد أحدهم إنجاز عمل ما، فلن يواجه شخصًا أو شخصين فقط، بل سيواجه مختلف الأشخاص في المجتمع. هكذا المجتمع تجاه هذا وذاك، ليس هناك فرق كبير بين الأمرين. وهناك أشخاص لا يمكنهم التفكير والتأمل في السبب وراء كثرة الأشرار أمامهم وظلم المجتمع، ولا يعرفون أين الخطأ بالضبط. كما أكّد الأمين شوي على إنجازات سونغ يون هوي خلال هذه الأشهر الستّة، ولكنه أشار أيضًا إلى ألّا يكون متشوقًا للأمر بكل جوارحه أو متسرّعًا لتحقيق النجاح عند القيام بأي شيء، وإنما يجب أن يتقدّم تارة ويتراجع تارة أخرى، ويلتف حول الأمر محتفظًا بالمرونة. فعليه من ناحية أن يحثّ مرؤوسيه

على العمل، وعليه من ناحية أخرى أيضًا أن يوحدّهم، ولا يمكن أن يكون صارمًا حتى النهاية ويُحدِث مواجهة معهم، وإلا، فما يزيد عن حده سينقلب إلى ضده، وسيعارضه الآخرون في نهاية الأمر، أو سيكون مثل الزنبرك الذي يستخدم مرونته حتى نهايتها، فيخسرها يومًا ما ويصير عديم الفائدة في نهاية الأمر.

عند مغادرة الأمين شوي سأل سونغ يون هوي إذا ما تقدّم بطلب للانضمام إلى الحزب، وعلى الفور فهم سونغ يون هوي قصده، فهو يطلب منه الانضمام. ولكنه عندما فكّر في وضع المواجهة العلنية الحالي بين طرفيّ المصنع الرئيسي، أدرك أنه إذا ما تقدّم فورًا بطلب انضمام إلى الحزب، سيواجه مشكلة بشأن اختيار أي منهما ليكون بمثابة مقدّم له، وسيكون الموقف حساسًا. ولكن السبب الرئيس في هذا كان عدم اتّفاقه حقًا مع شخصية الأمين شوي، إذ كان الأمين شوي يعوق أعمال مكتب التصحيح الشامل، ولكنه دائمًا ما كان يلقي بالمسؤولية على عاتق مدير المصنع فِيّ، وهو أمر غير أخلاقي بالمرة. لم يكُن سونغ يون هوي راغبًا في التقدّم بطلب للانضمام إلى الحزب في ذلك الوقت ودعم الأمين شوي، على الرغم من أن قوة دعمه كانت صغيرة، ولكنه تظاهر بملامح بسيطة أمام الأمين شوي وقال إنه يريد تسوية أموره الحالية أولاً، ثم تقديم الطلب إلى الحزب بتقارير عمل مثالية. ولم يعترض الأمين شوي. في بعض الأحيان، كلما نظر الكبار الناضجون الماكرون إلى الشباب، شعروا ببراءتهم غير العادية، وأصبح من السهل خداعهم بحيلهم. بالإضافة إلى أن الكبار المتولّين لهذه المناصب لا يريدون تكليف أنفسهم بعناء التفكير في الحيل التي

قد ينفذّها الشباب، إذ إنها لا يمكن أن تؤذيهم، ولا داعي لأن يهتمّوا بها كثيرًا.

بعد مغادرة الأمين شوي، فكّر سونغ يون هوي في الأمر طويلاً، وأخيرًا استطاع فهم هذه الكلمات الثمان «الأمور تُنجز بسبب الناس، وتفسد بسبب الناس أيضًا». يبدو أنه كان يقصد سونغ يون هوي، إذ كان يمتدح عمله بخلقه للظروف في وقت انعدام الظروف، ولكن يبدو أيضًا أنه كان يسخر من مدير المصنع فِيّ خفية، فحتى ولو أعطاه السلطة، لن يستخدمها جيدًا أيضًا. لم يعرف سونغ يون هوي الهدف الحقيقي من هذه الكلمات الثمان التي قالها الأمين شوي، وعلى الرغم من شعوره بالاستفادة التي لا حصر لها، فهو لم يكُن قادرًا أيضًا على تحسين انطباعه عن الأمين شوي بسبب هذا. ولكنه فكّر أيضًا فيما إذا كان بهذا يظلم الأمين شوي، إذ لم يكُن مكتب التصحيح الشامل في ظل قيادة مدير المصنع فِيّ يواجه الأمين شوي وحده، وإنما كان يواجه عقبات كثيرة، من بينها الأوهام التي لا أساس لها، فهل يمكن لوم الأمين شوي وحده حقًا على معارضة الموظّفين لمكتب التصحيح الشامل هكذا؟

ولكن بصرف النظر عمّن على حق ومن على خطأ، فإن هذا النوع من الصراع السياسي سيئ حقًا، ويدور بأكمله حول التضحية بمصالح المصنع بأي ثمن في سبيل المصالح الشخصية. لم يكن من الممكن رؤية مثل هذه الظاهرة في فرقة شياوليجيا، فالجميع هناك يلتفّون حول الحصول على طعام وتناول طعام جيد، وهذا هو العمل والتقدُّم الحقيقيان. وقد دفع التناقض بين بيئتي العمل سونغ يون هوي للشعور بالاكتئاب.

فكّر سونغ يون هوي أيضًا في أنه قد لا يكون له مثيل بين أقرانه في مصنع جينتشو الرئيسي فيما يتعلّق بفهم للسياسات، كما أن هدفه من دراسة السياسات بجدية حينها كان تجنُّب تكرار مصير والده، ولكن أمام الصراع على السلطة الواقع بين شوي وفِيّ، فكّر في نفسه، إذا وضع نفسه مكان والده، فحتى ولو كان يفهم السياسات، هل سيكون قادرًا على دعس رؤوس الآخرين لتخليص نفسه وتولّي المناصب؟ لم يكن ليستطيع فعل هذا. وما دام لا يستطيع، فكيف سيمكنه إنجاز الأمور؟ وبالتفكير في هذا كله، انتاب سونغ يون هوي شعور بالإحباط.

عام 1983

1

مكتبة
t.me/soramnqraa

في يوم رأس السنة الجديدة، احتاج أحد عُمّال المناوبة في القسم الأول لطلب إجازة وحضور زفاف شقيقه الأصغر في المنزل، فوافق سونغ يون هوي بلطف على الإنابة عنه. ومع بداية العام الجديد، صار عليه أخذ إجازة لمدة يومين.

وبعد فترة وجيزة من يوم رأس السنة، عقد المصنع الرئيسي اجتماعًا لعصبة الشبيبة، ولم يكُن يعلم سونغ يون هوي أيضًا كيف أصبح ممثلاً عن أعضاء الشبيبة بالورشة الأولى، ولكنه كان محظوظًا بالانضمام إلى عصبة الشبيبة الشيوعية بالمصنع الرئيسي. فكّر سونغ يون هوي في مدى صعوبة الانضمام إلى عصبة الشبيبة فيما مضى وكأنه في صعوبة التسلل والهجوم خفية، في حين أن الأمين شوي الآن قد لمّح له بنفسه بإمكانية تقدُّمه بطلب للانضمام إلى الحزب، وأنه يمكنه أن ينضمّ إلى عصبة الشبيبة باعتباره ممثلاً ممتازًا عن الأعضاء، وبناءً على هذا، صار يعتقد أن قضية خلفيته العائلية لم تعُد مشكلة في مصنع جينتشو العام بعد الآن. ولمّا فكّر في أن مكتبه الصغير الحالي قد رُتِّب بتوجيه من الأمين شوي، شكّ في أنه حتى ولو لم يقل الأمين شوي شيئًا عن مؤهلات انضمامه إلى عصبة الشبيبة، فلا بد من أن أمين فرع الشبيبة بالورشة قد تأثّر

بالأمين شوي بتعليمات من أمين فرع الحزب بالورشة، فتعقّدت مشاعر سونغ يون هوي تجاه الأمين شوي.

عندما علم بمشاركته في هذا الاجتماع، نبّهه شيون جيان شيانغ بأن يرتدي أفضل ملابس لديه، وقال إن هذا الاجتماع الذي يُعقد خارج منطقة العمل هو موعد مُدبَّر بشكلٍ أو بآخر، ولو ارتدى أفضل ملابس لديه سيمكنه الحصول على حبيبة، وهذه أفضل فرصة. فكّر سونغ يون هوي في أنه لن يهتم حتى ولو أراد ذلك، فمنذ دخوله إلى المصنع قبل ما يقرب من ستة أشهر، كان ذهنه كله منصبًّا تمامًا على العمل، ولم يكُن لديه حتى نية للذهاب وشراء بعض الأقمشة لصنع ملابس جميلة، لذلك ارتدى السترة القطنية المبطّنة الخاصة بالعمل وذهب لحضور الاجتماع. بمجرد دخوله إلى السينما التي استُخدمت كقاعة للاجتماعات، رأى أمرًا لا يصدّق، إذ رأى الشباب والشابات يتنافسون في الأناقة تحت الأضواء الساطعة، حتى إن ياقة معاطف الرفيقات الرمادية كانت مغطاة بوشاح من الحرير الزجاجي المطعّم بالخيوط الذهبية والفضية. يبدو أنه هو الوحيد الذي أتى بملابس العمل، ولحسن الحظ أنه لم يكُن يهتم كثيرًا بالتأنّق والتزيُّن، إذ كان يشعر أنها بهرجة عديمة الفائدة.

حضر يوي شان تشينغ أيضًا الاجتماع باعتباره ممثل أعضاء الشبيبة بقسم التكنولوجيا الحيوية، وكان يرتدي معطفًا رماديًا نصف طوله، وبنطالاً أسودَ مستقيمًا، وحذاءً جلديًا أسودَ لامعًا، وياقة قميص بيضاء كالثلج أسفل المعطف، غير واضح ما إذا كان قميصًا حقيقيًا أم ياقة مزيفة، وشعره مقصوص حديثًا، وسوالفه بدأ

يغزوها الشيب، ووجهه مغسول ونظيف، ولحيته محلوقة ونظيفة، وجسمه بالكامل ممشوق ومستقيم، فبدا الفرق بينهما شديدًا بعد جلوسه بجانبه. وقد عملت مكانة يوي شان تشينغ ككادر في قسم التكنولوجيا الحيوية ومكتب التصحيح الشامل، بالإضافة إلى مظهره المتميز النظيف، على جذب نظرات عدد لا يُحصى من الفتيات.

كان يوي شان تشينغ أكبر كثيرًا من سونغ يون هوي، لذا كان يعرف بالطبع مدى سحره الخاص، فجلس على الكرسي وأخذ يهندم مظهره. ولكن سونغ يون هوي كان مفتقدًا للمهارات التقنية في هذا الجانب، فلم يكُن يعرف سوى التعامل مع المواقف على أرض الواقع، وعند اقتراب أعين الفتيات، كانت عيناه تنظران بعيدًا، فلم يلفت انتباهه الكثير.

مع بدء التحدُّث بالأعلى، بدأت الدردشة بالأسفل. سأل يوي شان تشينغ سونغ يون هوي بخفة: «لقد مرّ ما يقرب من ستّة أشهر، ما شعورك؟».

«مرهق، أكثر إرهاقًا من أيام الدراسة. وأنت؟».

«شعوري الوحيد هو أنّني لم يكُن عليّ حقًا أن أستبدل معك، منذ البداية، مكتب التصحيح الشامل بالوظيفة، فبعد استدعاء الأمين شوي لموظفي مكتب التصحيح الشامل وتوبيخهم في مكتبك، أصيب المكتب بالشلل منذ ذلك الحين، فإذا فعل شيئًا كان الأمين يوبّخه، وإذا لم يفعل شيئًا كان الأمين يوبّخه أيضًا».

«ولكنه يظل أفضل من نظام العمل بالمناوبات الثلاث».

«العمل بنظام الورديات مختلف من شخص لآخر؛ فمثلك، من يملك من يدعمه من الأعلى، ينزل إلى القاعدة لبضعة أيام في مسار منحنٍ، ثم يصعد ومعه رأسمال يُحسب له».

«ليس لدي أي دعم، فأنا لست من أبناء العاملين بالمصنع. قبل بضعة أيام قال أحدهم إنك وجدت صديقة من أبناء العاملين بالمصنع، وهي ابنة ذلك...».

فردّ يوي شان تشينغ وهو غير موافق تمامًا: «ومن يمكن لابنته أن تُقارن بعلاقتك بالأمين شوي؟».

«أنا؟ لعلّك أسأت الفهم؟».

فرمق يوي شان تشينغ سونغ يون هوي بنظرة عدم رضا وقال: «أليس هذا إنكارًا غير معقول مطلقًا؟ ومن لا يعرف الآن أنك سليل مباشر للأمين شوي؟ وإلا لماذا توقّف عملنا بعدما وبّخنا الأمين شوي في مكتبك؟ كان جدول تقسيم العمل الذي رسمته مدروسًا حقًا ومتّفقًا تمامًا مع توبيخ الأمين شوي».

لم يسع سونغ يون هوي سوى أن يتنهّد، وصمت عاجزًا عن الكلام لهنيهة، لعلهم أساؤوا فهم جدول تقسيم العمل الخاص به وظّنوا أنه بمثابة أداة مصنوعة بعناية بالاتّفاق مع الأمين شوي؟ وأراد بشدة أن يسأله: «هل يقول الجميع هذا حقًا؟» ولكنه لم يستطع أن يسأل، وفي لمح البصر فكّر في أنه لا بد من ظنّ الجميع لهذا أيضًا، فمنذ دخوله إلى المصنع، رُبط اسمُه بالأمين شوي، وكانت آثار أقدامه طوال الطريق تحمل توجيهات وإرشادات الأمين شوي، وعلى الرغم من أنه يشمئز تمامًا من الأمين شوي،

ويحاول الاحتفاظ بمسافة بينهما، فإنه من المستحيل أن ينكر أثر الأمين شوي الذي لا يمكن تجنُّبه في حياته سواء كان واضحًا أو خفيًا. كان من المستحيل أن يخدع نفسه ويخدع الآخرين، فالجميع يرونه، وحتى لو لم يكن جدول تقسيم العمل بالاتّفاق مع الأمين شوي، فإنه ما زال غير قادر على الاستفادة من الوضع والتصرُّف كالابن المطيع. فبالنسبة له، وبالنسبة للآخرين، هذا كله أمر واقع. كان من المستحيل أن يفسِّر له عدم وجود أي علاقة بين جدول تقسيم العمل والأمين شوي، فاكتفى بالردّ قائلاً: «لم أكُن أتوقّع حقًا أنني صرت الفتيل وراء تعرُّضك للتوبيخ».

نظر يوي شان تشينغ بثبات لسونغ يون هوي، ثم قال: «إنني في صراع الآن، فإذا واصلت البقاء في مكتب التصحيح الشامل، وصرت قائدًا لأحد الأجهزة، سيكون الوضع مجرّد بهرجة زائفة، ولن يكون لي مستقبل. أمّا إذا نزلت إلى المستوى الأساسي مثلك، فأنا مختلف عنك في النهاية؛ إذ يمكنك أن تستهلك من عمرك، ولكنّي لا يمكنني ذلك. كما أنني إذا نزلت إلى المستوى الأساسي الآن، فلن تسير الأمور بسهولة من البداية، يمكنك توقُّع الكثير من التكهُّنات. ولكن مكتب التصحيح الشامل صار الآن في قلب العاصفة، وأصبح العاملون أكثر ذُعرًا. لو كنت مكاني هل ستظل لديك نية الحصول على حبيبة يا سونغ الصغير؟».

فكّر سونغ يون هوي في أنه ما دام هناك كل هذا الصراع، فلماذا التردد إذًا، ليقفز خارجًا ويفعل أي شيء عملي، فالمستقبل طويل أمامه، وليستخدم الحقائق في توضيح المسائل. ولكنه لمّا فكّر ثانية أدرك أن يوي شان تشينغ في الثلاثينيات من عمره،

فالمستقبل ليس طويلاً أمامه، لذا لم يسعه سوى مواساته قائلاً: «لا يمكن لفوضى مكتب التصحيح الشامل أن تستمر إلى الأبد، فهناك لوائح في الدولة لعدد سنوات التصحيح الشامل».

نظر يوي شان تشينغ بثبات مرة أخرى لسونغ يون هوي وقال: «أنت شاب، وهذا جيد أيضًا، فطريقة تفكيرك ليست معقّدة، والآخرون يعتقدون أيضًا أن طريقة تفكيرك ليست معقدة، وبالتالي يمكنهم تربيتك وتشكيلك، ولن يلقوا باللوم عليك إذا ما وقع أمر ما. ولكننا مختلفون، فنحن جزء حساس من عملية صياغة السياسات، عندما يتغيّر الإمبراطور يتغير الوزراء القدامى، وهذه الأمور من السهل أن تحدث لنا. انظر إلى الوضع الحالي، فجميع العاملين بمكتب التصحيح الشامل يخططون لتغيير المسارات».

«صحيح، لا تحدث مثل هذه الأمور في المستوى الأساسي، ولو لم تتحدث معي اليوم عن جدول تقسيم العمل، لما كنت قد عرفت بهذا». رأى سونغ يون هوي أن الصراعات تحدث داخل المكاتب، في حين أن العاملين بالمستوى الأساسي يكتفون بمشاهدتهم بمرح.

«لم نعُد في عصر تجنيد جميع الشعب، لو تم اختيارك كخصم، عليك أن ترى ما إذا كنت مؤهلاً... صحيح، إنك شاب، أنت محصّن بشكل طبيعي». نظر يوي شان تشينغ إلى سونغ يون هوي، فرآه غير مهتم بالمرة، ومن ثم واصل حديثه: «سيحلّ عيد الربيع بعد شهر، لنذهب معًا في وقت فراغك إلى منزل الأمين شوي لتهنئته بحلول العام الجديد يا سونغ الصغير».

فكّر سونغ يون هوي في أنه لا عجب من تحدُّث يوي شان تشينغ طويلاً هكذا، إذ كان يريد الوصول إلى هذه الجملة الأخيرة. كان أصلاً لديه مقترح جاهز، كان يريد الاقتراح على يوي شان تشينغ بتقديم طلب الانضمام إلى الحزب للتعبير عن موقفه تجاه الأمين شوي، ولكنه شعر بأن يوي شان تشينغ إنسان وصولي، وهو يخاف قليلاً من هذا النوع من الأشخاص، فخبرته السابقة تخبره أن هذا النوع من الأشخاص غالبًا ما يتسلق إلى الأعلى على أكتاف الآخرين، وهو لا يرغب في أن يكون نسخة ثانية من والده، فابتسم قليلاً، ثم تظاهر بالضعف وقال: «أنا لا أجرؤ على الذهاب إلى منزل الأمين شوي».

كان يوي شان تشينغ أصلاً يرغب في ركوب قارب سونغ يون هوي الحديث العهد بالثراء والذي يسير مع الريح، ولكنه لم يكُن يتوقّع أن هذا الحديث العهد بالثراء هو مجرد شاب لا يفهم؛ لا، بل لا يعرف كيف يكون إنسانًا، فبعدما قال مثل هذا الكلام الطفولي، لم يعرف حقًا أيضحك أم يبكي، كيف لا يمكن ألّا يفوز سوى الحمقى في هذا العالم؟ لا فائدة من الكلام، لذا تكاسل يوي شان تشينغ عن قول شيء آخر، واستمر في النظر إلى من حوله.

لم يقل سونغ يون هوي شيئًا أيضًا، واستمع بعدم تركيز للتقرير الذي يلقيه أحدهم أعلى المنصّة. كان الأمين شوي جالسًا على المنصّة أيضًا، وقد بدا نحيفًا وأنيقًا كما هو، ولكن شكل الجسم لا يمكنه أن يبيّن أي مشكلة، فعلى كل حال كان الأمين شوي محطّ الأنظار أينما جلس. نظر سونغ يون هوي إلى الأمين شوي وفكّر، أحقًا يُعترف به كرجل الأمين شوي؟

بعد عودته إلى الغرفة، سأل سونغ يون هوي شيون جيان شيانغ بشأن هذا، فأجابه بأن الرفاق جميعهم يقولون هذا أيضًا، ولكن عندما رأى أن سونغ يون هوي ليس ممن يلتصق بذوي السلطة، قال إنه قد شرح من قبل أن الطالب الجامعي زميله في السكن يعتمد على قدرته فقط في كسب لقمة العيش، وأنه يتعب كثيرًا في عمله، فهو أحمق جدًا، ولكن الآخرين جميعًا قالوا إنه -وبدون الدعم- لا يمكن للمرء النجاح حتى ولو أجهد نفسه في العمل لدرجة الموت، وأن شيون جيان شيانغ لم يرَ الحقيقة وتم خداعه من قِبَل هذا الطالب الجامعي. وفي النهاية اختتم شيون جيان شيانغ كلامه بابتسامة مرحة وقال، إذا قلت إنك هكذا، فأنت فعلًا كذلك، وإذا لم تقل، فأنت لست هكذا، ولكنك لن تستطيع أن تغتسل من ذلك حتى ولو قفزت في النهر الأصفر، ربما عليك أن تكون ما يُقال عليك، ولتقبله، وإذا قبلته فسيمكنك أن تصير قائدًا صغيرًا مبكرًا، وتنقذ إخوتك من بحر الشقاء.

ضحك سونغ يون هوي ساخرًا عند سماعه لهذا، إذ أدرك أن الأمور لا تسير كما يريد المرء، فهو لا يريد الالتصاق بذوي السلطة، وإنما يريد فقط إنجاز الأمور بشكل جيد وإحراز تقدُّم بالاعتماد على قوته، حسنًا، فهو طموح، ولكنه يريد فقط أن يعمل بجد ويصقل مهاراته بالاعتماد على ذاته فقط، وأن يحقق طموحه بالاعتماد على قوّته، بدلاً من استغلال الفرص والقيام بالأعمال الملتوية وتشكيل العصابات. ولكنّه لم يتوقّع ألّا يصدّقه الآخرون. فقال لشيون جيان شيانغ، ما زلت أقول لك هاتين الكلمتين، الأيام بيننا. وعلى الفور وبّخه شيون جيان شيانغ، وأخبره ألّا يكون

أحمقَ، فلماذا لا يصعد السلم الجاهز بدلاً من انتظار أحد ليركع أمامه ويدعوه للصعود؟ من سيكون أحمقَ لهذه الدرجة حتى يظنّ أن سونغ يون هوي عاطل متكاسل؟ بدا كلام شيون جيان شيانغ معقولاً لسونغ يون هوي، ولكنه لم يستطع التغلّب أيضًا على ذلك الحاجز الموجود في قلبه. ولذلك وبّخه شيون جيان شيانغ مرة أخرى، على أنهما لم يكُن بقلبيهما أي ضغينة، لذا لم يجرح التوبيخ أيًا منهما.

وبعد القليل من التوبيخ، هدأت الأجواء، وظهرت فجأة ستّتاه الأماميتان من شفته السفلية، وقال لسونغ يون هوي ضاحكًا كالأرنب: «لتفرغ لي ساعة من وقتك بعد الطعام، سآخذك لمقابلة شخص ما».

«من؟» شعر سونغ يون هوي بأن شيون جيان شيانغ غريب جدًا اليوم، وسأل: «رجل أم امرأة؟». فابتسم شيون جيان شيانغ ابتسامة عريضة، وأصرّ على عدم الإجابة، وتناول الطعام وهو يصدر صوتًا، ثم أمسك بسونغ يون هوي وألقاه على المقعد الخلفي للدراجة كالحمولة، واندفع مسرعًا إلى المدينة. وفي منتصف الطريق اعترف على مضض وقال، «فتاة، تُدعى تشانغ شو هوا، أتت مؤخرًا لتعمل في مطعم نيابة عن والدتها، ولو ذهبنا متأخرين سيكون المطعم مغلقًا. أيها الطالب الجامعي، لتساعدني في تقديم المشورة، كيف يمكنني الإيقاع بها».

فانفجر سونغ يون هوي ضاحكًا في الخلف، ولكن بعدما ضحك التزم ببعض الجدّية وأخبره صراحة: «أنا أقل خبرة في

ذلك». فردّ شيون جيان شيانغ: «وجود اثنين أفضل من واحد. كما أن والدتها قد دسّت لها أعينًا في المطعم، ولن تسمح لي برؤيتها، وكأنها تقلق من شيء ما، لن يحدث شيء لو ذهبت أنت لرؤيتها، بل سترغب والدتها بشدة في تزويجها لك، يكفي أن تساعدني في أخذها الليلة والهروب بعيدًا عن أعين والدتها».

«حسنًا، كيف أخبرها، ألديكما كلمة سر؟» قَبِل سونغ يون هوي المخاطرة من أجل صديقه.

«كلمة سر؟ لا... سأشير لك عليها من بعيد، ولتدخل أنت وتعرّفها بنفسك فقط، لقد أخبرتها عنك كثيرًا. بعد ذلك، فلتساعدني في الانتظار داخل المطعم حتى تنهي دوامها وتحضرها إليّ، ولتدع البقية لي».

«أيمكن هذا؟ ألن تقتلنا والدتها؟».

«في الواقع، هذا يعتمد على حظك. حسنًا، من أجل أخوتنا، عليك أن تُخرِجها حتى ولو فقدت ماء وجهك، لا تدري مدى رغبتي في رؤيتها، ولو لم أرَها ثانية...» لم يقل شيون جيان شيانغ ماذا سيحدث لو لم يرَها ثانية، ولكنه أسرع بالدراجة وكأنه يطير من شدة التأثُّر.

لم يرَ سونغ يون هوي أي فتاة تجعله يتأثّر من قبل، لذا لم يستطع التعاطف تمامًا مع تأثُّر شيون جيان شيانغ، ولكنه بالتأكيد سيساعده.

انفتح باب المطعم في اتّجاه الطريق، ولكن شيون جيان شيانغ لم يجرؤ على الاقتراب، وإنما أشار من بعيد إلى فتاة تجلس داخل

صالة مطعم مظلم مقابل للطريق، وأخبره أن تلك هي تشانغ شو هوا، فعقد سونغ يون هوي العزم على عبور الطريق لمساعدة شيوي جيان شيانغ في إتمام هذه المهمة. دخل المطعم وبحث عن تشانغ شو هوا، ثم أخبرها هامسًا من هو، ومن طلب منه المجيء، ومن ينتظر في الخارج. فأسرعت تشانغ شو هوا بترتيب مقعد لسونغ يون هوي للجلوس في الزاوية، وطلبت منه الانتظار حتى الساعة السابعة والنصف، ولو لم تظهر والدتها حتى هذا الوقت، فسيمكنها الذهاب بحرية معه. وبعدما قالت هذا قفزت بعيدًا فرِحة. نظر سونغ يون هوي إلى تشانغ شو هوا وشعر أنها تبدو كالعصفورة الصغيرة، إذ كانت نحيلة الجسم ومستديرة الأعين وحادة الفم، وبدا مظهرها عصريًا جدًا، وكان شعرها قصيرًا مجعّدًا بالمكواة، وكانت خصلات شعرها تتطاير في كل مكان برأسها، شخص صغير مثلها يمكن لشيون جيان شيانغ أن يحمله بإصبع واحد، ولا يدري كيف أُعجب الاثنان ببعضهما.

ولكن قبل حتى أن يستريح سونغ يون هوي في مقعده، وبالطبع قبل أن يأخذ رشفة واحدة من الشاي الذي أحضرته تشانغ شو هوا، ظهرت سيدة سمينة بجانبه، وسألته أسئلة كما لو كانت تتحقق من أصله وفصله، فلم يخبرها إلا عن اسمه ولمن أتى، وبقية الأسئلة كان يكتفي بالابتسامة ولا يجيبها، كان مهذّبًا حقًا، ولكن لم تستطع سكاكين الأسئلة أن تخترقه. لذا لم تستطع السيدة السمينة أن تفعل له شيئًا، وغادرت. ولكن بعد قليل، أتت سيدة أخرى أقل سِمنة، وبمجرد وصولها عرف أنها والدة تشانغ شو هوا، في حين كانت تشانغ شو هوا تقف بعيدًا وهي تغمز له من شدة التوتّر. وقف

سونغ يون هوي واستقبلها بأدب، ودعاها للجلوس وكأنه صاحب المطعم، واسترق النظر بعيدًا، فوجد أن شيون جيان شيانغ الواقف على الطريق المقابل لم يعُد له أثر بالفعل.

حان دور والدة تشانغ شو هوا في التحقق من أصله وفصله. ظلّ سونغ يون هوي يجيب بأدب، وأخبرها باسمه ومحل ميلاده وقوميته ومؤهله الدراسي، وبعد ذلك، عندما سألته مرة أخرى، سألها ما إذا كان بإمكانه مواعدتها لفترة ليتعرّفا على بعضهما ثم تسأله فيما بعد، وهذه هي المسؤولية والاحترام تجاه بعضهما البعض. صُدمت والدة تشانغ شو هوا حتى النخاع من منطق سونغ يون هوي، وعندما رأت أيضًا نظرة العلماء الجادة على وجهه، لم تستطع أن تستلطفه، فحاولت إيجاد شيءٍ لتقوله، وأصرّت على التحدُّث عن تعليم ابنتها في المنزل، ومدى صرامتها في رعاية ابنتها، حتى لا يفكّر أولئك المشاغبون المشرّدون في الاقتراب منها. وقد بدا أن من تقصده والدة تشانغ بالمشاغبين المشرّدين هو شيون جيان شيانغ. فسألها سونغ يون هوي ما إذا كان بإمكانه اصطحاب ابنتها في نزهة لنصف ساعة بعد انتهاء الدوام، فوافقت.

ولكن ما لم يتوقّعه الشباب الثلاثة هو أنه على الرغم من موافقة والدة تشانغ على هذا، فإنّها ظلّت تتتبّع سونغ يون هوي وتشانغ شو هوا من بعيد، لذا لم يستطع شيون جيان شيانغ تغيير الاتّفاق في منتصف الطريق. وبعد السير لنصف ساعة في الطقس البارد، اضطر سونغ يون هوي إلى تسليم الابنة إلى يدي والدتها بلا حول ولا قوة.

لم يسع سونغ يون هوي سوى الابتسام عندما أدار رأسه ونظر إلى شيون جيان شيانغ المغتم، وبمجرد أن أخبره عمّا حدث، استشاط شيون جيان شيانغ غضبًا لدرجة أنه قلب صفًّا من الدراجات المصطفة عند مدخل الحديقة بركلة واحدة من قدمه. وفي رحلة العودة، كان سونغ يون هوي يقود الدراجة يشيوي جيان شيانغ المُحبَط. وقد طلب منه سونغ يون هوي أن يحلق سوالفه، ويرتدي ملابس مهندمة، ويشتري بعض السراويل الفضفاضة قليلاً، وسيكون الأمر جيدًا حتى ولو اكتفى بارتداء ملابس العمل مثله، ولكن شيوي جيان شيانغ لم يوافق، أيمكن لرجل بمعنى الكلمة مثله أن يقلل من قيمته هكذا، ألن يسخر الآخرون منه؟ ومن هو، إنه شيون جيان شيانغ الأشهر من النار على العلم في مصنع جينتشو بأكمله.

لكن في اليوم التالي، ذهب شيون جيان شيانغ بنفسه إلى المطعم، ولكن دون جدوى، وفي نهار المناوبة الوُسطى من اليوم الثالث، قصّ شعره سرًا، وظل يضع خوذة الأمان ورفض أن يقلعها خوفًا من سخرية الآخرين منه. ولكن سونغ يون هوي لاحظ ذلك، وسأله عن الأمر، فعرف أنه قصّ شعره ولكن قصة الشعر لم تكُن ناجحة، وبعد شهر واحد، نما شعره مرة أخرى وعاد إلى شكله القديم، لكنه كان شاعرًا بالاكتئاب الشديد. فأراد سونغ يون هوي الذهاب إلى والدة تشانغ شو هوا والتحدُّث معها، ولكن شيوي جيان شيانغ منعه، إذ إن تشانغ شو هوا لم تكن تريده أيضًا. تعاطف سونغ يون هوي مع شعوه بالظلم، لذا لم يقُل شيئًا، فقد انتهى الأمر، وهي ليست آخر فتاة في العالم. فخرج واشترى لحم الخنزير

والفول السوداني، وذهب إلى متجر صغير واشترى زجاجتين من النبيذ الأبيض على غير عادته، ليحتسي الشراب برفقة شيون جيان شيانغ. لم يكُن يمكنه احتساء الشراب، ولكنه أصرّ على المخاطرة لمساندة صديقه، وهو لا يعرف كيف سيكون الوضع بعد الشراب، وبعدما استيقظ في اليوم التالي، وجد بقعة زرقاء تميل إلى الأسود على عظمة وجنته. فسأل شيون جيان شيانغ ما إذا كان قد تشاجر بعدما ثمل الليلة الماضية، ولكنه أخبره أن هذا المقدار القليل من النبيذ ليس شيئًا بالنسبة له، وإنما سونغ يون هوي هو الذي ارتطم بنفسه.

ظلا على حالهما بعد ذلك، ولكنهما عرفا أن هناك شيئًا ما قد تغيّر في قلبيهما، فقد كانا صديقين من قبل، ولكنهما الآن صارا أخوين.

وعلى الجانب الآخر، قرر يوي شان تشينغ تحقيق نصر سريع، فتقدّم بطلب الانضمام إلى الحزب بعد اجتماع عصبة الشبيبة، وسرعان ما اختار فتاة ليلاحقها، وهي ابنة تشنغ مدير فرع صيانة الآلات الذي كان على علاقة جيدة بالأمين شوي.

2

أتى عيد الربيع وسط صيحات النساء «تخفيضات تخفيضات». وقد أهدت الحكومة المركزية هدية العام الجديد للشعب كله، إذ خفّضت أسعار منتجات الألياف الصناعية في جميع أنحاء البلاد. لم يصدّق الكثيرون حقًا وجود أمور جيدة كهذه في هذا العالم،

ولكن لم تدع المتاجر أي مجال للشك بعدما كتبت الأسعار بوضوح. كان الجميع قلقين من أن تكون هذه مجرّد جلبة تظهر قليلاً ثم تختفي، ولذلك فباستثناء إبقاء بعض المال لشراء سلع العام الجديد بالقسائم، سارعوا باستبدال أقمشة ملونة من الألياف الصناعية بقسائم الأقمشة القليلة في المنزل، وحفظها ملفوفة في الخزانات. اشترت سونغ يون بينغ الكثير منها أيضًا، إذ كانت تولي المزيد من الاهتمام لمستلزمات الأطفال، وأسرعت بشراء الكثير من السلع المخفّضة كالجوارب الصوفية الصغيرة الملوّنة، ولكنها اكتشفت أن القماش القطني المستخدم في صناعة الأشكال السداسية الصغيرة قد ارتفع سعره، تلك الأشكال التي يحتاجها الأطفال بشكل أكبر.

ولذلك، كانت سونغ يون بينغ مشغولة جدًا بأعمال الحياكة التي لا تنتهي عند مقابلة عائلتها في عيد الربيع، فبعد يوم من عودتها إلى منزل والديها، قامت هي ووالدتها بحياكة سروال مفتوح من الأسفل باللون الأحمر الزاهي للمولود من الخيوط الصناعية، وقد بدا السروال صغيرًا بشكل لطيف، حتى إن لي دونغ باو الذي يستعد لأن يكون أبًا أخذ يداعبه بإصبعيه الغليظتين، فضحكت العائلة كلها. صارت بطن سونغ يون بينغ بارزة بالفعل، وأصبح مزاجها أفضل كثيرًا الآن، ولكنها صارت أكثر حذرًا وخوفًا من حدوث شيء يؤذي الطفل الذي في بطنها. كان لي دونغ باو قلقًا مثلها بشأن ابنه الذي سيولد قريبًا، فعند خروج سونغ يون بينغ من المنزل، كان يتمنى أن يوظّف شخصًا يطلق جرس التنبيه ويفتح الطريق أمامها.

على الرغم من انشغال سونغ يون بينغ بابنها تمامًا، فإنها لم تنسَ أيضًا شقيقها الذي سيأتي لقضاء عيد الربيع في المنزل، لذا طلبت من شخص ما إحضار بعض الروايات التي اشترتها مؤخرًا إلى منزل والديها، خوفًا من شعور شقيقها بالوحدة بعد عودته. وكانت النتيجة أنها عندما ذهبت للقائه، سمعت والديها يتناقشان مع شقيقها بشأن رواية «لي تسي تشنغ»[1] قائلين إنه كان من الأفضل كتابة جبل جيانغقانغ مباشرة بدلاً من كلمة جبل جيوقونغ المكتوبة في الرواية، ومن الأفضل أيضًا كتابة لقاء الثُّوَّار بجبل جيانغقانغ بدلاً من كلمة اللقاء بين لي تسي تشنغ وتشانغ شيان تشيونغ، ما جعلها تشعر بقليل من الارتباك. وقد ضمّت هذه الروايات أيضًا «ربيع في الشتاء» و«أكاليل زهور على سفح الجبل» و«بلدة الكركديه» و«أجنحة ثقيلة»، وجميعها كانت سونغ يون بينغ قد اشترتها واحدة تلو الأخرى عندما ذهبت إلى المحافظة لشراء كتب الأطفال، ولكنها كانت مشغولة جدًا مؤخرًا، لذا لم يكُن لديها أي وقت لقراءتها، والوقت الذي استطاعت توفيره أمضته في تغليف كل كتاب منهم بصور التهنئة بالعام الجديد. ولذلك فقد شعرت بقليل من الخجل عندما سمعت ما يناقشه والداها مع شقيقها اليوم.

بعد عودتها إلى المنزل، تحدّثت مع لي دونغ باو بشأن هذا، ولكنها لم تتوقّع أن يخبرها زوجها أنه من الممكن تقليل عدد مرات كنس أرضية المنزل، وتقليل عدد مرات طبخ الخضروات،

(1) شخصية بارزة في التاريخ الصيني، وزعيم شعبي أطاح بأسرة مينغ في القرن السابع عشر.

ولكن لا يمكن أن يفقد المرء ثقافته، ولا يمكن قضاء الوقت كله في القيام بالأعمال المنزلية. على الرغم من كونه رجلاً قاسيًا، فقد كان يقدّر نوعية الأشخاص كالأمين شوي وشقيق زوجته، لم يكُن هو نفسه ناجحًا، ولم يكُن يتمتّع بموهبة الدراسة، ولكنه كان يتمنى ألّا ينسى من لديهم تلك الموهبة أن يتمتّعوا بالدراسة، وقد قال هذا أيضًا للي شي قن وشي هونغ وي، فهو لن يفرح إذا ما رأى زوجته المثقفة تتحوّل إلى فتاة جِلفة. وقد دفع هذا الكلام سونغ يون بينغ إلى التفكير طوال اليوم، ثم أخبرته أنه وعلى الرغم من أن ثقافة زوجها ليست عالية، فإن خبرته في معرفة الناس هي أيضًا موهبة. وعلى الرغم من كون لي دونغ باو محصّنًا ضد الضربات، لكن أكثر ما كان يستمتع به هو مدح زوجته، ولذلك ضيّق عينيه وظلّ سعيدًا لفترة بعدما مدحته زوجته وكأنه قد شرب نبيذًا معتّقًا.

كانت سونغ يون بينغ شخصًا يلتزم بكلمته أيضًا، فبعدما فكّرت في الأمر، رتّبت وقتها بعقلانية، فتمسكت ببعض الأمور وتخلت عن أمورٍ أخرى، وعادت قليلاً إلى نمط الحياة الذي كانت تعيشه وقت الزواج حديثًا. كانت تقرأ، وما إن تقرأ شيئًا مثيرًا حتى تُمسك بلي دونغ باو وتشرحه له، وعلى الرغم من أنه كان يدخله من أُذن ويخرجه من الأُذن الأخرى، فقد كان معجبًا بالأمر، معجبًا بهذا التغيير في نمط الحياة، حتى إنه كان مُعجبًا بدعابات زوجته غير المؤذية بشأن الأمور التي لم يفهمها. كما كان مُعجبًا بالشتلات التي تشبه براعم الفاصوليا التي كانت تزرعها زوجته فيما يقرب من عشرة أواني زهور بمجرّد أن أدفأ الطقس، لذلك كان يساعدها بإيجابية، فكان صباحًا قبل خروجه يساعد زوجته التي لم تكُن

تتحرك بسهولة في إخراج أواني الزهور ليعرّضها للشمس، ومساءً عند عودته يُدخِل الشتلات الرقيقة إلى المنزل لحمايتها من هجمات التيار البارد. كان أكثر ما رآه في حياته هن الرفيقات اللواتي تشبهن جامعات الحطب، ولكنه أحب زوجته التي تتحدّث بهدوء ولطف، ذات البشرة البيضاء النقية، والتي لا تستطيع القيام بالأعمال الزراعية الثقيلة، ولكنها جيدة في القراءة وواسعة المعرفة. والآن بعدما صار غنيًّا، أصبح يتمنّى لو يحبس زوجته بين يديه، فهي رقيقة، وهو رجل بمعنى الكلمة. في العام الماضي شعر بالفخر عند سماعه للأمين شوي وهو يمتدح زوجته ويقول إن طباعها أفضل منه، كما أنه لا يلتفت حتى لتلك التعليقات التي يقولها أهل القرية بشأن زوجته وأنها لا تستطيع القيام بالأعمال الزراعية ولا تحمُّل المشقّة.

جاء الربيع، وأصبح جسم زوجته أثقل وأثقل، وقد أخذ العديد ممن يرون بطنها يستديرون مباشرة لتهنئة لي دونغ باو، ويقولون إن المولود الذي في بطن زوجة الأمين هو ولد بالتأكيد. كان لي دونغ باو يتطلّع كثيرًا لمجيء ذلك اليوم، وهكذا سونغ يون بينغ أيضًا، فعند عودته إلى المنزل بعد يوم حافل، كان كلاهما في كثير من الأحيان يتعانقان وكأنهما متزوّجان حديثًا، ويتطلّعان إلى ذلك اليوم الذي يولد فيه الطفل، ثم يشيران إلى شتلات الزهور التي تم إدخالها للتوّ ويقولان إنه عند ولادة الطفل ستتفتح بعض الزهور لترحّب بحضوره، ومن يدري فقد يكون الطفل بإمكانه نداء بابا وماما وقت إثمار تلك الزهور. ولكن مما لا شك فيه أنه سيكون بإمكانه بالتأكيد القفز والضحك في موسم تفتّح الزهور العام

القادم. كان أكثر ما يحبّه لي دونغ باو أيضًا أن يُخرج تلك الملابس الصغيرة بشكل لا يوصف والتي صنعتها زوجته لينشرها على السرير ويلعب بها ضاحكًا، ولا يضعها في الصندوق إلا قبل النوم مباشرة. ذلك الصندوق الذي كان قد اختار له خشب كافور جيد، وطلب خصيصًا من أفضل نجار في الفرقة، والذي كان يعمل معه، أن يصنعه بدقة، فكان ذكيًا جدًا، وبعدما صنع الصندوق من خشب الكافور، أحضر مكواة لحام وصنع صورة على سطح الصندوق، وكانت الصورة لصبي سمين يركب سمكة شبوط ويحمل زهرة لوتس. وصارت كل ملابس الطفل الصغيرة توضع في ذلك الصندوق الجميل المصنوع من خشب الكافور.

3

دائمًا ما كان لي دونغ باو يضحك سعيدًا داخل المنزل، في حين كان يواجه المتاعب خارجه. كان الأمين شوي قد عاد إلى بكين قبل رأس السنة بالفعل، وقد فعل للي دونغ باو الكثير بنفسه قبل عودته، إذ أُختير العامل النموذجي على مستوى المقاطعة لعام 1982، كما أُختير أيضًا نائبًا بمجلس نواب البلدية، حتى صار من الصعب تغيير نمط افتخار المحافظة كلها بفرقة شياوليجيا. بالطبع، اتّبع لي دونغ باو تعليمات الأمين شوي، واهتمّ بـ «إقامة صداقة» مع تشن بينغ يوان، وفي الوقت ذاته استمر في إضافة بريق لإنجازات تشن بينغ يوان السياسية. ولكنه شعر بفراغ داخلي بمجرد مغادرة الأمين شوي، وكأنه افتقر فجأة إلى الدعم، فعلى الرغم من أن

الأمين شوي لم يفعل الكثير لمساعدته من قبل، فإنه دائمًا ما كان يشعر بأن الأمور لن تتغير ما دام الأمين شوي بجانبه.

ذلك بالإضافة إلى أنه بعد انتهاء مشروع مبنى سكني للموظّفين والذي نفّذه العام الماضي لمصنع الأسلاك والكابلات الكهربائية التابع للبلدية، أسرع أولئك الموظّفون بالانتقال إلى الغرف التي لم تكُن قد جفّت بعد، ولم يتمكّن من تحصيل رسوم العقد وتكلفة الحديد المُسلَّح والأسمنت والخرسانة الجاهزة والطوب والطين المأخوذة من فرقة شياوليجيا. وكان مدير المصنع قد تناقش مع لي دونغ باو بشأن قضاء الموظّفين لعطلة العام الجديد أولاً، وحتى لو لم يدفع أجورهم بعد العطلة، فسيذهب إلى المكتب الثاني للصناعات الخفيفة الذي كان بمثابة «صهر» لمصنعهم ليتقدّم بطلب للحصول على قرض بنكي ويدفع ما عليه. ولكن لي دونغ باو ليس أسود القلب كهوانغ شي رن[1]، ففكّر أنه من المستحيل أن يمنع الآخرين من قضاء عطلة العام الجديد، كما أنه كان يثق أيضًا في مصداقية جهات العمل المملوكة للدولة، ففي النهاية كل هذه الأمور تخضع لسيطرة الدولة ولا داعي للقلق بشأن السداد. ولكنه لم يتوقّع أنه عند إرساله أشخاصًا لطلب المال بعد قضاء العطلة، سيظلّ مدير المصنع يتجنّب رؤيتهم، بل وسيأخذ أولئك الموظّفون الذين سكنوا الغرف الجديدة في طرد الأشخاص القادمين لتحصيل الديون.

---

(1) شخصية شهيرة في الأدب والمسرح الصيني، تحديدًا في الدراما الثورية/ الاشتراكية، ويُستخدم اسمه غالبًا للإشارة إلى الظلم الطبقي والاستغلال.

عرض لي دونغ باو الأمر على المؤسسات الأعلى، وذهب لعرض الأمر أيضًا على المكتب الثاني للصناعات الخفيفة الذي بمثابة صهر لمصنع الأسلاك الكهربائية، ولكن القائد بالمؤسسة الأعلى أخبره أن مصنع الأسلاك الكهربائية في الحقيقة ليس لديه أموال، فهل سيجني على المدير بسبب ذلك؟ انسحب لي دونغ باو من هذا العمل، فبدون أموال كيف يبنون الغرف، وبدون أموال كيف يسكنون الغرف! أليس هذا احتيالاً على أموال فرقة شياوليجيا لمصلحتهم الشخصية؟ استشاط لي دونغ غضبًا، ودعا عددًا من المسنّين والمسنّات المتفرغين لمراقبة مصنع الأسلاك الكهربائية، على أن يبلغوه فورًا بمجرّد رؤيتهم لمدير المصنع وقت دخوله أو خروجه. ولكن ذلك المدير اختبأ لعدة أيام بالطبع، ولمّا رأى أن الوضع قد هدأ، استغلّ ذهاب الجميع لتناول الطعام وقت الظهيرة وعاد خلسة إلى المصنع من الباب الخلفي. وعلى الفور ركب المسنّ اليقظ دراجته وذهب لإبلاغ لي دونغ باو، وكان ذلك المسنّ هو القرد العجوز.

كان القرد العجوز حاذقًا، وقد حسبها جيدًا، فلو سُرق كل هذا المبلغ، سيؤثّر بالتأكيد على المعاشات والنفقات الطبية لهؤلاء المسنّين فيما بعد، وبالتالي انتابه القلق، وأسرع إلى قائد الفرقة لطلب الإمساك بذاك المدير، كما كان القائد يخشى أيضًا من عدم قدرة أولئك المسنّين والمسنّات الذين لم يحتكوا بالكثير من الناس من قبل على إنجاز هذه المهمة، وفكّر أن مثل هذا الأمر التافه لن يدع القرد العجوز يدبّر أيًا من الحيل، فأسند بالمهمة إليه.

وهكذا صار القرد العجوز مسؤولاً عن المهمة، وما دام صار مسؤولاً، فسيمكنه تحفيز المسنّين والمسنّات، وسيمكنه أيضًا ترتيب مواقع المراقبة بشكل معقول. فبعد عودته من عمله نهارًا، حمل صحنه بدون أي تعب إلى الساحة ليخبر الجميع بأن مدير مصنع الأسلاك الكهربائية ليس شخصًا جيدًا. لم تكُن هناك حاجة لتشغيل لي دونغ باو لمكبّر الصوت وشرح الأمر، إذ كانت فرقة شياوليجيا بجميع مستوياتها بالفعل محتشدة بنفس الغضب بفعل العمل الأيديولوجي الذي قام به القرد العجوز، فتحمّس الجميع، وعلموا أن هناك من تجرّأ على شرب دماء أهالي الفرقة.

لذلك، فبمجرد عودة القرد العجوز وقوله بعودة مدير المصنع، هرع الجميع للإمساك به، دون الحاجة لدعوة من لي دونغ باو، إذ أسرعوا جميعًا بالقفز على جرار متوسّط الحجم وثلاثة جرارات يدوية، فصارت الأربعة جرارات مزدحمة بالرجال، بالإضافة إلى راكبي الدراجات الذين تبعوهم، واتّجهوا جميعًا محتشدين إلى مصنع الأسلاك الكهربائية. صُعقت سونغ يون بينغ بمجرد رؤيتها لهذا المنظر، ولكن كيف سيمكنها أن تتبع لي دونغ باو ببطنها المنتفخ، وكيف سيمكنها أن تركب دراجة وتهرع إليه لتثنيه عن هذا، لذا لم يكُن بوسعها إلا أن تسرع إلى محطة شراء فراء الأرانب لتبحث عن شي قن، ولكنها لم تتوقّع أن يكون شي قن أيضًا على وشك الخروج وراء الآخرين. ولمّا سمع مخاوفها، دعاها لعدم القلق، فهو يعرف ماذا يحدث، وسيراقبه.

كانت سونغ يون بينغ تعلم أن شي قن شخصٌ حاذق جدًا، لذا شعرت بارتياح بعد سماعها لإجابته. ولكن بعد عودتها إلى

مكتب المحاسبة بمقر الفرقة، مرّ يومها طويلاً كعام، وأخذت تنتظر الأخبار على أحرّ من الجمر. كان أكثر ما يقلقها هو سلامة والد ابنها، فكانت تخشى كثيرًا من عدم قدرة لي دونغ باو على كبح جماح غضبه، وأن يعطي الإشارة بالقتال لفلّاحي شياوليجيا المحتشدين، فقد رأت من قبل أنه بمجرّد تحرُّك تلك الجموع المحتشدة، تُفقَد السيطرة عليها، وقد يحدث أي شيء، وحينها، قد يضطرون لإسالة الدماء. وبغضّ النظر عن الطريقة التي ستسيل بها الدماء، فهو مشهد غير مستحبّ بالنسبة لها، لذا صارت قلقة، أيمكن لشي قن أن يمنع لي دونغ باو حقًا؟

كانت سونغ يون بينغ قلقة جدًا لدرجة أن يديها كانتا ترتجفان، فلم تتمكّن من تسوية الحسابات مطلقًا. ولم تستطع الجلوس بهدوء، إذ كانت تقف أمام النافذة من وقت لآخر لتنظر إلى الطريق الذي سيعودون منه بالتأكيد، ولكنه صار الآن مغطّى بأشجار الفاكهة، وعليها زهور وردية وبيضاء متفتّحة، لم يكُن هناك أي من رجال الفرقة العائدين، فقط رأت واحدًا أو اثنين، وقد خرجا أيضًا في عجلة من أمرهم. كانت ساقاها قد وهنت بالفعل، لذا لم تستطع الوقوف طويلاً، ولم تستطع الجلوس كثيرًا، لذا استندت إلى النافذة وأجبرت نفسها على الوقوف، فأنّى لها أن تكون صافية الذهن لتتأمّل زهور الربيع المزدهرة أمام عينيها.

وفجأة، رنّ جرس الهاتف بمكتب المقرّ المجاور لمكتبها، فأسرعت بفتح باب المكتب الفارغ لتجيب على الهاتف، وقبل حتى أن تضع السماعة على أذنها، سمعت صوت صراخ عالٍ كالصاعقة، كان المتّصل من مكتب أمن المحافظة، ودعا لي دونغ

باو لسماع المكالمة، ولكن سونغ يون بينغ أسرعت وأخبرته بأن جميع القادة ليسوا بموجودين، وسألته إذا ما تسبب أحدهم بمشكلة. فسألها المتّصل عن سبب ذهاب مجموعة كبيرة من الناس إلى المدينة، ولم تجرؤ على إخفاء شيء، وأخبرته بالقصة بأكملها، فصاح المتّصل بأن هذا هراء، ووبّخها لأن هذا سيتسبب في مشكلة كبيرة، وأغلق الهاتف بقوة حتى قبل إنهاء المكالمة.

صارت سونغ يون بينغ أكثر قلقًا وحيرة، فقد أزعجها المتّصل من مكتب الأمن، بل ولم يهتم مطلقًا بكون لي دونغ باو عاملاً نموذجيًا أو بهويته كنائب بمجلس نواب البلدية، وقال إن هذا هراء، لم تكُن تعرف فيما تسبب لي دونغ باو هناك، لذا أرادت حقًا أن تركب الدراجة وتسرع لترى، ولكنها بلا حول ولا قوة، لذا لم يسعها سوى القلق. كانت الصحف تتحدّث عن ضرورة القضاء على ثلاثة أنواع من الأشخاص في فرق الكوادر، فتساءلت عمّا إذا كانوا سيتعاملون مع لي دونغ باو كواحد من عناصر التدمير والسلب والنهب التي تعدّ نوعًا من تلك الأنواع؟ وشحب وجهها من شدة القلق.

ولكن جرس الهاتف دقّ مرة أخرى قبل أن تخرج من مكتب المقر، وكان المتّصل هذه المرة هو المحافظ تشن بينغ يوان. صاح تشن بينغ يوان في الهاتف بصوت عالٍ قائلاً إن هذا هراء، فكبتت سونغ يون بينغ ذُعرها، وأسرعت بتفسير الأمر نيابة عن زوجها وقالت إنه من غير المعقول أن يتخلّف مصنع الأسلاك الكهربائية عن سداد الديون، واليوم بعد سماع الجميع بعودة مدير المصنع خلسة تحمّسوا، فأسرع لي دونغ باو وراءهم لمنعهم بمجرد

علمه بالأمر. فأخبرها تشن بينغ يوان بصرامة أن يأتي لي دونغ باو لمقابلته في المحافظة بعد عودته. أغلقت سونغ يون بينغ الهاتف، وأخذت تلهث وهي تربّت على صدرها، فقد بلغت الضجة إلى قلب المحافظة، هل يمكن أن تكون النهاية سعيدة؟ والأكثر رعبًا هو تفكيرها، ألن يشتبك فلّاحو شياوليجيا مع عُمّال مصنع الأسلاك الكهربائية؟ وجميعهم يحملون أشياءَ في أيديهم، وإذا اشتبكوا حقًا، سيخرج الأمر عن السيطرة.

استندت إلى الحائط وعادت، ثم سقطت على الكرسي دون حراك. وبينما كانت منهمكة في التفكير بجنون، هرعت زوجة سي باو إليها، وأخبرتها بوصول شاحنة محمّلة بالقضبان الفولاذية، وجميع المسؤولين عن مصنع الخرسانة الجاهزة قد ذهبوا إلى المدينة، ووفقًا للقواعد لا يمكن عدّ البضاعة المُسلَّمة إلا من قِبَل محاسب الفرقة فقط. اضطرت سونغ يون بينغ للتحمُّل والنهوض، وذهبت مع زوجة سي باو. كانت زوجة سي باو حاذقة جدًا، بالطبع، صارت سونغ يون بينغ تعرف الآن سبب الوجوه المبتسمة التي تراها أينما ذهبت، لم تكن بسبب والد الطفل، كانت تتساءل كيف حاله الآن.

أسرعت سونغ يون بينغ إلى مصنع الخرسانة الجاهزة، ولحسن الحظ، كان في المصنع عُمّال مؤقّتون قد تم استدعاؤهم من فرقة أخرى، فأعطتهم سند تسليم البضاعة ليتسلّقوا إلى أعلى ويعدّوا البضاعة المُسلَّمة. وبعد التأكّد من عدم وجود أي خطأ، طلبت من زوجة سي باو أن تدعو السائق للاستراحة وشُرب الشاي في مكتب المصنع، ووجّهت العُمّال المؤقّتين بتفريغ الحمولة، وكان عليها أن

تقارن بعناية لفائف القضبان الفولاذية المسلّمة بالأعداد المكتوبة في سند التسليم. وهذه الإجراءات كانت قد عرفتها بمجرّد رؤيتها لها ذات مرة من قبل، لذا لم تكُن بحاجة لأن تتعلّمها من أحد.

لقد أصبح مصنع الخرسانة الجاهزة الحالي متطوّرًا بالفعل عمّا مضى، وتم تركيب رافعة جسرية قديمة به، فلم تعُد هناك حاجة لاستخدام العقل والمهارة وتركيب الحوامل ثلاثية القوائم والرافعات اليدوية التي كانت موجودة وقت سونغ يون هوي عند التحميل والتفريغ، بل أصبح كل ما يتطلبه الأمر الآن هو وجود شخص ما بالأسفل ليضغط على الزرّين الأحمر والأخضر في وحدة التحكُّم. ولكن أولئك العُمّال المؤقتين لم تكن لديهم فرصة استخدام الرافعة الجسرية في الأوقات العادية، لذا لم يكونوا على معرفة جيدة بكيفية التحكُّم بسرعة الرافعة، فأخذت تتحرّك بسلاسة ثم بسرعة وفجأة توقّفت، فتسبب القصور الذاتي في تعليق القضبان الفولاذية في الهواء، وأخذت الكابلات السلكية التي تعلّق القضبان تُصدر أصوات «قعقعة».

شعرت سونغ يون بينغ بأن الأوعية الدموية المتصلة بقلبها تُصدر أصوات «قعقعة» أيضًا في صدرها، فشعرت وكأنها مثقّلة ومرهقة. وكانت قلقة طوال الوقت بشأن ذلك الرجل الذي اندفع نحو المدينة.

من الطبيعي أن تُسدّد الديون، كان كل من اندفع إلى مصنع الأسلاك الكهربائية بالمدينة يظن ذلك، من بينهم لي دونغ باو. كما كان يظنّ أيضًا أن أمر استحقاق فرقة شياوليجيا للمال جدير

بإدهاشهم، ألن يأتي هذا بنتيجة عكسية؟ وبالأكثر مع تقديم القرد العجوز للخطط والمشورات، حيث أشار بأنه في حالة عدم استرجاع المال بالتفاوض، فسينقلون معدّاتهم، وبهذا يمكن إجبارهم على دفع المال كفدية للمعدات، كما أشار شخص آخر أيضًا باحتجاز ذلك الوغد مدير المصنع، وعدم إطلاق سراحه إلا بعد الحصول على المال. قوبلت كافة طرق تحصيل الديون البسيطة ولكن الفعّالة بالدعم من الجميع، واندفعوا جميعًا إلى موقع الحدث، وطوال الطريق كانوا يتناقشون حتى يصلوا إلى استنتاج، ثم تنقله الجرارات التي في المقدمة إلى التي خلفها، والتي خلفها إلى التي خلفها، والمناقشات التي تُجرى بصوت عالٍ تكون قادرة على الإقناع بشكل غير طبيعي، وبالتالي اقتنع الجميع بنفس الفكرة، وصاحوا بنفس الصوت، وظهرت نفس التعبيرات على وجوههم.

بعد السير والصياح طوال الطريق، وصلوا أخيرًا إلى مصنع الأسلاك الكهربائية بالمدينة، وكان الوقت بعد الظهيرة. وقبل نزول الجميع من الجرارات، رأوا العُمّال داخل بوابة المصنع مُحكمة الغلق وهم مستعدّون أيضًا للهجوم، ولم يكونوا أقل حماسة قط من فلّاحي فرقة شياوليجيا. كان الفاصل بين العُمّال والفلاحين رجال شرطة يرتدون الزي الأخضر، وكانوا أيضًا في حالة استعداد كامل. ما إن رأى القرد العجوز هذا المشهد حتى صاح قائلاً: إنهم مدينون لنا بالمال، ولم يستحوا أن يطلبوا الحماية من الشرطة أيضًا، ما أسوأ حظنا! كانت شخصية القرد العجوز أصلاً ترتعب من الهدوء، فكلما زادت الفوضى زاد حماسه، لذا كان في هذا

الموقف كسمكة عادت إلى مياهها، ولم يهتم أيضًا بما إذا كان هذا الأمر سيعود عليه بفائدة أم لا، فقط صفع جبهته بشكل غريزي، وعندئذ، اشتعل المشهد كالنار في الحطب، إذ كانت الصفعة بمثابة الشرارة التي أشعلت الفلاحين الذين كانوا مترددين عند رؤيتهم لهذا المشهد الرهيب، فأدانوا جميعًا رجال الشرطة واتّهموهم بالتستُّر على المتقاعسين عن سداد الديون. طالب رجال الشرطة الجميع بالهدوء والتعقُّل والمناقشة، ولكن لم يسمعهم أحد، إذ كان العُمّال بالداخل أيضًا يُحدِثون ضجيجًا، ويتبادلون السُباب مع الفلاحين، فغطّى صوت السُباب على صوت التعقُّل. وأخذ الضغط يتزايد من معسكريّ الطرفين، فوقعت الشرطة بينهما وصار صعبًا عليها التصرُّف.

كان لي دونغ باو متحمّسًا أيضًا، إذ رأى أن مدير المصنع ذلك الذي خدعه يصرخ فيه ويهينه من وراء البوابة مُحكمة الغلق، فكانت إهانات المدير تتحوّل إلى شعارات من قِبَل العُمّال، إذ وصفوا لي دونغ باو بالغباء والوقوع في الفخ. لم يسبق للي دونغ باو أن واجه مثل هذا الاحتيال منذ طفولته، فغلي الدم في عروقه غضبًا وأمسك بعصا خشبية وأراد إلقاءها على ذلك المدير، ولكن شي قن احتضنه بشدة ليمنعه من هذا، ونبّهه إلى عدم استخدام يده مهما حدث، وإنه من غير الممكن إيذاء الآخرين، بخلاف ذلك يمكن أي شيء، فقط من غير المسموح انتهاك القانون وإعطاء الآخرين سببًا ليثبتوا خطأً عليهم. كان لي دونغ باو يتوسّل إلى أولئك المسنّين والمسنّات للحصول على المال المستحقّ منذ عيد الربيع، ولكنهم ظلّوا يلهون به كالكرة، ناهيك عن كم الاستياء

الذي ظلّ يضمره في قلبه. ونظرًا لقوته العضلية، لم يكُن شي قن ليضاهيه، وما إن أصبح على وشك الإفلات، حتى مدّ شخصٌ آخر يده وحاول احتضانه ومنعه، فأدار رأسه لينظر، فإذا به المحافظ تشن بينغ يوان.

دفع ظهور تشن بينغ يوان لي دونغ باو لضبط النفس قليلاً، ولكنه ظل يكافح بقوة، وشكا للمحافظ تشن بأن هذا ظلم. فصرّح تشن بينغ يوان مؤكّدًا أن من المسموح المطالبة بتسديد الديون، ولكن من الممنوع الاشتباك أو إثارة المشكلات. فقال لي دونغ باو، وبأي طريقة يمكننا استرجاع المال بها؟ فمن الواضح أن مصنع الأسلاك الكهربائية قد تقاعس عن سداد الديون بخبث، فأجابه تشن بينغ يوان أن مسؤوليته هي التواصل مع كافة الجهات لحل المشكلة. لمّا رأى شي قن هذا، أسرع برفع صوته مخبرًا من هم بجانبه بأن المحافظ قد قال كلمته، وعلى الجميع وضع مجارفهم جانبًا، والتراجع إلى الوراء عشرة أمتار. على الرغم من أن لي دونغ باو لم يكُن موافقًا على هذا، فإنه تحت ضغط تشن بينغ يوان أدار رأسه وصاح داعيًا الجميع للتراجع. لم يكُن كلامه أعلى صوتًا فحسب، بل كان أقوى أيضًا من دعوات شي قن، وعلى الرغم من أن الجميع لم يكونوا موافقين مثله، فقد أطاعوه وتراجعوا في النهاية.

أثناء التراجع، صاح البعض بأنهم لو لم يقتحموا المصنع، فلن يستطيعوا استرجاع مالهم، لذا فمن الأفضل أن يستولوا على المبنى السكني الجديد، ولن تمضي أيام الجميع على ما يرام. فلاقت هذه الكلمات استحسانًا من الجميع، وأخذت الجماهير تصيح معًا

بتدمير المبنى السكني، وهكذا، صار الأمر كمحاصرة وي لإنقاذ تشاو[1]، إذ انتاب القلق أولئك العُمّال الذين ظنّوا في البداية أنهم يحرسون البوابة بقوة، فقد امتلأ المبنى السكني للمصنع بعشرات الأُسر بمجرد بنائه، ومعظم الموجودين هنا على صلة بهم، لذا فمن الممكن تدمير المصنع، ولكن من غير الممكن أبدًا تدمير المبنى السكني. وبعدما رأوا أهالي فلاحي شياوليجيا يتراجعون، ظنّوا أنهم سيسرعون بتدمير المبنى السكني، فبدأ العُمّال في الصياح والاندفاع وراءهم لملاحقتهم باسم حماية الوطن.

اضطرت الشرطة لإغلاق بوابة المصنع بكل قوتها، ولكن لحسن الحظ لم يجرؤ أولئك العُمّال على القفز من نافذة البوابة ليلاحقوهم. وعندئذ، بدأ القادة على جميع المستويات بالمدينة يحضرون واحدًا تلو الآخر. وما إن رأى القادة الذين أتوا سريعًا تشن بينغ يوان في موقع الحدث، صرخوا جميعًا في وجهه بأن هذا هراء، فأثاروا غضبه، وصارت يده تلك التي تطوّق لي دونغ باو قاسية كالطوق الفولاذي. لم يشعر لي دونغ باو بالألم على الإطلاق، وإنما شرح القصة كاملة بصوت عالٍ لأولئك القادة، قائلاً إن ما احتال عليه مصنع الأسلاك الكهربائية هو أموال أهالي فرقة شياوليجيا التي حصلوا عليها بشق الأنفس، وهذه الأموال ستُستخدم في النفقات الطبية ومعاشات المتقاعدين، كما قال إن مصنع الأسلاك الكهربائية ينتج ويشتري ويبيع كما هو مخطط له، ومديرهم يعرف جيدًا كم ما لديهم من مال، لذا فبهذه الطريقة

(1) يُقصد بها تكتيك مهاجمة معقل في مؤخرة جيش العدو المهاجم لإجباره على التراجع.

كانوا يحاولون عمدًا القضاء على فرقة شياوليجيا. كان لي دونغ باو يتحدّث، والفلاحون يستجيبون بجانبه، فأرجفت أصوات الفلاحين العالية بطبيعتها القادة وكأنهم وسط بحر عاصف.

ووسط هذا البحر العاصف، التقط لي دونغ باو صوتًا ما، كان ذلك هو صوت نائب عمدة المدينة الذي عمل على أرض الواقع وساعده على حل مشكلته، والذي قال أيضًا إنه سيأخذ زمام المبادرة في حل مشكلة التقاعس عن سداد الديون. وعلى الفور أوقف لي دونغ باو كل الكلمات غير العادلة، وأدار رأسه وأمر الجميع بالعودة. ولمّا رأى أولئك العُمّال الذين كانوا يواجهون الشرطة في الداخل، ساء الأمر في أعينهم، وظنّوا أن الفلاحين قد هدموا المبنى السكني حقًا، فصاروا في حالة من الذُعر، حتى إن أحدهم سحب خرطوم إطفاء الحريق ومسدس رش المياه، وفتح الصنبور، ورش مياه الضغط العالي على جميع من في الخارج. ما أشعل غضب القادة ورجال الشرطة الحاضرين أيضًا.

وفي خضم الفوضى، لم يُسمع سوي صوت «طاخ طاخ»، ربما لم يعرف الآخرون ما هذا، ولكن لي دونغ باو الذي خدم في الجيش من قبل سمعه بوضوح، إنه صوت طلقات نارية. وفي هذه اللحظة صار الأمر واضحًا أمامه، وأثناء انشغاله بهجمات مياه الضغط العالي، أمر جميع الرفاق وفلّاحي شياوليجيا بالتراجع، التراجع فورًا، وأي شخص لا يعود، سيُضرب بالعصا على رأسه. كان جميع أهالي شياوليجيا على جميع المستويات يطيعونه أصلاً، وحتى ولو رفض بعض الغاضبين التراجع، كانت عصاه توقظهم، فيأخذون في التراجع تباعًا. حتى القرد العجوز الذي كان يقفز

لأعلى ولأسفل، فقد تلقّى ضربة من عصاه أيضًا. كما تراجع القادة أيضًا بسبب مياه الضغط العالي، وتبعوا جماهير فرقة شياوليجيا ليروا لي دونغ باو وهو يحمل العصا ويعيد الجميع إلى الجرارات للعودة إلى منازلهم. وفي هذا الوقت، رأى عُمّال المصنع أيضًا فوهات البنادق السوداء، فأسرعوا بغلق مياه الضغط العالي، وخيَّم هدوء عظيم في لحظة.

سحب القادة المبللون لي دونغ باو ومدير المصنع للعودة إلى المؤسسة وعقد اجتماع، فأراد لي دونغ باو قول بضع كلمات لشي قن، وتقديم تفسير، ولكن تشن بينغ يوان الغاضب والمضطرب ركله إلى داخل السيارة، وابتعد بها مع القادة. ولمّا رأى شي قن هذا، أسرع بأخذ دراجته وهرع إلى القرية.

4

ظلّت سونغ يون بينغ القلقة في حالة ارتباك، وكانت عيناها دائمًا ما تنظران إلى الطريق بالخارج في حالة من التأهُّب. لم يكُن أولئك العُمّال المؤقّتون ماهرين بعد كل شيء، لذا كانت عملية التحميل والتفريغ تسير ببطء، وكان السائق الذي يقود الشاحنة يركض من حين إلى آخر ويلقي نظرة، فيتمتم ببعض الكلمات، ثم تسحبه زوجة سي باو مرة أخرى ليعود إلى المكتب ويشرب الشاي. لمّا رأت زوجة سي باو أن الشمس قد بدأت تنكسر، لم تعُد قادرة على الجلوس بهدوء، فخرجت وأمسكت بسونغ يون بينغ لتسألها عمّا إذا كان الرجال قد حدث لهم أمر ما، أو ما إذا

كانوا قد اشتبكوا مع عُمّال مصنع الأسلاك الكهربائية وتسببوا في مشكلة ما. على الرغم من أن سونغ يون بينغ كانت تهدّئ زوجة سي باو وتخبرها بأن الحكومة ستتدخل، وأنه ما دامت الحكومة موجودة، فلن يستطيعوا الاشتباك، فقد ظلّت تشعر بعدم ارتياح، وفكّرت في أنه ما دام مكتب الأمن قد عرف بالأمر، فمن المؤكّد أن يكونوا قد اعترضوا طريق فلّاحي شياوليجيا وأعادوهم، لماذا لا ترى أحدهم قد عاد حتى الآن؟

في ذلك الوقت، كان العُمّال المؤقتون قد أبلغوا أخيرًا بانتهائهم من عملية التحميل والتفريغ، لذا وقفت في موقع العمل وطلبت منهم العودة إلى منازلهم، فأطفأوا المصابيح الكهربائية المعلّقة على الرافعة، وأنهوا العمل وعادوا إلى المنزل. ولمّا رأى السائق الذي كان جالسًا في الداخل يشرب الشاي أن المصابيح قد انطفأت، قفز إلى الخارج لإلقاء نظرة، وسأل عمّا إذا كانوا قد أنهوا العمل، فلما علم بهذا همّ بالعودة ليبحث عن محطة وقود. كان صوت زوجة سي باو عاليًا، فلمّا سمع السائق صدى صوتها بالموافقة استعدّ للذهاب، فأسرعت سونغ يون بينغ لتوقّع للسائق، ولكنها لم تتوقّع أن تكون المصابيح قد انطفأت في الموقع، فلم تتمكّن من الرؤية بوضوح، فاضطربت جدًا وركلت عن دون قصد قضبانًا فولاذية شائكة، ولم تستطع تثبيت قدمها، فسقطت على لفافة من القضبان الفولاذية. كانت زوجة سي باو قد خرجت قليلاً ولم ترّ أحدًا خلفها، فلما استدارت ونظرت، ارتعبت من المشهد حتى شحب وجهها، فأسرعت بالعودة لتُنهِض سونغ يون بينغ، ومدت يديها لتتلمّس جسدها كله بشكل عشوائي، ونظرت تحت

ضوء مصباح المكتب لترى، فلم تجد دماءً على يديها، ولكنها رأت سونغ يون بينغ متوتّرة للغاية وتتصبب عرقًا باردًا، فخافت ونادت السائق الذي كان يسلّم القضبان الفولاذية ليأخذ سونغ يون بينغ إلى المركز الصحي. لم يشعر بأي شيء غريب طوال الطريق، ولكن لمّا وصل إلى المركز الصحي، وأنزلها من الشاحنة، رأى أن الجزء السفلي لدى سونغ يون بينغ يبدو وكأنه صنبورٌ مفتوح تتدفق منه الدماء كالمياه الجارية.

لم يجرؤ المركز الصحي على استقبالها، بل قفز الطبيب المناوب إلى شاحنة وتبعهما إلى مستشفى المحافظة، ولكنهم لم يتوقّعوا أن ينفد الوقود من الشاحنة في منتصف الطريق...

وصل لي دونغ باو إلى مبنى حكومة البلدية برفقة القادة، وطوال الطريق كان يشعر برجفة في قلبه، بالطبع لم يكُن ليعترف بخوفه، فكيف له أن يخاف، لذلك تجاهل هذا الشعور وتماسك، فالمخطئ هو مصنع الأسلاك الكهربائية، وليس هم.

جلسوا جميعًا مبللين في قاعة الاجتماعات، ودون أن يسألوا حتى عن السبب، أخذ عمدة المدينة يوبّخ لي دونغ باو بصرامة. وبّخه على عدم اتّباع القنوات المناسبة في حل المشكلات باعتباره عضوًا في الحزب الشيوعي، والمبادرة بتنظيم الجماهير لإحداث شغب، مما تسبب في إحداث آثار سلبية. أحضر المطعم من الأسفل شاي الزنجبيل، ولكن من يجرؤ على لمس الأكواب قبل أن يغلق عمدة المدينة فمه.

بعدما انتهى أخيرًا من التوبيخ، شرب لي دونغ باو شاي الزنجبيل في جرعة واحدة، وردّ بصوت عالٍ: «يا سيادة الرئيس،

إن فلّاحينا غير متعلّمين، وما في قلبهم يكون على لسانهم. لقد تقاعس مصنع الأسلاك الكهربائية عن سداد أموالنا عمدًا، وتلك الأموال ستُستخدم جميعها في دفع تأمينات العمل والنفقات الطبية للمسنّين في فرقة شياوليجيا، وقد ظلّ المصنع يؤجّل الأمر منذ ما قبل رأس السنة الجديدة وحتى الآن، وقد طُرد كل من ذهب من الفرقة للمطالبة بالمال، وقريبًا لن يكون لدينا مالٌ لدفع تأمينات العمل للمسنّين، ولسنا الآن في موسم الحصاد، لذا فلن يكون في الحقول ما يمكن تناوله، وسيعاني أولئك المسنّون من الجوع. يا سيادة الرئيس، لقد رأيت بنفسك، فقد أتى المسنّون جميعًا اليوم، إذ كانوا قلقين بشأن عدم وجود طعام، وقد حوّلت أموالهم ذلك المصنع إلى كيان شرير. ذلك المدير الوغد، لقد أخبرني قبل رأس السنة الجديدة أنه لن يدفع أجور العُمال، وإنما سيذهب إلى البنك للحصول على قرض ويسدد أموالنا، ولكنه بعد عطلة العام الجديد اختفى دون أن يترك أثرًا، فاضطر مسنّو فرقتنا إلى الركض كل هذا الطريق البعيد يوميًا لمراقبة المصنع والإمساك به، أمِن السهل على المسنّين الحصول على طعام؟ لقد ظلّوا فقراءَ طوال كل هذه السنوات، ويريدون فقط الحصول على طعام».

نظر تشن بينغ يوان عابسًا إلى لي دونغ باو دون أن ينطق بكلمة واحدة، فعمدة المدينة والأمين كلاهما موجودان، ولا يحق له التحدُّث، ولكنه قال في داخله إن فرقة شياوليجيا لديها تقليد مجيد بإثارة المشكلات، فقد سبق لأولئك المسنّين أن أزعجوا فريق التحقيق الذي نظّمه الأمين السابق للمحافظة ليوم كامل، ما جعلهم لم يتحمّلوا البقاء هناك، ومن يقول إن هذا لا ينطوي على تأجيج

لي دونغ باو للنيران؟ لا بد من تسوية حساب هذا معه فيما بعد، واليوم علينا أن نحافظ على علامة الفرقة المتقدّمة مهما حدث.

وبّخه عمدة المدينة قائلاً: وهل يمكن إثارة المشكلات وتعطيل حركة المرور حتى ولو كانوا غير متعلّمين؟ لكن نظرًا لقول لي دونغ باو للحقيقة، فقد بدأ في محاكمة مصنع الأسلاك الكهربائية، لماذا يبنون الغُرف ما داموا لا يملكون المال، وكيف حصلوا على الموافقة؟ كانت رأس الحربة موجّهة نحو الجهة المسؤولة، أي المكتب الثاني للصناعات الخفيفة. فأسرع مسؤول المكتب الثاني للصناعات الخفيفة بتفسير الأمر قائلاً إنهم لم يوافقوا لمصنع الأسلاك الكهربائية على بناء غرف على نطاق واسع، وإنما وافقوا على بناء غرف جماعية على مساحة مئتي متر مربع فقط وفقًا للظروف المادية المتاحة للمصنع.

كان الطرف الأول والطرف الثاني والرؤساء والمرؤوسون جميعهم موجودين، وبدأت حقيقة الأمور تنكشف شيئًا فشيئًا، وسرعان ما اتّضح الأمر، إذ كان مصنع الأسلاك الكهربائية قد سمع بأنه سيتم تعديل الضريبة على الأرباح، ولا يدري كيف سيتم تعديلها، لذا لعب لعبة صغيرة، وأجرى بعض الحسابات، وأسرع باستخدام الأرباح غير المخطط لها المكتسبة من توسعة استقلالية المؤسسة خلال العامين الماضيين لبناء مساكن للموظّفين. وسيكون أمرًا واقعًا أن تُستخدم جميع الأرباح فيما بعد في المساكن، ولن يكون هناك داعٍ لتسليم الأرباح. لم يجرؤ مسؤولو المصنع على الاستدانة بالمَال لشركات بناء مملوكة للدولة خوفًا من مقاضاتهم، ولكنهم لم يتوقّعوا قط أن يكون فريق

الهندسة المعمارية بشياوليجيا كمؤسسة اجتماعية أصعب من تلك المملوكة للدولة.

بعد ذلك، حان الدور لمعاناة مدير مصنع الأسلاك الكهربائية والأمين بالمصنع، وكانت هذه المرة الأولى التي يرى فيها مسؤولين رفيعي المستوي كأمين لجنة الحزب بالبلدية وعمدة المدينة، ولكنه رآهما مبللين يوبّخان المدير وأمين المصنع. كان العمدة كادرًا كبيرًا، يجيد التوبيخ، حتى إن المكتب الثاني للصناعات الخفيفة قد تعرّض لتوبيخه أيضًا. ولمّا رأى تشن بينغ يوان هذا تنهد، فالأمر على ما يرام ما دام التركيز لا ينصب عليه. أثناء التوبيخ، دخل أحد الموظّفين المناوبين، وقال بحذر إن هناك اتّصال من منزل الأمين لي بفرقة شياوليجيا يقول إن زوجته قد أُخذت إلى المستشفى. وبمجرّد أن سمع لي دونغ باو بهذا، قفز من مكانه، فموعد الولادة ليس اليوم، لذا فمن المؤكّد أن تكون هناك مشكلة ما ما دامت قد دخلت المستشفى اليوم. دفع لي دونغ باو الموظّف المناوب بنظرة شرسة وهرع إلى غرفة الهاتف. أخبره المتحدّث في الهاتف أن سونغ يون بينغ قد أُخذت إلى المركز الصحي، ولكن جميع المتبقّين في الفرقة الآن من كبار السن والضعاف والمرضى والأطفال، لذا لم يعرف أحد كيف يجده، إلى أن عاد الذين ذهبوا إلى المدينة لإحداث الشغب بالجرارات، وبعدها اتّصل هونغ وي بمكتب الخدمة في البلدية. قال هونغ وي، إن شي قن قاد الجرار بنفسه وذهب إلى المركز الصحي، وسرعان ما ستأتي أخبار من هناك. ولكن لا أحد يدري ماذا جرى لسونغ يون بينغ بالتفصيل.

نشبت نيران القلق في قلب لي دونغ باو، وعلى الرغم من أنه قد أُمِر بانتظار الأخبار عبر الهاتف، فإنه كان يتمنّى أن ينمو له جناحان ليطير فورًا إلى المنزل. ولألّا ينتظر طويلاً، فبعدما أغلق الخط ببضع ثوانٍ فقط، هاتفه هونغ وي مرة أخرى، وقد تغيّر صوته هذه المرة، إذ أخبر لي دونغ باو بأن شي قن قد اتّصل من المركز الصحي، وقال إن سونغ يون بينغ قد نزفت كثيرًا، لذا أخذوها إلى مستشفى المحافظة. وشي قن أخذ الجرار ليذهب وراءهم.

صُدم لي دونغ باو حتى كاد أن يُغشَى عليه، نزفت كثيرًا؟ إنها تعاني أصلاً من فقر الدم، فكيف لها أن تنزف كل هذا الدم الغزير؟ هرول مسرعًا إلى خارج مكتب الخدمة، وركض عبر الممر، ثم صعد الدرج واقتحم قاعة الاجتماعات، وأمسك تشن بينغ يوان، ونظر في عينيه مباشرة وأخبره أن زوجته تنزف بشدة، وطلب منه استعارة سيارته. انتهز تشن بينغ يوان الفرصة وطلب من أمين لجنة الحزب وعمدة المدينة أن يذهب مع لي دونغ باو، وأخبرهم أنه سيواجه مشكلة إذا ذهب بهذا الشكل. ومن ثم أفلت تشن بينغ يوان منهما، وركب مع لي دونغ باو سيارة جيب وهرعا عائدين إلى المحافظة.

كانت سونغ يون بينغ قد أُخذت إلى مستشفى المحافظة بجرار لي شي قن الذي أتى لاحقًا. ولمّا وصل لي دونغ باو، رأى قطعة قماش بيضاء تغطي رأسها، وفي وسطها شيء منتفخ ومرتفع، كانت تلك حياة صغيرة أخرى لم ترَ النور بعد. سمع جميع من في المستشفى رجلاً يعوي كالوحش البري، وظل هكذا حتى خرب صوته. لطالما كان تشن بينغ يوان يفخر دائمًا بكونه الأكثر تمسكًا

بالمبادئ، ولكنه لم يتحمّل رؤية هذا أيضًا، فأمضى الليلة واقفًا معه في غرفة الطوارئ. ولمّا عاد، أبلغ البلدية بهذا الأمر.

دفعت سونغ يون بينغ حياتها مقابل إعفاء لي دونغ باو من العقاب.

في اليوم التالي، تلقّى سونغ يون هوي اتّصالاً، ولم يكن لديه وقت لإحضار أي شيء معه، حتى المهجع لم يعُد إليه، وإنما هرع إلى المنزل بملابس العمل، إلى أن ذهب من محطة قطار المدينة إلى فرقة شياوليجيا في منتصف الليل، فرأى والديه يجهشان بالبكاء حتى وهنت ساقيّهما وسقطا جانبًا، ولي دونغ باو يركع باكيًا بعينين حمراوين أمام التابوت. وقف سونغ يون هوي طويلاً أمام باب قاعة العزاء، ثم دخل كمن يمشي أثناء نومه، ورفع القماشة البيضاء التي تغطّي رأسها ليلقي نظرته الأخيرة. كانت شقيقته ترقد بسلام في الظلام وكأنها نائمة.

كان سونغ يون هوي يذرف دموعه بالفعل طوال الطريق في القطار، وتذكّر الماضي الصعب الذي عاشاه كأخت وأخ صغيرين، تذكّر اهتمام شقيقته به طوال حياته، كل التفاصيل مرّت كفيلم في خياله، وظلّ يبكي طوال الطريق. وفي هذه اللحظة رأى ما تبقّى، فانفجر في البكاء مرة أخرى، واستدار وأمسك بلي دونغ باو وصاح به وهو يختنق: «بماذا وعدتني عندما سلّمتك أختي؟ ها؟ ألا تفي بوعدك؟» اضطر لي دونغ باو للنظر إلى أعلى لما أمسك به سونغ يون هوي، فنظر مباشرة إلى شقيق زوجته الذي كان يشبه زوجته الراحلة، وقال له بضع كلمات بشكل قاطع. ولكن حلقه قد التهب

بالفعل، لذا لم يسمع سونغ يون هوي سوى صوت «هسهسة»، ولم يستطع سماع ما قاله بوضوح. لم يكُن سونغ يون هوي يدري ماذا جرى له بحق الجحيم، فسأله مجددًا: «لتتحدّث جيدًا، ماذا تقول؟». جاء هونغ وي الذي كان بجوارهما والذي كان يعمل معه في مصنع الخرسانة الجاهزة ليمسك بيده، وهمس في أذنه: «لقد كان الأمين دونغ باو يعوي طوال الليل، لذا لا يمكنه التحدُّث الآن». ذهل سونغ يون هوي، ولكنه رأى لي دونغ باو يتحدّث معه مرة أخرى بهمس، ولم يستطع سماعه بوضوح أيضًا. أخرج سونغ يون هوي القلم الذي في جيبه وأعطاه للي دونغ باو، فأخذه لي دونغ باو، وكتب بثقل على راحة يده، «لن أتزوج أبدًا طوال حياتي»، ولمّا وضع يده أمام عينيّ سونغ يون هوي، كاد الدم المُسال بالقلم الذي اخترق راحة يده أن يحجب تلك الكلمات الخمس.

لم يستطع سونغ يون هوي قول شيء آخر، فماذا يمكنه أن يقول أيضًا؟ هذا الرجل مجروحٌ أكثر منه. لم يسعه إلا أن يسأل هونغ وي الذي كان يمسك به: «ماذا قالت شقيقتي قبل وفاتها؟».

ولمّا سمع لي دونغ باو هذا السؤال، لم يسعه سوى أن يخفض رأسه، فأجاب هونغ وي قائلاً: «لقد ظلّت زوجة سي باو تلاحقها، وقد قالت إن شقيقتك عندما أدركت الأمر في النهاية ظلّت تقول إنها قلقة حقًا بشأن الذهاب، قلقة حقًا بشأن ترك الأمين لي دونغ باو بمفرده بعد ذهابها».

فحدّق سونغ يون هوي بلي دونغ باو، وامتلأت عيناه بالحزن والغضب.

بعد ذلك، استغلّ لي دونغ باو يومًا ممطرًا لزراعة شتلات الزهور الذي رعتها سونغ يون بينغ حول المنزل الترابي. كانت الزهور تتفتّح بكل لون، وتؤتي ثمارها باستمرار في فصليّ الصيف والخريف، في حين صارت زهرته وابنه الذكرى الأكثر عمقًا في الربيع العابر.

وصار لي دونغ باو صامتًا.

5

عاد سونغ يون هوي إلى جينتشو، ولأول مرة لم يفعل أي شيء، وإنما ظل مستلقيًا على السرير شارد الذهن. بعد انتهاء شيون جيان شيانغ من الدوام اشترى بعض الطعام في طريق العودة، ولما رأى سونغ يون هوي موجودًا بالفعل، سأله عرضًا «هل أكلت؟»، وظل طويلاً ولم يتلقّ إجابة، فلم يهتمّ، إذ كان سونغ يتجاهله أحيانًا عندما يكون منشغلاً في شيء ما.

ولكن بعد فترة وجيزة من جلوس شيون وتناوله الطعام، شعر أن هناك خطبًا ما، لماذا يستلقي ذلك الفتى على السرير شارد الذهن؟ وبعدما أكل ملعقتين، رأى ذلك الفتى الراقد على السرير يرمش بعينيه كالأحمق. اعتقد شيون أن سونغ قد يكون ما زال حزينًا بعدما أخذ إجازة هذه المرة لحضور جنازة أخته، لذا لم يُكثِر الكلام، وأبقى نصف صحنه، وأخذ صحن سونغ يون هوي، وبالطبع لم يكُن ليذهب إلى المطعم الذي لا يتبقّى فيه سوى بقايا الطعام الباردة، بل كان على دراية بالأماكن والطرق في جينتشو، لذا

فقد ذهب إلى منزل صديقه وطلب منه قلي الفول السوداني ولحم الخنزير، ثم بذل قصارى جهده في البحث عن كيس الجمبري المجفف الذي يحتفظ به صديقه، بعد ذلك ذهب إلى متجر صغير لشراء زجاجة من النبيذ الأبيض، وعاد إلى المهجع وأجبر سونغ يون هوي على النهوض ليحتسي الشراب معه.

كان يعرف أن سونغ يون هوي يشرب قليلاً، لذلك لم يكلّف نفسه عناء شراء زجاجتين، فأمسك زجاجة النبيذ وقسمها على كأسين، وأعطى كأسًا لسونغ. وما إن أخذ سونغ رشفة، انطلقت النيران من معدته إلى رأسه، وكأن أحدهم رفعه من أذنيه فجأة، فجلس مستقيمًا، وأخيرًا استعاد طاقته. وبعد الرشفة الثانية، انتشرت الحرارة بسرعة في جسده بالكامل، فأحيت خلاياه مجددًا، وانهمرت دموعه بلا توقُّف، أكثر من النبيذ الذي شربه.

«شيون جيان شيانغ، أتعلم، عائلتنا... منذ طفولتي... كان والداي يعملان، وربّتني أختي، مع من أمضيت معظم الوقت طوال حياتي؟ مع أختي. لطالما كانت أختي عاقلة منذ طفولتها، لذلك فعندما كان يتبقى من المال الذي يعطينا والدانا إياه لشراء الفطور، كانت أختي تشتري لنفسها زيتونًا مملّحًا لمرة واحدة فقط، وتشتري لي كرات زجاجية ببقية المال. وإلا فكيف كان الأصحاب الصغار سيهتمّون بي مع سوء خلفيتي العائلية لولا الكرات الزجاجية الكثيرة التي بين يديّ؟ كانت أختي هي الأكثر خجلاً، ولكن عندما كانت ترى أحدهم يتنمّر علي، كانت تصير أكثر شجاعة من أي شخص آخر. ذات مرة كنت أتعرّض للضرب، فلمّا رأتني أختي، هرعت نحوي لتحميني، لم يكُن بإمكانها ضرب الآخرين، فقط

كانت تحميني، فكانت اللكمات تسقط على جسدها، كل ما كان يمكنني سماعه هو صوت اللكمات وهي تسقط على ظهرها. آه... لماذا لا يعيش الطيّبون طويلاً؟».

رأى شيون جيان شيانغ، سونغ يون هوي الذي لطالما كان هادئًا وهو ينفجر بالبكاء بعد رشفتين من النبيذ، فضرب الطاولة بانفعال وصرخ بصوت أجشّ، وألقى نظرة خاطفة على نافذة التهوية المفتوحة، فأسرع بالنهوض وأغلقها بهدوء. ولكن عندما وقف بجانب الباب، كان بإمكانه سماع صوت خطوات المارّة في الممر بوضوح، فقد انتهى العشاء لتوّه، والمارّة يذهبون ويجيئون في الممر. فكّر قليلاً، ثم أحضر ببساطة مطرقة ومسامير، وثبّت بطانيّته السميكة الحمراء على الباب لعزل الصوت. في حين لم يشعر سونغ يون هوي الجالس هناك تمامًا بأي من هذا، وإنما استمرّ في الثرثرة كالمجنون.

«كانت أختي تشجّعني على ألّا أكون جبانًا مثلها، وتشجّعني على الشجار مع المتنمّرين عليّ، فكانت تتدرب معي على الشجار، ولكن حينها كنت صغيرًا، لذا لم تكُن لكمتي ثقيلة، وقد تلقّت مني عددًا لا يُحصى من اللكمات والركلات. شيون، أنت لم ترَ أختي من قبل، إنها نحيلة جدًا، ولكنها لم تكُن تشعر بأي ندم عندما كانت تتعرّض للكماتي وركلاتي. لقد كنت أقصر من أختي عندما التحقت بالمدرسة الابتدائية، وكنّا نذهب معًا إلى النهر لجلب الماء، ودائمًا ما كانت أختي تحمل الدلاء لتملأها من النهر. كانت أختي تعاني من فقر الدم، لذا لم تكُن تستطيع الوقوف بثبات عند النهوض، ولكنها لم تكُن تسمح لي بإحضار

الماء خوفًا عليّ من الانزلاق والغرق في الماء عن طريق الخطأ. هناك خط أسود مرسوم على منتصف شيالّة الكتف بمنزلنا، وأختي أكبر منّي، ولكنني ولد، لذا طلبت وضع خط أسود على منتصف الشيّالة لتقاسم وزن دلاء الماء. ولكن عند ذهابنا بالماء من النهر إلى المنزل في كل مرة، كنت أسير في الأمام، ودائمًا ما كانت أختي تزحزح حبال الدلاء خلسة، ودائمًا ما كانت تقول إن الحبال قد تحرّكت من تلقاء نفسها، ولكن في ذلك الوقت كنت قصيرًا وهي طويلة، فكيف تتزحزح حبال الدلاء نحو المستوى الأعلى؟ دائمًا ما كانت تفكّر بي، وتتقاسم الأعمال المنزلية مع والدينا، وكانت آخر ما تفكّر فيه هو نفسها. حتى إنها عندما وجدت زوجًا، كان أول ما فكّرت فيه هو أنه هل سيكون دعمًا لمنزلنا أم لا. ولكنّي لست طيّبًا مثلها، فماذا فعلت من أجلها؟ لقد أحضرت لها رطلاً من الخيوط الصوفية فقط. شيون، أتظنّ أنني شخص جيد؟».

غطّى شيون جيان شيانغ كأس النبيذ الخاص به بيده خوفًا من أن يخطفه سونغ يون هوي منه، وضيّق عينيه، وأخذ يستمع إلى اعترافات سونغ يون هوي بجدية. ولكنه لم يعتقد ذلك، إذ قال في قلبه إن جميع السيدات في جينتشو يرغبن في إنجاب ابن مثل سونغ يون هوي، فهذا الفتى جيد جدًا.

عندئذ اكتفى سونغ يون هوي بنظرة ضبابية لشيون جيان شيانغ الذي كان يستمع إليه باهتمام، وشعر بالرضا في قلبه، فأمسك بمنشفة ليجفف دموعه، ثم تابع كلامه: «لقد كنت بائسًا منذ طفولتي، وقد عقدت العزم على ألّا أستسلم أبدًا، ولم أفكّر مطلقًا في نوايا أختي الطيبة، لقد كسرت قلبها بالتأكيد. ففي فصل الصيف

كنت أريد السباحة، ولكنها كانت تخاف الماء، لذا لم تجرؤ على النزول معي لحمايتي، فلم يكن بوسعها سوى التفكير في طريقة لتلف حبل قنب رفيع، ولم توافق على نزولي الماء إلّا إذا ربطته على خصري وأمسكت هي الطرف الآخر على الشاطئ. لم أوافق لحفظ ماء وجهي، فحاولت جاهدة لإقناعي بالأمر، وصبغت الحبل باللون الأسود، وقالت إن الآخرين لن يلاحظوه بهذه الطريقة. فلم أوافق أيضًا. واندفعت وقفزت في الماء، كنت أقضي وقتًا ممتعًا، ولكنها كانت تدور قلقة على الشاطئ، لدرجة أنها انفجرت باكية من شدة القلق، ولم تجرؤ على إبلاغ والدينا بالأمر خوفًا من أن يوبّخاني. في ذلك الوقت كانت أختي في المدرسة الابتدائية فقط، أي طفل اليوم تعتقد أن يكون عاقلاً مثل أختي؟ إنهم لا يمكنهم حتى تقشير بيضة الآن. إن خلفية عائلتي سيئة، ليس قليلاً، بل سيئة جدًا. لم يكُن بإمكاني الالتحاق بالمدرسة الثانوية بعد إنهائي للمرحلة الإعدادية، فشعرت أختي بحزن شديد، وأخبرتني أنها أخذت نصيبي في الدراسة. لذلك فبعدما حصلت على الدرجات المطلوبة في اختبارات القبول بالجامعة، وبمجرد رؤيتها لبطاقة الكومونة التي أرسلتها لنا، تنازلت لي فورًا عن حصتها في التعليم الجامعي. إنني نادم حقًا الآن، كان عليّ السماح لها بالدراسة في الجامعة، كنت ما أزال صغيرًا، وكان بإمكاني النجاح بالتأكيد إذا ما راجعت عامًا آخرًا، ولكن أختي كانت مختلفة، فلو كانت درست في الجامعة، لما كانت لتقابل ذلك الرجل لي دونغ باو، ولما كانت لتزداد قلقًا. كنت أعرف بالفعل أنه شخص مندفع، فلماذا سلمته أختي بيدي؟ لو كنت اعترضت حتى النهاية في ذلك الوقت،

واستخدمت علاقتي بأختي كورقة مساومة، لتراجعت أختي بالتأكيد، لماذا لم اعترض حتى النهاية؟ لقد قُتلت أختي بسبب اندفاع لي دونغ باو هذه المرة. إني نادم، نادم...»

لم يكُن شيون جيان شيانغ ثملاً، فلمّا رأى سونغ يون هوي يضرب الطاولة والمقعد، تردد قليلاً ثم سكب النبيذ من كأسه إلى كأس سونغ يون هوي. دائمًا ما كان سونغ قليل الكلام، ممل، لذا فبالنظر إلى الوضع الحالي، صار من الجيد إعطاؤه فرصة للتنفيس عن غضبه. لم يكُن سونغ يون هوي يدري بما يحدث، إذ كان منغمسًا في ذكريات الماضي ولا يستطيع الخروج منها، ولمّا رأى النبيذ في الكأس، أخذه وشربه. وتدريجيًا، بدأ كلامه يقل، والمشهد أمام عينيه يزداد وضوحًا، إنها أخته الصغيرة، ترتدي بلوزة مزركشة بزهور صغيرة، وشعرها مصفف بضفيرتين تبدوان كالمكنستين الصغيرتين، وعلى وجهها ابتسامة حلوة كالتفاح، وتنادي بلطف «هوي الصغير، هوي الصغير».

حدّق شيون جيان شيانغ في سونغ يون هوي وهو يتمتم «أختي، أختي»، فوضع وجهه على الطاولة وبكى، ولم يسعه سوى الشعور بأنفه يحرقه. ولكن ليس من السهل على الرجال أن يذرفوا الدموع، لذلك لوى أنفه، وتنحنح قليلاً، ثم تمتم لسونغ يون هوي: «آه، هذا سيئ، أنهينا نصف لتر من النبيذ. من المؤسف أننا لم نأكل ولو قطعة واحدة من اللحم، سآكله، لقد برد للأسف».

تمتم شيون جيان شيانغ ببضعة كلمات، وأكل بضع قضمات، وفجأة رأى سونغ يون هوي ينزلق أسفل الطاولة كما لو كان بلا

عظام، ففغر فاه محدّقًا، أيمكن لرجل بالغ أن يكون ناعمًا وبلا عظام هكذا؟ جرّب بنفسه، ولكنه لم يستطع أيضًا الانزلاق بسلاسة كالماء هكذا، فبُهت ولم يعرف أيضحك أم يبكي، ونهض وألقى بسونغ يون هوي الرقيق على السرير، ثم أشار بإصبعه إلى أنف سونغ يون هوي قائلاً: «من الآن فصاعدًا سأعتني بك كأخ، أيها الأحمق». وبعدما قال هذا ضحك بدلال، وأخيرًا لم يعُد قادرًا على الضحك أكثر، وعاد إلى الباب ليخلع البطانية المعلّقة، واغتسل وذهب للنوم. كان منطفئًا، يسأل نفسه لماذا لا يحبه أحد بهذا القدر!

في اليوم التالي استيقظ سونغ يون هوي، ولم يتمكّن من رؤية أي شيء سوى الدوائر المنتفخة حول عينيه. فوضع نظارته، حتى كاد يطمس معالمها تمامًا. كان يعلم أنه قد بكى وأحدث ضجيجًا أمس، وبالكاد تذكّر ما قاله، ولكن ليس تمامًا. فسأل شيون جيان شيانغ الذي كان ما زال مستلقيًا على السرير، ولم يكن منه إلا أن أغلق عينيه وأخبره بتكاسل أن يطمئن، إذ لم يسمعه أحد. فلم يلحّ سونغ يون هوي عليه بالسؤال، ونزل ليركض قليلاً، ثم أحضر له فطائر المانتو[1].

(1) نوع من الكعك المطهو على البخار.

6

بعد الثمالة، أخذ رأس سونغ يون هوي يؤلمه كما لو كان يتشقق، ولكنه لم يهتم كثيرًا، إذ كان عليه الذهاب أولاً بدراجته المستعملة التي اشتراها مؤخرًا إلى الورشة للتحقق من مدى تقدُّم مساعديه في العمل، وتوزيع المهام عليهما. بعد ذلك، ذهب إلى المكتبة للبحث عن معلومات. تمامًا كأيام العمل القديمة، وكأن شيئًا لم يحدث، وإذا ما ذكّره الآخرون، كان يمرر الموضوع بشكل روتيني، ويذيع عن أنه لا يريد التحدُّث عن شؤون عائلته.

كان في المكتبة بعض الكتب التي لا يمكن استعارتها، ولكن كان هناك أيضًا بعض القواعد السخيفة التي لم تكُن تسمح للقُرّاء بإحضار أي شيء إلى غرفة المطالعة باستثناء الورقة والقلم، وعندما كان سونغ يون هوي يبحث عن المعلومات باللغة الإنجليزية، لم يكُن من المسموح إحضار قاموس في المقام الأول، لذا كان الأمر مرهقًا جدًا إذا ما صادفته كلمات صعبة، إذ كان عليه كتابة الجملة كاملة في الورقة والعودة بها إلى المهجع ليبحث عنها ويفهمها. ومرة بعد مرة من الذهاب والإياب، صار معروفًا لدى سيدات غرفة المطالعة، ومع تزايد الشائعات حول من كان على صلة به، زاد التواصل بينهم، وصرن أكثر لطفًا معه.

ولكن عند دخوله اليوم إلى غرفة المطالعة، استوقفته إحداهن مجددًا. وقالت السيدة بصوت رقيق ولكن حازم «لا يمكنك إحضار شيء آخر إلى غرفة المطالعة». هذا الصوت، هذه اللهجة، إنها مألوفة جدًا، تبدو كنبرة تلك الأخت التي رافقته عشرين عامًا.

فرفع رأسه فجأة، ورأى وجهًا جديدًا. بدا هذا الوجه الجديد الأبيض يلمع تحت خلفية الضوء الذي تخلل عبر الأشجار الخضراء خارج النافذة، وكان هادئًا وجميلاً. لم يسع سونغ يون هوي إلا أن يشعر بصوت منخفض في قلبه يصرخ بقوة، «إنها هي، إنها هي». فنسي الردّ، ووقف ناظرًا إلى تلك الفتاة بهدوء. فحدّقت به وأخذت بطاقة الاستعارة التي كان قد وضعها بالفعل على المنضدة، وأعطته بطاقته، ولكن عندما رأت ذلك الفتى يحدّق بها كالمسحور، غضبت، وأمسكت ببطاقته وطرقت بها عدة مرات على المنضدة، حينئذ أدرك سونغ يون هوي خطأه، وأسرع آخذًا البطاقة ودخل. وبعد دخوله تذكّرت الفتاة أنها قد حذّرت ذلك الفتى مرارًا وتكرارًا من إحضار شيء معه، ولكنه دخل أيضًا به. فكّرت في الذهاب إليه لاستعادة الأشياء التي معه، ولكن عندما تذكّرت نظرة ذلك الفتى الذي كان يحدّق بها، كرهت الأمر، وخشيت الذهاب إليه لألّا تجلب المتاعب لنفسها، فاضطرت للتحمُّل والانتظار قليلاً حتى تُخبر المعلّم ليساعدها في إخراج هذا الفتى من هنا. ولمّا شعرت بالملل، أخرجت بطاقة الاستعارة الخاصة بسونغ يون هوي ونظرت إليها، فلم تتعرّف عليه، إنه عامل بالقسم الأول في الورشة الأولى، واسمه ليس جميلاً، وشخصيته أكثر غرابة، وعيناه منتفختان وتبدوان كزهور الخوخ. ألقت ببطاقة الاستعارة في دُرج المنضدة مرة أخرى.

اعتاد سونغ يون هوي على اختيار وضعية يكون فيها ظهره للباب لتجنُّب الانزعاج من دخول وخروج الأشخاص، ولكنه اليوم لم يسعه سوى الجلوس في مواجهة الباب حتى يمكنه أن

يرفع رأسه وينظر إلى المظهر الجانبي اللطيف لتلك الفتاة، فإذا ما تعبت عيناه، كان ينظر من النافذة فيما مضى، ولكنه الآن صار يرفع رأسه لينظر إليها. يبدو أنهم بدّلوا موظّفي المكتبة في تلك الفترة التي عاد فيها إلى المنزل. ذلك الوجه اللطيف، والصوت العابر، عوّضا بهدوء ذلك الفراغ الذي ظهر للتوّ في قلبه، فشعر بقليل من التعلُّق.

بعد قليل، جاء المعلم، فشَكَت له الفتاة فورًا، وأخبرته أن هناك شخصًا قد دخل غرفة المطالعة بمتعلقاته، وقد حاولت منعه، ولكن دون جدوى. وما إن نظر المعلم حتى أدرك أنه أحد معارفه القدامى، فضحك وقال إنه سونغ يون هوي رجل القواعد، فليدخل بما يريد. وقال أيضًا إنها حتى ولو أرادت منعه فلن تستطيع هذا. فقد يكتب ذلك الفتى مذكّرة للأمين شوي، وسيتمكّن من الدخول أيضًا. ثم قدّمت المسؤولة القديمة نبذة سريعة للفتاة عن سونغ يون هوي، ففهمت الأمر، ولكن عندما فكّرت في نظرة سونغ يون هوي المباشرة قبل قليل، شعرت ببعض الازدراء، أي نوع من الطلاب الجامعيين هذا، كيف له أن يكون غير متحضّر إلى هذا الحد. يبدو أنه مختلفًا تمامًا عن يوي شان تشينغ الطالب الجامعي الذي كانت تعرفه.

جلست المسؤولة القديمة قليلاً ونظرت حولها، ثم ذهبت إلى سونغ يون هوي وسألته: «هل رحلت شقيقتك؟ لا عجب في أنّي لم أرك هذه الأيام». ونظرت وهي تتحدّث إليه، فوجدت جفنيه منتفخين، وكأنه كان يبكي، يبدو أنه قد تأثّر كثيرًا.

«نعم، لقد أقلقتك أيها الخالة». لم يقُل سونغ يون هوي الكثير كعادته، ولكنه أشار بالقلم الذي في يده إلى تلك الفتاة، وسأل، «وهذه المسؤولة الجديدة يا خالة، بماذا تُدعى؟».

«أوه، ليو الصغيرة، ليو تشي مينغ، الابنة الصُغرى لعائلة كبير المهندسين ليو، لقد نُقِلت مؤخرًا من المُختبر إلى هنا. أتشاجرتما للتو؟ اطمئن، لقد شرحت لها نيابة عنك».

فقال سونغ يون هوي: «شكرًا يا خالة، كنت أفكّر في إخبارك بالأمر. فهناك بعض الكتب التي ستبدو غير مفهومة لو لم أحضِر معي أدواتي».

«لا تكُن متواضعًا، أرى أنك لا تقلّب كثيرًا في القاموس. هذه الكتب، لأكون صادقة معك، لقد تم شراؤها بشكل عشوائي، وبعد شرائها وُضِعت بشكل عشوائي، ولولا مساعدتك، لما كُنّا عرفنا إلى أي نوع تنتمي، ولا أعرف أيضًا من يقرأها باستثنائك. أحيانًا يأتي بعض المهندسين الكبار ليتصفّحوها، فيقلّبون عدة صفحات ثم يذهبون، إنكم تتشاركونها معًا، ولكنّي لم أر إلّا القليل منكم. وأنت الأكثر جدية من بينهم».

فابتسم سونغ يون هوي قليلاً، ولكنه لم يكُن اليوم في مزاج يسمح له بالابتسام حقًا، والجميع لاحظوا هذا، فكان يُجبر نفسه على الابتسام. ألقت المسؤولة القديمة التحية، ثم قالت بضع كلمات، وغادرت. حوّل سونغ يون هوي نظره مرة أخرى إلى ليو تشي مينغ، إنها ابنة السيد ليو كبير المهندسين إذًا، لا عجب في أنها استطاعت الخروج من نظام المناوبات في مثل هذه السن

الصغيرة، ولا عجب أيضًا في أنها أنيقة الطلّة، فهي من بيت تفوح منه رائحة الكتب. ثم فكّر في أن كبير المهندسين ليو كثيرًا ما يأتي إلى غرفة المطالعة، وتساءل كيف سيكون اللقاء بين الأب وابنته. ولكنه على أي حال، قرر أن يتحدّث بضع كلمات لاحقًا عند استبدال البطاقة، ليس لأكثر من أن يسمع صوتها وهي تتحدّث فحسب. ولكنه لم يستطع منع ذهنه من التفكير في يوي شان تشينغ الذي سارع بتقديم طلب الانضمام إلى الحزب، لو كان قد أجرى محادثة مع ليو الصغيرة في مثل هذا الوقت، ما الموقف الذي كان سيُتّخذ إذًا؟ هذه الفكرة، لمعت في ذهنه للحظة، ولكنه سرعان ما ألقاها وراء رأسه. يا لها من فكرة سخيفة.

وكما يقول المثل، اذكر العِفريت وسيحضر، ففي ذلك الوقت جاء كبير المهندسين ليو. في بادئ الأمر لم ينتبه سونغ يون هوي لحضوره، إلى أن شعر بشخص يقف بجانبه، فرفع رأسه إلى أعلى، ورأى كبير المهندسين ليو ينظر إلى المعلومات التي يقرأها. فأسرع بالنهوض ليحييه، وألقى نظرة عابرة على ليو تشي مينغ، فوجدها تنظر إليهما، ولم تكُن تدري أنها ستقابل نظرته، فأشاحت بوجهها بعيدًا.

دعا كبير المهندسين ليو سونغ يون هوي للجلوس، وسأله بصوت منخفض: «أريد قراءة هذه المعلومات، فلتساعدني في التفكير بشأنها، ألديك أي انطباع عنها؟».

كانت المذكّرة التي أمسك بها السيد ليو مكتوب أعلاها اسم تقنية صبّ أجنبية من السبعينيات، وكان سونغ يون هوي قد اطّلع

عليها أثناء دراسته في الجامعة، فأجابه مسرعًا: «بالتأكيد لا توجد أي كتب تشرح هذه التقنية في مكتبة المصنع، ولكنها مشروحة في بعض المجلات الدورية الأجنبية المتخصصة، ولدي مسودات مترجمة بشأنها في غرفتي. وفقًا للمعلومات التي قرأتها، فإن هذه التقنية أداؤها مستقرّ، وقد طُرِحت لها معدّات متقدّمة في الأسواق الأجنبية».

فهزّ السيد ليو رأسه قائلاً: «إذا كان مناسبًا لك، فلتُحضِر لي تلك المسوّدات المترجمة إذا كان لديك وقت فيما بعد. هل اطّلعت على مجلّات دورية أجنبية متخصصة في الجامعة من قبل؟».

فأجابه سونغ يون هوي: «نعم، لقد طلب مني المعلّم المساعدة في ترجمتها. لدي عمل في المناوبة الوُسطى اليوم، سأحضر المسوّدات المترجمة إلى مكتبكم بعد الغداء. ولكن نظرًا لأنها مسوّدات أوّلية، ستجدها مليئة بالأخطاء الكثيرة، لأنّي في البداية لم أكُن على دراية بالمعدّات على عكس الوقت الحالي».

«سيكون الإطار العام كافيًا. لماذا ما زلت تعمل في نظام المناوبات؟».

«إنني أفهم التشغيل الشامل للورشة القديمة وفقًا للجدول، وبعد فهم التشغيل مع المعدّات، آتي لأتصفّح المعلومات الخاصة بها هنا، وهكذا يمكنني استيعابها بشكل أفضل».

نظر السيد ليو إلى سونغ يون هوي وأومأ برأسه وهو يفكّر، ثم هزّ رأسه وغيَّر من أفكاره وقال: «فلتُعطي المسوّدات المترجمة إلى ابنتي، إنها تلك الشابة الموجودة عند الباب. من الأفضل ألّا

تأتي إلى مكتبي وتُحدِث جلبة، فأنت لا تزال شابًا، وهناك أمور لا يمكنك تحمُّلها، لذا فمن الأفضل أن تتجنّب الشك». فأجاب سونغ يون هوي بـ «حسنًا»، وتمنّى لو يفعل هذا، ولم يكُن هناك الكثير لقوله. كان يعلم ما يقصده كبير المهندسين ليو، وهو ليس العلاقة بين الأمين شوي والسيد فِيّ مدير المصنع، ولكن يبدو أن السيد ليو ينتمي إلى فصيل السيد فِيّ مدير المصنع، فشكره على التفكير بشأنه.

لم يتوقّع كبير المهندسين ليو ألّا يكون سونغ يون هوي حلو اللسان، لذا لم يسعه إلا أن يعيد التفكير بعناية أكبر بشأن هذا الفتى. لقد اطّلع على ملف هذا الفتى من قبل، وأعجبه جدًا، ولكن عندما أُعجب به الأمين شوي، اضطر السيد ليو لتسليم ملفّه إلى الأمين شوي. وحتى اليوم، ما زالت طريقة الأمين شوي في تعليمه غير صحيحة، ولكن يبدو أن نتائج هذا الفتى جيدة جدًا حتى بعد نزوله للتدريب في المستوى الأساسي، ليس كيوي شان تشينغ الذي يكاد يكون لم يحقق شيئًا بعد عام كامل. لقد أتى بالفعل قبل عدة أيام ليبحث عن هذه المعلومات التي في يده، واستخدم سلطته لتحريك آخرين لمساعدته، ولكن جميع من لهم صلة بالأمر قالوا له أن ينتظر مجيء سونغ يون هوي ليسأله بشأن هذه المسألة التقنية المتعلّقة بالورشة الأولى، وقد نُظّمت المعلومات المكتوبة باللغة الروسية داخل المكتبة بالفعل، وسونغ الصغير هو أكثر من يعرف بالمعلومات المكتوبة باللغة الإنجليزية. وكانت النتيجة أنه اكتشف هذا فعلاً بمجرد سؤاله. يحب كبير المهندسين ليو أمثال هذا الفتى المجتهد. وقد أتى بالفعل، لذلك جلس معه طرح عليه بعض

الأسئلة الإضافية: «سمعت أنك من يقوم بتنظيم الملفات التقنية للورشة القديمة؟».

«نعم، ولكن هناك بعض المعدّات التي لا يمكن رسم خرائط لأجزائها الداخلية، ولحسن الحظ، فإن رسومات تلك المعدّات الرئيسة تكون مكتملة بشكل أساسي، ولكن سمعت أن هناك بعض التعديلات البسيطة التي لم يتم تسجيلها، لذا علينا الانتظار حتى نتسلقها وندخلها لنتحقق منها وقت صيانتها. لقد نُظِّمَت ملفّات معدّات القسم الأول بالورشة الأولى بشكل أساسي، وحاليًا يتم تنظيم الملفّات الخاصة بالقسم الثاني. الشيء الوحيد الذي يدعو للأسف هو عدم وجود أيدي عاملة كافية، بالإضافة إلى عدم كفاية خبرتي العملية في التشغيل، بخلاف ذلك أفكّر في إعادة تنظيم ما يجب معرفته وتعلّمه وفقًا للمعدّات الموجودة، وأن أنظّم ما يجب معرفته وتعلُّمه في كتاب جديد وفقًا لكل نوع من أنواع العمل».

لمّا سمع السيد ليو هذا تنهد قائلاً: «يقولون إن كل شيء جاهز للتحسين، ولكن مصنعنا، مصنع جينتشو، في عام كامل... آه! علينا تعلُّم أسلوبك في العمل بالوقوف على أرض الواقع».

ابتسم سونغ يون هوي بتواضع، ولكنه لم يأخذ كلام كبير المهندسين ليو على محمل الجد. فكلما زادت معرفته بالورشة، زاد شعوره بسخافة العمل في مكتب التصحيح الشامل، فحتى ما يجب معرفته وما يجب تعلّمه ما زال لم يتم تدوينه بعد، وما زالت المعلومات المتّبعة إلى الآن هي المعلومات القديمة التي كانت قبل «الثورة»، كيف سيضعون نظام المسؤولية الوظيفية؟ الوظائف

ليست واضحة حتى، إذًا كيف سيطبّقون نظام المسؤولية؟ أليست هذه شجرة بلا جذور؟ ولكن لا يمكنه بالطبع أن يشكك في ذلك، فهو يعلم أن معرفته بجينتشو محدودة، ومن يدري ما إذا كان القسم الفني لديه بالفعل معلومات في يده حقًا أم لا، يبدو أنهم لم يعطوها للمستوى الأساسي فحسب. قد يكون كبير المهندسين ليو ليس لديه أسباب كافية لإلقاء المسؤولية على ذلك العام المضطرب، وفي رأيه، يبدو أن هناك مشكلةً في الفكر العام للعمل.

صمت السيد ليو قليلاً، ثم قال: «لدي سجلّات بشأن جميع تعديلات المعدّات الخاصة بالورشة الأولى، سأطلب من ابنتي أن تعطيك إياها كمرجع بعد ظهر اليوم».

«رائع جدًا، شكرًا». كادت عينا سونغ يون هوي تشرق بمجرد سماعه لهذا. فنظر كبير المهندسين ليو إليه، وفجأة تنهّد وقال: «إذا كان لديك وقت، فمن الأفضل أن تدوّن كل ما تقوم به من عمل في سجل، حتى يمكنك الرجوع إليه لاحقًا. أنت... أنت تقوم بعمل رائع الآن، لا يجب أن يكون الشباب متهوّرين، وألّا يتورّطوا في المؤامرات قبل تعلُّم المهارات جيدًا. بالنسبة لنا نحن الفنيين، من الأفضل أن نحافظ على مكاتبنا بالوقوف على أرض الواقع، وإلا فلن نتمكّن من إنجاز أي شيء. سأغادر، واستمر أنت، يبدو أن لغتك الإنجليزية جيدة».

نهض سونغ يون هوي ليودّع كبير المهندسين ليو، وعلى الرغم من أن السيد ليو عامله بكل إخلاص ولم يهتم بأنه يبدو وكأنه رجل الأمين شوي، فإنه ما زال لا يتّفق مع وجهة نظره، فمثلاً،

لو لم يكُن يحظى برعاية الأمين شوي ذي السلطة، أكان سيمكنه الحصول على مكتب مستقر هكذا؟ في هذه اللحظة، بدا سونغ يون هوي وكأنه صار لديه فهم أعمق بشأن عبارة «الأمور تُنجَز بسبب الناس». فليس من الضرورة أن يكون القادرون على فعل الأشياء قادرين على إنجازها أيضًا.

خلت غرفة المطالعة بحلول الظهر. ألقى سونغ يون هوي بقاموسه على مقعده كالعادة، إذ كان على أي حال سيعود مجددًا بعد الظهر. وذهب إلى المنضدة ليستبدل بطاقة الاستعارة الخاصة به، فرأى كتابًا موضوعًا في الداخل، فمدّ يده ليقلّب صفحاته، ورأى أنها رواية أجنبية، «إيما» لجين أوستن. فخمّن أن يكون هذا الكتاب هو الذي تقرأه ليو تشي مينغ، ولمّا تسلّم بطاقة الاستعارة خاصته التي أعطتها إياه المسؤولة القديمة، لم يستطع منع نفسه من أن يضيف جملة قائلاً: «كانت أختي تحب القراءة أيضًا». وعندئذ شعر بحزن، ولم ينتظر ردّ المسؤولة القديمة، وإنما أسرع واستدار مغادرًا، ونسي الانتباه إلى مكان وجود ليو تشي مينغ.

نظرت المسؤولة القديمة متفاجئة إلى ظهر سونغ يون هوي وهو يغادر، وفجأة رأت ليو تشي مينغ قادمة بعدما أغلقت النافذة، فلم يسعها سوى أن تثرثر: «لم أتوقّع أن يكون سونغ الصغير لطيفًا هكذا مع أخته التي رحلت لتوّها، أيمكن لفتى كبير هكذا أن يبكي بمجرد ذكرها. أوه، لم أتوقّع ذلك».

لم تتّفق ليو تشي مينغ معها، وإنما أغلقت الباب بعدما رأت المعلّم يخرج. وبعد عودتها إلى المنزل، أخرج والدها دفتر

ملاحظاته السابقة، وطلب منها إعطاءه لسونغ يون هوي بعد الظهر، وقال أيضًا إن هذا الفتى مجتهد وشخص جيد. فشعرت ليو تشي مينغ بارتباك داخلي.

عاد سونغ يون هوي إلى غرفته، فرأى شيون جيان شيانغ بشعر فوضوي، ويأكل المانتو الذي أحضره له هذا الصباح مع الطعام المتبقّي من الليلة الماضية، فتعجّب وسأله: «هل استيقظت لتوّك؟».

«كفّ عن الهراء». لم يرفع شيون جيان شيانغ جفنيه حتى، وتجاهل تعبير وجه سونغ يون هوي، إذ كان يظن أن الرجل سيكون عديم الفائدة إذا ظلّ في دوّامة الحزن التي لا تنتهي. فلو أراد سونغ يون هوي البقاء حزينًا، سيتجاهل الحسابات، وسيظلّ بعيدًا عن الأنظار.

«أما زلت لم تغسل وجهك ولم تنظف أسنانك بعد؟» تعمّد سونغ يون هوي استفزازه قليلاً، فحدّق شيون جيان شيانغ به، وسأله بفضول: «أنت محظوظ، هل وجدتَ أموالاً؟». شعر سونغ يون هوي بالخجل، إذ يبدو أنه لا ينبغي أن يكون مبتهجًا في وقت كهذا. ولكنه لم يستطع منع نفسه من سؤاله: «أتعرف ابنة كبير المهندسين ليو، الابنة الصُغرى؟».

في تلك اللحظة استفاق شيوي جيان شيانغ، وجلس مستقيمًا، ولمعت عيناه: «تلك الفتاة المتعجرفة التي أنفها في السماء. لماذا، أهناك من خطبها لك؟ طلبنا الوحيد هنا هو أن ترفضها بكل قوّتك، حتى تعطي فرصة لكل عُزّاب المصنع كله». فاحمرّ سونغ يون هوي خجلاً: «لقد رأيتها للتو، وهذا مجرّد سؤال».

فضرب شيوي جيان شيانغ على المنضدة، وأشار إلى سونغ يون هوي قائلاً: «لا يمكنني الاعتماد عليك، انظر إلى وضعك، عليك أن تكون أكثر بهجة. إن عائلة ليو من المثقفين، ومنزلهم مليء بالفتيات، وكل واحدة منهن تبدو كالمعكرونة، بيضاء ونحيفة، وكأنها ستسقط بمجرد أن تهبّ الرياح. ولكنك مختلف، فأنت أمين في عملك، لذا لا تُحدِث جلبة، ولتُطِع إخوانك الكِبار. لو سمحت لابنة عائلة ليو بأن تخدعك، فستجلب العار لجميع رجال جينتشو».

لم يعرف سونغ يون هوي بماذا يجيب، فقال: «سأذهب لأحضر الطعام، أتريدني أن أُحضِر لك شيئًا؟».

«لا أريد». لم يطمئن قلب شيون جيان شيانغ، فلاحقه بجملة أخرى: «على أي حال، عليك أن تعاني لمدة شهر على الأقل حتى تتمكّن من الابتهاج».

ولمّا سمع سونغ يون هوي هذا وقف مذهولاً عند الباب، ولم يستطع منع نفسه من أن يستدير ناظرًا إلى شيون جيان شيانغ، ثم عاد ببساطة وأغلق الباب قائلاً: «باستثناء عجرفتها، هل لديها أي مشكلة أخرى؟».

فوضع شيوي جيان شيانغ قدميه على المقعد، وجلس كالقرد، وقال بواقعية: «ليس لديها مشكلة أخرى، فأسلوبها لائق، وليست مريضة أو في ورطة. ولكن دعني أخبرك الأمور السيئة في بداية الكلام، فلو أردت الارتباط بمثل هذه الفتاة، لن أجرؤ فيما بعد على القدوم إلى منزلك».

«الأمر خطير لهذه الدرجة؟ لماذا؟».

«من أجل خطئك في تفويتي لمشاهدة فيلم الأكشن «سانشيرو سوجاتا»، عليك إذًا أن تستمع لي، فأنت وهي طريقكما ليس واحدًا».

«لا، إنها مثل أختي، تحب القراءة».

فذُهل شيون جيان شيانغ للحظة، ثم حوّل عينيه وتجاهله، لقد أراد حقًا أن يضرب ذلك الرأس المتحجر الذي يُقال إنه ذكي للغاية حتى يستفيق، ولكنهما الآن ليسا ثملين، لذا ليس أمامه حُجة مناسبة لهذا، فلم يكُن أمامه سوى أن يصرّ على أسنانه ويغني «اقضوا على شيلوه، اقضوا على شيلوه[1]»، وفتح الباب وذهب إلى دورة المياه. لم يعرف سونغ يون هوي لماذا كان يبحث عن أي سبب لمعارضة أمر ليو تشي مينغ، ولم يسأله بشأن أي أمر آخر، ولكن شيون جيان شيانغ لم يقُل شيئًا سيئًا أيضًا بشأنها، وليس بينهما أي ضغينة سواء قديمة أو حديثة، ولكنه كان مصرًا على أنهما غير مناسبين لبعضهما، كما قال إنه يفهم جيدًا في الأشخاص، وهو أكثر من يعرف المناسب من غير المناسب.

نظّم سونغ يون هوي المعلومات المترجمة التي يريدها كبير المهندسين ليو بعد الغداء، ثم قرأها مرة أخرى، وعدّل الأجزاء غير المعقولة فيها. وكانت آثار التعديل واضحة جدًا، إذ كانت مكتوبة بحبر أسود وأزرق، وصارت الآن مكتوبة بحبر كربوني. فكّر سونغ يون هوي في أن هذا يرجع إلى سعيه الدائم إلى التميُّز والكمال

(1) بلدة بالصين في تايوان.

فيما يقوم به، وليس لمجرد رغبته في ترك انطباع جيد لدى كبير المهندسين ليو.

وبعد الظهر ذهب إلى غرفة المطالعة، وسلّم المعلومات المترجمة إلى ليو الصغيرة، ولمّا رأى ليو تشي مينغ تسلّمه دفتر الملاحظات الأسود الكبير بكلتا يديها البيضاوين النحيفتين، واللتين بدتا أكثر نحافة من يديّ أخته، ذهب فكره إلى أنها استخدمت كلتا يديها تمامًا كما فعلت عندما تسلّمت منه بطاقة الاستعارة صباح اليوم، وهذه هي التربية. فأراد بشدة أن يفتح معها حوارًا، ولكنه عندما تذكّر أخته، شعر بغصة في قلبه، ولم يستطع التحدُّث، فعاد إلى ذلك المكان الذي كان يجلس فيه صباحًا، وصبّ تركيزه على قراءة الكتاب. ولم يكُن لديه الوقت لقراءة دفتر ملاحظات السيد ليو مؤقتًا.

وكالعادة، أتت المسؤولة القديمة بحلول الساعة الثالثة والنصف، وربتت على ظهر سونغ يون هوي كما لو كان صغيرها لتحثّه على الذهاب إلى العمل. فحزم سونغ يون هوي أغراضه، ومرّ أمام ليو تشي مينغ مرة أخرى، وأومأ برأسه لها مبتسمًا، وغادر. وبمجرد ذهابه، لم تستطع المسؤولة القديمة منع نفسها من التحدُّث عنه، ففي السنوات الماضية كان من الصعب على الشباب إثارة الشغب، وبدأوا يرغبون في القراءة، ولذلك أُصدِرت روايات مثل «غوريلات غاريسون» و«سانشيرو سوجاتا»، فعلّمت أولئك الشباب أن يكونوا لصوصًا كهؤلاء الذين في الفرق الانتحارية، وأن يدعوا والديهم بالزعماء، ولكنهم الآن صاروا يضربون ويركلون في كل مكان، حتى إننا أصبحنا لا نجرؤ على الذهاب إلى السينما

مساءً، ولا حتى السينما التي في مصنعنا، والأكثر إثارة للخوف هو رؤية أولئك الشباب يقفزون ويدعون لممارسة الرياضة في الخارج في حالة حدوث أي خلاف، فيقاتلون بتلك الروح القتالية التي لدى فريق كرة الطائرة للسيدات. ولذلك يعجبها هؤلاء الشباب أمثال سونغ الصغير، فهو مثقّف، ومجتهد، وسيكون الأمر رائعًا لو كان ابنها على استعداد للدراسة مثله. مازحتها ليو تشي مينغ قائلة إنها أيضًا تحب القراءة، وللوقت عارضتها المسؤولة القديمة وقالت إن الكتب التي تقرأها مختلفة، فمن لا يمكنه قراءة الروايات، كما أنه لا فائدة من قراءتها.

ولكن ليو تشي مينغ لم تكُن تعتقد أيضًا أن سونغ يون هوي مميز، ويمكنه القراءة. فهناك الكثيرون من هؤلاء الأشخاص في عائلتها، بل وجميع أزواج شقيقاتها لطفاء ومهذّبون ومتعددو المواهب.

لم يقرأ سونغ يون هوي دفتر ملاحظات كبير المهندسين ليو إلّا بعد ذهابه إلى العمل. وبمجرد قراءته، شعر بعرق بارد يتساقط فجأة على ظهره، إذ بدا هذا الدفتر حقيقيًا وغنيًا بالمعلومات. لا، يبدو أن المهندسين في المصنع ليسوا جميعًا منبوذين كما كان يظنّ، ولم يصيروا منبوذين من المجتمع كما كانوا من قبل، وإنمّا صاروا الآن هم من ينبذون المجتمع. إنهم كالجياوتسي التي تغلي في الإبريق، فبطونهم مملوءة، ولكنهم لا يستطيعون إخراج ما بداخلها. شعر سونغ يون هوي بالخجل من معرفته الضحلة في الماضي، إذ رأى أنها ليست شيئًا أمام فهم السيد ليو للمعدّات. ولكنه لم يكُن يدري مقدار سلوكه المتغطرس في أعين الآخرين،

إذ كان كنصف زجاجة الخل التي تُصدِر صوتًا مرتفعًا عند رجِّها.

ولكنه في النهاية يعدّ خبيرًا أيضًا، إذ إن فهمه لمعدّات الورشة الأولى مكّنه من فهم دفتر السيد ليو في لمحة واحدة. وأكثر ما عاد عليه بالفائدة هي الأفكار التي دوّنها السيد ليو في الخلف، إذ بيّنت مدى اهتمامه العميق بتحديث المعدّات. ولكن سونغ يون هوي لم يستطع فهم أنه كبير المهندسين، ولديه سلطة، ويفهم جيدًا، إذًا لماذا لم يفعل أي شيء؟ بالطبع لم يكُن قد أُعيد تأهيله قبل عام 1979، وهذا يمكن فهمه، ولكن منذ عام 1980 وحتى الآن، أي بعد مرور أكثر من عامين، لا يمكن إلّا أن نجزم بوجود مشكلة ما في أسلوب عمل كبير المهندسين ليو. فكأنه يغلي الجياوتسي في إبريق شاي ولا يُفكر في نقلها إلى إناء بفوهة أوسع.

ولكن هذه الأفكار لم تجُل في ذهن سونغ يون هوي إلّا في طريقه إلى المهجع بعد انتهاء العمل، وبمجرد وصوله إلى الغرفة، ألقى بكل جوارحه داخل دفتر الملاحظات الأسود. فوجد إجابات العديد من الأسئلة داخل ذلك الدفتر، فاستنار عقله، وكأنه صار بإمكانه التحدُّث مع العاملين في مجال البناء من خلال هذا الدفتر. لماذا يحتاج هذا الأنبوب إلى الدوران، ولماذا يجب تركيب مصيدة بخار في ذلك المكان، ولماذا يُعلّق مقياس الضغط بشكل ملفت للنظر... جميعها كانت لها إجابات، إذ إن العديد من المشكلات كالطرق المائي والرنين لا يمكن مقابلتها إلا في التشغيل الفعلي. أخرج سونغ يون هوي دفتر ملاحظاته الخاص، وحذف بعض بنود التحسين التي كان في المقرر أصلاً طرحها خلال الإصلاح الربيعي في شهر مايو، وصار عليه دراسة البنود المتبقيّة ومراجعتها

بشكل شامل، إذ أعطاه دفتر الملاحظات الأسود الخاص بالسيد ليو فكرًا جديدًا كليًا.

عند عودة شيون جيان شيانغ ثملاً من مكان لا يتذكّره، كان سونغ يون هوي يقرأ دفتر الملاحظات، فأزعجه صوت ركلة شيون جيان شيانغ للباب، فرفع رأسه ورأى شيون جيان شيانغ وقد تشاجر مع شخص لا يعرفه بعدما ثمل، إذ كان أكمام ذلك الزي المتين ممزّقة. لم يكن سونغ يون هوي يدري أيضًا من أين أتتهم كل هذه الطاقة، فقد سمع أن العديد من الذين تشاجروا قد أُرسلوا إلى مستشفى المصنع، ولم تستطع الفتيات العودة بمفردها إلى المنزل بعد انتهاء المناوبة الليلية، واحتجن إلى من يوصلهن، وهذا كله كان في منطقة المصنع. فصعد وأمسك بشيون جيان شيانغ الذي كان يثرثر محدّقًا ووضعه على السرير، وأنزل له ستارة السرير، فصار السرير مظلمًا، وهدأ شيون جيان شيانغ، وهكذا الحال كل مرة. ثم ساعده على خلع حذائه، ولكنه رأى قدميه ذات الرائحة الكريهة تخرجان من ستارة السرير، فلم يكُن مهذبًا وركلها إلى الداخل، وإلا، فإن هذه الجوارب التي لم تُغسل لعدة أيام ستزيد من الرائحة الكريهة في الغرفة. أحيانًا لا يستطيع سونغ يون هوي أن يفهم مطلقًا، لماذا لا يمتلك شيون جيان شيانغ هذا الشخص الطيب أي مسعى في الحياة، ويعيش اليوم بيومه. حتى ولو كان يمكنه أن يكون كهؤلاء العاملين في ورشة الصيانة الذين يستخدمون المواد العامة خلسة ليصنعوا منها نوابض الأرائك في منازلهم، لصارت حياته مزدحمة بعض الشيء، ولكنه لا يفعل شيئًا إلا أن يثمل ويتشاجر. استطاع سونغ يون هوي استيعاب أسلوب

حياة شيون جيان شيانغ، ولكنه لم يستطع مطلقًا فهم ما يفكّر فيه، ولم يفهم كيف يمكن لإنسان أن يكون على استعداد لإضاعة حياته هكذا.

بعد فترة وجيزة، نُقِل مدير المصنع فِيّ إلى مدرسة الحزب للدراسة، وحدثت ثرثرة بين العديد ممن خلفه، إذ قالوا إنه أخيرًا لم يستطع مقاومة نيران الأمين شوي، ووجد عذرًا للانسحاب. أمّا بالنسبة لبقائه أو رحيله، فقد بدا الجميع وكأنهم يشاهدون مسرحية، ليس لها علاقة بالحبكة الدرامية. والآن بعد حلّ معضلة الرواية أخيرًا، كانوا جميعًا لا يزالون مستمتعين بإدراكهم المتأخّر للأمر.

كان سونغ يون هوي مترددًا أصلاً، ولكنه سرعان ما رأى الأمين شوي وقد بدأ في عقد اجتماعات مكثّفة مستغلًا الإصلاح الربيعي في شهر مايو، ووجّه بإنشاء مجموعة عمل مؤقتة، وبدأ العمل يسير على قدم وساق. وعندها فقط، صدّق سونغ يون هوي ثرثرة الجميع.

7

مع اقتراب يوم الشباب في الرابع من مايو، بدأ الشباب في إطلاق حملة قوية ليصبحوا القادة الجدد للمسيرة الطويلة، وهي حركة الأعضاء الجدد المتمتّعين بالسمات الأربعة[1]. منذ مغادرة مدير المصنع فِيّ، بدت جينتشو وكأن ملامحها قد تغيّرت تمامًا، وبدأت حقًا في الخروج من السبعينيات والدخول إلى الثمانينيات.

(1) أي المتمتّعون بالطموح والأخلاق والثقافة والانضباط.

بالطبع كان من المستحيل على سونغ يون هوي أن يستشعر عن بُعد حالة الأمين شوي النفسية، ولم يكُن ذكيًا بما يكفي للتكهُّن بنية الأمين شوي في استغلال مجموعة العمل المؤقتة لعزل القوى الناشئة التي ظهرت خلال العامين الماضيين، وإنما كان يشعر فقط بأنه أخيرًا استطاع فعل شيء، تبًا لهذا. لقد كان مكتئبًا بالفعل، وصارت لديه رغبة قوية في السّباب كل يوم. لم يكُن يريد حقًا رؤية جينتشو العظيمة في مستوى أدنى من شياوليجيا وغيرها من القُرى، أو رؤية شيون جيان شيانغ وغيره من العُمّال في حالة من الارتباك، ولكن حسنًا، لقد انفرجت السماء عن شِق، وتسللت منه نسائم التغيير التي تحمل روح الثمانينيات. ولكنه كان متشكّكًا أيضًا، أيمكن أن يكون الأمين شوي بهذا يتحدّى نظام مسؤولية مدير المصنع، أيمكن أن يكون الأمر هكذا؟ ولكن على أي حال، فقد صار لديه ما يفعله، إذ كاد لا ينعس ولا ينام في غرفته، ويسهر ليعمل لثلاثة أيام، حتى استطاع في النهاية التوصُّل إلى تقرير بعنوان «تصوُّر بشأن تشكيل فريق كوماندوز شبابي في الورشة الأولى بالمصنع الأول». لقد قرأ الكثير من الافتتاحيات، وأصبح على دراية بالكتابة الرسمية، وصار يكتب الكلمات ويكوّن الجُمل بسرعة كبيرة. بعد ذلك صار ترتيب الأهداف هو الصفقة الحقيقية: ما الأهداف العامة، وكيف يمكن تقسيمها، وكيف يمكن تحقيقها؟ ورسمها مقسّمة في جدول على ورق الرسم كعادته، كانت لديه رغبة كتابة ترتيب الموظفين أيضًا، ولكنه قمع هذه الرغبة مرة بعد مرة حتى استطاع التحكُّم فيها، وترك مساحة للملاحظة الأولى ثم الثانية وهكذا، تاركًا الأمر للقادة ليقرروا الأمور الرئيسة كترتيب

الموظّفين، فقد عانى ذات مرة أثناء دراسته في الجامعة من هذا الأمر، إذ إنه قد تجاوز حدوده حينها فغضب عليه الموجّه، وصار يكتسب الحكمة من كل مرة يعاني فيها.

بعد الانتهاء من التقرير، شَغَل سونغ يون هوي طاولتين في الغرفة، ووضع التقرير عليهما وظلّ يفكّر ويعدّل فيه لثلاثة أيام. حتى إن شيون جيان شيانغ لمّا رآه تمتم قائلاً، ما أغباه! فراتبه أقل من شيون جيان شيانغ، ولا يعمل كمساعد حتى، ومع ذلك فهو يظلّ مشغولاً طوال اليوم إلى أن يظلم الليل، من سيتعاطف معه؟ ومن سيهتم إذا كان متعبًا أم لا؟ وحتى الآن لم تتم ترقيته أو زيادة مرتّبه مثل غيره من الطُلّاب الجامعيين، لا أدري ما الذي يشغله، هذا الأحمق المختل الذي لا يتعب. ولكن شيون جيان شيانغ أعجب حقًا بإصرار هذا الفتى الأحمق الذي لا يكل ولا يمل، بل وأعجبه أيضًا قدرته على حبس نفسه في الغرفة والتحديق في قطعة من الورق لثلاثة أيام في غير أوقات العمل.

التخطيط أولاً ثم التحرُّك ثانيًا. سلّم سونغ يون هوي حافظة سميكة مملوءة بالمستندات إلى الورشة دون أي تردد، واختار فعل هذا في وقت تواجُد كلٍّ من أمين الورشة ومديرها تجنُّبًا للشك في تفضيل أحدهما عن الآخر. كان عليه انتهاز الفرصة، والاقتحام بسرعة، تمامًا كما كان الحال أثناء دراسته في الجامعة، وسلّم بلا أي تردد طلب الانضمام إلى عصبة الشبيبة وطلب العمل كموجّه في المدارس الابتدائية.

كان أمين الورشة ومديرها كلاهما يعرفان جليًا أن سونغ يون هوي هذا لا يعمل في الورشة، وحتى لو كان كذلك، فليس

لديهم الحق في توجيهه بأي حركة أو فعل، إذ إن توجيهاته يتحكم بها الأمين شوي من الأعلى عن بعد. لذلك لم يستطيعا بالطبع إعطاء رأيهما للأمين شوي في تقرير سونغ يون هوي بعد الدراسة المتأنية، وإنما ألقيا نظرة عليه، وتعرّفا عليه، ثم حزماه مباشرة إلى الأمين شوي ليقرأه ويتّخذ قرارًا بشأنه. ولكنهما بعدما ألقيا نظرة عليه، شعرا أن طموحات هذا الفتى ليست بقليلة.

لم يكُن الأمين شوي غامضًا على الإطلاق، فقبل حتى أن يفتح حافظة المستندات اتّصل بالورشة، وطلب من سونغ يون هوي الصعود وشرح الأمر. كان سونغ يون هوي قد نام بعد المناوبة الليلية، وبعدها جرّه مسؤول الشؤون العامة من السرير إلى المبنى الإداري للمصنع الرئيسي. لذا أرجَع سونغ يون هوي شعره إلى الوراء قليلاً، ثم دفعه سكرتير الأمين شوي إلى داخل مكتب الأمين بعدما اندفع إلى الخارج ليُحضِره.

وما إن نظر الأمين شوي حتى فهم الأمر، وسأله باهتمام: «المناوبة الليلية؟». فأومأ سونغ يون هوي برأسه وقال: «لا يهم؛ فما زال بإمكاني استخدام عقلي». ولمّا رأى الأمين شوي يُخرِج محتويات حافظة المستندات، أخذ الرسومات وفتحها.

قال الأمين شوي: «لا تجلس، فلتعطني نبذة عنها».

فحدَّث سونغ يون هوي نفسه بأنه لو كان قد دعاه بعد انتهاء المناوبة الليلية مباشرة، لكان ذهنه أفضل قليلاً، ولكن بعدما تم جرّه بعد النوم لقليل من الوقت، صار يشعر الآن وكأن قدميه واهنتان عند الوقوف، ولا يدري ما إذا كان سيُخطئ أم لا. فحاول

أن يركّز بكل طاقته، وشرح للأمين شوي بصعوبة بالغة أن الخطة مقسّمة لعدة فئات، ولماذا توصّل إلى هذا الأمر، والقوى العاملة والوقت المقدَّر استخدامهما، ولكنه لم يجرؤ على كتابة هذا نظرًا لعدم خبرته في الإدارة، وهكذا.

بعدما انتهى من الشرح، دعاه الأمين شوي إلى الجلوس على أريكة قماشها باللون الأخضر العسكري، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يجلس فيها على أريكة. كان عقله مرهقًا بالفعل، وما إن جلس على الأريكة الواسعة الكبيرة والناعمة، زاد شعوره بالدوار. بدا الأمين شوي سعيدًا جدًا، وقال مبتسمًا: «يبدو أن التدريب في المستوى الأساسي مفيد جدًا، وإذا صمتَّ وهدأت، فستكتشف عيوبك، وتعرف كيف تعالجها. ماذا تعلّمت مؤخرًا؟».

«إنني أتابع الجدول الزمني للورشة. ولكنّي تعرّفت بشكل أساسي على جميع المعدّات الموجودة في أقسام التشغيل الثلاثة».

«حسنًا، جيد، وتعليقات الجميع جيدة أيضًا. تعالَ، دعني أحبطك قليلاً أولاً، خطتك هذه، لا يمكنني الموافقة على تنفيذها بشكل منفرد في الورشة الأولى، لأن الورشة الأولى هي قلب المصنع كله، وأي حركة أو فعل بها سيؤثّر على الوضع العام، حتى ولو كان تجريبيًا، فلا يمكن أيضًا تنفيذه. ولكنك قدّمت فكرة جيدة جدًا، لقد دفعتني هذه الفكرة مع جدول تقسيم العمل الذي ثبّته على الحائط العام الماضي إلى التفكير في ضرورة قيامك بتعديل نموذج عمل مكتب التصحيح الشامل، من أسلوب العمل السابق من الأعلى إلى الأسفل إلى أسلوب العمل من الأسفل إلى الأعلى

لصياغة إطار المصنع الرئيسي. سنعقد اجتماعًا متخصصًا لاتّخاذ قرار بشأن هذه المسألة، وسأُبلِغك مبكّرًا بموعده، وحينها يمكنك إلغاء مناوبتك الليلية. بعد عودتك، يمكنك توسيع آفاقك، والوقوف على مستوى أعلى قليلاً، والتفكير في هذه المسألة بشكل شامل».

«نعم يا سيادة الأمين». لم يعرف سونغ يون هوي للحظة ما إذا كان عليه أن يبتهج أم يُحبط، إذ كان عقله مرهقًا حينها، لذا أتت ردّة فعله طبيعية. ولمّا رأى الأمين شوي ينهض، نهض أيضًا معه.

اقترب الأمين شوي وربّت على كتفه برضا، ونظر إليه من أعلى إلى أسفل كمن ينظر إلى ابنه وقال مبتسمًا: «فلتعُد وتنم جيدًا، وبعدما تكتفي من النوم شغِّل عقلك فورًا، وسأبلغك بالموعد خلال ثلاثة أيام لا أكثر. لقد قمت بعمل رائع، فقبل مرور عام واحد على دخولك إلى المصنع صارت لديك معرفة عميقة كهذه، حتى إنك صرت تستطيع طرح بعض أفكار التحسين، لم تُمضِ أيامك هباءً».

شعر سونغ يون هوي بالإطّراء قليلاً، بالأحرى شعر بتشجيع مفرط من يد الأمين شوي الدافئة التي كانت على كتفه، فقال متلعثمًا بعض الشيء: شكرًا لك أيها الأمين شوي، أنا... لا بد من أن تفكيري لم يكُن ناضجًا».

«هذا أمر لا مفر منه، أين خبرتك، لا بد من أن يكون كل ما تقرأه وتفكّر فيه محدودًا بخبرتك». رافق الأمين شوي سونغ يون هوي بنفسه إلى الخارج، ووقف كلاهما بجانب حاجز الدرج عند الممر، فرآهما بوضوح كل المارة الذاهبين والآتين بالأسفل،

«ولكن، هل فكّرت يومًا في تنمية نقاط قوّتك وتجنُّب نقاط ضعفك؟ أنتم أيها الشباب، مفعمون بالطاقة، وتفكيركم نشِط، بل وبالمقارنة بنا نحن الكِبار، فأنتم تجرؤون على تقبُّل الأشياء الجديدة، وتبرعون في هذا. واليوم، فإن المشكلات التي تواجهنا نحن تتمثّل في تخلُّف المعدّات، وتخلُّف التقنيات، وعدم قدرة المنتجات على اللحاق بمتطلبات الدولة في اتّجاه تعديل خدمات الصناعات الثقيلة وتنمية المواد الخام اللازمة للصناعات الخفيفة، وما إلى ذلك. وأنتم كشباب، عليكم بذل جهود أكبر في اتّجاه التحوُّل التكنولوجي والابتكار التكنولوجي، وإيجاد طرق جديدة، والبحث عن نقاط للانطلاق. أحتاج منك أن تعتبر المسألة التي ستفكّر فيها بمثابة نقطة انطلاق جديدة. ليس من الضروري أن تعطيني ورقة إجابة مثالية، ولا يتعيّن عليك أن تجعلها مثالية كتلك المستندات التي في الحافظة، فلتعُد وتتحقّق جيدًا من المعلومات الأجنبية المتقدمة، فهذا هو أكثر ما يحتاجه مصنع جينتشو حاليًا».

«حسنًا، سأفعل ذلك». كان سونغ يون هوي سعيدًا، فهو شاب، ولم يكُن راضيًا بالفعل عن قدرات معدّات المصنع في الفترة الأولى لمجيئه إلى هنا، ولطالما انتظر مجيء هذا اليوم، ولم يتوقّع أن يتمتّع الأمين شوي بالبصيرة ليبادر باقتراح هذا الأمر، «أيها الأمين شوي، أيمكنني إذن أن أطلب إجازة، لأعود إلى الجامعة وأتحقق من المعلومات؟ فالمعلومات الدولية ذات الصلة في مكتبة جينتشو... متأخّرة بالفعل».

«لقد بدأت المكتبة في إدخال معلومات أجنبية متقدّمة بالفعل منذ العام قبل الماضي، هل قرأتها؟».

«قرأتها كلها، ولكنها متأخّرة بالفعل عمّا قرأته في الجامعة. لا يمكن مقارنة الكتب بالمجلّات من حيث مواكبة العصر».

«إذًا ماذا تنتظر؟ لا تذهب إلى المناوبة الليلية هذه الليلة، واذهب في رحل عمل غدًا، سأكتب لك مذكّرة أولاً، ولتذهب بها إلى الإدارة المالية للحصول على رسوم السفر، ثم تعالَ إليّ مرة أخرى صباح الغد، واذهب مباشرة إلى بكين، وسأعطيك خطاب تعريف لتذهب إلى شخص ما لتتحقق داخليًا من المعلومات». قال الأمين شوي هذا وقد عاد بالفعل إلى مكتبه ليُحضِر قلمًا ويكتب مذكرة الموافقة.

لم يتوقّع سونغ يون هوي أن يفعل الأمين شوي شيئًا بهذه السرعة، فابتهج، وتحمّس كثيرًا لدرجة أنه أراد أن يقفز عندما فكّر في ذهابه إلى بكين ليتحقق داخليًا من المعلومات. فدخل برفقة الأمين شوي، وقال قلقًا: «أيها الأمين شوي، هناك قطار متّجه إلى بكين عند الظهيرة، سأذهب اليوم».

«لن تستطيع اللحاق به، فهناك بعض الخطابات التي لن أكتبها إلا مساءً. لا تذهب إلى المناوبة الليلية هذه الليلة، واستعدّ جيدًا، وغادر غدًا». ارتدى الأمين شوي نظارة القراءة، ولكن لم تكُن سرعة كتابته كسرعة قيامه بالأشياء، إذ كان بطيئًا قليلاً في كتابة كل كلمة، ولكنها بدت غائرة وكأنها ستخترق ظهر الورقة، «إن المكتب الهندسي العام يبحث أيضًا اتّجاهات التكنولوجيا الأجنبية، وقد أخبروني بكفاية المعلومات في مكتبة المصنع. لو لم تعُد بمعلومات تُثبِت تأخُّر معلومات مكتبة المصنع، فسأسوّي حسابي معك».

كان سونغ يون هوي متحمّسًا، فقال بثقة: «ليس لدى الأمين شوي فرصة لتسوية حسابه معي. المعلومات المترجمة التي بين يدي بالفعل متقدّمة كثيرًا عن مكتبة المصنع، والمعلومات التي كان يريد كبير المهندسين ليو معرفتها بشأن تقنية إف آر سي[1] جميعها مأخوذة منّي أيضًا».

فتوقّف الأمين شوي عن الكتابة، ونظر إلى سونغ يون هوي متأمّلاً، وبعد قليل، رفع يده ومزّق تلك المذكّرة، وبدأ كتابة واحدة أخرى، وأثناء الكتابة قال بطريقة متقطّعة: «عُدّ وجهّز ملابسَ تكفي لشهر، أو حتى لشهرين، ولا تعُد إلا بعد فِهم اتّجاهات التكنولوجيا الدولية للمعدّات الرئيسة في الورشة الأولى. لم يسبق لأحد القيام بهذا الأمر، وستعمل أنت وعدد من الطلّاب الجامعيين الجدد بقسم التكنولوجيا الحيوية على تنفيذ هذا الأمر بشكل منفصل، وستجدون مخرجًا بأنفسكم، وسأقدّم لكم التسهيلات مع المكتب الهندسي العام. تذكّر، عليك تحرير الفكر، وكسر الأُطُر، وتغيير اتّجاهات منتجاتنا بشكل جذري، ولكن عليك أيضًا التطابق بشكل معقول مع المعدّات المساعدة التي لدينا بالفعل بدلاً من بناء مصنع جديد تمامًا؛ فرأس مالنا محدود».

«فهمت». عندها فقط عرف سونغ يون هوي أنه بينما كان عالقًا في المستوى الأساسي لأيّام، كانت قيادات جينتشو تغيّر جلدها كما لو مرّت قرون، فبعد تولّي الأمين شوي للمسؤولية مباشرة،

---

(1) اختصار لكلمات Fumaks و Rhodac و Compac، وهي طرق إزالة الكبريت كيميائيًا.

تطوّر الوضع بسرعة في مصنع جينتشو بأكمله، ولم يكُن هو وحده من يتّخذ الإجراءات. فجأة استفاق، فلولا وعيه وإيجاده لنقطة دخول بنفسه وتقديمه للخطة، هل كان بإمكانه الحصول على فرصة اليوم؟ هل سيترك وراءه الطلّاب الجامعيين الذين تم تعيينهم في قسم التكنولوجيا الحيوية والذين دخلوا معه إلى المصنع؟ وفجأة انتابته حالة من الاستعجال لضرورة استغلال كل ثانية.

بعدما انتهى الأمين شوي من كتابة مذكّرة الموافقة، أعطاها لسونغ يون هوي، مكتوب أعلاها بدل سفر مسبق الدفع، لم يتمكّن سونغ يون هوي من كسب كل هذا المال طوال ما يقرب من ثلاث سنوات في المصنع. لم ينهض الأمين شوي هذه المرة لمرافقة سونغ يون هوي إلى الخارج، وإنما قال بكل صرامة وهو يجلس على مقعده: «يا سونغ الصغير، لقد عرّفني شوي الصغير عليك، ولدي توقّعات كبيرة منك، لذا لا تخذلني».

وافق سونغ يون هوي وخرج، فوجد يوي شان تشينغ ينتظره في الخارج. التقيا، ولم يقولا شيئًا، فقط تبادلا ابتسامة خفيفة، ولكن الفرق كان واضحًا، إذ بدا سونغ يون هوي أشعث الشعر بملابس فوضوية وجفون منتفخة، في حين بدا يوي شان تشينغ وسيمًا بوجه مشرق.

عندما رأى سونغ يون هوي يوي شان تشينغ وهو يدخل إلى مكتب الأمين، لم يستطع منع نفسه من التفكير في كلام الأمين شوي الذي قاله للتو، لا عجب في أن يكون يوي شان تشينغ قد بدأ بالفعل في بحث تحويل وتحسين المعدّات؟ هل وجد الاتجاه

أم لا؟ بالنظر إلى عدم إلمام كبير المهندسين ليو بتقنية إف آر سي، وعدم إلمام الأمين شوي بتأخُّر المعلومات بمكتبة المصنع، يبدو أن أبحاث يوي شان تشينغ لم تصل إلى نتيجة على الإطلاق. ولكن من الصعب أيضًا أن نقول إن يوي شان تشينغ ربما سلك طريقًا آخر، فكل الطرق تؤدّي إلى روما، ومن يدري إلامَ توصّل يوي شان تشينغ حتى الآن! ولكن بالنظر إلى الوضع الحالي، عليه حقًا أن يستغل كل ثانية.

والآن لم يعُد سونغ يون هوي قادرًا على النوم حتى ولو أراد ذلك، فذهب إلى الإدارة المالية للحصول على المال، ثم ذهب إلى مكتب الشؤون العامة لاستبدال قسائم الغذاء الوطنية، وبعدها ركب دراجته وذهب إلى محطة القطار لشراء تذكرة، وبعد العودة لم يذهب إلى أي مكان، وإنما جلس في غرفة المهجع وأخذ يقرأ كافة الملاحظات والمسودّات المترجمة بعناية ليكون على دراية بها.

لكنه فقط لم يتوقّع أن يُقام مساءً حفل غناء الربيع في ملعب كرة السلة المضاء خلف مبنى السكن، فمدّ رأسه ليلقي نظرة ثم تراجع، في حين ظلّ شيون جيان شيانغ فاتحًا النافذة ليشاهد، ولكنه كان ينظر أساسًا إلى الفتيات الجميلات والرؤوس الخارجة من مبنى العاملات المقابل. وبعد المشاهدة لفترة من الوقت، ركل طاولة سونغ يون هوي، وأخبره أن فتاة عائلة السيد ليو أتت. وعلى الفور وضع سونغ يون هوي الكتاب ومدّ رأسه متّبعًا تعليمات شيون، فرأى ليو تشي مينغ. كانت ترتدي سترة كروشيه، وشعرها منسدل خلف رأسها، فبدت رقيقة بشكل لا يوصف. وفي ظل الضوضاء

الصاخبة المحيطة بها، كانت تبتسم بهدوء، لم تكُن صاخبة، ولا منعزلة أيضًا. قال شيون وهو يقف بجانبه، اللعنة، هذه النوعية جيدة، تمامًا مثل بان هونغ في فيلم «في منتصف العمر»، يصعب التعامل معها. وعلى الفور عارضه سونغ يون هوي، كيف لها أن تكون كبيرة في العمر هكذا.

كانت عينا سونغ يون هوي تركّزان على ليو تشي مينغ، في حين ظلّت عينا شيون جيان شيانغ تجولان في كل الأنحاء، وفجأة سمعا صوتًا ما، اللعنة، لقد تعلّم هذا الفتى كيف يغني كفانغ يوان. نظر سونغ يون هوي، فوجد يوي شان تشينغ يصعد إلى المسرح ممسكًا بجيتار ضخم، ويرتدي قميصًا كاروهات نادرًا، وسروالاً أسودَ، فبدا مميّزًا عن بقية الحضور. فقال بداخله كيف يكون هو مرة أخرى، وكيف يكون موجودًا في كل مكان. ثم نظر عن دون قصد نحو ليو تشي مينغ، فوجدها تسند ذقنها بإصبعين من يدها، وتنظر إلى المسرح باهتمام شديد، وعيناها تلمعان تحت الأضواء. فانزعج بشدة، ولم يستطع منع نفسه من السباب وقول «اللعنة» كشيون جيان شيانغ، ولم تكُن مرة واحدة كافية، فكررها مرة أخرى. نظر شيون إليه، وضحك بصوت عالٍ لدرجة أن الجميع رفعوا رؤوسهم لينظروا إليه.

في حين كان يوي شان تشينغ على المسرح يغنّي بسعادة، كانت الأغنية الأولى بعنوان «قبّلني وداعًا»، وقد حظيت بتصفيق وصيحات الحضور جميعًا، والأغنية الثانية بعنوان «الأمس»، وبعدما انتهى من الأغنيتين، أخذ الجميع بالأسفل يصفّقون بحماس ويدعونه لغناء أغنية واحدة، حتى إن ليو تشي مينغ تغيّرت

عن هدوئها وصارت تصفّق أيضًا بحرارة. ظلّ سونغ يون هوي لا يصفّق مطلقًا مهما حدث، وإنما ضغط على عتبة النافذة بكلتا يديه بقوّة وصرّ على أسنانه. في حين كانت أغنية يوي شان تشينغ الثالثة قد بدأت بالفعل، والتي كانت معروفة لدى عدد كبير من الحضور، حتى إن سونغ يون هوي كان يعرفها، وهي «اربط الشريط الأصفر حول شجرة البلوط القديمة»، وكانت أيضًا أغنية إنجليزية. لم يستطع سونغ الشكوى لشيون، قائلاً إن لغة يوي شان تشينغ الإنجليزية أقل منه كثيرًا، ومع ذلك فهو يركّز على أداء الأغاني الإنجليزية، يا له من أمر محرج. فردّ شيون قائلاً إنه ماهر في هذا.

لم يرغب سونغ يون هوي في المشاهدة أكثر، فأدخل رأسه وعاد ليقرأ المعلومات، ولكن كيف يمكنه ذلك، فبعد قليل، أخرج رأسه مرة خرى ليشاهد، ووجد شخصًا آخر قد صعد على المسرح، في حين ظلّت ليو تشي مينغ تسند ذقنها بإصبعيها، وعيناها تلاحقان ببلاهة يوي شان تشينغ الذي نزل من على المسرح بالفعل. كان سونغ بالأعلى يشاهد بلا حول ولا قوة، ثم رأى ليو تشي مينغ تغادر بمفردها، وتركب دراجتها لتغادر، وقد اتّضح أنها قد أتت خصيصًا لترى يو شيان تشينغ. ولكن سعي يو شيان تشينغ ذلك وراء فتاة أخرى هو أمر معروف بالفعل في مصنع جينتشو، وربما لا تجهل ليو تشي مينغ ذلك أيضًا. اتّضح أنها تحب يوي شان تشينغ من طرف واحد، ما هذا!

ركب سونغ يون هوي القطار شاعرًا بالإحباط، وظلّ يفكّر في عدوه الوهمي يوي شان تشينغ، وأقسم على ضرورة التغلّب عليه مهما حدث. لكن شيون على الرغم من سخريته من سونغ، فإنه

في الحقيقة كان غاضبًا أكثر منه، اللعنة، ليو تلك الفتاة الصغيرة الخارجة عن القانون، أليست مجرّد ابنة لكبير المهندسين، ما العظيم جدًا بها، وكان هذا الغضب بمثابة ما يسمَّى بالغضب الإيجابي.

8

بعد رحيل زوجته، ظلّ لي دونغ باو يعاني من الأرق لعدة ليالٍ، بعدما كان ينام دائمًا بعمق ولا يستيقظ حتى لو كان هناك صوت رعد. عندما يصيبه الأرق، كان ينهض ببساطة، ويفتح صندوق خشب الكافور المزيّن بالرسومات ليتفحّص الملابس الصغيرة التي بداخله تحت ضوء القمر الآتي من النافذة الترابية الصغيرة. في البداية، أرادت والدته حرق هذه الملابس الصغيرة، ولكنه لم يسمح لها، فهذه الملابس هي ما تبقّى من زوجته وابنه. على الرغم من كونه صامتًا عند رؤيته لهذه الملابس الصغيرة، فإنه كان واعيًا تمامًا، واعيًا لدرجة أنه كان يتذكّر أدق التفاصيل منذ لقائه بزوجته للمرة الأولى. وفي النهار، كان يبدو ذابلاً، إذ لم يكُن ينام جيدًا، وبدا جسده كله رماديًا بلون التراب، حتّى إن وجنتيه قد أصبحتا متشققتين فجأة.

لما رأت والدته هذا لم يُعجبها الحال، فحزمت أمتعتها وعادت إلى غرفتها القديمة، ولكن لي دونغ باو كان معتادًا على الأطباق التي كانت سونغ يون بينغ تطبخها، ما جعله مستاءً من الأطباق التي تطبخها والدته لأنها لها نفس الطعم، وجميعها لها رائحة الأرز

المطهو على البخار، فغضبت والدته لدرجة أنها أرادت التخلّي عن الطهي له، ولكنها في النهاية يعزّ عليها ابنها، فإذا لم يعجبه الطعام ثانيةً، كانت تظل بجانبه محدّقة فيه بشفقة، وإذا ما قال لها بضع كلمات، لم تكُن تهتم، وإنما كانت تغضب قليلاً وتستدير وتذهب ويمرّ الأمر. لم يكُن أمامها حل لفقدان ابنها لشهيته أيضًا، لذا ظلّت تفكّر مرارًا وتكرارًا، وتجرّب مرارًا وتكرارًا، ولمّا لم تجد حلاً، ذهبت بمفردها إلى منزل عائلة سونغ بعيدًا لتسألهم عن سر الطبخ.

لم تتوقّع والدة سونغ يون بينغ مطلقًا أن تأتي حماة ابنتها لمثل هذا الأمر التافه، فقامت على الفور لطهي الأرز المقلي مع البيض، وإعداد حساء الملفوف الصيني، وتقطيع البطاطس إلى شرائح، وقدّمتها لوالدة لي دونغ باو لتناول الطعام. ولكن كيف يكون لأي منهما شهية، وبخاصة والدة سونغ يون بينغ التي انفجرت بالبكاء بمجرد رؤيتها لوالدة لي دونغ باو، حتى كاد صحن الأرز المقلي مع البيض أن يتحوّل إلى حساء أرز. ولكن في النهاية تعلّمت والدة لي دونغ باو القليل، فكان أول شيء فعلته بعد عودتها هو إشعال موقد الفحم الذي كانت تعترض عليه فيما مضى، حتى إنها اضطرت لدعوة أحد الجيران لإشعاله. ثم قامت بطهي الأرز المقلي مع البيض بنفس الطريقة، وأعدّت حساء الخضار، كما طهت الفجل على البخار، وقدّمته لابنها بعدما أُرهقت في إعداده.

لم يكُن لي دونغ باو يتوقّع أن تذهب والدته خصيصًا إلى منزل عائلة سونغ لمعرفة الطريقة فقط من أجل أن يأكل، لذا حشا الأرز المقلي في معدته على الرغم من كل شيء، وشرب الحساء إلى آخره، فقط الفجل لم يكُن قادرًا على تناوله. ولمّا رأته والدته وقد

أنهى طعامه، شعرت بمزيج من الفرح وبالحزن في الوقت ذاته، ولم تستطع منع دموعها من أن تنهمر. لم يستطع لي دونغ باو أن يقول لها شيئًا، فقط جلس بجانبها بهدوء. بعد ذلك أخذت والدته تذهب للعثور على من يمكنه إشعال موقد الفحم والطهي عليه لتتعلم منه، وبعدها كانت تعود لتطهو لابنها، وكان لي دونغ باو يعلم مدى معاناة والدته، لذا كان يتعيّن عليه حشو بطنه حتى ولو كان ممتلئًا كالبطّة، وأخيرًا لم يعُد يفقد وزنه أبدًا.

على الرغم من فقدان لي دونغ باو للحيوية، فإنه صار أكثر عنفًا عند غضبه، حتى ولو أراد الرفاق نصحه، فلم يكونوا يستطيعون هذا خوفًا من تقديم النصيحة للشخص الخطأ، أو تعرُّضهم للضرب أو الركل من قِبَله، لذا كانوا يضطرون لتجنُّبه فقط. وحده شي قن وهونغ وي هما اللذان يعتقدان أن من الخطأ استمرار هذا، فلو أصبحت فرقة شياوليجيا بلا قائد، ستكون في حالة من الفوضى إن عاجلاً أم آجلاً، وستبدأ الفوضى من فريق الهندسة المعمارية صاحب أكبر عدد من الأكشاك، ولو وقع حادث في موقع البناء وخسر أحدهم حياته سيكون الأمر بمثابة مصيبة. رتّب شي قن وهونغ وي للذهاب إلى والدة لي دونغ باو، ولكنها قالت إن ابنها لا يسمع إليها أبدًا منذ أن كَبِر، وصار يسمع إلى زوجته فقط بعد الزواج، والآن أصبح المساس به أكثر صعوبة، وسيثور بمجرد المساس به. ودعتهما والدته للذهاب إلى عائلة سونغ، قائلة إن ابنها سيستمع إلى والديّ زوجته من أجل ابنتهما.

على الفور ذهب شي قن وهونغ وي إلى منزل عائلة سونغ دون تراخٍ. وعلى الرغم من أن سونغ جي شان وزوجته تبعا ابنهما وألقيا

باللوم على لي دونغ باو في تدمير ابنتهما، فإنه كان يحترمهما أيضًا من قبل، فوافقا على ذلك، ولكنهما طلبا من شي قن وهونغ وي أن يتبعاهما خوفًا من حدوث خطأ ما، إذ إنهم يعرفون جميعًا مزاج لي دونغ باو السيئ.

قام شي قن وهونغ وي بما يكفي من المحاولات الخفية، وأخيرًا تجرآ على الذهاب إلى لي دونغ باو، وبعدما ذهبا إليه لم يتجرآ أيضًا على قول شيء آخر، كل ما تجرآ على قوله هو أن حماه يتّصل به، ويريد منه الحضور يوم الأحد للتحدُّث معه. لم يكُن لي دونغ باو يدري فيما يريد حماه التحدُّث معه، فذهب في مساء ذلك اليوم على الفور، حتى إن شي قن لم يستطع اللحاق به. قاد دراجته إلى المنزل الذي نشأت فيه سونغ يون بينغ، فشعر بالرهبة والتوتُّر، لذلك نظر من النافذة، فوجد حماه وحماته يأكلان بهدوء وأريحية، ومصباح كهربائي خافت الضوء يعلو رأسيهما. فطرق الباب ودخل، وهذه العادة كانت سونغ يون بينغ قد أكسبته إياها، إذ كان في الماضي يرفع ساقيه ويدخل دون طرق الباب بمجرد رؤيته للباب مفتوحًا.

بعد اللقاء، قال سونغ جي شان «دونغ باو»، فدعاهما لي دونغ باو «أبي، أمي»، وبدا عاجزًا عن الكلام نوعًا ما. وبعد وقت طويل، سألته والدة سونغ: «هل أكلت يا دونغ باو؟»

«لم آكل. سمعت أنكما تريدان رؤيتي».

لمّا رآه الزوجان هكذا، لم يستطيعا لومه، وتقدّمت والدة سونغ يون بينغ وشدَّته للجلوس، في حين ذهب سونغ جي شان

إلى المطبخ لإحضار الطعام، ودون أن يقول شيئًا، جلس لي دونغ باو وأكل. وبعد بضع قضمات، نطق لي دونغ باو فجأة قائلاً: «في المرة الأولى التي أتيت فيها إلى هنا، كان أول طبق أرز تقدّمه لي بينغ بينغ كافيًا لتقسيمه على صحنين».

نظر سونغ جي شان وزوجته إليه، وذرفت الأم دموعها أولاً. تماسك سونغ جي شان، ثم قال للي دونغ باو: «قالت والدتك إنك تظُن نفسك جنّيًا، ولا تأكل. عليك أن تأكل صحنين اليوم مهما حدث. لقد رحَلَت بالفعل، ولن نتحمل أكثر إذا حدث شيءٌ آخر».

كفكفت الأم دموعها، ونهضت قائلة: «سأقلي لك بيضًا، لتأكل على مهل يا دونغ باو». فمدّ لي دونغ باو يده وأمسك بالأم، وقال: «لا داعي، هذا الطعام يكفي».

تمتمت الأم: «لا أقصد ما إذا كان كافيًا أم لا، ولكن بينغ بينغ لو رأت كم نحفت فستلومنا. عليك أن تأكل كل ما سأعدّه لك من طعام اليوم، تمامًا كما كانت بينغ بينغ تعدّه دائمًا لك». وهنا فقط أرخى لي دونغ باو يده، فهمست الأم بداخلها، لقد سمع لي دونغ باو لكلامها بمجرد استخدامها لورقة ابنتها. كان سونغ جي شان يتحمّل مهمة إقناع لي دونغ باو، إذ كان قد حدد معه يوم الأحد أصلاً، ولكنه لم يتوقّع أن يأتي لي دونغ باو في اليوم ذاته، مما جعله متفاجئًا، إذ لم يكُن قد فكّر جيدًا فيما سيقوله للي دونغ باو، ولكنه قد أتى بالفعل، لذا لم يكُن أمام سونغ جي شان سوى التصرُّف ما دام الأمر صار واقعًا. لم يكُن سونغ جي شان شخصًا يجيد التحدُّث بشكل جيد، لذلك فكّر وتوصّل أخيرًا إلى

كلام لا يخون به ثقة شي قن وهونغ وي، وقد اعتبره أيضًا كلامًا مقبولاً إلى حد ما: «دونغ باو، بغض النظر عن أي شيء، عليك أن تأكل، وعليك أن تعمل». فرفع لي دونغ باو عينيه، ونظر إلى حماه، وأجابه بصيغة مهذّبة جدًا: «أعلم».

شعر سونغ جي شان أن لي دونغ باو قويٌّ جدًا، ولكنه في الوقت ذاته يفتقر إلى شجاعة الاعتراض على من هو أكبر منه، ففكّر قليلاً ثم استجمع شجاعته، وقال بمكانة الحمو: «ولكنّي سمعت أنك تعاني من الأرق، وتأكل قليلاً جدًا، ولا تقُم بأي عمل أساسًا. لا يمكن أن يستمر الأمر على هذا النحو».

ظنّ لي دونغ باو أن والدته هي من أخبرتهما بهذا، لو لم تكُن والدته، لكان قد أطلق صيحة بالفعل معبّرًا عن انزعاجه، ولكن أمام حميه، لم يكُن أمامه سوى أن يُجيب بطاعة قائلاً «أعلم»، إذ كان يشفق على هذين المسنّين.

فجأة توقّف سونغ جي شان عن الحديث، إذ كان قد أنهى بالفعل كل ما يريد قوله، ولم يجرؤ أيضًا على إجبار لي دونغ باو على أن يعده بالنوم لثماني ساعات يوميًا، وتناوُل صحنين على الأقل في كل وجبة، لا، بل ثلاثة صحون، ولكن لي دونغ باو كان قد عبّر بالفعل عن علمه بهذا، فلماذا على سونغ جي شان أن يعرب عن شكوكه؟ لذا صمت مرة أخرى.

قامت حماته بقلي ثلاثة بيضات، وأحضرت قِدرًا من الأرز، ووضعت كل الأرز الذي كان في القِدر وضغطته ثم ضغطته في صحن لي دونغ باو، فبدا مكدّسًا تقريبًا كأول صحن أحضرته سونغ

يون بينغ إليه. ولمّا رأى سونغ جي شان كل هذا الكم من الأرز والخضروات الموضوعة على الطاولة، ترك الطاولة لإعداد حساء الأعشاب البحرية. ثم دفعت الأم بيض الدجاج إلى لي دونغ باو، وقالت بإصرار: «تناول المزيد، لن تترك الطاولة اليوم ما لم تُنه طعامك. سمعت والدتك تقول... لطالما أردنا الجلوس معك لإقناعك، ولكننا خشينا من أنك قد تكون مشغولاً. لقد تغلّبنا على الأمر نحن الكِبار، فماذا يصعب عليكم أنتم أيها الصغار التغلب عليه؟ إذا واصلت هذا الاكتئاب كل يوم، فكيف يكون لدينا أمل في الحياة نحن الكبار؟ لقد ذهب هوي الصغير بعيدًا، ونحن ووالدتك جميعًا نعتمد عليك، لا تنهَر، لو انهرت أمامنا، فبأي وجه سنقابل بينغ بينغ فيما بعد، ولن نتمكّن من مواصلة الحياة».

أحضر سونغ جي شان حساء الأعشاب البحرية، ولمّا سمع هذا قال في قلبه، إن زوجته تتحدّث بطريقة أكثر عقلانية منه.

ولمّا سمع لي دونغ باو هذا، شعر أيضًا بأن كلامها معقول، حسنًا، سيتحمّل على عاتقه أمر ثلاثة مسنين فيما بعد، فكيف يجرؤ على الانهيار إذًا، ولكن المشكلة تكمن في أنه لا يمكنه مساعدة نفسه. «لا أستطيع النوم، وقد أكلت قدر ما أستطيع خلال الأيام الماضية بالفعل».

«حسنًا إذًا، شيئًا فشيئًا... سوف يمر الأمر شيئًا فشيئًا، وأسفاه!». عندما فكّرت في أن الأمر سيمر، كانت الأم تقصد أن لي دونغ باو سينسى ابنتها، فلم يسعها سوى التنهُّد، «لو لم تستطع النوم، اركب دراجتك وتعالَ إلى منزلنا، وبعدما تتعب من قيادة الدراجة، يمكنك النوم في أي مكان».

«سأذهب غدًا إلى موقع العمل، هناك سأتعب. يا أبي وأمي، سيمرّ الأمر لو لم تلوماني، وسأطيعكم فيما بعد».

«وأي أمل يمكن أن يكون لدينا نحن الكبار، فنحن نسعد فقط عندما نراكم سعداء أيها الصغار. فيما بعد تعالَ لزيارتنا مباشرة وقتما تريد، لا تحسب نفسك غريبًا». قالت الأم.

«لا، كنت أقلق فقط من غضبكم عند رؤيتي. سآتي كثيرًا فيما بعد». تنهّد لي دونغ باو؛ إذ كان دائمًا ما يشعر بأن والديّ زوجته وشقيقها سيلومانه، لذلك كان يخشى إغضابهم بمجرد مجيئه، لذلك ظلّ مترددًا بعض الشيء، ولم يجرؤ على المجيء لرؤيتهم. واليوم لم يلمه والدا زوجته، لذلك شعر براحة كبيرة وكأن زوجته الراحلة قد سامحته.

«عليك المجيء كثيرًا، فصغيرنا هوي لا يمكنه العودة طوال السنة سوى لبضع مرات، ونحن نشعر بوحدة شديدة». قال سونغ جي شان هذا على عكس إرادته.

«نعم، سآتي، سآتي». شعر لي دونغ باو بالارتياح، فأخذ يأكل سريعًا. ولمّا رأته حماته يحشر الأرز في فمه، قلقت حقًا من أنه قد يختنق، فأسرعت بدفع حساء الأعشاب البحرية إليه. بعدما أنهى طعامه، ورأى أن العجوزين قد أنهيا طعامهما بالفعل، أخذ جميع الصحون والأطباق وأفرغها. ولمّا رأته حماته يفعل ذلك شعرت بارتياح، وتمتمت «هذا جيد، هذا جيد»، ثم رفعت الأطباق وعيدان تناول الطعام وذهبت لتغسلها.

تردد سونغ جي شان للحظة، ثم قال: «دونغ باو، فيما بعد لا تكُن متهوّرًا جدًا في أفعالك، السياسات تتغيّر باستمرار، وقلوب

البشر لا يمكن التنبؤ بها، ومن الصعب الاحتراز منها».

«أعلم». قال لي دونغ باو لنفسه إن زوجته قد توفّت بسببه بالفعل، حتى إنها ظلّت غير مطمئنة عليه إلى النفس الأخير، كانت قلقة عليه، فكيف له أن يفعل شيئًا فيما بعد، عليه أن يفكّر في الأمر أكثر من مرة قبل أن يتّخذ قرارًا مهما حدث.

لم يكُن سونغ جي شان يعلم ما إذا كانت كلمة «أعلم» هذه ستنفّذ أم لا، ولكنه لم يكُن ليجرؤ على السؤال، فتحدّث عن أمر آخر مهم، حتى يفي بمهمته كرجل نبيل، ويستحق أن يأتي شي قن وهونغ وي إليه لطلب المساعدة. «هناك شيء آخر، عليك تعديل طباعك، لا تغضب بسهولة على كل شيء. عليك توحيد الجماهير، وتبادل المساعدة والودّ، ولا يمكنك أن تكون كالطاغية مستبدًا بمفردك، وإلا فلن تجد أحدًا بجانبك». فقال لي دونغ باو بصراحة: «لن يمكنني فعل هذا، فهذه طبيعتي، ليس بيدي شيء».

شعر سونغ جي شان أن كلامه معقول، فالطباع أشياء فطرية، كيف يمكن تغييرها في يوم أو يومين؟ فأجاب بـ «حسنًا»، واستعدّ للإشارة بيده بأكبر قدر من الإحسان، والعودة لإخبار شي قن وهونغ وي بما يكفي. ولكنه عندما فكّر في الأمر فجأة، شعر بوجود شيء غير منطقي، لذا قال بجدية للي دونغ باو: «دونغ باو، عليك تعديل هذه الطباع. فالطباع السيئة ستؤدي حتمًا إلى التهوُّر، وكيف ينشأ التهوُّر؟ ينشأ عندما تُفقد السيطرة على الطباع، فيندفع الدم إلى الدماغ ويخرج المرء بقرارات لم يتم التفكير بها. وهكذا، فإن مصدر التهوُّر ما زال هو الطباع. فلتوافق على تغيير تهوُّرك،

فهذا جيد، لو لم تعدّل طباعك، فلن يمكنك تغيير تهوُّرك أبدًا. دونغ باو، إنك قائد الآن، تعلّم كيف تتحكّم في أعصابك».

لم يتوقّع لي دونغ باو أن حماه الذي عادة ما يكون قليل الكلام وصامتًا قد يقول له مثل هذا الكلام البليغ، لذا لم يستطع منع نفسه من أن يرفع عينيه وينظر إليه بتأمُّل. كان سونغ جي شان شخصًا حذرًا، لذلك كان يشعر بالقلق أثناء الحديث، ولمّا رأى ناظري لي دونغ باو مثبتين عليه بقوة، تولّد في أعماقه شعور بالضعف لا يدري مصدره، فأسرع بالتزام بالصمت. في حين كانت الأم تخرج من المطبخ، ولم تلحظ التغييرات الواقعة على الطاولة، فوافقت بشدة قائلة: «صحيح، فأصل التهوُّر هو الطباع السيئة، لا يمكن التسامح مع الطبع السيء. إذ لم يتغيّر الأصل، فسيكون أي شيء آخر يُقال نوعًا من العبث». قالت حماته هذا وهي تسير حتى وصلت أسفل المصباح، وفجأة رأت عينيّ لي دونغ باو وهي تجتاح المكان وتقترب منها، فلم تدرِ ماذا تفعل، واهتزّ قلبها، ولم تستطع قول أي شيء آخر، فخفضت حاجبيها مُحرجة وجلست.

لم يكُن لي دونغ باو يدري مدى الضرر الذي سببته نظراته لهذين المسنّين الذين ظلّا مختبئين في الظلام لسنوات عدة، ولمّا رأى مسنّي عائلة سونغ وقد صمتا فجأة، ظنّ أنهما قد تذكّرا ابنتهما، فأسرع قائلاً: «أبي، أمي، لم يسبق لي أن أفقد أعصابي مع بينغ بينغ مطلقًا، اطمئنا».

«هذا جيد، هذا جيد». أجاب سونغ جي شان متمتمًا، ولكنه شعر أن هذه الإجابة ليست لائقة، فأكمل قائلاً: «بالتأكيد لم تفعل، فقد كنتم جيدين معًا».

«ليس الأمر هكذا، وإنما كانت بينغ بينغ تبكي بمجرد التحدُّث، فكيف لي أن أجرؤ على الصراخ أمامها».

«لا يمكن، لقد كانت بينغ بينغ ابنتنا قوية منذ طفولتها، ولم تبكِ بعدما كبرت إلا لمرات قليلة فقط».

تفاجأ ثلاثتهم، هل كانوا حقًا يتحدّثون عن الشخص ذاته؟ فجأة شعر لي دونغ باو وكأنه لن يتطهر من هذا الإثم حتى ولو قفز في النهر، فرفع صوته فجأة قائلاً: «إنني حقًا لم أتنمّر على بينغ بينغ، هي فقط من كان يتنمّر عليّ، حتى إنها كانت تضربني، وبعدما كانت تضربني كانت تبكي أيضًا، كما كانت تقول إن هذه هي دموع التماسيح».

نظر مسنّا عائلة سونغ إلى بعضهما، فلو كان لي دونغ باو قد قال هذا الكلام قبل ثلاثة أشهر، لأخذا يتلويان من الضحك، ولكن عندما سمعاه الآن، لم يستطيعا منع نفسيهما من الضحك أولاً، وبعد ذلك شعرا بالحزن، وفكّرا في الحياة السعيدة التي عاشتها ابنتهما لبضعة أيام قليلة مع شخص أخذ يزداد طموحه حتى يجعلها تعيش كطفلة مدللة، ولكنها توفيت بعد ذلك، يا لسوء الحظ. لم يستطع كلاهما منع دموعه من السقوط مرة أخرى. فقال لي دونغ باو في نفسه عند رؤيته لذلك، يبدو أنها وراثة في العائلة، فجميعهم يحبّون البكاء، حتى سونغ يون هوي ذلك الرجل يمكنه البكاء أيضًا، فقد رآه مرّتين. لم يستطع نصحهما بالكفّ عن البكاء، ولكنه عندما رأى حماه وحماته يبكيان، وقف جانبًا يراقبهما بعينين محترقتين.

كفكف سونغ جي شان دموعه أولاً، وفكّر قليلاً، ثم تنهّد، وقال لزوجته: «بينغ بينغ، لم تعِش سعيدة في المنزل إلا لبضعة أيام، لقد تسببنا في مشقّتها منذ الطفولة، وأخيرًا تزوجت لي دونغ باو، واستطاعت عيش حياة سعيدة لعدة سنوات. وأسفاه، دونغ باو، دونغ باو...».

«نعم، لقد كانت بينغ بينغ شخصًا عاقلاً، وكانت لها حساباتها الخاصة في اختيار دونغ باو. للأسف يا دونغ باو، لا يمكن إحياء من رحلوا، وعليك أيضًا أن تفكّر في نقطة بداية- فالحياة يجب أن تستمر في النهاية». فكّرت الأم في عيش ابنتها بهذه السعادة بعدما صارت عائلتا لي وسونغ أصهارًا، فلم تستطع منع نفسها من لوم لي دونغ باو مجددًا، إذ على الإنسان أن يفكّر بعقلانية، أليس كذلك؟

لم يتوقّع لي دونغ باو أن يقول والدا زوجته هذا، إذ كان يظنّ أنهما ذوو تربية حسنة لأنهما لم يوبّخانه وجهًا لوجه قط، ولم يتوقّع أن يقولا إن ابنتهما قد عاشت حياة سعيدة معه، مما دفعه للشعور بالذنب، فهو طالما شعر أنهما جبانَان، ولم يتوقّع أن يتحدّثا بمثل هذه العقلانية. لقد عبّر له المسنّان، ولكنه لم يستطع التعبير عن نفسه، وتحدّثا معه بعقلانية، فشعر أن عليه التحدّث بعقلانية أكبر معهما، ولكن لم يسعه سوى الموافقة على ما يقولانه، ولم يكن ينوي بذل أي جهد في تنفيذ هذا، والآن، بالطبع عليه أن يكون أكثر عقلانية، وإلا، فهل سيظلّ إنسانًا؟ فأجاب مؤكّدًا مرة أخرى بـ «أعلم»، ولم يجمّل ويزيّن الكلام، فقد فكّر على أي حال، ووجد أنه لا داعٍ من قول أي شيء، فالأمر سيكون على ما يرام لو فعل هذا.

9

على الرغم من أن لي دونغ باو لم يُكن قد شُفي من أرقه، ولم تكُن لديه طاقة في النهار، فإنه استطاع أخيرًا استجماع قوته للقيام بالعمل. كل ما في الأمر هو أن الأمور لم تسر بسلاسة، إذ كان من المستحيل على مصنع الأسلاك الكهربائية سداد الديون بشكل فوري، وعلى الرغم من أن المكتب الثاني للصناعات الخفيفة بالمدينة قد أعطاهم القليل، فإنه في النهاية يظلّ هناك جزء من المبلغ قد تم تأجيل سداده. ولهذا السبب صار المحافظ تشن بينغ يوان حذرًا تجاه لي دونغ باو، فشخص يستحيل السيطرة عليه، شخص يمكنه إثارة مشكلات كبيرة في أي وقت، كيف يجرؤ على اتّخاذه نموذجًا؟ لذا تراجع عن الأمر، وبدأ مجددًا في البحث عن نموذج متقدّم آخر في المحافظة.

ومع تراجع تشن بينغ يوان وإعطائه للإشارة، تراجع معهد التصميم المعماري بالمحافظة، إذ قالوا إنهم ظلّوا ينهضون بمساعدة فرقة شياوليجيا حتى اليوم، والآن يحتاجون فقط لتركيز قوّتهم لبناء مشاريعهم الخاصة. ومن ثمّ، فقد فريق الهندسة المعمارية بفرقة شياوليجيا أي دعم فنّي، فنقصت مزاياه في سوق البناء. كان لي دونغ باو يريد أصلاً البحث عن عدد من المصممين الذي يمكن التعاون معهم، ليطلب منهم المساعدة في أوقات فراغهم، ولكن أولئك المصممين اعتذروا جميعًا بإخلاص تام، وقالوا إن معهد التصميم قد عقد لهم اجتماعًا مؤخرًا، ونفّذ مجددًا الإشعار الصادر العام الماضي بعنوان «إشعار بشأن حظر

انخراط موظّفي المؤسسات لأنشطة اقتصادية غير مبررة لتحقيق دخل إضافي»، قائلين إن المعهد قد منع بشكل صارم الموظّفين من تحقيق دخل إضافي بعد الثماني ساعات عمل، وطلبوا من لي دونغ باو إعطاءهم فترة من الوقت حتى تمر العاصفة ويساعدونه بعد ذلك. كان لي دونغ باو لديه أصلاً مشروع بين يديه يحتاج التوجيه الفني، لذلك فبعدما فقد الدعم من المحافظة، صارت خطوات الفرقة شاقة.

عاد لي دونغ باو لمناقشة الخطة مع شي قن وهونغ وي، فشعر الرفاق جميعًا أن التقدُّم ومجلس نواب الشعب، كلها كلام فارغ، إذ يمكن للقادة إعطاؤك شيئًا، ويمكنهم أيضًا أخذه منك بسهولة كبيرة. ولكن الذين تمتّعوا بالمعاملة التفضيلية في السياسات، كيف لهم أن ينسوا حلاوتها، لذا لم يقُولوا شيئًا، في حين ظلّ القلق يساورهم.

منذ أن عاملهم القائد بهذه الطريقة، فقد أهالي شياوليجيا ماء وجوههم، فأرسل لي دونغ باو بعض الأعضاء المسنّين ليتناوبوا على الذهاب يوميًا لتحصيل الديون من المكتب الثاني للصناعات الخفيفة، وظلّوا يراقبونهم من المكتب إلى المنزل، ويراقبون قائدهم، حتى جنّ جنونهم، وسرعان ما حصّلوا كل مالهم. لم يعودوا يحشدون أعضاءهم على نطاق واسع، وإنما اختاروا الضرب بيد من حديد، إذ اتّصل قائدهم بلي دونغ باو ليوبّخه، ولكن لي دونغ باو تظاهر بالوقاحة، وأخبره أن ما يطلبه المسنّون هو أموال معيشتهم، ولن يستطيع منعهم حتى ولو أراد ذلك، أو يمكنه منعهم فقط بالمال، ولكنه لا يملك أي مال. كان أعضاء

الفرقة المسنّون يضربون بأعواد الخيزران ويغنّون في مبنى سكن الموظّفين، مما أثار جنون القادة وأرادوا الإمساك بهم، ولكنهم لم يرتكبوا جرمًا، ولمّا نفد صبر القادة ألقوا بمعدّات المصنع القديمة إلى فرقة شياوليجيا كسداد لأموال الفرقة.

وأمام هذه الخردة الحديدية السوداء والثقيلة، وقف جميع من في الفرقة من كبيرهم إلى صغيرهم في حيرة من أمرهم، ماذا يفعلون بها؟ لا يمكن لأحد أن يستخدمها. ولكنهم كانوا مترددين أيضًا في بيعها كخردة، إذ إنها في النهاية ما زالت تُعتبر معدّات. ولو لم يريدوا هذه المعدّات، وأعادوها، فلن يدفع المكتب الثاني للصناعات الخفيفة أي مال لسداد ثمنها، فما العمل إذًا؟ وقد أصبح العاملون في مصنع الأسلاك الكهربائية بالمدينة أعداءً لدودين بالفعل، ولن يمكنهم الذهاب إليهم. طلب لي دونغ باو من هونغ وي العثور على مصنع للأسلاك الكهربائية في مدينة مجاورة، وإيجاد مهندس ليلقي نظرة على المعدّات ومعرفة كيفية استخدامها. ثم دعا شي قن للذهاب إلى شانغهاي والسؤال عن مصانع الأسلاك الكهربائية بشانغهاي عند ذهابه إليها لبيع فراء الأرانب، حتى يمكن إيجاد شخصٍ يمكنه تشغيل هذه الآلات.

لحسن الحظ أن الجميع يريدون كسب المال في هذه الأيام، فهناك الكثير من المغريات في المجتمع، فالأجهزة الثلاثة الكبار التي كانت رائجة من قبل قد أكل الدهر عليها وشرب، وصار الجميع يتحدّثون الآن عن التلفاز والراديو والأريكة والخزانة ذات الأبواب الثلاثة والخزانة ذات الأدراج الخمسة، حتى صار من يجيدون حرفة، إما أن يستغلّوا الموارد الجماعية ويعملون بأيديهم

مستخدمين إياها، وإما يبحثون عن عمل إضافي ومخرج إضافي على ساعات العمل الثماني. حتى ولو لم تسمح لوائح الدولة بممارسة أي عمل خارج الساعات الثماني الرسمية، فلا يمكن للناس أن يختنقوا حتى الموت، فإذا لم يستطيعوا مواجهتهم علنًا، ألن يستطيعوا اتخاذ طرقٍ ملتوية؟

دعا هونغ وي مهندسًا في منتصف العمر للحضور من مصنع الأسلاك الكهربائية بمدينة مجاورة، فأحضره ليلاً بالجرار، وفحص المعدّات أسفل الأنوار الساطعة بمصنع الخرسانة الجاهزة، ثم أخبرهم أن جميعها قابلة للاستخدام، ولكن تركيبها وتشغيلها في الحقيقة سيتطلب الكثير من الجهد. بعد النظر إلى المعدّات، دعاه لي دونغ باو لتناول الكوارع، ثم طلب صيد سمك شبوط من بركة الأسماك وطهيه وتقسيمها على ثلاثة أطباق، وفتح زجاجتين من نبيذ يانغ خه الصيني، وظلّ المهندس يأكل مستمتعًا حتى كاد النهار يبزغ، ثم طلب إحضار دجاجتين سمينتين حيّتين تضعان البيض، ودعا سي باو إلى قيادة الجرار لإعادة المهندس بهدوء.

بعد عودة المهندس، حسب الأمور بهدوء، فهذا دخل إضافي، ولو لم يكسبه، فسيتناول لحم الخنزير. لذا ذهب بهدوء للبحث عن بعض الإخوة المهرة، وصاروا يركضون من المصنع بدراجاتهم بعد انتهاء العمل في كل سبت، ليصلوا بها إلى مكان معزول لركوب جرار شياوليجيا، والذهاب إلى الفرقة للمساعدة في تركيب المعدّات، حتى يعودوا إلى عملهم صباح يوم الاثنين مرهقين بعينين ناعستين. إذ كان يمكنهم الاستراحة أثناء العمل في المصنع، ولكن في فرقة شياوليجيا كان عليهم العمل بجِد

واستغلال كل دقيقة. والأهم هو أنهم كانوا يأخذون الإجازات الشخصية والمرضية بالتناوب.

كانت أيدي مزارعي شياوليجيا معتادة على القيام بالأعمال الزراعية، لذلك كانت تخطئ دائمًا عند استخدام أي من الآلات. كان الوقت الذي يمضيه معلّمو المصنع في الفرقة محدودًا، لذا كانوا وقت ذهابهم يعطون المزارعين واجبًا منزليًا واضحًا ليُنجز خلال الأسبوع، ولكن عند حضورهم في الأسبوع التالي، كانت الواجبات إمّا تكون لم تُنجز بعد وإما تكون قد أُنجِزت بشكل خاطئ، ودائمًا ما كانوا يفشلون في إنجازها. حتى لي دونغ باو نفسه كان يمضي وقته بجانب المعدّات، ولكنه لم يكُن يساعد كثيرًا إلا في بناء مبنى المصنع المؤقت فوق المعدّات والأساس الأسمنتي تحت المعدّات. وبعد أسبوعين من الكفاح، استطاع أخيرًا إدراك أن انخفاض المستوى التعليمي هو السبب الرئيس في ذلك.

ولكن بصفته أمين الحزب بالفرقة، كان عليه أخذ زمام المبادرة في التعلُّم والمعرفة والانشغال في موقع تركيب المعدّات، ولسوء الحظ، تم تعيين شي قن وهونغ وي، اللذين كانا على مستوى عالٍ من المعرفة، في منصبين مهمين آخرين، وأصبحت فرقة شياوليجيا في أزمة بمعنى الكلمة، إذ كانت هناك حاجة لقيام هذين الجنرالين بالدفاع عن أرض الفرقة في كسب العيش. لم يكُن بإمكان لي دونغ باو سوى أن يبحث عن خريجي المدارس الثانوية في كافة أرجاء الفرقة، فقد تخرّج العديد من الشباب في المدارس الثانوية خلال السنوات الماضية، ولكن معظمهم كانوا قد ذهبوا مضطرين للعمل في وظائف مؤقتة بالمحافظة والمدينة للحصول على أجور

ضئيلة. ولمّا استدعاهم لي دونغ باو، عاد ثلاثة منهم، أمّا البقية فقد رفضوا العودة، فأصدر لي دونغ باو أمرًا قاسيًا، فمن يجرؤ على عدم العودة للمساهمة في أعمال الفرقة، ستأخذ الفرقة الأرض المتعاقد عليها من عائلته. وما إن قسا لي دونغ باو، حتى ارتاع الجميع، ولم يجرؤ أي منهم على الذهاب والإبلاغ في الكومونة خوفًا من عدم استطاعتهم على الإقامة في مسقط رأسهم فيما بعد، فعاد أولئك الطلاب كاتمين شكواهم.

كان من السهل على طُلاب الثانوية التعلُّم، بالإضافة إلى نظرة لي دونغ باو الشرسة، هذا كله دفعهم للعمل ثم العمل، وأخيرًا تمكّن الرفاق من إنجاز الواجب المنزلي الذي وضعه المهندسون بسلاسة، وبدا لي دونغ باو وكأنه عامل ملتزم بشكل لائق. من بين أولئك الطلاب، كان هناك فتى يُدعى لي تشنغ مينغ، وكان يتعلّم من أول محاولة، كما كان قادرًا على التعلّم بطريقة القياس، ولذلك سرعان ما عُيِّن قائدًا صغيرًا من قِبَل لي دونغ باو.

كان لي دونغ باو قلقًا بشأن مصنع الأسلاك الكهربائية الخاص بشياوليجيا بشكل يومي، كما كان مضطرًا إلى أخذ زمام المبادرة في دراسة التكنولوجيا، ولم يكُن لديه وقت ولا طاقة للتفكير في شيء آخر، إذ كان يستنفد طاقته في العمل يوميًا، وما إن يقع على السرير حتى يغطّ في نوم عميق، فبدأ نظام نومه في التعافي، ومع الوقت أخذ ألم فقد زوجته يقل شيئًا فشيئًا، أحيانًا ما كان يفتقدها عند رؤيته للأشياء، ولكن كل ما كان يلاحقه هو العمل، فكيف سيتوفّر له الوقت للتفكير في شيء آخر، لذا لم يكُن بإمكانه سوى العمل بجد كالبقرة العجوز.

لم يستطع لي دونغ باو منع نفسه من القلق، فبالإضافة إلى مجموعة معدّات إنتاج الأسلاك، كانت هناك أيضًا مجموعة من معدّات الماء والكهرباء، وشراء كليهما يحتاج إلى مال. ومن أجل توفير المال، عقد لي دونغ باو اجتماعًا للفرقة ليناقش مع جميع أعضاء الفرقة بلهجة الأمر قطع تأمينات العمل، وعدم سداد النفقات الطبية، وعدم دفع أجور عُمّال تركيب المعدّات، وذلك مؤقتًا، وعلى الرغم من تذمُّر الجميع، فإنه لم يكُن أمامهم سوى تفهُّم الأمر، إذ كانت حسابات الفرقة واضحة أمامهم كالشمس. كان الأكثر تذمُّرًا بينهم أولئك الطُلاب الذين أُجبروا على العودة، ولكن الشباب الصغار لم يكونوا يتحمّلون حشرجة صوت لي دونغ باو الأجشّ، لذا لم يكُن أمامهم سوى العمل بأمانة. وقت دخول معدّات الأسلاك الكهربائية حيز الإنتاج، كانت فرقة شياوليجيا قد استنفدت كل ما لديها، حتى المواد الخام لم يكُن بمقدورها شراؤها. وبالطبع، لم يكُن بالورشة المؤقتة سوى سقفٍ أعلاها يحجب الضوء والمطر، ولم يكُن بها حوائط، وبالطبع لم يكن بها أيضًا نوافذ أو أبواب. وحدها أجور المعلّمين الذين تم استدعاؤهم من المدينة المجاورة هي التي لم تنقص فِنًّا واحدًا، ووجبات الأسماك واللحوم الخاصة بدعوة المعلّمين لتناول الطعام هي التي لم تقل وجبة واحدة، والأدهى أنه لم يتمكن لي دونغ باو من صب غضبه عليهم، لقد صار لي دونغ باو الآن يتذكّر الدرس وكلام والديّ زوجته، لذا أصبح يتحكّم كثيرًا بأعصابه، ولكنه كان ما زال يهب كالصاعقة عندما يفقد أعصابه.

بالطبع كان أولئك المعلّمون يرون ذلك بأعينهم، ويحفظونه في قلوبهم، لذا فقد عقدوا العزم على الاستمرار في المساعدة حتى النهاية. فصاروا كعرائس الماريونت، وأخذ لي دونغ باو يغدق عليهم بالأموال والهدايا بسخاء، وبعد تفوّقه على مدير وأمين مصنع الأسلاك الكهربائية بالمدينة المجاورة، أصبح لدى مصنع الأسلاك الكهربائية بشياوليجيا مصنعًا مشتركًا مع مصنع الأسلاك الكهربائية بالمدينة المجاورة بأمر مختوم بالختم الأحمر الكبير، وصار يستخدم المواد الخام والفنيين الخاصين بمصنع المدينة المجاورة، ويشغّل بها آلاته، ويُنتج بضاعته بنفسه، ثم يسلّمها إلى مصنع المدينة المجاورة لبيعها تحت الاسم التجاري له. وبسبب العمل المشترك بين مصنع المدينة المجاورة ومصنع شياوليجيا، قام مصنع المدينة المجاورة سرًا بإنشاء خزينة صغيرة لتقاسم المكافآت، في حين استطاع مصنع شياوليجيا السير على الطريق الصحيح حتى ولو كان متعثّرًا- على الرغم من عدم ارتفاع تكاليف المعالجة، فإنها كانت المرة الأولى التي لم يضطروا فيها لاقتراض الأموال من الاتحاد الائتماني لتشغيل تلك المعدّات، وتدريب العُمّال الفنيين الفلاحين، وأيضًا التمكّن من دفع أجور العُمّال.

كانت اللوحة المعلّقة على بوابة مصنع الأسلاك الكهربائية تقول إنه «أول مصنع مشترك للأسلاك والكابلات الكهربائية»، ولم ينتبه أحد مطلقًا لعدم وجود اسم خاص لمصنعهم الذي بذلوا فيه كل هذا الجهد، إنه كبيع الأسلاك تمامًا، فما دام بإمكانك تحقيق مبيعات أفضل تحت اسم شخص آخر، فلماذا تقلق بشأن الاسم؟ كل ما يريده الجميع هو الفائدة.

استلهامًا بالمصنع المشترك للأسلاك الكهربائية، بدأ لي دونغ باو في البحث عن وحدات مشتركة لفريق الهندسية المعمارية بشياوليجيا. في ذلك الوقت، كانت عاصفة التصحيح الشامل قد هدأت للتو، وبدأ المجتمع في إثارة رياح البناء على نطاق واسع، فركب فريق الهندسة المعمارية رياح البناء، وأنفق بعض المال لشراء الطُرُق، فنجح في الوصول إلى دعم من الشركة الثانية للبناء بالمدينة. وهكذا صار لديهم ضمان فني بمعنى الكلمة، وليس هذا فقط، بل صار حجم المشروعات الهندسية أكبر، فقط الأرباح هي التي كانت أقل من ذي قبل. ومع ذلك فإذا أُغلق بابٌ سيُفتَح بابٌ آخر، فعلى الرغم من عدم كسب فريق الهندسة المعمارية بشياوليجيا للمال، فإن الطوب والبلاط والخرسانة الجاهزة والأسلاك الكهربائية المنتجة حديثًا التي تنتجها الفرقة بنفسها صار أمامها المزيد من الأماكن لتذهب إليها. بدأ مصنع الأسلاك الكهربائية في تطبيق ثلاث نوبات للعمل، وإعطاء نصف المنتجات لمصنع الأسلاك الكهربائية بالمدينة المجاورة، واستخدام النصف الآخر في مواقع البناء الخاصة به، كما طلب لي دونغ باو من هونغ وي التفكير في طريقة لبيع الأسلاك الكهربائية مع الأسمنت والقضبان الفولاذية والخرسانة الجاهزة، وهكذا ارتفعت الأموال التي كسبتها فرقة شياوليجيا بأكملها إلى مستوى جديد.

مع وصول حرارة الصيف، أخيرًا، كان كل شيء بشياوليجيا قد عاد إلى مساره الصحيح، فقد تم دفع تأمينات العمل، وسداد النفقات الطبية، وصار هناك فائضٌ من المال مرة أخرى في الفرقة، ولكن لي دونغ باو كان قد انهار، فعند دعوته لقائد الشركة الثانية للبناء بالمدينة

للصيد وتناول الطعام والشراب عند بركة الأسماك التي تعاقد عليها لي تشونغ فو، حدث نزيف في معدته وأُدخِل إلى المستشفى.

هرع الكثيرون إلى المركز الصحي بالمدينة للتبرُّع بالدم للأمين، وذهب الجرار الكبير محمّلاً بالأهالي إلى هناك، ولكن عددًا قليلاً من الأشخاص هم الذين توافقت فصيلة دمهم مع فصيلة لي دونغ باو. ومع كل هذه الدماء التي تم التبرُّع بها عن طيب خاطر، تعافى لي دونغ باو بسرعة، ونجا من هذه الضربة.

بعد المرور بالكارثة، زاد ازدهار فرقة شياوليجيا. وحفظ جميع أعضاء الفرقة هذا الأمر في قلوبهم، ومن ثم آمنوا بشدة بقيادة لي دونغ باو، وتبعوه في الطريق نحو الثراء، حتى إنهم لم يعودوا يعترضون عند رؤية أفكار لي دونغ باو السخيفة، بل وصاروا يمجّدونه إلى حد ما.

أخذ تشن بينغ يوان هذا أيضًا في عين الاعتبار، كما رأى أن لي دونغ باو يبدو وكأنه يميل إلى التعلّم من الأخطاء و«العدول عن الشر والعودة إلى الصلاح»، ويبدو وكأنه قد كبح جماح أعصابه ولم يعُد يتبجّح، كما صار لديه نية تغيير الرأي، حتى إنه ذهب خصيصًا إلى المركز الصحي بالمدينة لزيارة لي دونغ باو المحتجز بالمستشفى، ولكن لي دونغ باو تظاهر بالمرض، وظهرت على وجهه تعبيرات باهتة، فشعر تشن بينغ يوان بالإحراج، واضطر لإنهاء الزيارة ببرود.

استغلّ لي دونغ باو زيارة والديّ زوجته وطلب من حماه المتعلّم أن يساعده في إرسال خطاب إلى الأمين شوي، ليخبره

فيه بالأوضاع خلال الشهور الستّ الماضية. عند سماع سونغ جي شان لوصف لي دونغ باو العابر، أُعجب به، فهذا الفتى الصغير، الذي عانى كل هذه التغييرات الكبيرة طوال الستّة أشهر الماضية، لم ينجُ فحسب، بل وأنجز كل هذه الأشياء، والأهم من هذا كله هو أن تلك الأشياء جميعها لا تصدّق، حتى صار في الصدارة. كان من الطبيعي أن يضيف سونغ جي شان قليلاً من الإضافات أثناء الكتابة، إذ لم يكُن بيده شيء ليفعله، وكان فخورًا بعض الشيء بزوج ابنته.

ظلّ لي دونغ باو يعتذر بشدة لوالديّ زوجته، فبالإضافة إلى مناداته لهما بأبي وأمي، أراد أيضًا تعويض الزوجين المسنّين ماديًا، قائلاً إنه قد بنى لوالدته منزلاً جديدًا، ويريد أيضًا تجديد منزل عائلة سونغ، ولكن سونغ جي شان وزوجته رفضا بشدة، قائلين إن تجديد منزل الوالدين من شأن الابن، وليس من مسؤوليات زوج الابنة. فلم يكُن لي دونغ باو بيده حيلة مع هذين المسنّين الضعيفين ولكنهما عنيدان أيضًا.

بعد مغادرة والديّ زوجة لي دونغ باو، استدعى شي قن. كان شي قن قد قدّم طلب انضمامه إلى الحزب، وعينه دونغ باو كنائب لقائد الفرقة، وكان ينتظر فقط تقاعد قائد الفرقة غير الفعّال عند وصوله للسن ليتنحّى. وفي الحقيقة، كان شي قن قد احتلّ المركز الثاني بالفعل في قائمة أكثر الشخصيات شعبية بفرقة شياوليجيا. لم يكُن عقل لي دونغ باو في مرضه الجسدي خاملاً، لذا فبمجرد رؤيته لشي قن؛ حلّ مسائل العمل.

«أخي شي قن، لقد كنت مسؤولاً في غيابي هذه الأيام، لذلك اعتقد أن عقلك جيد، ومن المؤسف أن تكون مسؤولاً عن تسليم فراء الأرانب فقط، لذا فبداية من الآن ستكون مسؤولاً أيضًا عن مصنع الأسلاك الكهربائية، وليقُم وو الكبير بأمر تسليم الأرانب. بالنسبة للحسابات العامة للفرقة، فإن ذي العيون الأربعة ليس جيدًا فيها، ولم يستطع تولّي الأمر بعد رحيل بينغ بينغ، لذا كانت حسابات الأشهر الماضية مربكة، فلتعُد وتتعلم المحاسبة لتتولى أمرها. ومن الآن فصاعدًا، سيتم توزيع العمل هكذا، وسأشيِّد إمبراطوريتي كالأباطرة الذين في المسرحيات، وأنت ستصير رئيسًا للوزراء وتتولّى السيطرة نيابة عنّي».

فيما يتعلّق بكلمات لي دونغ باو عن الإمبراطور ورئيس الوزراء، لم يستطع شي قن منع نفسه من الضحك، ولكنه لم يضحك بصوت عالٍ، إذ إنه كان يعلم أن لي دونغ باو قد قالها بصدق. «هذا الأمر ليس عاجلاً، فأنت على أي حال ستعود سريعًا، وبعد عودتك نادي في مكبر الصوت أو اعقد اجتماعًا ثم اتّخذ قرارًا. وعلى أي حال، سأتولّى أنا هذه الأيام مصنع الأسلاك الكهربائية حتى بدون تعيينك، كما أن ذلك الفتى تشنغ مينغ يفهم الأمور بسرعة، وسيمكنه أيضًا مساعدتي».

فنظر لي دونغ باو إليه بمكر وقال: «أنت لا تدعوني لعقد اجتماع مع كوادر الفرقة للبحث والمناقشة هذه المرة؟». فضحك شي قن وقال: «على أي حال، أليست لك الكلمة الأخيرة بعد المناقشة؟ سأدعو بنية طيبة الفرقة لعقد اجتماع واتّخاذ قرار جماعي، وإذا حدث خطأ ما، فستأخذ الجماعة اللوم نيابة عنك، ولكنك لن تقدّر هذا».

«أنت تفكّر كثيرًا، لتقل أنت، متى لم يأتِ كبار المسؤولين إليّ عند حدوث أي شيء في شياوليجيا؟ من أتى للجماعة؟ لا تنتظر الإعلان، لتذهب أولاً وتقُم بالأمر، وأنا سأؤكّد في مكبّر الصوت بعد خروجي من المستشفى».

«حسنًا إذًا. سأقف متفرجًا، لقد سئم الأمين الكبير قليلاً من كونه مسؤولاً عن مصنع الطوب، فهو يهتم بصورته، ويُحرَج كثيرًا عند تحديد الأسعار. أليس من الأفضل أن ندع هونغ وي يتولّى عرض وبيع مواد البناء بشكل كامل، فكلامه لبق، ودائمًا ما يبيع بأسعار جيدة».

«لا يمكن، لنترك مصنع الطوب للأمين الكبير لقضاء فترة تقاعده به. وحتى لو اهتم بصورته أكثر، فلن يمكنه تحديد سعر منخفض جدًا. لو لم يقُل الأمين الكبير بنفسه أنه لن يعمل، فسيستمر في العمل، وعلينا إعطاؤه السلطة والمسؤولية الكاملة». ثم أخذ رشفة من عصير البرتقال الذي أحضره الآخرون، وقال: «هناك ثلاثة طلاب سيتخرّجون هذا العام من المرحلة الثانوية، سأعطيك الطالبتين لتعملا في محطة شراء فراء الأرانب. وليذهب الطالب ليعمل كمتدرب في مصنع الأسلاك الكهربائية. في الوقت الحالي، لا يلبّي المعروض من الأسلاك الكهربائية الطلب إلى حد ما، لذا عليك البدء في التفكير في إضافة المعدّات إلى المصنع. يوجد كتاب أسفل وسادتي، كان المهندسون قد أعطوني إياه، وقد قرأته وكأنني لم أقرأه، خذه واقرأه، ولترى ماذا تريد شراءه في الدفعة التالية من المعدات، وبعدما تقرر أخبرني».

سحب شي قن كتابًا من أسفل الوسادة، وألقى نظرة عليه، ثم قال: «من الأفضل أن أقرأ كتب المحاسبة أولاً ثم أقرأ هذا الكتاب. علينا ألّا نتعجّل، فالتقلّبات كثيرة في العام الحالي، وقد أتعبت نفسك، حتى إنك دخلت المستشفى، كما أن الفرقة قد تعافت لتوّها، انتظر حتى يتوفّر لدى الفرقة ما يكفي من المال ثم فكّر في إضافة معدات جديدة. أعدك أنني سأقدّم لك خطة قبل نهاية العام».

«أغسطس، سبتمبر، أكتوبر، ثلاثة أشهر، لتخبرني بالمعدات التي سنضيفها في شهر أكتوبر. لتعُد، وتطلب من هونغ وي المجيء لرؤيتي». دائمًا ما يتّخذ لي دونغ باو قرارًا بعد قطع آراء شي قن المدروسة إلى نصفين.

لم يتجادل شي قن مع لي دونغ باو، إذ كان يعرف أن الجدال معه غير مجدٍ، وسيكون من الغريب أيضًا، فعادة ما يمارس لي دونغ باو ضغطًا كبيرًا عليه، ودائمًا ما يمكنه إنجاز الأمر قبل الموعد المحدد، لذا لم يجادله على أي حال. قال شي قن وداعًا وذهب. وبعد الظهر، أتى هونغ وي، ولم يكُن لي دونغ باو مهذّبًا معه كما كان مع شي قن، لذلك فبدون مناقشة طلب مساعدته في إزعاج الطبيب ليخرجه من المستشفى، ولكن هونغ وي تمسّك بمبدئه ورفض المساعدة، فغضب لي دونغ باو وتجاهله وطلب منه أن يأخذ والدته إلى المنزل.

بعد أن هدأ وحده، نظر لي دونغ باو إلى الأسرّة العشرين الموجودة في الغرفة، فمعظمها إمّا الزوج بجانب زوجته، وإما الزوجة بجانب زوجها، فشعر بحزن شديد عند النظر إليهم، وأغلق

عينيه متظاهرًا بالنوم. فبعدما مرض، انتهزت فتاة كبيرة الفرصة للمجيء مع عائلتها وأحضرت إليه الحساء والماء تعبيرًا عن اهتمامها، ولكنه رمقها بنظرة حادة. لماذا لم ينتبه إليه أحد عندما كان بلا مال ولا سُلطة؟ فقط بينغ بينغ هي التي كانت جيدة معه في ذلك الوقت، لذلك لم يتعرّف إلّا على بينغ بينغ. إنه يشتاق إليها كثيرًا.

10

أسرع سونغ يون هوي إلى بكين حاملاً خطاب التعريف الذي كتبه الأمين شوي بخط يده، وكان هذا الربيع هو الأكثر روعة في بكين. وبفضل رسالة الأمين شوي، كان سلوك الموظّفين المعنيين رائعًا أيضًا تجاهه، كما أعطته الوحدة دراجة أيضًا. فكان يوميًا يركب الدراجة بين نقطتي دار الضيافة وغرفة المراجع، وفي المساء وأيام الآحاد ينظّم ملاحظات القراءة، ويفكّر في تجربة المعلومات التي قرأها ويلخّصها، ولم يفرغ وقته إلّا في يوم أحد واحد للذهاب إلى ميدان تيان آن من. وبعد شهر واحد، كان قد اطّلع تقريبًا على غالبية المعلومات ذات الصلة بمعهد البحوث والوزارة، حتى صار لديه موقف واضح بشكل أساسي تجاه التقدُّم التكنولوجي الحالي لهذه الصناعة. يبدو أن تقنية إف آر سي كانت عبارة عن شيءٍ عابر. فأبلغ الأمين شوي بالأمر هاتفيًا، واستعدّ لحزم حقائبه والعودة إلى الديار، ولكن الأمين شوي دعاه للانتظار في بكين، وفي اليوم التالي طار إلى بكين، واصطحب سونغ يون هوي للقاء أصدقاء قدامى في الوزارات ومناقشة مسألة تحديث معدّات جينتشو.

كان سونغ يون هوي يقدّم المعايير الفنية والتكلفة التقريبية للمعدّات أولاً، ثم يبدأ القادة في مناقشة الجدوى. أخذ يفتح عينيه وهو يستمع إليهم، وهنا فقط أدرك أنه، بالإضافة إلى المعايير الفنية وتكلفة تحديث المعدّات، يجب أيضًا الانتباه إلى عوامل اجتماعية أخرى لا يُحصى عددها. ولكن بعد انتهاء المناقشة، اصطحب الأمين شوي سونغ يون هوي لتلخيص المناقشة وفقًا لروح اللقاء. سونغ يون هوي المسكين، كان يعرف المعايير الفنية للمعدّات جيدًا جدًا، ولكنه لم يكُن يعرف شيئًا عن تكاليف التشغيل والتأثير الاجتماعي وغيرها من المسائل، كيف يكتبها، وماذا يكتب، جميعها كانت مشكلات بالنسبة إليه. وعلى الرغم من أنه قد وُجِّه بالفعل إلى وجود الطريق الأول والثاني والثالث والرابع من خلال المناقشة، فإنه كان يفتقر حقًا إلى الوسائل التي تمكّنه من اتّباع هذه الطرق. لذلك اضطر إلى أن يسأل الأمين شوي دون خجل، ولكن الأمين شوي لم يستطع إلا تذكُّر مكان ما في جينتشو، ودعاه للاتصال بنفسه بهم للسؤال. ولكن سونغ يون هوي هكذا لم يكُن بإمكانه سوى التعرُّف على بيانات جينتشو، أمّا المعلومات الخاصة بمجال التكنولوجيا الأجنبية الحديثة والمعدّات الجديدة، فلم يهتمّ بها وقت قراءتها، ولم يكُن يدري أيضًا ما إذا كانت الصحف قد كشفت عن هذا الجانب أم لا، لكن يبدو أنها لم تكُن كثيرة. ومن ثمّ اضطر إلى تسليم تقرير نصف مكتمل أولاً. أخذ الأمين شوي التقرير نصف المكتمل معه وقت عودته إلى جينتشو، وطلب من سونغ يون هوي البقاء بضعة أيام في بكين لحل هذه المسألة، كما أعطاه عنوان ورقم هاتف شخص يُدعى «شوي الصغير»، وطلب منه زيارته لطلب المشورة قبل العودة إلى الديار.

على الرغم من أن الأمين شوي لم يكُن يقصد إلقاء اللوم، فإن سونغ يون هوي شعر بالخجل من تلقاء نفسه، فكيف له ألّا يفكّر في الوضع المستقبلي لهذه الأعمال التجارية؟ لذلك فبعد توديعه للأمين شوي، جلس بمفرده على السرير في دار الضيافة وظلّ يفكّر طوال اليوم، ونظّم الأفكار الجديدة التي تلقّاها في الأيام القليلة الماضية منذ قدوم الأمين شوي إلى بكين. فيما مضى كان يظنّ أنه يعرف الكثير، واتّضح أن معرفته مجرد لمحة، وأنه ما زال أمامه الكثير. وأكثر ما صدمه كان تلك الأمور التي ناقشها الأمين شوي مع أولئك القادة، إذ لم يكُن قد فكّر في هذه الأمور مطلقًا، وكأنها من عالم آخر، ولكنه تصرّف وكأنه لم يخطئ في شيء، ما دفع الأمين شوي للضحك بشدة.

شعر سونغ يون هوي بانزعاج وحيرة، فعلى الرغم من معرفته أن أكثر ما يجب فعله في ذلك الوقت هو العودة ومراجعة المعلومات مرة أخرى، واستخراج البيانات، فإنه لم يكُن واثقًا بعض الشيء، هل ستكون البيانات التي سيستخرجها هي المستهدفة حقًا؟ ففكّر في «شوي الصغير» الذي تحدّث عنه الأمين شوي، «الأمين شوي» الذي تحدّث عنه لي دونغ باو، ذلك الشخص الذي يشيد به الجميع، ذلك الشخص الذي رشّحه للذهاب إلى جينتشو. باعتباره يكبره في السن، وليس ثمة فرق كبير في السن بينهما، أيمكنه أن يقدم له أي نصيحة؟ لأول مرة شعر سونغ يون هوي أنه بحاجة إلى شخص ما يمسك بياقة قميصه ويساعده على الوقوف بشكل مستقيم.

اتّفق الأمين شوي مع سونغ يون هوي عبر الهاتف على اللقاء في منزله، ليتناولا الطعام ويتحدّثا. وعلى الرغم من كون صوت

الأمين شوي ذي سُلطة، فقد كان دافئًا جدًا، مما دفع سونغ يون هوي للشعور ببصيص من الأمل. كان سونغ يون هوي قد أسرع بالفعل تحت الشمس الحارقة للذهاب إلى منزل الأمين شوي خوفًا من تركه ينتظر، وبحلول الساعة الرابعة تقريبًا كان قد وصل بالفعل خارج فناء المنزل. كان الزقاق هادئًا جدًا، ليس عامرًا بالمارّة كالأماكن الأخرى في بكين. كما بدت الأرض والحوائط والأسقف أيضًا نظيفة، جميعها خالية من أي أعشاب متراكمة. لم يكُن منزل الأمين شوي يشبه المنازل الأخرى. بعدما طرق سونغ يون هوي الباب ودخل، انتظر لفترة طويلة بجوار طاولة ذات خشب لامع، وعليها أشياء أيضًا لامعة، إلى أن رأى الأمين شوي عائدًا. ولمّا رأى الأمين شوي، شعر فجأة بسعادة غامرة في قلبه، أنّى ليوي شان تشينغ أن يقارَن به، فقط الأمين شوي وحده هو الذي يمكنه حقًا تفسير كلمة الأناقة.

ابتسم الأمين شوي لسونغ يون هوي قائلاً: «لقد نضجت كثيرًا عمّا رأيتك قبل عامين في مصنع الخرسانة الجاهزة، كيف حال دونغ باو وأختك؟».

«لقد توفيت أختي منذ شهرين». ولمّا رآه لا يدري بالوضع مطلقًا، أخبر سونغ يون هوي الأمين شوي بالأمر. وبعدما سمعه الأمين شوي، تذكّر أيضًا زوجته، وقال متأثّرًا: «المرأة الصالحة كنز، حتى السماء تغير عليها. لم اتوقّع أن يقوم هذا الهمجي دونغ باو بشيء أحمق كهذا. هل تلومه عائلتك؟».

ذهل سونغ يون هوي للحظة، ولكنه هزّ رأسه بصدق وقال: «نلومه، ولكننا أيضًا لن نستطيع إدانته بعد رؤية مدى حزنه».

«أنا أفهم دونغ باو، وأودّ أن أتوسّل إليك ولوالديك نيابة عنه. حتى ولو لم تلمه الآن، فإحساسه بالذنب وحده قادر بالفعل على سحقه. بالنظر إلى مشاعره تجاه أختك، فإن قطع أطرافه لن يؤلمه أكثر من ألمه لوفاة أختك». قال الأمين شوي هذا وهو يرفع الهاتف، ثم فكّر قليلاً، واتّصل بلي دونغ باو، ولكنه لم يتوقّع ألّا يرد أحد على اتصاله بفرقة شياوليجيا في ذلك الوقت.

كان سونغ يون هوي يستمع مذهولاً إلى طلب الأمين شوي، ويُحملق فيه مصعوقًا بينما يتّصل بشياوليجيا، وعلى الرغم من أنه لم يقُل شيئًا، فإن قلبه لم يكُن ينوي مسامحة لي دونغ باو مطلقًا. ولكنه وافق على عدم الإدانة، على هذا فقط. أغلق الأمين شوي الخط، وغيّر الموضوع سائلاً: «هل تأقلمت على الوضع في جينتشو؟ أخبرني كيف أمضيت هذا العام».

لو كان شخص آخر سأله بهذه النبرة المتعالية، لكان سونغ يون هوي قد شعر بالاشمئزاز، ولكن عندما سأله الأمين شوي، طابق نبرته مع لهجته، فشعر أن هذا أمر طبيعي، وأخبره بكل التفاصيل في تجربته طوال العام الماضي، واستطاع رؤية مدى جدية الأمين شوي في الاستماع إليه، كما كان الأمين شوي يطرح أحيانًا بعض الأسئلة، ويسأله عما إذا كان فلان وفلان بصحة جيدة أم لا، وظلّا يتحدّثان حتى انكسر النهار في الخارج، فأحضرت الخادمة الطعام والنبيذ، وأكلا وشربا. كان الرجل الكبير والفتى الصغير يتناولان الطعام بمفردهما في الداخل.

بعدما انتهى سونغ يون هوي من الحديث، استجمع شجاعته وقال: «لقد ذهبت خلال هذين اليومين إلى عدة أجهزة برفقة

الأمين شوي للاستفسار عن مسألة تحديث معدات جينتشو، وبعد هذه الرحلة، أدركت أنني لطالما كنت جالسًا في البئر أراقب السماء فيها».

فضحك الأمين شوي لمّا سمع ذلك: «إن الأشياء التي تعلّمتها والأمور التي فعلتها خلال هذا العام تفوق الآخرين بأضعاف، ولكن الضرب بالسياط يُسرع من الخطى، لذا فإن ضربة الأمين شوي لك كانت صحيحة. تناول طعامك، دعنا نتحدث ونحن نأكل، فالليل طويل ويكفي لأن نترك النبيذ يتولّى الحديث. بالنسبة لتحديث المعدّات، هل تنوون استيرادها من الخارج، أم تكليف معهد تصميم محلّي بتصميمها؟» كان الأمين شوي مهتمًا فعلاً بشأن جينتشو.

«الأمين شوي ينوي استيراد المعدّات، وقد نظّم عدة مجموعات للتحقيق في الأمر بطريقة منفصلة. وأنا واحد منهم، أقوم بجمع المعلومات في بكين، ولكن خلال الأيام القليلة الماضية، اكتشفت أن معرفتي محدودة، ونظرتي محدودة، لذا فإن المعلومات التي جمعتها محدودة بشكل خطير، ولا تكفي مطلقًا لتوضيح المسألة. أودّ بشدة أن أطلب من حضرتك توجيهي، وهذا هو الملخّص الذي كتبته لتوّي هذا الصباح، الصفحة الأولى ملخّص للمعلومات التي قمت جمعها، والصفحة الثانية تضم أوجه القصور الموجودة في البيانات التي توصّلت إليها، ولكن أوجه القصور هذه في رأيي لا يمكن الوصول إلى طرق لجمعها حاليًا، لذا أرجو من حضرتك ألّا تتردد في توجيهي». لطالما كان سونغ يون هوي قويًا، لذلك فبعدما أنهى هذا الكلام الناعم مستخدمًا أقصى ما لديه من قوة داخلية، احمرَّ وجهه حتى عنقه.

ظلّ الأمين شوي ينظر إلى سونغ يون هوي أثناء حديثه، وانتظره حتى يُنهي كلامه، ولمّا رأى وجهه وقد احمرّت وجنتاه، لم يسعه سوى الابتسام، ثم أبعد نظره ليقرأ ملخّص المعلومات الذي بين يديه. أسرع سونغ يون هوي بالتقاط زجاجة النبيذ الأحمر بكلتا يديه ليملأ كأس الأمين شوي الزجاجي الطويل. أخذ الأمين شوي يقرأ الصفحة الأولى بجدية، وما إن وصل إلى الصفحة الثانية حتى ابتسم بفهم، ووضع الورق الذي بين يديه، وقاطعه قائلاً: «سونغ الصغير، لتدعُني فيما بعد باسم شوي الكبير، فأنا لست الأمين شوي الآن. دعني أعرّفك بمعلومة شائعة، عادة ما يُستخدم مثل هذا الكأس الزجاجي في شُرب النبيذ الأحمر، ولا يُمكن ملؤه بأكمله عند الصب، لذا فمن الأفضل الوصول إلى هذا الارتفاع، والإمساك به هكذا، صحيح. من الممكن أن تتعامل كثيرًا مع ضيوف أجانب في المستقبل، لذا عليك تذكُّر هذه النقطة. أنت ما زلت شابًا، والأمور التي تعاملت معها محدودة، ومع تقدُّم عملك نحو العُمق، ومع مرور الوقت وتغيُّر الظروف، ستنفتح لك أبواب لم تكُن على معرفة بها من قبل. ولكن لا يمكنك أن تقلل من شأن نفسك بسبب هذا، أو أن تقول بعدم ثقة إن أمامك الكثير. تقول المادية الجدلية إن المعرفة عملية تدريجية. ولا يمكن للمعرفة أن تتحقق بين ليلة وضحاها، ولا يمكن أيضًا اكتسابها داخل الرحم، إن عنق الزجاجة الذي مررت به اليوم هو أمر طبيعي، لأنك تتعامل مع أدنى مستويات التشغيل والصيانة، ولم تتعامل مع نظام التوريد والتسويق خارج الورشة، إذا استطعت فهم محتوى الصفحة الثانية، فستكون هذه بمثابة موهبة لا تصدّق، وسيحين دور الأمين شوي

ليحضر زجاجتي نبيذ ماوتاي ليشكرني به على ترشيحي لك. أنت جيد جدًا بالفعل، ولم تُسوِّد وجهي كمرشِّح لك».

ابتسم سونغ يون هوي مُحرجًا لما قاله الأمين شوي، ولكنه شعر بالدفء، وقال وكأنه قد استعاد قوّته أخيرًا: «حضرتك تبالغ في مدحي يا شوي... الكبير». فسأله الأمين شوي مبتسمًا: «يتمتّع مدير المصنع فِيّ وليو كبير المهندسين بمهارات متميّزة، هل شاركت المعلومات التي جمعتها معهما لتفكّرا معًا؟ لقد كان المدير فِيّ مؤخرًا في بكين».

شعر سونغ يون هوي بأنه في مأزق لوهلة، ثم فكّر قليلاً وقال: «لطالما كنتُ في المستوى الأساسي، لذا لست على دراية كافية بالعمل على مستوى القادة، فقط أعرف القليل، لقد سألني ليو كبير المهندسين في المكتبة من قبل عن تقنية إف آر سي، وجمعت المعلومات وأعطيته إياها، بعدها نقلني الأمين شوي إلى بكين، ولست أعرف مدى التقدُّم الذي أحرزوه».

عبس الأمين شوي قليلاً، إذ كان على دراية بأحوال مستوى القادة أكثر من سونغ يون هوي حتى بعد مغادرته للمصنع، ويعرف بصراع الديكة الذي ظهر في جينتشو، كما كان يعلم قبل مغادرته للمصنع بوقت طويل أن أولئك المثقّفين الذين تمت إعادة تأهيلهم للتوّ غير راضين تمامًا عن قيادة الأمين شوي، قائلين إنه مجرّد هاوٍ وليس خبيرًا في القيادة. هزّ الأمين شوي رأسه، وقال بوجه يملؤه الأسف: «لطالما كان الموقف تجاه المثقفين غير صحيح مطلقًا، سواء أكان من العالم الخارجي أم من المثقفين أنفسهم. يقول كبار

العُمّال إنه من الضرورة فرض رقابة أكثر صرامة على المثقفين، وعدم منحهم الكثير من السلطة، وإلا فلن يكون من السهل قيادتهم. إن بعض المثقّفين، بمجرّد أن يستديروا، تجدهم يسخرون من عدم خبرة القادة الحاليين وعدم قدرتهم على التواصل والتنسيق معًا بشكل جيد، هل صادفت مثل هذا الموقف؟». فهزّ سونغ يون هوي رأسه: «نعم، ولكنّي لم أقابل صعوبات حقيقية بعد، فمن ناحية لأنني لطالما عملت في المستوى الأساسي، ومن ناحية أخرى لاهتمام الجميع بي».

أومأ شوي الكبير برأسه، ولكنه فكّر في نفسه، أي اهتمام هذا، هذا كله بسبب الفجوة المعرفية التي ظهرت خلال السنوات العشر الأخيرة، مما سبّب نقصًا في التواصل بين القديم والحديث في القوى التكنولوجية بجينتشو، واليوم عندما رأى الجانبان شابًا ذا معرفة وفتىً مجتهدًا يتحدّث بنبرة جادة، أرادا التفوّق عليه، تمامًا كما حدث معه في بداية دخوله إلى جينتشو. كشف ليو كبير المهندسين أن اتّجاه دراسة تقنية إف آر سي هو اصطياد سونغ الصغير، في حين أنفق الأمين شوي المزيد من الجهد والمال للضغط مباشرة بالمهام على عاتق هذا الفتى الصغير، ولم يخشَ مطلقًا عدم قدرته على التحمُّل. لا عجب في أن يأتي هذا الفتى الصغير الجاد إلى منزله لطلب المشورة من شدة الارتباك. فقال له بشكل مباشر: «اليوم تشارك في برنامج تحديث المعدّات، وعند عودتك، سيتعيّن عليك الانحياز لأحد الفريقين».

لم يتوقّع سونغ يون هوي أن يشير شوي الكبير إلى مأزقه الحالي بهذه الصراحة، لذا لم يستطع إلا أن ينظر مذهولاً إليه، وهو

يثق في شوي الكبير، لذا قال مباشرة: «في الحقيقة نعم، ولا داعي لانحيازي لأي من الطرفين، فقد تم تصنيفي بالفعل».

رفع شوي الكبير كأسه، وأشار لسونغ يون هوي ليقرعا الكؤوس، وأخذ رشفة، ثم قال ضاحكًا: «هذا الوضع، لقد صادفت وضعًا مشابهًا له من قبل، حينها اخترت الطرف القادر على العمل، القادر على إنجاز العمل. في وقت شبابي، دائمًا ما كنت أتمنّي القيام بالمزيد من العمل، فلا يموت أحد من التعب».

عند سماعه لذلك، بدا كأس سونغ يون هوي الموضوع على شفتيه وكأنه ملتصق ولم يزله لفترة طويلة، وبعد وقت طويل، زفر قائلاً: «لقد فهمت».

كان لدى الاثنين فهم ضمني لم يبوحا به، ولكن شوي الكبير فكّر في داخله أن هذا الفتى الصغير ليس بسيطًا حقًا، إذ كان جادًا لدرجة أنه لم يكشف مطلقًا عن الطرف الذي سينوي الانحياز إليه وهو في هذه السن الصغيرة. لم يكُن شوي الكبير يعرف أنه قليل الكلام منذ طفولته بسبب خلفيته العائلية، لذلك شعر تجاهه بقليل من الإعجاب، وبقليل من الحذر أيضًا، إذ كان شوي الكبير شخصًا ذكيًا ولم يسعه إلّا أن يتحدّث بحذر قائلاً: «بالنسبة لتحديث معدّات جينتشو، لقد مرّ وقت طويل على مغادرتي للمصنع، لذا لا يمكنني بالفعل تحديد الأنسب لها، ولا يمكنني مساعدتك بالآراء المرجعية. ولكن بالنسبة لمحتوى الصفحة الثانية، أعتقدّ أنك لم تفكّر في الأمر بشكل شامل، وسأعطيك تخطيطًا مفصّلاً، عليك بعمل دراسة جدوى رسمية لاحقًا. أمّا بالنسبة للبيانات، فليس عليك

الذهاب مرة أخرى للتحقق من الأرشيف، فهي ليست المقصودة تمامًا، وأنا سأقدّمك للشركة الصينية العامة لاستيراد وتصدير التكنولوجيا لتسأل هناك، ويمكن استيراد معدّاتكم المستقبلية من خلالهم، فهم يعرفون أن بعض الشركات المصنِّعة لهذه المعدّات لديها مكاتب دائمة في بكين، لذا فمن الأفضل أن تذهب إليهم مباشرة وتسأل رجال الأعمال الأجانب عن المعلومات. أنت أكثر من يعرف المعايير الفنية لجينتشو، لذلك يمكنك الحصول على المعلومات المقصودة».

كان لدى شوي الكبير قدرة جيدة على الشرب، ولكن سونغ يون هوي لم يستطع أن يغلبه في الشراب، لذا اضطر للاستسلام والتوقُّف. كان شوي الكبير يحمل الكأس بيد، ويكتب باليد الأخرى، ويسأل سونغ يون هوي عمّا إذا كان يفهم هذا المعنى ويعرف هذه الكلمة، فكان واعيًا جدًا. كان سونغ يون هوي قد توصّل إلى الفكرة العامة من خلال السؤال، وظل يتمتم متسائلاً عن الطريقة التي عرف بها شوي الكبير هذا، وفجأة أراد بشدة أن يسأله عمّا إذا كان يساعده من أجل لي دونغ باو، أم من أجل الأمين شوي، أم حتى من أجل سونغ يون هوي نفسه ذلك الفتى الذي دخل لتوّه لسوق العمل. ولكنه في النهاية لم يقُل الكثير.

بعد خروجه من منزل شوي، شعر سونغ يون هوي بالاعتزاز بنفسه لبعض الوقت، وأنه أخيرًا قد فهم كيف يمكنه أن يسلك الطريق بعدما اتضّحت له الرؤية، وفي الوقت نفسه شعر بالأسف على شوي الكبير، وعلى وحدته التي لا يمكنه إخفاؤها خلف ابتسامته الأنيقة، كيف لرحيل زوجته أن يكون بمثابة ضربة كبيرة

له هكذا؟ فكّر سونغ يون هوي في لي دونغ باو، ثم فكّر في توسُّل شوي الكبير له من أجل لي دونغ باو، هل يلوم شوي الكبير نفسه أيضًا؟ هل يسحقه الشعور بالذنب؟ ولكن بصرف النظر عن هذا، فقد شعر سونغ يون هوي بالأسف تجاه شخص موهوب مثل شوي الكبير. كما كان يحسد حقًا أسلوبه اللطيف والحر، والذي دفعه للتفكير فجأة في ليانغ سي شن الموجودة على الساحل الآخر، والتي كانت أيضًا ابنة لأحد الكوادر رفيعي المستوى. كانت رسائل تلك الفتاة الصغيرة تصله في كثير من الأحيان، إذ كانت تُرسل إلى جينتشو من خلال عائلة ليانغ، وغالبًا ما كانت تُخبره بفخر بمدى تقدُّمها في الدراسة، وكل ذلك باللغة الإنجليزية. دائمًا ما كانت تختتم الرسالة بثقة قاتلة وهي تقول: صرت أقترب من الأستاذ سونغ أكثر فأكثر، وسأسبقه سريعًا. في حين كان سونغ يون هوي يبعث رسائله مباشرة إلى خارج البلاد، ويقدّم لها تعريفًا موجزًا عن عمله، ولم يعتبرها مطلقًا طفلةً صغيرة، وبخاصة بعد رحيل شقيقته، وازداد محتوى رسائله إليها.

زار سونغ يون هوي رجال أعمال يابانيين وفرنسيين موجودين في بكين وفقًا لتوجيهات شوي الكبير. وبدت ملابسه البسيطة متواضعة أمام البذلات وربطات العنق التي يرتديها رجال الأعمال. ومع ذلك، فعند الحديث عن المسائل الفنية، كان يتحدّث بثقة كبيرة ونبرة تميّزه. لم يكُن جيدًا في المحادثة اليومية باللغة الإنجليزية، إذ كان يتلعثم ولا يستطيع التعبير بشكل جيد، ولكن عند محادثته باللغة الإنجليزية المتخصصة، وعلى الرغم من أنه في البداية لم يكُن جيدًا فيها، فإنه سرعان ما صار يتحدّث بطلاقة وكأنه قد

غيّر فمه. فحصل على العديد من المعلومات الشفهية والمكتوبة مباشرة من رجال الأعمال الأجانب، وقام أولاً بتنظيم المعلومات التي جمعها في مسودّة بدار الضيافة في بكين، ثم سلّم نسخة منها لمنزل شوي الكبير، وأخيرًا عاد مطمئنًا إلى جينتشو.

11

كان شيون جيان شيانغ يأخذ قيلولة الظهيرة، وما إن رأى سونغ يون هوي يفتح الباب ويدخل، حتى استدار سريعًا على السرير، وصرخ كالطفل الصغير: «ماذا أحضرت من طعام؟».

«كم أنت وقح، تسأل عن الطعام بمجرد رؤيتي. خُذ، حلوى بكين الثمانية، سمعت أنها تجمع وجبات بكين الخفيفة في سلة واحدة».

ألقى سونغ يون هوي بالعلبة إلى شيون جيان شيانغ، فأمسكها بيد واحدة، وفتحها لينظر، فشعر بالرضا، ولكنه لم يأكل، وإنما نهض وخرج من خلف ستارة السرير، وقال لسونغ يون هوي اللامع: «أنت أيضًا لديك على سريرك أشياء مُرسلة من فتاة صغيرة...».

«ها، شيون جيان شيانغ، لماذا أنبت عني في تسلُّم أشياء مُرسلة من فتاة صغيرة». ألقى سونغ يون هوي بأمتعته، وأخرج المنشفة والطست والملابس ليذهب ويستحمّ. فأجابه شيون جيان شيانغ: «ألا تريدها؟ هاها، حسنًا، أعطني إياها. لا تقُل إنك لا تريدها، لا تقُل! فقد أرسلتها تلك الطالبة الأمريكية خصيصًا إليك، لا تقُل إنك لا تريدها».

«ليانغ سي شن؟» ألقى سونغ يون هوي بمتعلقاته، وقفز إلى السرير، مجموعة من الهدايا الملفوفة في كيس بلاستيكي أسود، «متى أتت؟ هل كبرت؟ هل أخبرتك بشيء تُريد أن تقوله لي؟ لم تقُل أي شيء قبل أن تأتي».

«افتحها بسرعة، افتحها بسرعة، دعني أرى المنتجات الأمريكية. تلك الفتاة الصغيرة جميلة جدًا، وطباعها راقية، لقد ساعدتني في القيام ببعض الأمور الجيدة. ما هذه؟».

دفع سونغ يون هوي بالهدايا إلى شيون جيان شيانغ، وأخذ يقرأ الرسالة أولاً. كانت ليانغ سي شن تقول إنها قد أتت بالسيارة مع والدها إلى الاجتماع، ولكنها للأسف الشديد لم تقابله، فخرجت للتجوُّل برفقة شيون جيان شيانغ، والتقت بالآنسة تشانغ والآنسة ليو، ثم عادت مع والدها. قال سونغ يون هوي في نفسه، من هما الآنسة تشانغ والآنسة ليو؟ ولكنه لم يكن لديه الوقت ليفكّر بعناية، إذ لم يستطع الانتظار ليفتح الرسالة ويقرأ ما بداخلها. مدّ شيون جيان شيانغ رأسه لينظر، فاستسلم عندما وجدها باللغة الإنجليزية.

كتبت ليانغ سي شن في الرسالة أنها لا تزال تعيش مع جدها وجدتها في الولايات المتحدة الأمريكية، وتدرس في مدرسة إعدادية خاصة، وما زالت الدورات الدراسية مكثّفة، ولا تزال درجاتها في المراكز الأولى. وأن خالها وزوجته ما زالا لا يريدان رؤيتها، وما زال جدها وجدتها غير ودودين كثيرًا معها، وما زال أبناء وبنات خالها منعزلين عنها، لذلك فعندما اتّبعت آخر طريقة قالها مستر سونغ في التواصل معهم هذه المرة، كانت بلا جدوى.

لم يعُد بوسعها سوى الدراسة بجد، والانخراط بكل طاقتها في تعلّم آداب الطبقة العليا، حتى لا يسخرون منها. لقد تفوّقت في اختبار الرياضيات هذا العام، لذا ستحضر حصص الرياضيات مع الطلاب الكبار بعد بدء الدراسة. وهذه المرة، عندما عادت إلى المنزل بعد عناء وأخبرت والدها ووالدتها بالأمر وجهًا لوجه، قالت والدتها إن خالها وزوجته بالتأكيد يشكّان في ذهابها إلى الولايات المتحدة رغبة في الحصول على ممتلكات جدّها وجدتها. لقد عادت إلى الصين مع جدّها وجدّتها اللذين قررا العودة بشكل غير متوقّع، وعليها العودة مجددًا إلى الولايات المتحدة بسرعة، وهي حقًا لا ترغب في العودة إليها. بعدما تكبر، سيمكنها العودة إلى الصين بنفسها، وحينها ستأتي ثانية لرؤية مستر سونغ.

على الرغم من معاناة سونغ يون هوي نفسه منذ الطفولة، فإنه لم يشعر بأنها معاناة قط، ولكنه دائمًا ما كان يشعر بالقلق في كل مرة يقرأ فيها رسائل ليانغ سي شن. بعدما انتهى من قراءة الرسالة سأل شيون جيان شيانغ: «اسمع، هل بدت ليانغ سي شن سعيدة؟ هل بدت مثيرة للشفقة؟».

ابتسم شيون وقال ماكرًا: «مثيرة للشفقة؟ يمكن لفتاة صغيرة أن تفعل الكثير، بل على الآخرين ألّا يتعرّضوا من قِبلِها للتنمُّر ويبدون مثيرين للشفقة. اطمئن، لقد بدت سعيدة، فهي أتت وذهبت بسيارة والدها، ناهيك بمدى فخامة السيارة. كما بدت ملابسها أنيقة، دعنا لا نتحدث الآن، فهناك الكثير من الأمور، استحم أولاً وسأخبرك فيما بعد. أوه، كيف تتهادون بالأشياء نفسها دائمًا، لم تنتق الفتاة الهدية جيدًا، فقد أرسلت كتبًا».

أسرع سونغ يون هوي وأمسك بالكتب الستة الثقيلة، كانت جميعها باللغة الإنجليزية، وبدت من الغلاف أنها مجموعة، وكلها تحمل نفس اسم المؤلف من أعلى، أجاثا كريستي. باستثناء المؤلفين الأجانب المشهورين أمثال شكسبير وبلزاك، لم يكُن سونغ يعرف بوجود مؤلفين آخرين، لذا لم يكُن يعرف من هي أجاثا كريستي، يبدو أن الأمر يستحق أن تسافر لينغ سي شن لآلاف الأميال من الولايات المتحدة خصيصًا لتُحضر إليه هذه الكومة الضخمة من الكتب. لذلك تأثّر تأثُّرًا غير عادي عندما فكّر في تخصيصها لجزء من وقتها الثمين بعد عودتها إلى الديار لرؤيته حتى بعد ثلاثة أعوام من وداعها، وأنها حملت هذه الكتب على ظهرها إليه. لطالما كان يفكّر في هذه الأخت الصغيرة، وشعر أن هذا أمر طبيعي أن يتذكّر الكبار شخصًا جيدًا، ولكن أن تتذكّره لينغ سي شن الصغيرة بعد أكثر من ثلاثة سنوات، دفعه هذا للاعتزاز بها أكثر. لذلك فكّر أن عليه قراءة هذه الكتب الستّة مهما حدث.

لم يكُن شيون في الواقع قادرًا على كتم الكلام أكثر من ذلك، فما إن عاد سونغ يون هوي من الاستحمام ودخل بشعر مبلل، حتى انفجر شيون كالمدفع الرشاش: «هل تتذكّر تشانغ شو هوا تلك؟ لقد نُقِلت إلى مطعم ما بأحد شوارع منطقة سكننا في المصنع اعتمادًا على علاقاتها...».

«صار الأمر سهلاً عليك الآن».

«سهلاً عليك أنت أم عليّ أنا؟ إنها تسأل عنك منذ وصولها، اتّضح أنها لم تُعجب بي لأنها أُعجبت بك أنت. اللعنة، لقد وصلت

ليانغ سي شن في الوقت المناسب، إن شعرها أقصر من شعرك، وتضع نظارة كبيرة كالضفدع، وترتدي بنطالاً قصيرًا من الجينز، وسُترة سوداء مطاطية، وتعلّق لُعبًا رنانة لا أعرفها حول رقبتها، بدت جميلة ولم أرَ مثلها من قبل. وبمجرد أن أخبرتها بوجود فتاة مهووسة بالأستاذ سونغ، تحمّست جدًا، وذهبت معي إلى المطعم لتناول الغداء، وكانت الصدفة أننا رأينا هناك يوي شان تشينغ وليو تشي مينغ يتناولان الطعام على طاولة واحدة، لقد تعاونّا معًا بشكل جيد حتى طبخنا ثلاثتهم في وعاء واحد».

حدّق سونغ يون هوي بعينيه وفغر فاه بمجرد سماعه لهذا، ولم يستطع تخيُّل مظهر ليانغ سي شن، لماذا يشعر وكأنها كالمشرّدين الصغار. أمّا بالنسبة لتشانغ شو هوا التي أتت بحثًا عنه بعدما تنزّها في الحديقة لنصف ساعة تحت مراقبة والدتها، فلم يشعر تجاهها بأي شيء، فقط شعر بالأسف تجاه أخيه، «ألا تبدو ليانغ سي شن مثل آفي[1] بهذا المظهر؟ لتوضّح قليلًا، هي بالتأكيد لن ترتدي ملابس عشوائية».

«كيف للفتاة الصغيرة أن تبدو مثل آفي، فبمجرد ظهورها، ظن الآخرون أنها من الطبقة العليا، ولا شيء غير ذلك. وعندما وقفت بجانب ليو تشي مينغ، ذهب صوتها ولم تنظر إليها بنظرة العجرفة التي عادة ما تنظر بها. أمّا يوي شان تشينغ، «زير النساء» هذا، فلم يستطع أن يرفع عينيه عنها بمجرد رؤيتها...».

(1) شخصية في أحد الأفلام الصينية، وهو شاب متمرد يعيش حياةً ضائعة.

«حسنًا، حسنًا!» كان سونغ يون هوي بالفعل يشعر بالاكتئاب من عدم قدرته على رؤية ليانغ سي شن لوجوده في بكين حينها، ولمّا سمع أنها كانت لطيفة وبدت حسنة المظهر، شعر بسعادة غامرة تفوق سعادة مدح الآخرين له.

«بالطبع حسنًا، دعني أخبرك أيضًا، لقد تغيّر الوضع في المصنع هذه الأيام، إذ صار مدير المصنع فِيّ يعود من وقت لآخر ليترأّس معركة تحديث المعدّات، وقال إنه يريد التوصُّل إلى خطة جيدة. لقد كان المكتب الهندسي العام مشغولاً بهذا مؤخرًا، حتى إنّه صار بإمكاني رؤية الأنوار مضاءة في المكتب بعد انتهاء المناوبة الوُسطى».

«هل شارك الأمين شوي في هذا؟» انقبض قلب سونغ يون هوي عندما فكّر في تقنية إف آر سي التي ذكرها كبير المهندسين ليو، وعندما فكّر في تعليقات شوي الكبير حول المثقّفين، وعندما فكّر في الاقتتال الداخلي الواقع في الإدارة العليا للمصنع قبل سفره في رحلة عمل إلى بكين. لم يتوقّع أن تتغير الأوضاع بعد عودته من السفر لشهرين.

«أليس العكس هو الصحيح؟ لقد أُعيد مكتب التصحيح الشامل بأكمله إلى قسم التكنولوجيا الحيوية، وصار تحت قيادة المكتب الهندسي العام مجددًا، وقد استغلّ يوي شان تشينغ هذا الموقف، وتقرّب من ابنة ليو كبير المهندسين، فلطالما كان يلاحق ابنة مدير المصنع تشنغ، ولكنه لم يفلح، وحقق نجاحًا فوريًا في ملاحقة ليو تشي مينغ، إذ صار الاثنان الآن يخرجان معًا،

بل ويتناولان الغداء في المطعم أيضًا. اسمع، لحسن الحظ أننا صادفناهما، فقد أخبرت الفتاة الصغيرة أنك لم تُعجِب ليو تشي مينغ، وغضبت الفتاة الصغيرة وراحت توبّخ ليو تشي مينغ بفمها الصغير حتى هربت إلى خارج المطعم وهي تغطّي وجهها. ظلّت الفتاة الصغيرة تقول كلامًا جميلاً عنك، وكأن فمها الصغير يقطر عسلاً، فعندما رأت هذه الغرفة المتهالكة، قالت إن سريرك أنظف من سريري، كما قالت إن الظروف قد تحسّنت هذه المرة، إذ كنت تسكن في غرفة لسبعة أشخاص وقت الجامعة. مهلاً، ألم تكُن هذه الفتاة معجبة بك سرًا من قبل؟».

كان سونغ يون هوي يفرز ويحلل المعلومات الواردة من شيون جيان شيانغ في رأسه كالعادة، وبمجرد سماعه للجملة الأخيرة قفز فجأة وقال بجدية: «هذا هراء، كم عمر ليانغ سي شن، إنها مثل أخت صغيرة تمامًا. لقد كانت في المدرسة الابتدائية عندما التقينا».

«تشعر بالذنب، تشعر بالذنب، لماذا تقفز إذًا». ابتهج شيون ضاحكًا بغرابة، «الفتاة ليست صغيرة، فطولها يبلغ 160 أو 170 سنتيمتر، أي أطول من تشانغ شو هوا بطول رأس كامل».

«ماذا؟ هل كبرت هكذا؟» حدّق سونغ يون هوي بعينيه وفغر فاه مذهولاً، إذ كان يظنّ أن ليانغ سي شن لا تزال تلك الطالبة الصغيرة في المرحلة الابتدائية، فعندما التقيا لأول مرة، لم تكُن نصف أسنانها الأمامية قد نمت بعد، لو يتوقّع أن تكون قد كبرت هكذا. كان يفكّر في الأمر وهو سعيد جدًا، وأكثر ندمًا لعدم مقابلته إياها. وعلى العكس من ذلك، لم يكُن مباليًا كثيرًا بمرافقة ليو ويوي لبعضها بعضًا.

«بالطبع، ولمَ سأخدعك؟ فقد دعني أُكمِل، سأشعر بعدم ارتياح لو لم أُكمِل. ألم أُخبرك أننا ذهبنا إلى المطعم؟ بمجرد أن دخلنا، رأيت ليو تشي مينغ، ففرحت أنا، إذ إنني ضربت اليوم عصفورين بحجر، وعلى الفور جلست في الطاولة المجاورة لهما. أخبرت الفتاة الصغيرة بهدوء من هي الفتاة ليو تشي مينغ، فاستشاطت الفتاة الصغيرة غضبًا، ولمّا رأتها تسترق إليها النظر، قالت العين تُظهِر ما في القلب، فجميع من يسترقون النظر ليسوا أشخاصًا صالحين. ولمّا رأيت الآنسة ليو وقد احمرّ وجهها، ولم تعُد تسترق النظر، أخبرت الفتاة الصغيرة عمدًا أن تلك الآنسة الكبيرة التي ترتدي فستانًا أصفرَ هي من تسترق النظر. خمّن ماذا فعلت الفتاة الصغيرة؟ لقد كانت مذهولة حقًا، إذ إنها غضبت لدرجة أن ليو تشي مينغ اضطرت لكتم غيظها». ولم يسع شيون جيان شيانغ إلا أن يربّت على ساقيه ويضحك بصوتٍ عالٍ عندما تذكّر ما حدث في ذلك اليوم.

حدَّث سونغ يون هوي في قلبه، اتّضح أن لغة ليانغ سي شن الصينية الشفهية أيضًا جيدة جدًا. لم يكُن شيون جيان شيانغ ينتظر سونغ يون هوي ليسأل بالفعل، إذ كان يسأل ويجيب بنفسه: «سارت الفتاة الصغيرة هكذا إلى خلف الآنسة ليو، ووقفت بظهر مستقيم كالملكة، فبدت لي تشي مينغ كفتاة ريفية أمامها». كان شيون يشير بيده يقلّد ليانغ سي شن أثناء حديثه، فقلّد وضعية وقوفها، ولكن سونغ لم يستطع تخيُّل سلوكها أيضًا، «قدّمت الفتاة الصغيرة نفسها، ثم قالت لقد سمعت السيد شيون يقول إن الآنسة ليو والسيد يوي شان تشينغ صديقان لمستر سونغ، كما

قالت إنها كانت صديقة قديمة لمستر سونغ، والآن بعدما عادت إلى الصين كان أول شيء تفعله هو المجيء لمقابلته، وأصدقاء مستر سونغ هم أصدقاؤها أيضًا، والجميع أصدقاء. اسمع، كان كلامها يشبه الإعصار الكلِمي، وكان يوي شان تشينغ والفتاة ليو مهذّبين معها جدًا، ودعواها للجلوس. قالت الفتاة الصغيرة إنها لن تجلس، ونبّهت الآنسة ليو باعتبارها صديقة جيدة قائلة إن الفتيات الذين يرتدين ملابس بلا أكمام عليهن أن يحلقن شعر الإبط، وإلا فسيكون من القبيح جدًا أن يفتحن أذرعهن ولو قليلاً. وبمجرد قول هذا، وضعت ليو وتشانغ شو هوا كلاهما أيديهن على أذرعهن. فتظاهرت الفتاة الصغيرة بالغباء وواصلت حديثها قائلة إنه من الأفضل عدم ارتداء ملابس داخلية بيضاء أسفل ملابس من الألياف الصناعية الشفافة نوعًا ما، وإلا فستبدو الملابس الداخلية واضحة للخارج، وستبدو قبيحة أيضًا، فمن الأفضل أن تكون مكشوفة عن أن تكون شفّافة؛ ولا يمكن ارتداء ملابس داخلية سميكة جدًا عند ارتداء ملابس رقيقة نوعًا ما في الصيف، وإلا فسيرى الآخرون خطوط الملابس الداخلية البارزة بوضوح، وستبدو قبيحة أيضًا، ومن الأفضل أن تكون الملابس الخارجية أسوأ عن أن تكون الملابس الداخلية للنساء مُهمَلة. بمجرد قول هذا، انحنت جميع النساء الموجودات في المطعم ولم يجرؤن على رفع صدورهن. أخذ وجه ليو تشي مينغ يحمرّ تارة ويزرقّ تارة أخرى من شدة الخجل، ولم يكُن بإمكانها أيضًا توبيخ فتاة صغيرة، فغطّت وجهها وهربت. ولكن الفتاة الصغيرة لم تفلتها أيضًا، وإنما ظلّت تلاحقها وتنبّهها بلطف، ونصحتها بألّا تكون كفتاة عصرية مقيمة في مدينة

صغيرة أبدًا، ترتدي أزياء عفا عليها الزمن، وتحاول أن تكون ريفية متحضرة. يا للمسكينة، لطالما كانت ليو تشي مينغ متعجرفة أمامنا، ولم نستطع فعل أي شيء معها، وأخيرًا هزمتها الفتاة الصغيرة ليانغ، أنا سعيد، سعادة لا توصف، هاها، ولهذا، عليّ أن أخدمها وكأنها ملكة. وتشانغ شو هوا اختبأت أيضًا دون أثر، فبعدما كان صوتها يُجلجل في المطعم من قبل، لم يعُد يُسمع لها أي صوت، أعتقد أنها لن تعرف مقامها إذا تجرّأت على السؤال عنك بعد الآن».

ضحك سونغ يون هوي أيضًا عند سماعه لهذا، إذ كان يعرف جيدًا كيف تستطيع ليانغ سي شن التظاهر بالغباء منذ طفولتها، فعادة ما كانت تخبره كيف تظاهرت بالغباء وضايقت جدها وجدتها وعمّها وزوجة عمّها، وبالطبع صارت أكثر كفاءة الآن. على الرغم من عدم دقة الأطفال في القيام بالأمور، وأنه غضب من تحريض شيون لليانغ سي شن، فقد كان من المستحيل عليه أن يغضب منها، فكيف يمكنه أن يغضب من أخت صغيرة.

عندما رأى شيون أن سونغ لم يقل شيئًا، قال: «أنت، إذا كنت غاضبًا من الفتاة الصغيرة من أجل ليو، فأنت وقح جدًا».

«وكيف يمكن ذلك، إنني نادمٌ فقط على عدم رؤية ليانغ سي شن. شيون، شكرًا لك، كم أنفقت في ذلك اليوم؟ سأدفع لك».

«أتحتقرني أم ماذا؟ اذهب، ولا تذكر هذا بعد الآن. من المؤسف أن الفتاة الصغيرة غادرت مباشرة بعد الغداء، وإلا فكنت سأطلب إجازة وأصطحبها لرؤية فيلم. لقد كانت جيدة جدًا أيضًا معي، لا تغِر، فهي أفضل كثيرًا معك». وضع سونغ محفظته في

جيبه، وقال ضاحكًا: «أخ صالح. عليّ أن أسرع إلى المصنع لتقديم تقرير عن رحلة العمل، وسأذهب إلى الورشة لأجدك لاحقًا».

«ماذا تفعل، ماذا تفعل، أليس لديك أي كلمة أخيرة؟ هل تريد مني أن أدفع رسوم عضوية الحزب نيابة عنك؟ لا، ما زلت غير مؤهل لدفع رسوم العضوية، فقط أعطني رسوم عضوية عصبة الشبيبة. لماذا تتحدث بكل هذه الجدية، ففي أسوأ الأحوال ستذهب كل يوم إلى منزل ليو ومنزل فِيّ لتحدث جلبة، ممَّ تخاف إذًا؟».

«أنا لست خائفًا، لقد فكّرت في كيفية القيام بالأمر قبل عودتي بالفعل، وعلى الرغم من أنه ضد إرادتي، فإنني اضطررت للقيام بهذا. ولكن لولا الأخبار التي أعطيتني إياها والتي مكّنتني من معرفة نفسي ومعرفة عدوي، لكانت ساقاي وهنتا عند دخولي للمصنع. ولأنك أعطيتني كل هذه الأخبار السارة، فلتنتظر، وأنا سأعدّ لك شيئًا؛ لترى».

كان وجه شيون جيان شيانغ على وشك أن يبتسم ولكنه لم يبتسم، وإنما استدار جانبًا، وقال ضاحكًا: «لمَ أنت جاد؟ الدارسون متعبون، ولكن الفتاة الصغيرة ليانغ بدت طبيعية جدًا. اذهب، وسأنتظرك لترقى في المناصب وتحقق ثروة وتنتشلني من نظام المناوبات. سأعمل اليوم في المناوبة الليلية، سأنام، أغلق الباب عند خروجك». وما إن قال شيون هذا حتى دخل خلف ستار السرير، فهبَّ الهواء من مروحة السقف المعلّقة على الستار ليتمايل كالأمواج.

وقف سونغ يون هوي في الغرفة قليلاً، ثم فكّر لفترة من الوقت، وأخيرًا استدار وخرج. كان شيون جيان شيانغ يستمع إلى الحركة من الداخل بوجه صارم، إذ كانا يفكّران تقريبًا بالطريقة نفسها، فعودة مدير المصنع فِيّ من وقت لآخر ليست بعلامة جيدة بأي حال من الأحوال بالنسبة لما يقوم به سونغ حاليًا. وبالنسبة لاتّجاهات الإدارة العليا للمصنع في الوقت الحالي، فمن المستحيل أن يعرفها شيون بوضوح في المستوى الأساسي، ولكن يوي شان تشينغ يعرفها، إذ إنه سرعان ما استطاع الوقوف مع ليو تشي مينغ في غضون شهرين فقط، ويمكنه بالفعل تفسير الاتّجاه الحالي للصراع على السلطة في مستوى الإدارة العليا حاليًا. على الرغم من أن مجيء ليانغ سي شن التي أتت لرؤيته خصيصًا قد أشعره بسعادة بالغة، ولو كان هذا في وقت آخر، لكان قد طار فرحًا، فإن هناك سحبًا داكنة صارت تخيّم على المدينة الآن، وهي عبارة عن بيضة في العُش منقوش عليها كلمة «شوي»، فحتى ولو أراد القفز خارجه، هناك أيضًا قوة مقاومة ثقيلة تضغطه من أعلى. ولكن صداقة شيون وليانغ سي شن قد أعطته حافزًا كبيرًا. والآن بعدما اتّخذ قراره، فلن ينظر إلى الوراء حتى يصقله سوق العمل.

ركب سونغ يون هوي دراجته بوجه هادئ، حاملاً على ظهره الحقيبة المدرسية الخضراء العسكرية البالية التي أتى بها من الجامعة إلى جينتشو، وهرع إلى المصنع الرئيسي تحت شمس منتصف يوليو الحارقة بلا غطرسة أو نفاد صبر. وعند مروره بالمكتبة، نظر إلى المبنى المكوّن من ثلاثة طوابق المختبئ بين

الأشجار، ثم أدار عينيه بعيدًا بهدوء. ظلّ شيون جيان شيانغ يحاول منعه، وحتى ليانغ سي شن الصغيرة أخذت تقاتل من أجله في معركة غير عادلة، لكن عليه أيضًا القتال من أجل نفسه والتصرُّف كما يليق به.

مكتبة
t.me/soramnqraa

نهر يتسع لأكثر من مصير

《大江大河》

ترصد هذه الرواية تفاصيل الحياة اليومية للشعب الصيني في فترة الإصلاح والانفتاح من خلال عرض حياة عائلة صينية صغيرة ومسيرة بطل الرواية "سونغ يون هوي"، وهو نموذج للشخصية الصينية التي تسعى للتكيف والتطور في ظل التحديات والتحولات الاجتماعية الكبرى. وبفعل التعبير الأدبي الدقيق للكاتبة "آ ناي" عن تفاصيل حياة البطل اليومية؛ يشعر القارئ وكأنه صديقه الذي يشاركه المواقف التي يتعرض لها يوميًا، ويرى أدق تفاصيل حياة الصينيين في تلك المرحلة، كما أن قارئ هذه الرواية سيشعر بالارتباط الحميم مع شخصياتها وكأنه يعرفهم. فالرواية لا تقدم عرضًا تاريخيًا لفترةٍ ما في الصين، بل تعرض لنا تلك الفترة بعيون شخصيات بسيطة من لحمٍ ودم تتفاعل مع مجتمع يتغير بشكل كبير. رواية "نهر يتسع لأكثر من مصير" من الأعمال الأدبية المهمة في الأدب الصيني المعاصر، وتُرجمت إلى العديد من اللغات، وحققت نجاحًا كبيرًا في الصين وخارجها، وتحولت إلى مسلسل تلفزيوني شهير، حتى إنها تُدرَّس في بعض المدارس والجامعات، وتُعد مرجعًا مهمًا لفهم التاريخ والثقافة الصينية في تلك الفترة.

بيت الحكمة للثقافة
174 شارع التحرير - ميدان التحرير - القاهرة
ت: +20223936038 +201030328888
info@baytelhekma.com
www.baytelhekma.com

مكتبة
t.me/soramnqraa